بحوث
في تاريخ الإسلام

الجزء الثاني

الأستاذ الدكتور
محمود العيداني

معلومات الكتاب والطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

تاريخ الإمام الحسن عليه السلام

البحث رقم (١)

تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام)

أهداف البحث

١. بيان ولادة الإمام الحسن (عليه السلام) ونسبه وكنيته.
٢. بيان نصّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) على إمامة الحسن (عليه السلام).
٣. وصف تأكيد أمير المؤمنين (عليه السلام) لإمامة العترة الطاهرة.
٤. بيان عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة لابنه الحسن (عليه السلام).
٥. توضيح وصايا أمير المؤمنين للإمام الحسن (عليه السلام)

مقدمة البحث

انتهينا من الكلام في الجزء الأوّل من هذا الكتاب عن تاريخ كلّ من النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وأمير المؤمنين (عليه السلام)، والزهراء (عليها السلام)، لنبدأ بالجزء الثاني من هذه البحوث في تاريخ الإسلام، التي نتناول فيها تاريخ الأئمّة المعصومين (عليهم السلام)، ابتداء من الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)؛ إذْ نتناول أهمّ الخطوط العامّة في حياته، كما كان المنهج في الجزء الأوّل من هذا الكتاب.

المطلب الأول: في ولادته (عليه السلام) ونسبه وكنيته

ولد الحسن بن عليّ (عليه السلام) في المدينة المنوّرة، في النصف من شهر رمضان المعظّم سنة ثلاث من الهجرة، وكان (عليه السلام) أوّل أولاد عليّ وفاطمة (عليهما السلام).

وروي مرفوعاً إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) أنّه قال: «لمّا حضرتْ ولادةُ فاطمة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأسماء بنت عميس وأمّ سلمة: أحضرا فاطمة، فإذا وقع ولدُها واستهلَّ صارخاً، فأذِّنا في أذنه اليمني، وأقيما في أذنه اليسري، فإنّه لا يُفعل ذلك بمثله، إلا عُصم من الشيطان، ولا تُحدثا شيئاً حتى آتيكما.

فلمّا ولدت، فعلتا ذلك، وأتاه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسرَّه، ولثّاه بريقه، وقال: اللّهم إنّي أعيذه بك [وذرّيّته] وولده من الشّيطان الرّجيم»[1].

---

(١) يُنظر: جواهر العقدين: ٢٢٣/٢، ونظم درر السّمطين: ١٨٤.

قال الشّيخ كمال الدّين بن طلحة: «حصل للحسن وأخيه الحُسين عليهما السلام ما لم يحصل لغيرهما؛ فإنّهما سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانتاه، وسيّدا شباب أهل الجنّة، جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوهما عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمّهما الطهر البتول فاطمة ابنة الرّسول»[١].

المطلب الثاني: نصّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على إمامة الحسن عليه السلام

الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تُعيّنُ بالنصّ، ولا تُتْرَك لاختيار الأمّة، كما تقدّم ذلك عندما تكلّمنا عن أنّها نصّ أم انتخاب في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، فهي عهد من الله لرسوله، ومنه صلى الله عليه وآله إلى مَن بعده، ويستمرّ العهد الإلهيّ متنقّلاً من إمام إلى إمام يليه، حتّى يصل إلى آخر الأئمّة، وهو المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

فقد نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامة اثني عشر رجلاً من قريش[٢]، ثمّ خصّص العموم ببني هاشم[٣]، ثمّ ضيّق دائرته وحصرها في العترة الطاهرة[٤].

وقد وردت روايات عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر فيها إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ إمامة ابنه الحسن من بعده، ثم إمامة الحُسين من بعده، ومنها:

قوله صلى الله عليه وآله : «يا عليّ، أنا وأنت وابناك الحسن والحُسين، وتسعة من ولد الحُسين، أركان الدّين، ودعائم الإسلام، مَنْ تبعنا نجا، ومن تخلّف عنّا، فإلى النار»[٥].

---

(١) كشف الغمّة: ١٤٠/٢.

(٢) يُنظر: مسند أحمد: ٩٢/٦-١٢٤، صحيح مسلم: ١٤٥٢/٣، سنن أبي داود: ١٠٦/٤، وسنن الترمذيّ: ٥٠١/٤.

(٣) يُنظر: مودّة القربى: ٤٤٥، وينابيع المودّة: ٢١٨/٢، وإحقاق الحقّ وإزهاق الباطل: ٣٠/١٣.

(٤) يُنظر: كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الإثني عشر: ٨٩ وينابيع المودّة: ٢١٨/٢ـ ٢١٩.

(٥) أمالي المفيد: ٢١٧.

وقال صلى الله عليه وآله للإمام الحُسين عليه السلام : «أنت إمام، ابن إمام، أخو إمام...»(١).

وقال صلى الله عليه وآله محدّداً أوصياءه: «أولّهم أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمّتي، ووليّ كلّ مؤمن بعدي...، ثمّ ابني الحسن...، واحداً بعد واحد، حتّى يردوا عليّ الحوض، هم شهداء الله في أرضه، وحجّته على خلقه، وخزّان علمه، ومعادن حكمته. مَن أطاعهم أطاع الله، ومَن عصاهم عصى الله»(٢).

المطلب الثالث: أمير المؤمنين عليه السلام يؤكّد إمامة العترة الطاهرة

حينما تصدّى أمير المؤمنين عليه السلام للقيادة، وأصبح على رأس السّلطة في الدّولة الإسلاميّة، كثر أنصار أهل البيت عليهم السلام، وقاموا بنشر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله عن إمامة أهل البيت عليهم السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يؤكّد هذه الحقيقة، ويوجّه الأنظار إلى خطّ الإمامة الحقّة، وممّا قاله في ذلك: «وكيف تَعْمَهون وبينكم عترة نبيّكم؟! وهم أزمّة الحقّ، وأعلام الدّين، وألسنة الصّدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردُوهم ورودَ الهيم العطاش»(٣).

وقال عليه السلام: «أنظروا أهل بيت نبيّكم، فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلنْ يُخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإنْ لَبَدوا، فالبُدوا، وإن نَهَضوا، فانهَضوا، ولا تَسبقوهم، فتضلّوا، ولا تتأخّروا عنهم، فتَهلكوا»(٤).

وقال عليه السلام : «ألا إنّ مَثَلَ آلِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله كمَثَلِ نجوم السّماء، إذا هوى نجمٌ طلع نجم، فكأنّكم قد تكاملتْ مِن الله فيكم الصّنائع»(٥).

وقال عليه السلام : «لا يُقاس بآل محمّدٍ صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد، ولا يسوّى بهم مَن

---

(١) الخصال: ٤٧٥، وجامع الأخبار: ٦٢.

(٢) فرائد السّمطين: ٣١٨/١.

(٣) نهج البلاغة: ١١٩، الخطبة: ٨٧ .

(٤) نهج البلاغة: ١٤٣، باب كلامه: ٩٧.

(٥) نهج البلاغة: ١٤٦، الخطبة: ١٠٠.

جرتْ نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساسُ الدين، وعمادُ اليقين، إليهم يَفيءُ الغالي، وبهم يَلحقُ التالي، ولهم خصائص حقّ الولاية، وفيهم الوصيةُ والوراثة»[١].

المطلب الرابع: عهد أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة لابنه الحسن عليه السلام

كان أمير المؤمنينَ عليه السلام يوجّه الأنظار إلى إمامة ولده الحسن عليه السلام ومقامه السّامي وخصائصه وكفاءته، فقد كان عليه السلام يسأله عن المسائل المختلفة أمام مرأى ومسمع الملأ من أصحابه، وقد تركّزت أسئلته على: الزُّهد، والسّداد، والشرف، والنجدة، والمجد، والمروءة، والكرم، والإخاء، والجبن، والمنعة[٢]، وكان الإمام عليه السلام يجيب عليها بأجوبة مختصرة شافية.

وبعث ملك الروم يوماً إلى معاوية مَن يسأله عن مسائل، فعجز معاوية، وبعث رجلاً متنكّراً ليسأل أمير المؤمنين عليه السلام، فاعترف الرجل بحاله، فقال له عليه السلام: هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فسل أيّهما أحببت، فسأل الشامي الإمام الحسن عليه السلام، فأجابه عن تلك المسائل[٣].

وكان عليه السلام يُكلِّف الإمام الحسن عليه السلام بالمهمّات الصّعبة، ويبعثه لحلّ الأزمات، ويُشركه في المواقف الحرجة، فقد بعثه إلى أهل الكوفة لعزل الأشعريّ، وأمره بإجابة عبد الله بن الزبير في الجمل، وأمره بنقض حكم الحَكَمَيْنِ لمخالفتهما القرآن في قصّة الحكومة التي تقدّمتْ في الجزء الأوّل.

وفي اليومين الأخيرين من حياة أمير المؤمنين عليه السلام – وبعد أنْ ضربه ابن ملجم– أدنى ابنه الحسن عليه السلام، وأوصى إليه، قائلاً:

«يا بنيّ، إنّه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أنْ أوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أنْ آمرك إذا حضرك

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣٨/١، ١٣٩.

(٢) يُنظر: تحف العقول: ١٥٨.

(٣) يُنظر: تحف العقول: ١٦٢.

الموت أنْ تدفعها إلى أخيك الحُسين...»[١].

وفي ليلة استشهاده عليه السلام، دعا إليه ولديه الحسن والحُسين، وقال لهما: «إنّي مقبوض في ليلتي هذه، فاسمعا قولي، وأنتَ يا حسن وصيّي، والقائم بالأمر من بعدي، وأنت يا حسين شريكه في الوصيّة، فاصمت وكنْ لأمره تابعاً ما بقي، فإذا خرج من الدنيا، فأنت الناطق من بعده، والقائم بالأمر عنه»[٢]. وكتب له كتاباً بذلك نقله جمهور المؤرّخين[٣].

المطلب الخامس: وصايا أمير المؤمنين للإمام الحسن عليه السلام

إنطلاقاً من خلافة الإمام الحسن عليه السلام لأبيه؛ قام عليه السلام بإيصائه بوصايا عديدة، فعند انصرافه من صفّين، أوصاه بتقوى الله، وإحياء القلب بالموعظة، والنظر في أحوال الماضين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واللّجوء إلى الله تعالى.

وأوصاه بالإيثار، وذمّ الإعجاب بالنفس، والصّبر على المكاره والشّدائد. وبدوام العلاقة مع الله عن طريق المداومة على الدّعاء، وذكر الموت[٤].

وكانت آخر وصيّة له بالخصوص، قوله عليه السلام له: «أُوصيك، أي بنيّ، بتقوى الله، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلّها، وحسن الوضوء...، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عن الجاهل، والتفقّه في الدّين، والتثبّت في الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الفواحش»[٥].

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢٠٧.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) يُنظر: المصدر السّابق.

(٤) يُنظر: نهج البلاغة: ٣٩١، وما بعدها.

(٥) الكامل في التاريخ: ٣ /١٧٠.

خلاصة البحث

نصّ الرّسول الأعظم ﷺ على إمامة سبطه الحسن عليه السلام أيّام حياته، وأكّد أمير المؤمنين عليه السلام إمامة العترة الطاهرة، وكان يوجّه الأنظار إلى إمامة ولده الحسن عليه السلام ومقامه السّامي وخصائصه وكفاءته، ثمّ عهد عليه السلام إليه بالإمامة.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن ولادة الإمام الحسن عليه السلام ونسبه وكنيته.
٢. أُذكر بعض وصايا أمير المؤمنين للإمام الحسن عليه السلام.
٣. كيف أكّد أمير المؤمنين عليه السلام إمامة العترة الطاهرة؟
٤. تكلّم عن عهد أمير المؤمنينَ عليه السلام بالخلافة لابنه الحسن عليه السلام.
٥. أُذكر نصّ الرّسول الأعظم ﷺ وأمير المؤمنينَ عليه السلام على إمامة مولانا الحسن عليه السلام.

البحث رقم (٢)

البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة

أهداف البحث

١. بيان بعض تاريخ الإمام الحسن عليه السلام في عهد الخلفاء الثلاثة.
٢. توضيح البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة.
٣. بيان بعض مؤهّلات الإمام الحسن عليه السلام الصّادرة من معاصريه.
٤. تعداد بعض خصائصه القياديّة.
٥. إستيعاب أهليّة الإمام الحسن لقيادة الأمّة الإسلاميّة بعد أبيه عليه السلام.

مقدمة البحث

بدأنا البحث الماضي في تاريخ الإمام الحسن عليه السلام، فتابعنا ولادته وتربيته وشخصيّته الإلهيّة.

وما نرومه في هذا البحث، هو متابعة تاريخه عليه السلام، بادئين بنبذة مختصرة عن مواقفه في عهود الخلفاء الثلاثة، معرّجين بعد ذلك على بيعته وبعض مؤهّلاته وخصائصه القياديّة، التي تجعله إماماً قائداً للإمّة الإسلاميّة بعد أبيه عليه السلام.

المطلب الأول: الإمام الحسن عليه السلام في عهد الخلفاء الثلاثة

أولاً: في عهد أبي بكر

كان للإمام الحسن عليه السلام موقفٌ مع أبي بكر؛ إذْ جاء إليه يوماً وهو يخطب على المنبر، فقال له: إنزل عن منبر أبي، فأجابه أبو بكر: صدقتَ والله، إنّه منبرُ أبيك، لا منبر أبي، فبعث عليّ عليه السلام إلى أبي بكر: «إنّه غلام حدث، وأنا لمْ آمرْه، فقال أبو بكر: إنّا لم نتّهمْك»[1].

وعند التأمّل في ردّ أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «أنا لم آمره»، نرى أنّه لا يتضمّن

---

(١) تاريخ الخلفاء، للسّيوطيّ: ص٨٠.

أيّ إنكار من قبله عليه السلام لما قام به ابنه الإمام الحسن عليه السلام، ولا إدانة لموقفه، بل الإمام الحسن لا يحتاج إلى أمر، فهو يُدرك كلّ الأحداث التي عايَشها بفكره الثاقب، وإنّ عليه مسؤوليّة إبقاء حقّ أهل البيت عليهم السلام على حيويّتها في ضمير الأمّة ووجدانها.

ثانياً: في عهد عمر بن الخطاب

بعد قضيّة الشورى التي تقدّمت في الجزء السّابق، ودعوة عمَر بن الخطاب المرشَّحين، ومخاطبته لهم، قائلاً: «وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار، وليس لهم من أمركم شيء، وأحضروا معكم الحسن بن عليّ، وعبد الله بن عبّاس، فإنّ لهما قرابة، وأرجو لكم البركة في حضورهما، وليس لهما من أمركم شيء، ويحضر ابني عبد الله مستشاراً، وليس له من الأمر شيء...»(١). فحضر هؤلاء.

وبالنسبة لقبول الإمام الحسن عليه السلام الحضور في الشورى، فهو كحضور عليّ عليه السلام فيها...، فكما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد اشترك فيها من أجْل أن يضع علامة استفهام على رأي عُمَر، الذي كان قد أظهره في أنّ النبوّة والخلافة لا يجتمعان في بيت واحد أبداً، ففضلاً عمّا تقدّم في حينه من أخذ اعتراف من عمر بأهليّة أمير المؤمنين للخلافة – كما تقدّم– ونقلنا ذلك عنه عليه السلام، فكذلك كان بالنسبة للإمام الحسن عليه السلام؛ فإنّ حضوره عليه السلام في هذه المناسبة، إنّما يعني انتزاع اعتراف من عُمَر بأنّه ممَّن يحقّ لهم المشاركة السّياسيّة، حتّى في أعظم وأخطر قضيّة تواجهها الأمّة، ألا وهي خلافة المسلمين(٢).

ثالثاً: في عهد عثمان بن عفّان

كان له عليه السلام عدّة مشاركات في عهد عثمان بن عفّان، نذكر منها:

---

(١) الإمامة والسّياسة: ٢٤/١.

(٢) يُنظر: الحياة السّياسيّة للإمام الحسن عليه السلام: ١٢٥/١– ١٢٦.

١- مشاركته في الكثير من حروب الدفاع عن بيضة الإسلام، وفي كثير من الفتوحات الإسلاميّة، منطلقاً من مقولة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في لزوم رعاية مصلحة الإسلام العليا، التي كرّرها في أكثر من موضع: «والله، لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن جَور إلاّ عليّ خاصّة»[١].

وقد نقلت كُتُب التاريخ ومرويّاته هذه الحقيقة[٢].

٢- كان موقفه من تسلّم عثمان الحكم وما آلت إليه الأمور هو موقف أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، معبِّراً فيه عن كامل الطاعة والالتزام بأوامره وتوجيهاته في تلك المُدّة العصيبة والفتنة العمياء، خصوصاً بعد أنْ ملّ المسلمونَ سياسة عثمان وعمّاله؛ إذْ إنّه بعد فشل كلّ المحاولات التي بذَلها المسلمونَ لإصلاح سياسة عثمان، زحفوا إليه من جميع الأقطار، ودخلوا في مفاوضات معه يطالبونه إمّا بإصلاح ما أفسده، أو بالتخلّي عن السّلطة.

وكان أمير المؤمنين وولَده الحسن عليهما السلام وسيطَين بين الخليفة ووفود الأمصار في محاولة الإصلاح، إلاّ أنّ تدخّل مروان، ونقْض كلّ ما أُبرم بين الطرفين من اتّفاقات، عقّد الأمور، فهاجمه الثوّار بتحريض من عائشة وطلحة والزبير، فقد كانت عائشة تقول لهم: «أقتلوا نعثلاً فقد كفر»[٣].

وأثناء ذلك، أرسل أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما يُذكر ـ ولَدَيه حَسَناً وحسيناً؛ ليدفعا عن عثمان الثوّار، لدرجة أنّ الحسن عليه السلام قد أُصيب ببعض الجروح وهو يدافع عنه، ذلك كما روى ابن كثير[٤].

---

(١) الحياة السياسيّة للإمام الحسن عليه السلام: ١/١٣٤.

(٢) يُنظر: تاريخ الأمم والملوك: ٥/٥٧، والكامل لابن الأثير: ٣/١٠٩، والفتوحات الإسلاميّة: ١/١٧٥.

(٣) تاريخ الطبريّ: ٣/٤٧٦. والغرض من نقل العبارة الاستشهاد على أصل الفكرة لا غير.

(٤) يُنظر: البداية والنهاية: ٧/ ١٧٦، ١٨١، ١٨٨.

ولكن، ممّا لا شكّ فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وولَدَيه عليهما السلام، كانوا كغيرهم من خيار الصّحابة، ناقمين على تصرّفات عثمان وعُمّاله، ومع ذلك لم يبلغ بأمير المؤمنين عليه السلام الحال إلى حدود الرضا بقتله والتحريض عليه، بل وقف منه موقفاً سليماً وشريفاً كما تثبته المستندات التاريخية الموثوقة(١).

المطلب الثاني: البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد دفنه، قام الإمام الحسن عليه السلام خطيباً، فقال:

«قَد قُبض في هذه اللّيلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون، ولا يدركُه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهدُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله فيسبقُه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته، فيكنفُه جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجعُ حتّى يفتحَ اللهُ عليه، ولقد توفّي في اللّيلة التي عُرج فيها بعيسى بن مريم، والتي تُوفّي فيها يوشع بن نون، وما خلّف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم من عطائه».

ثمّ خَنَقَته العبرة، فبكى، وبكى النّاس معه، ثمّ قال: «أيّها النّاس، مَن عرفني، فقد عرفني، ومَن لم يعرفني، فأنا الحسن بن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه والسّراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا، والذين افترضَ الله مودّتهم في كتابه...».

ثمّ قام عبد الله بن العبّاس بين يديه؛ فدعا النّاس إلى بيعته، فاستجابوا، وقالوا: ما أحبّه إلينا، وأحقّه بالخلافة، فبايعوه(٢).

وكان عدد المبايعين له أكثر من أربعين ألفاً، كانوا قد بايعوا أباه على الموت(٣).

وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً في العراق وما وراءه، من خراسان والحجاز واليمن(١).

---

(١) يُنظر: سيرة الأئمّة الاثني عشر: ٤٨٥/١ – ٤٨٦ .

(٢) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ٣٠/١٦، ٣١.

(٣) أُسد الغابة: ٤٩١/١.

المطلب الثالث: اعترافُ معاصريه بمؤهّلاته

اعترف معاصرو الإمام الحسن عليه السلام بمؤهّلاته وفضائله التي تؤكّد استحقاقه الخلافة - مضافاً إلى النصّ والبيعة- وقد جاء هذا الاعتراف من شخصيّات مخالفة لأهل البيت عليهم السلام بشكلٍ عامّ.

قال عبد الله بن الزبير: «والله، ما قامتْ النّساء عن مثل الحسن بن عليّ»[٢].

وقال واصل بن عطاء: «كان الحسن بن عليّ عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك»[٣].

وقال معاوية لابنه يزيد: «إنّ الحقّ حقّهم»[٤].

وقال عنه مروان بن الحكم: «أحلم من هذا»، وأشار إلى الجبل[٥].

وكتب إليه الحسن البصريّ: «أمّا بعد: فإنّكم معشر بني هاشم الفُلك الجارية، واللّجج الغامرة، والأعلام النيّرة الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام، التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون»[٦].

المطلب الرابع: خصائصه القياديّة

كان الإمام الحسن عليه السلام يتمتّع بخصائص ذاتيّة تعبّر بمجموعها عن استحقاقه الخلافة دون غيره؛ فقد كان طاهرا، عالما، تقيّا، صالحا، قريبا منه تعالى، عاقلاً،

---

(١) تاريخ ابن كثير: ٣٧/٨ .

(٢) البداية والنهاية: ٣٧/٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٢/١٦.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ٢٩/٧.

(٥) يُنظر: تحف العقول: ١٦٦.

(٦) يُنظر: تحف العقول: ٢٣١، وكنز الفوائد: ٣٦٥/١، وأعلام الدّين: ١٦.

حليماً، محبّاً للخير، فصيحاً، من أحسن النّاس منطقاً وبديهةً، وكان معاوية يوصي أصحابه باجتناب محاورته[١].

وكان يُبْسَطُ له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مرّ أحد من النّاس إلّا وقف إجلالاً له[٢].

وكان معاوية يخشاه ويتخوّف من عودة الخلافة إليه، لتمتّعه بخصائص لا يتّصف بها غيره[٣]؛ لذا، كبّر عند موته عليه السلام، وقال: «والله، ما كبّرتُ شماتةً لموته، ولكن استراح قلبي، وصفت لي الخلافة»[٤].

وكان أعلم النّاس بعد أبيه عليه السلام في جميع العلوم، وكان ذا معرفة تامّة بالأحداث والمواقف الآتية والمستقبليّة.

وكان دائم الارتباط بالله تعالى، وأكثر النّاس خشيةً منه، فإذا فرغ من الوضوء، تغيّر لونه، فقيل له في ذلك، فقال: حقّ على مَن أراد أنْ يدخل على ذي العرش أنْ يتغيّر لونه[٥].

وحجَّ بيت الله الحرام عشرينَ مرّةً ماشياً على قدميه، وقيل: خمساً وعشرينَ حجّة[٦].

وامتاز بالكرم وإشباع حاجات النّاس، فقد سمع إلى جنبه رجلاً يسأل الله تعالى أنْ يرزقه عشرة آلاف دينار، فانصرف إلى منزله فبعث بها إليه[٧].

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٣٣٨/٤٣.

(٢) يُنظر: ربيع الأبرار: ٢٠٩/٤.

(٣) يُنظر: وفيات الأعيان: ٦٩/٢.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣/٧.

(٥) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق: ٢٥/٧.

(٦) يُنظر:أعيان الشيعة: ٥٧٨/١.

(٧) يُنظر:وفيات الأعيان: ٦٧/٢.

وامتاز بالزهد، وهو القائل:

لَكِسْرَةٌ منْ خَسيس الْخُبْز تُشْبعُنى | وَشَرْبَةٌ منْ قَرَاح الْمَاء تَكْفينى
وَطِمْرَةٌ منْ رَقيق الثَّوْب تَسْتُرُنى | حَيّاً وَإنْ متُّ تَكْفينى لتَكْفينى[١]

وكان متّصفاً بالحلم إلى أقصى حدوده، وكان يقابل الإساءة بالإحسان، فقد جاء رجل من أهل الشام يبغض أمير المؤمنين عليه السلام، فسبّه وسبّ أباه، فقال له الإمام عليه السلام: «أحسبك غريباً...، فإنْ احتجتَ إلى منزل، أنزلناك، أو إلى مالٍ، آسيناك، أو إلى حاجة، عاونّاك»[٢].

وكان شجاعاً لا يخشى إلّا الله تعالى، فقد خطب بعد الصّلح ومعاوية حاضر قائلاً: «... وأيْمُ اللهِ، لا ترى أُمّة محمّد خفضاً ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أُميّة، ولقد وجّه الله إليكم فتنة لنْ تصدروا عنها حتّى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم»[٣].

وقال لمعاوية: «إنّ الخلافة لمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله...، وليست الخلافة لمن عمل بالجور، وعطّل الحدود»[٤].

وكانت له مواقف شجاعة في قلب العاصمة الأمويّة، وهو وحيد بين معاوية وأعوانه.

ومن كفاءاته عليه السلام: أنّه وجد أنّ المصلحة تكمنُ في الصّلح، فصالحَ معاويةَ، وحقنَ دماءَ أنصاره وأتباعه وسائر المسلمين، كما سيأتي الكلام عن ذلك بالتفصيل.

---

(١) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ٢٨/١٦.

(٢) ربيع الأبرار: ٨٣٧/٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة: ٢٨/١٦.

(٤) ربيع الأبرار: ٨٣٧/٢.

خلاصة البحث

كان للإمام الحسن عليه السلام مواقف في عهد الخلفاء الثلاثة تنمّ عن شخصيّته القياديّة ووعيه السياسيّ العالي المستوى.

إعترف معاصرو الإمام الحسن عليه السلام بمؤهّلات الإمام عليه السلام وفضائله التي تؤكّد استحقاقه الخلافة - مضافاً إلى النصّ والبيعة- وقد جاء هذا الاعتراف من شخصيّات مخالفة لأهل البيت عليهم السلام بشكل عامّ.

كان الإمام الحسن عليه السلام يتمتّع بخصائص ذاتيّة تعبّر عن استحقاقه الخلافة، وانطباق شروطها عليه، فقد كان عاقلاً، حليماً، محبّاً للخير، فصيحاً، من أحسن النّاس منطقاً وبديهةً، وكان معاوية يُوصي أصحابه باجتناب محاورته.

ومن كفاءاته عليه السلام: أنّه وجد أنّ المصلحة تكمن في الصّلح، فصالح معاوية، وحقن دماء أنصاره وأتباعه وسائر المسلمينَ، ولم يدخل في معركة خاسرة لا تحسم لصالحه ولصالح الوجود الإسلاميّ.

اختبارات البحث

١. بيِّن بعض مواقف الإمام الحسن عليه السلام مع أبي بكر.
٢. تكلّم عن بعض مواقف الإمام الحسن عليه السلام مع عمر.
٣. وضِّح كيفية وقوع البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة.
٤. أذكر بعض مؤهّلات الإمام الحسن عليه السلام للخلافة.
٥. عدِّد بعض خصائص الإمام الحسن عليه السلام القياديّة.

البحث رقم (٣)

ملابسات وظروف مرحلة ما قبل صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية

أهداف البحث

١. بيان تخطيط الإمام الحسن عليه السلام للمرحلة القادمة.

٢. توضيح دعوته عليه السلام معاوية للبيعة والطاعة.

٣. بيان حركة معاوية باتجاه العراق وحركته عليه السلام لردّ العدوان.

٤. التعريف بمؤامرات معاوية ودسائسه.

٥. وصف توالي الخيانات والانقسامات التي اضطرّته عليه السلام إلى قبول الصّلح.

مقدّمة البحث

بعد أنْ تناولنا في البحث السّابق تولّي الإمام الحسن عليه السلام مقاليد الأمور بعد أبيه، نواصل في هذا البحث الكلام في أهمّ الخطوط العامّة في حياته عليه السلام، فنتكلّم في مرحلة ما قبل صلحه مع معاوية.

المطلب الأول: التخطيط للمرحلة القادمة

كان الإمام الحسن عليه السلام يُدرك جيّداً المخطّطات التي كان يضعها معاوية والمتربّصون بالإسلام وبأهل البيت عليهم السلام لإعادة الجاهليّة من جديد بلباس إسلاميّ.

وكان معاوية يمتلك جيشاً مطيعاً، ذا قدرةٍ على استمالة قلوب الانتهازيّين والنفعيّين من القاطنين في الكوفة، فضلاً عن وجود عددٍ من الموالين له فيها؛ لذا، جاء تخطيط الإمام الحسن عليه السلام منسجماً مع الظروف والأحداث المستقبليّة؛ إذْ وضع لكلّ موقف موقفاً يقابله ينسجم مع الظروف ومع المصلحة الإسلاميّة الكبرى، ومصلحة الجماعة الصّالحة على وجه الخصوص.

فحينما بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة، قال له قيس بن سعد الأنصاريّ: «إبسطْ يَدَكَ أُبايعكَ على كتاب الله وسنّة نبيّه وقتال المُحلِّين»، أجابه عليه السلام: «على كتاب الله وسنّة رسوله، فإنّهما يأتيان على كلّ شرط»، فبايعه النّاس، وكان عليه السلام يشترط عليهم بقوله: «إنّكم مطيعونَ، تسالمونَ مَن سالمتُ، وتحاربونَ مَن حاربتُ»[1].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤٠٢/٣.

لقد جعل الأمر إليه في اتّخاذ الموقف المطلوب في السّلم والحرب، ومن أجل حثّ المبايعين على الطاعة له، قام بزيادة عطاء المقاتلين مائة مائة[1].

المطلب الثاني: دعوته عليه السلام معاوية للبيعة والطاعة

كتب الإمام عليه السلام لمعاوية كتاباً أرسله مع جندب بن عبد الله الأزديّ، جاء فيه:

«بسمِ الله الرّحمن الرّحيم. من عبد الله الحسن، أمير المؤمنينَ، إلى معاوية بن أبي سفيان... إنّ الله تعالى بعث محمّداً (صلّى الله عليه وآله) رحمةً للعالمين...، فلمّا توفّي (صلّى الله عليه وآله)، تنازعتْ سلطانه العرب، فقالتْ قريش: نحن قبيلته وأُسرته وأولياؤه، ولا يحلّ لكم أنْ تنازعوا سلطان محمّد في النّاس وحقّه...، فأنعمت لهم العرب، وسلّمت ذلك، ثمّ حاججنا قريشاً بمثل ما حاجّت به العرب، فلم تُنصفنا قريش إنصاف العرب لها... واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا...، فأمسكنا عن منازعتهم؛ مخافة على الدين...، فاليوم، فلْيعجب المتعجّب من توثّبك يا معاوية على أمر لستَ من أهله، لا بفضل في الدّين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب....

إنّ عليّاً ـ رضوان الله عليه ـ لمّا مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه ـ ... ولّاني المسلمون الأمر بعده...، فدع التمادي في الباطل، وادخل في ما دخل فيه النّاس من بيعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله ... واتّق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين...، فادخل في السّلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله، ومَن هو أحقّ به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، وتجمع الكلمة، وتصلح ذات البين.

وإنْ أنت أبيتَ إلاّ التمادي في غيّك، نهدتُ إليك بالمسلمين، فحاكمتُك، حتّى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين».

فأجابه معاوية متمرِّداً عليه، قائلاً له: «... فأنتَ أحقّ أنْ تجيبني إلى هذه المنزلة

---

(١) يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٥٥.

التي سألتني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك...»[١].

لقد أصرّ معاوية على تمرّده على الإمام والخليفة الشرعيّ، وبعث الجواسيس إلى الكوفة والبصرة لإشاعة الاضطراب والبلبلة بين النّاس، وإفساد الوضع داخل دولة الإمام عليه السلام، فألقى عليه السلام القبض عليهم، وقتلهم، وكتب إلى معاوية: «أما بعد، فإنّك دسستَ الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنّك تحبّ اللّقاء، وما أوشك ذلك! فتوقّعه إنْ شاء الله»[٢].

المطلب الثالث: حركة معاوية باتجاه العراق، وحركته عليه السلام لردّ العدوان

تبادل الإمام الحسن عليه السلام الرسائل مع معاوية لإلقاء الحجّة عليه في حقن دماء المسلمين، إلّا أنّ معاوية تمادى في غيّه وتمرّده، وكان آخر كتاب من معاوية يتضمّن تهديده الإمام عليه السلام بقوله: «... فاحذر أنْ تكون منيّتك على يد رعاع النّاس...، وإنْ أنت أعرضتَ عمّا أنت فيه، وبايعتني، وفيتُ لك بما وعدت»[٣].

فأجابه الإمام عليه السلام: «أمّا بعدُ، وصل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت، فتركتُ جوابك خشية البغي عليك، وبالله أعوذ من ذلك، فاتبع الحقّ، تعلم أنيّ من أهله، وعليّ إثم أنْ أقول فأكذب، والسّلام»[٤].

فلمّا وصل كتاب الإمام عليه السلام قرأه، ثمّ كتب إلى عمّاله على النواحي يأمرهم بالتهيّؤ لقتال الإمام عليه السلام، فاجتمعتْ العساكر لديه، وسار قاصداً العراق[٥]، فلمّا انتهى إلى جسر (منبج) – وهو بلد قديم يبعد عن حلب مسافة يومين– أقام فيه،

(١) مقاتل الطّالبيّين: ٥٥ إلى ٥٧.

(٢) الإرشاد: ١٨٩.

(٣) مقاتل الطّالبيّين: ٣٨/١.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) يُنظر: مقاتل الطّالبيّين: ٥٩/١، ٦٠.

بعد أنْ اجتمع لديه ستّون ألفاً، وقيل: أكثر.

وأمّا الإمام الحسن(عليه السلام)، فقد استنهض النّاس للجهاد، فبعث حجْر بن عدي يأمر العمّال والنّاس بالتهيّؤ للمسير، وقام (عليه السلام) بالنّاس خطيباً: «أمّا بعد، فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه، وسمّاه كُرهاً، ثمّ قال لأهل الجهاد من المؤمنين: اصبروا، إنّ الله مع الصّابرينَ، فلستم أيّها النّاس نائلينَ ما تحبّونَ إلّا بالصّبر على ما تكرهونَ.

إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنّا كنّا أزمعنا المسير إليه؛ فتحرّك لذلك، فاخرجوا ـ رحمكم الله ـ إلى معسكركم بالنخيلة»[١].

فسكتوا، ولم يُجيبوه، فقام عديّ بن حاتم الطائيّ، وبعده قيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحيّ، وزياد بن صعصعة التيميّ، يؤنّبونَ النّاس ويلومونهم على السّكوت، ويحرّضونهم على الجهاد[٢].

فتهيّأ النّاس للخروج معه، فتحرّك (عليه السلام) حتّى نزل دير عبد الرّحمن، ثمّ دعا عبيد الله بن العبّاس، وبعثه مع اثني عشر ألفاً من فرسان أهل الكوفة، وأمره أنْ لا يقاتل معاوية حتّى يقاتله[٣].

فسار عبيد الله حتّى أتى مسكن، وتحرّك الإمام الحسن(عليه السلام) حتّى دخل دير كعب، ثمّ نزل ساباط، فلمّا أصبح، خطب بالنّاس، وممّا جاء في خطابه: «إنّي لأرجو أنْ أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت حاملاً على مسلم ضغينة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهونَ في الجماعة خير لكم ممّا تحبّونَ في الفرقة، ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإيّاكم لما فيه محبّته ورضاه إن شاء الله»[٤].

---

(١) أعيان الشيعة: ١٩/٤.

(٢) يُنظر: مقاتل الطّالبيّين: ٣٩/١.

(٣) يُنظر: مقاتل الطّالبيّين: ٤٠/١.

(٤) مقاتل الطّالبيّين: ٤٠/١– ٤١.

ثمّ نزل، فنظر النّاس بعضهم إلى بعض، وقالوا: «نظنّه يريد أنْ يصالح معاوية، كفر والله الرجل! ثمّ شدّوا على فسطاطه فانتهبوه، وقام إليه رجل من بني أسد فطعنه بمعول، فحمل (عليه السلام) إلى المدائن[١].

المطلب الرابع: مؤامرات معاوية

نزل معاوية قرب مسكن، وبعث خيله للإغارة على جيش عبيد الله بن العبّاس، فرجعت مقهورة، فلمّا كان اللّيل، أرسل معاوية إليه أنّ الحسن قد راسلني في الصّلح، وهو مسلّم الأمر إليّ، فإنْ دخلتَ في طاعتي الآن، كنتَ متبوعاً، وإلّا، دخلتَ وأنتَ تابع، ولك إنْ أجبتني الآن أنْ أُعطيك ألف ألف درهم، فانطلتْ الخديعة على عبيد الله، فانسلّ ليلاً، ودخل عسكر معاوية ومعه ثمانية آلاف[٢]، فاستلم القيادة من بعده قيس بن سعد بن عبادة، فحثّ النّاس على الجهاد، فأجابوه بالطاعة.

وكثّف معاوية مؤامراته الإعلاميّة، ونادى قائد جيشه: يا أهل العراق، ويحكم! هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلامَ تقتلون أنفسكم؟!

وكتب معاوية إلى قيس يدعوه ويمنّيه، فكتب إليه قيس: لا والله، لا تلقاني أبداً إلاّ بيني وبينك الرّمح[٣].

واستمرّ معاوية في دسائسه، فقد دسّ إلى أربعة من كبار الشخصيّات دسيساً أفرد كلّ واحد منهم قائلاً: «إنّك إنْ قتلتَ الحسن بن عليّ؛ فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشّام، وبنت من بناتي»، فبلغ الإمام (عليه السلام) ذلك، فكان يخرج لابساً درعه[٤].

---

(١) يُنظر: مقاتل الطّالبيّين: ٤١/١.

(٢) يُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: ٢١٤/٢.

(٣) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ٤٣/٦.

(٤) يُنظر: علل الشرائع: ٢١٧/١.

المطلب الخامس: توالي الخيانات في جيش الإمام عليه السلام

بعث الإمام عليه السلام قائداً من كندة في أربعة آلاف، فلمّا نزل الأنبار، أغراه معاوية بمال ومنصب، فالتحق به مع مائتي رجل من خواصّه، ثمّ التحق بمعاوية قائد من مراد في أربعة آلاف[١].

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسّمع والطاعة له، وضمنوا له تسليم الإمام الحسن عليه السلام إليه عند دنوِّهم من عسكره، أو الفتك به[٢].

وأخبر الإمام عليه السلام المحيطين به، قائلاً: «إنّ أهل الشّرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه، فحسبي منكم، لا تغروني في ديني ونفسي»[٣].

وكان جيشه عليه السلام متعدّد الولاءات، فبعضهم شيعة له، وبعضهم خوارج، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم أصحاب عصبيّة اتبعوا رؤساء قبائلهم[٤]، وبعضهم له ولاء الأمويّينَ، وله اتصالات سريّة معهم، فتوالت الخيانات.

كان معاوية يدسّ الجواسيس في جيش الإمام عليه السلام لخلق البلبلة والاضطراب في صفوفه، فقد دسّ مَن يتحدّث –في عسكر الإمام– بأنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار إليه، ودسّ إلى عسكر قيس مَن يتحدّث أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه[٥].

ووجّه معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام المغيرة بن شعبة وآخرين، فالتقوا به، وحينما خرجوا، أخذوا يتحدّثون لإسماع الجيش، ويقولون: إنّ الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكّن به الفتنة، وأجاب إلى الصّلح، فاضطرب عسكره بسبب ما سمعوه، وافترق بعضهم عنه، وأشاع معاوية أنّ قيس ابن سعد قد قتل[٦].

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ١٩١.

(٢) يُنظر: الإرشاد: ١٩٠.

(٣) أنساب الأشراف: ٣/ ٣٩.

(٤) يُنظر: الإرشاد: ١٨٩.

(٥) يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٤٢/١– ٤٣.

(٦) يُنظر: تاريخ اليعقوبي: ٢١٥/٢، الكامل في التاريخ: ٢٠٣/٣.

وتوالت الإشاعات، ما أدّى إلى خلخلة جيش الإمام عليه السلام وإضعاف معنويّاته، وتشجيع أهل الأهواء والمنافع للالتحاق بمعاوية أو الفرار من معسكرات الجيش، فبدأت القبائل تلتحق به قبيلةً بعد قبيلة، حتّى خفَّ عسكره[١].

المطلب السّادس: مراسلة معاوية الإمام عليه السلام ودعوته لتسليم الأمر إليه

بعد استمرار الفرار من جيش الإمام عليه السلام والالتحاق بمعاوية، وبعد تعرّض الإمام عليه السلام لعدّة محاولات استهدفت قتله[٢]، وبعد أنْ يئس عليه السلام من حسم المعركة لصالحه، وأيقن أنّ بقاء الأوضاع على هذه الحالة يؤدّي إلى قتله وقتل أهل بيته وأصحابه المخلصين، جاءته وفود معاوية تدعوه للصّلح، ومعهم كتب رؤساء العشائر الذين ضمنوا لمعاوية فيها قتل الإمام أو تسليمه إليه[٣].

وكان مع آخر الوفود صحيفة بيضاء، مختوم على أسفلها بخطّ معاوية وختمه: أن اشترِط في هذه الصّحيفة التي ختمتُ أسفلها ما شئتَ، فهو لك[٤].

حينها، خطب في البقيّة المتبقّية من جيشه، وأخبرهم بدعوة معاوية للصّلح، ثمّ قال: فإنْ أردتُم الموت، رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عزّ وجلّ بظُبى السّيوف، وإنْ أردتم الحياة، قبلناه، وأخذنا لكم الرضا، فناداه النّاس من كلّ جانب: البقيّة البقيّة[٥]، فوجد عليه السلام أنّ جيشه غير مستعدّ للقتال؛ لانهياره العسكريّ والمعنويّ، بعكس جيش معاوية المتماسك، والمستسلم له استسلاماً مطلقاً، فأجاب عليه السلام إلى الصّلح، وكان الصّلح أفضل موقف في تلك الظروف، ولا خيار غيره، فتمّ الصّلح.

---

(١) يُنظر: الفتوح: ٢٩١/٤.

(٢) يُنظر: الإرشاد: ١٩٠، حياة الإمام الحسن، للقرشيّ: ٢/ ١٠٦.

(٣) يُنظر: الإرشاد: ١٩١.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ١٦٢/٥.

(٥) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٤٠٦/٣.

خلاصة البحث

حينما بويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة، كان يشترط على المبايعينَ بقوله: «إنّكم مطيعونَ، تسالمونَ مَن سالمتُ، وتحاربونَ مَن حاربتُ».

وعلى الرّغم من أنّ معاوية كان قد قاتل الإمام علياً عليه السلام، وخاض ضدّه معارك دامية أخذت الكثيرين من أجلّة صحابته عليه السلام، وتآمر على قتله، إلا أنّ الإمام الحسن عليه السلام واصل دعوته له للبيعة والطاعة قبل القتال، ولكنّ النّاس لم يوافقوا على رأي الإمام عندما استنهضهم لقتال معاوية، وإنّ مَن نهض معه أخذت فيه الخيانة والدسائس والانقسامات مأخذها، فلم يرَ عليه السلام بدّاً من القبول بالصّلح، بعد ما رآه من تخاذل قومه، وخيانتهم له إلا ثلّة قليلة، آثر عليه السلام الحفاظ عليهم لمواصلة المسيرة.

اختبارات البحث

١. كيف خطّط الإمام الحسن عليه السلام للمرحلة القادمة من خلافته؟

٢. ما الذي اشترطه الإمام الحسن عليه السلام على مبايعيه بالخلافة؟ ولماذا؟

٣. أذكر بعض مؤامرات معاوية ودسائسه ضدّ الخلافة.

٤. صفْ جيش الإمام الحسن عليه السلام حين تولّيه الخلافة.

٥. لماذا توالت الخيانات والانقسامات في جيش الإمام الحسن عليه السلام؟

البحث رقم (٤)

ظروف الصّلح القريبة والبعيدة

أهداف البحث

١. بيان ظروف الحكم الأموي إبّان خلافة الإمام الحسن عليه السلام.
٢. التعريف بشخصيّة معاوية واعتماده مختلف الأساليب اللاإسلامية.
٣. توضيح ظروف الحكم العلوي إبّان خلافة الإمام الحسن عليه السلام.
٤. وصف ظروف جيش الإمام الحسن عليه السلام وأوضاعه المزرية.
٥. إستيعاب شخصيّة الإمام الحسن عليه السلام الإلهيّة.

مقدمة البحث

في قضيّة صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، لا بدّ من الإحاطة بهذا الحدث وملابساته، والنظر إليه من جميع زواياه، والتنقّل بين الرأي والرأي الآخر بموضوعيّة كاملة، لكي تكون الصّورة واضحة في معرفة المبرّرات الموضوعيّة للصّلح، وأثرها في خدمة الرسالة الإلهيّة التي شكّلت الهدف الأساس من قبول الإمام عليه السلام بذلك الصّلح المفروض عليه.

المطلب الأول: ظروف الحكم الأمويّ

لم يكن صلح الإمام عليه السلام منفصلاً عن ظروفه وأسبابه البعيدة التي شكّلت صراعاً داخل الجسد الإسلاميّ الواحد؛ إذْ استطاع الطلقاء أن يجدوا لهم موقعاً ومركزاً حسّاساً داخل الكيان الإسلاميّ؛ فقد كان معاوية والياً على الشام في عهد الخلفاء، وكانت له صلاحيات مطلقة، حتّى كان عمر بن الخطاب يحاسب جميع ولاته غير معاوية؛ إذْ كان يقول له: «لا آمرك، ولا أنهاك»[1]، وكان يمدحه كثيراً، وينهى عن ذمّه، ويقول: «دعونا من ذمّ فتى قريش»[2].

---

(١) الإستيعاب: ٣٩٧/٣، والعقد الفريد: ١٥/١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق: ١٨/٢٥.

كما حذّر أهل الشّورى من الفرقة، وقال: إيّاكم والفرقة بعدي، فإنْ فعلتم، فاعلموا أنّ معاوية بالشام، فإذا وكلتم إلى رأيكم، عرف كيف يستبزّها منكم[١].

وكان يقول أيضاً: «هذا كسرى العرب»[٢]. فاستقلّ معاوية بالشام استقلالاً حقيقيّاً، نظراً إلى صلاحيّاته المطلقة، وعدم تدخّل الحكّام في شؤونه، وتوسّعت ولايته بعد أنْ ضمّ عثمان له الشّام كلّها[٣]، فاستطاع أنْ يكوّن جيشاً مطيعاً عن طريق الخداع والتضليل وشراء الضمائر بأموال المسلمين، وكان يوجّهه توجيهاً خاصّاً عن طريق الوعّاظ والرّواة المتملّقينَ، فكان النّاس يفهمون أنّ معاوية خال المؤمنين، وموضع ثقة الخلفاء السّابقين، وابن عمّ الخليفة عثمان، إضافة إلى ما نسب إليه من فضائل.

وتربّص معاوية بعثمان حتّى قُتل، فلم ينصره في حياته، وإنّما استغلّ مقتله للتمرّد على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدّم في البحوث الماضية، ومن ثمّ الاستقلال الكامل بالشام بعد حرب صفّين.

فكان أهل الشام مستسلمينَ له وحده، ومنقادين لقيادة واحدة، وليس له في الشام مَن ينافسه على الحكم والإمرة[٤].

المطلب الثاني: شخصيّة معاوية اللاإسلاميّة

أسلم معاوية بعد فتح مكّة، بعد أن اشترك في مواجهات مسلّحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله طول العهد المكّي والمدني؛ لذا، لم يكن إسلامه انقياداً حقيقيّاً لله ولرسوله، ولم يتفاعل مع مفاهيم الإسلام وقيمه فكريّاً وعاطفيّاً وسلوكيّاً، وعلى الرّغم من كلّ هذا التاريخ القاتم، فقد مارس مختلف الأساليب غير المشروعة لتثبيت حكمه،

---

(١) يُنظر: الإصابة: ١١٤/٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، للسيوطي: ١٥٥.

(٣) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ١٥٦.

(٤) يُنظر: النزاع والتخاصم: ٨٤ .

وتقوية كيانه، بوصفه حاكماً مسلماً، وكان من جملة هذه الأساليب المريضة:

١- تزوير الأحاديث المتضمّنة بيانَ فضله وفضل أهل الشّام.

٢- اختلاق الأحاديث التي تشوّه سمعة أمير المؤمنين وأهل البيت ﰈ.

٣- إنفاق الأموال في شراء الضمائر، وتوسيع القاعدة الشعبيّة له.

٤- استغلال المفاهيم العامّة للتمويه على الأمة.

٥- حكمه برأيه دون الرجوع إلى الكتاب والسنّة.

واستطاع من خلال هذه التصرّفات أنْ يجعل نفسه شخصيّة مقدّسة في نفوس أهل الشّام، وقد تمرّن على المناورة السياسيّة لعدم تقيّدة بالشريعة، وكان مستعدّاً للدخول في أيّ معركة متوقّعة أو مفاجئة؛ لأنّ أوامره نافذة في جيشه، فلا يوجد له منافس في أهل الشّام، ليقوم بتثبيط النّاس أو صرف ولائهم عنه.

المطلب الثالث: ظروف الحكم العلوي الكارثيّة

عاد الحقّ إلى أهله بعد ربع قرن من رحيل رسول الله ﷺ؛ إذْ تولّى الإمام عليّ ﰇ أمر الخلافة بعد فتنة تصارعت فيها الأهواء، واصطدمت فيها المصالح، وانتشر المنافقون والمتربّصون بأهل البيت ﰈ في جميع الميادين الاجتماعيّة والسّياسيّة، وكانوا يتحيّنون الفرص لإعادة الجاهليّة من جديد إلى واقع الأمّة؛ لذا، انخرطوا تحت جميع الرايات والشعارات التي رفعت في مواجهة حكومة أمير المؤمنين ﰇ، بعد أنْ أيقنوا أنّ الخلافة عادت إلى أصحابها الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم في تطبيق العدالة الإسلاميّة، والمساواة بين الطبقات، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، وتوزيع المناصب على المخلصين والأكفاء.

وفي بداية خلافته ﰇ، تمرّد ثلاثة ممّن اشتهر بالصحبة لرسول الله ﷺ، وهم: عائشة وطلحة والزبير، ولم ينته تمرّدهم إلاّ بمقتل جماعة من الطرفين، فضلاً عن عددٍ كبير من الجرحى والمُعاقينَ.

واستثمر معاوية ظروف حرب الجمل وظروف مقتل عثمان، فحارب أمير

المؤمنينَ عليه السلام، وانتهتْ المعركة بمقتل جمع كبير، من ضمنهم كبار الشخصيّات الموالية لأهل البيت عليهم السلام.

وأفرزت المعركة ظاهرة الانشقاق في جيش أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذْ تمرّدت عليه جماعة عُرفت في ما بعد بالخوارج، وقاموا بخلق البلبلة والاضطراب في داخل قوّات الإمام عليه السلام.

وكان معاوية يشنّ الغارات المتوالية على أطراف دولته عليه السلام، ويقوم بقتل كلّ موال له، والاستيلاء على ممتلكاته.

ولم تسمح الظروف لأمير المؤمنين عليه السلام كي يبني دولته وجيشه بناءً عقائديّاً وسلوكيّاً. وكان أغلب المكّيّينَ والبصريّينَ لا يدينونَ بالولاء له.

وإضافة إلى كلّ ذلك، أنّ المنخرطين في جيشه لم ينخرطوا ولاءً له، وإنّما تابعوه لأنّه على رأس دولة، فهم تبعٌ لأيّ حاكم؛ لا يفرّقون بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين غيره من الحكّام، وقد يكون أقصى تقييمهم أنّه عليه السلام أفضل من معاوية لا غير.

ولم تستمرّ خلافته عليه السلام سوى أربع سنين، حتّى اغتالته أيدي المتآمرين للحيلولة دون أن يقوم بإكمال المسيرة التي تحتاج إلى زمن طويل في بناء دولة وكيان، وتأسيس جيش عقائديّ متماسك.

المطلب الرابع: ظروف جيش الإمام الحسن عليه السلام وأوضاعه

لم يكن جيش الإمام الحسن عليه السلام موحّداً في أفكاره وعواطفه وولائه، بل كان خليطاً من ولاءات متعدّدة، وآراء مختلفة، وقد عبّر الإمام الحسن عليه السلام عنه، قائلاً: «رأيتُ أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحدٌ أبداً إلّا غُلب، ليس أحدٌ منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين، لا نيّة لهم في خير ولا شرّ»[1].

وقد بيّن عليه السلام تعدّد الآراء والأهواء والاتجاهات والنوايا، وهي الأمور الكافية

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤٠٧/٣.

لخلق البلبلة والاضطراب وعدم الوصول إلى وحدة في التخطيط والتنسيق والتنفيذ.

فمنهم: أهل الطمع، وعددهم عشرون ألفاً، ومنهم: أتباع كلّ ناعق، ومنهم: الخوارج[1]، ومنهم: مَن يُوالي الأمويّين، كعمر بن سعد وغيره، ومنهم: الذين يقاتلون طلباً للثأر، لا عن عقيدة وإدراك للأحداث، وهم مزيج من عرب مكّة والمدينة واليمن، إضافة إلى عدد كبير من الموالي - غير العرب- التابعين لأسيادهم وللقبائل التي تحالفوا معها، ومنهم: مَن كان يرى أنّ الصّراع قائم بين قبيلتين من قريش؛ بين بني أميّة وبني هاشم، أو بين شخصيّتين: معاوية والحسن عليه السلام، فلا يكترثون بمَن يقودهم، ولا يفرّقون بين باطل معاوية وحقّ الإمام الحسن عليه السلام.

وقد لعبت الأهواء والشهوات والمنافع الذاتيّة دوراً كبيراً في تبدّل النوايا عمّا كانت عليه من قبل، وقد وصف الإمام الحسن عليه السلام هذه الظاهرة قائلاً: «كنتم في مسيركم إلى صفّين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم»[2].

فحينما يصبح أمر الدنيا مقدّماً على أمر الدين وحاكماً عليه، فإنّه يغيّر من معادلة الصّراع ومعادلة الموقف، ويصبح المقاتل تبعاً لمصالحه الذاتيّة التي تغيّر من ولائه ومواقفه العمليّة.

فلم تبق إلاّ القلّة المخلصة في ولائها للإمام الحسن عليه السلام ولنهجه السّليم، كحجر ابن عدي، وقيس بن سعد، وآخرين؛ إذْ إنّ معركة صفّين قد أدّت إلى فقدان الكثير منهم، إضافة إلى قيام معاوية بقتل الآخرين منهم، كمحمّد بن أبي بكر، ومالك الأشتر.

وأفرز تعدّد الولاءات وتعدّد الآراء - فضلاً عن تقديم الدنيا على الدين-

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ١٥/٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤٠٦/٣.

الظواهر السّلبيّة الآتية:

١ – عدم الإخلاص في القتال.

٢ – ضعف القدرة على الثبات والصّمود إلى آخر المعركة.

٣ – عدم الإنقياد للقيادة الصّالحة، والتعاطف مع معاوية.

٤ – الاستعداد الفعليّ للغدر والخيانة.

٥ – التأثّر بالإشاعات والحرب النفسيّة.

وقد تحقّق ذلك بالفعل بالالتحاق بجيش معاوية، والاستعداد لتسليم الإمام عليه السلام إليه، فضلاً عن محاولات اغتياله عليه السلام.

المطلب الخامس: شخصية الإمام الحسن عليه السلام الربانية

وجد الإمام الحسن عليه السلام نفسه أمام ضرورة مرحلة طويلة من الإعداد والإصلاح وترميم الكثير من المواقع السياسيّة والعسكريّة، وحتّى الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وهو يرى أنّه يقود جيشاً منهاراً عسكريّاً ومعنويّاً، لا يمكن جعله منقاداً إلّا باستخدام وسائل وأساليب كالتي يستخدمها معاوية، وهو عليه السلام غير مستعدّ لاستخدام تلك الوسائل والأساليب غير المشروعة، كالخداع والتضليل وشراء الضمائر بأموال المسلمين وإنفاقها على جماعة خاصّة، كرؤساء القبائل وقادة الجيش، فالإمام عليه السلام مقيّدٌ بقيود شرعيّة حاكمة على جميع ممارساته ومواقفه، وليس هدفه البقاء في السّلطة الآنيّة، وإنّما هو جزء من حركة إصلاحيّة تنظر إلى الحاضر من زاوية المستقبل، لكي تبقى المفاهيم والقيم الإسلاميّة هي الحاكمة على أفكار المسلمين وعواطفهم وممارساتهم العمليّة على طول الحركة التاريخيّة لهم.

وكان عليه السلام حريصاً على المصلحة الإسلاميّة الكبرى، ومصلحة الجماعة الصّالحة، وهي المصالح الحاكمة على جميع مواقفه، فقد وجد عليه السلام أنّه لا يستطيع – حسب الظروف القائمة – أن يحسم الموقف لصالح الوجود الإسلاميّ، ولا يستطيع القضاء على رأس الفتنة التي كان يقودها معاوية، فأصبح أمام خيارين لا

ثالث لهما، وهما: الاستمرار في معركة خاسرة تؤدّي إلى إضعاف الكيان الإسلاميّ ككلّ أمام التحديات الخارجيّة، أو الميل إلى الصّلح وحقن الدماء والمحافظة على الوجود الإسلاميّ، ثمّ ممارسة الإصلاح من الداخل بما يمكن.

وفي غير ذلك، فالمعركة إمّا أنْ تؤدّي إلى استيلاء معاوية على الحكم دون قيد أو شرط بعد مقتل الإمام الحسن وأهل بيته ﰈ والخيرة من أصحابه، وإمّا أنْ تؤدّي إلى قيام دولتين: إحداهما في الكوفة وأخرى في الشّام، وتبقى كلّ واحدة منهما في حالة صراع دائم مع الأخرى، وتنشغل عن مواجهة الأعداء الخارجيّين، ما يؤدّي من ثَمَّ إلى إنهاء الوجود والكيان الإسلاميّ الذي جاهد الرسول ﷺ وخيرة صحابته وأهل بيته من أجل بنائه.

فاختار ﰅ الصّلح على الاستمرار في المعركة، مقيّداً بشروط فيها مصلحة الكيان الإسلاميّ، وكيان الجماعة الصّالحة التي تضمن للشريعة بقاءها واستمرار حياتها.

خلاصة البحث

في قضيّة صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، لا بدّ من الإحاطة بهذا الحدث وملابساته، والنظر إليه من جميع زواياه، والتنقّل بين الرأي والرأي الآخر بموضوعيّة كاملة؛ إذْ لم يكن صلحه عليه السلام منفصلاً عن ظروفه وأسبابه البعيدة التي شكّلت صراعاً داخل الجسد الإسلاميّ الواحد؛ إذْ استطاع الطلقاء أنْ يجدوا لهم موقعاً ومركزاً حسّاساً في داخل الكيان الإسلاميّ، بمختلف الأساليب غير المشروعة.

ومن جهة أخرى، لم تكن ظروف الحكم العلويّ تسمح بمتابعة الحرب؛ فإنّ ذلك كان يحتاج إلى زمن طويل في بناء دولة وكيان، وتأسيس جيش عقائديّ متماسك.

وكان عليه السلام حريصاً على المصلحة الإسلاميّة الكبرى، ومصلحة الجماعة الصّالحة، فأصبح مضطراً إلى اختيار الصّلح على الاستمرار في المعركة، مقيّداً بشروط فيها مصلحة الكيان الإسلاميّ، وكيان الجماعة الصّالحة التي تضمن للشريعة بقاءها واستمرار حياتها.

اختبارات البحث

١. صفْ ظروف الحكم الأمويّ إبّان خلافة الإمام الحسن عليه السلام.

٢. تكلّم عن شخصيّة معاوية واعتماده مختلف الأساليب اللا إسلاميّة.

٣. كيف كانت ظروف الحكم العلويّ إبّان خلافة الإمام الحسن عليه السلام؟

٤. عَرِّف بظروف جيش الإمام الحسن عليه السلام وأوضاعه المزرية.

٥. أما كان بإمكان الإمام الحسن عليه السلام إصلاح جيشه وخوض القتال به ضدّ معاوية؟ أليس هو من المعصومين عليهم السلام؟

البحث رقم (٥)

أسباب الصلح، وعوامله، ومفرداته

أهداف البحث

١. إدراك أسباب عدم اختيار موقف التضحية.

٢. تعداد وعود معاوية للإمام الحسن في صلحه.

٣. تعداد شروط الإمام الحسن ﷺ على معاوية.

٤. إدراك الدّور الإيجابيّ للوعود والشروط.

٥. إستيعاب مبادرة الإمام الحسن ﷺ الى الصّلح.

مقدمة البحث

إجتمعت أسباب وعوامل عديدة وتضافرت لتجعل الإمام الحسن ﷺ مضطرّاً لقبول الخيار الصّعب من بين الخيارات المطروحة، التي منها: الاستمرار في القتال ثمّ التضحية بالنفس في حال عدم إحراز النصر العسكريّ.

وقد تكلّمنا عن تلك الأسباب والعوامل بصورة عامّة حين ألقينا الضوء على الظروف والملابسات التي كانت زمان تسلّم الإمام الحسن مقاليد الخلافة في البحث الماضي، إلا أنّ أهمّية المسألة تقتضي بسط الكلام فيها أكثر، وهناك ـ أيضاً ـ مسألة تفصيلات الصّلح الذي وقع بين الإمام الحسن ﷺ ومعاوية، ومفردات ذلك الصّلح، لكي تصل النوبة بعد ذلك إلى الكلام عن مردودات هذا الصّلح وإيجابيّاته في البحث القادم.

المطلب الأول: أسباب عدم اختيار موقف التضحية

إنّ موقف الإمام الحسن ﷺ لا بدّ وأنْ يكون منسجماً مع الأهداف المرحليّة والبعيدة المدى لمنهج أهل البيت ﷺ ولحركة الإسلام العامّة، لتستتبعه نتائج إيجابيّة للمنهج والوجود الإسلاميّ معاً، فاتخاذ الموقف بجميع ألوانه في سلْم أو تضحية مقيّد بقيود المصلحة الإسلاميّة العليا، وتبعٌ لها، ومن هنا، اختار الإمام

الحسن ﷺ موقف التوقّف عن القتال المؤدّي إلى التضحية للأسباب الآتية:

أوّلاً: إنّ معاوية أحكم خطّته، وأظهر نفسه بمظهر المسالم المحبّ للصّلح، وحقن الدّماء، وإعادة الأُلفة بين المسلمين، وأراد أنْ يُلصق بالإمام الحسن ﷺ رغبته في القتال وإراقة الدّماء، وقد استطاع أنْ يُدخل في عقول المسلمين هذه المغالطات، فلو لم يستجب الإمام الحسن ﷺ للصّلح، لكان مخطّط معاوية سيجد قبولاً ورواجاً، وسيُلقي المسلمون باللّائمة على الإمام ﷺ، وينسبون إليه حبّه للقتال وإراقة الدماء.

ثانياً: إنّ الظروف التي كانت تحيط بالإمام الحسن ﷺ لم تكن في صالحه، فإنّ استمرار القتال سيؤدّي إلى قتله من قبَل عملاء معاوية المندسّينَ في جيشه، وسيتنصّل معاوية من جريمة قتله، أو قد يؤدّي القتال إلى تسليم الإمام ﷺ إلى معاوية من قبل رؤساء بعض العشائر أو قادة الجيش، وفي جميع التقادير، سيكون معاوية هو الغالب، كما ورد ذلك في قول الإمام ﷺ: «يزعمونَ أنّهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وانتهبوا ثقْلي، وأخذوا مالي، والله، لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي، وآمن به في أهلي، خير من أنْ يقتلوني، فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله، لو قاتلتُ معاوية، لأخذوا بعنقي حتّى يدفعوني إليه سلماً، فوالله لئن أُسالمه وأنا عزيز خير من أنْ يقتلني وأنا أسيره، أو يمنَّ عليَّ فتكون سُبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر»[١].

ثالثاً: إنّ تضحية الإمام الحسن ﷺ ستكون بلا صدى؛ وذلك لقدرة معاوية على احتواء آثارها وتشويه أهدافها، وما دام كثير من المسلمين لا يعي طبيعة الصّراع، ويسمع الإشاعات المستمرّة بأنّ الإمام الحسن ﷺ كان يقاتل من أجل السّلطة، أو بدوافع قبليّة موروثة في الصّراع بين بني هاشم وبني أميّة.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠/٤٤.

رابعاً: إنّ التضحية ستؤدّي إلى القضاء على الإمامين الحسن والحُسين (عليهما السّلام) وبقيّة بني هاشم، والصّفوة الخيّرة الصّالحة من أتباع أهل البيت ﰈ، ومن ثَمَّ، ستخلو السّاحة لمعاوية وأنصاره دون معارضين، ودون غيورين ومصلحين، وخلوّ السّاحة يشجّع معاوية وأتباعه على قلب المفاهيم الإسلاميّة، وتغيير القيم، وإعادة الجاهليّة بلباس إسلاميّ من جديد.

وتكفي هذه الأسباب لئلّا يستمرّ الإمام ﰂ في القتال المؤدّي إلى القضاء على رموز المنهج الإسلاميّ، وإلى تسلّط معاوية على رقاب المسلمين دون قيد أو شرط، ودون رادع أو معارض، فلم يبق له خيار إلّا الصّلح الذي اضطرّ إليه تحت ضغط الظروف والأوضاع التي عرفناها بالتفصيل.

المطلب الثاني: وعود معاوية وشروط الإمام الحسن ﰂ

أولاً: وعود معاوية

إنّ الصّلح الذي قرّر الإمام ﰂ قبوله قد أحاطه بشروط تجعله ﰂ في موقع القوّة دائماً ومعاوية في موقع الضعف على المدى القريب والمدى البعيد معاً، سواء أكان معاوية يفي بالشروط أم لا يفي بها، فإنّ عدم الوفاء بها يتضمّن للإمام ﰂ ولخطّ أهل البيت ﰈ نصراً على المدى البعيد لا محالة.

وقد وعد معاوية الإمام الحسن ﰂ بوعود عديدة[1]، نذكر منها مايأتي:

١- للإمام الحسن ﰂ الأمر من بعد معاوية.

٢- للإمام الحسن ﰂ ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما يبلغ، يحمله إلى حيث أحبّ.

٣- للإمام الحسن ﰂ خراج أيّ كور العراق شاء، معونة له على نفقته، يجبيها أمينه ويحملها إليه في كلّ سنة.

---

(١) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٣٦.

٤- عدم الاستيلاء عليه بالإساءة.

٥- عدم قضاء الأمور بدون الإمام الحسن عليه السلام.

٦- أنْ لا يعصيه معاوية في أمر أراد الإمام الحسن عليه السلام به طاعة الله.

وفي رواية أنّ معاوية كتب إلى الإمام الحسن عليه السلام: «إنّي صالحتك على أنّ لك الأمر من بعدي، ولك عهد الله وميثاقه وذمّته...، لا أبغيك غائلة ولا مكروهاً، وعلى أنْ أعطيَك في كلّ سنة ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أنّ لك خراج (منسا) و(دار أبجرد) تبعث إليها عمّالك، وتصنع بهما ما بدا لك»[1].

وأهمّ ما في الوعود، هو جعل الخلافة للإمام عليه السلام من بعد معاوية[2].

ثانيا: شروط الإمام الحسن عليه السلام

وأمّا شروط الإمام الحسن عليه السلام للصّلح، فيمكن تحديدها بما يأتي:

١- أنْ يعمل معاوية بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة الخلفاء الصّالحين.

٢- ليس لمعاوية بن أبي سفيان أنْ يعهد لأحد من بعده عهداً.

٣- النّاس آمنونَ حيث كانوا في العراق والشام والحجاز وتهامة.

٤- أمان شيعة وأصحاب علي عليه السلام على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم.

٥- أنْ لا يبغي للحسن ولا لأحد من أهل بيته غائلة سرّاً وعلانيةً، ولا يُخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق.

٦- أنْ تكون الخلافة للإمام الحسن عليه السلام من بعده[3].

٧- أنْ لا يسمّيه (أمير المؤمنين).

٨- أنْ لا يقيمَ عنده شهادة.

---

(١) أنساب الأشراف: ٤١/٣.

(٢) يُنظر: الإصابة: ١٣/٢، والإستيعاب: ٣٧٣/١.

(٣) يُنظر: أُسد الغابة: ٤٩١/١.

٩- أنْ يضمن نفقة أولاد الشّهداء من أصحاب الإمام عليّ (عليه السلام).

١٠- ترك سبّ الإمام عليّ (عليه السلام)، والعدول عن القنوت عليه في الصلاة.

١١- أنْ لا يتعرّضَ لشيعته بسوء، وأنْ يوصلَ إلى كلّ ذي حقّ حقّه.

المطلب الثالث: الدور الإيجابي للوعود والشروط

إنّ الوعود والشروط الممضاة من قبل الطرفين، تفرض منطقيّاً على كلّ من يفاضل بين الحرب والصّلح أنْ يختار الصّلح مع تلك الظروف والموازنة العسكريّة غير المتكافئة، وإلّا، فإنّ معاوية سيتسلم السّلطة، إمّا بانتصاره العسكريّ، أو بقتل الإمام (عليه السلام) من قبل عملائه المندسّين في جيشه (عليه السلام)، وستؤول السّلطة إليه دون شروط أو قيود تقيّده أمام المسلمين.

بينما أخذ الإمام (عليه السلام) عهوداً ومواثيق مقرونة بأَيْمان مغلّظة من قبل معاوية على أنْ يفي بها، فإنْ وفى بما تعهّد به، فإنّ الأمر سيعود إلى الإمام من بعده، وستكون لأتباع الإمام (عليه السلام) مطلق الحريّة في أداء دورهم الإصلاحيّ والتغييريّ.

وإنّ شرط عدم تسميته (أمير المؤمنين) يسلب عنه شرعيّة الخلافة وإمرة المؤمنين، ويبقى مجرّد حاكم أو ملك في أنظار المسلمين.

وإذا لم يف معاوية بالشروط، فسينكشف للأمّة حقيقة معاوية والحكم الأمويّ، وأنّه مجرّد طالب سلطة منذ أوّل شعار أعلنه حين مطالبته بدم عثمان، ومن ثَمَّ، فإنّ الأمّة ستشخّص قادتها الحقيقيّينَ، وهم أهل البيت (عليهم السلام)، وستعود إلى موالاتهم في الحاضر أو في المستقبل.

المطلب الرابع: الإمام الحسن (عليه السلام) والمبادرة الى الصلح

ذكر جماعة من المؤرّخينَ أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) علم أنّه لن تغلبَ إحدى الفئتين حتّى يقتل أكثر الأخرى، ورأى تفرّق الأمر عنه، فبادر إلى الصّلح مع

معاوية، ففرح معاوية بذلك وأجابه طبقاً للشروط التي وضعها الإمام الحسن عليه السلام[١].

وهذا الرأي له وجاهة وقبول، فالإمام الحسن عليه السلام وإنْ تفرّق عنه كثير من قادة جيشه، وحاول بعضهم اغتياله، إلاّ أنّه كان يشكِّل خطراً حقيقيّاً على معاوية، وهذا ما عبّر عنه معاوية في قوله لعمرو بن العاص – في شأن قيس بن سعد–: «على رَسْلكَ، فإنّا لا نخلص إلى قتلهم حتّى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنّي والله لا أقاتله أبداً حتّى لا أجد من قتاله بدّاً»[٢].

وعلى هذا، فإنّ الإمام عليه السلام قد صالح من موقع القوّة، فإنّ معاوية كان يعلم أنّه عليه السلام إنْ استمرّ على القتال، فإنّه سيخسر كثيراً من قادته وجنوده، ولا يستطيع معاوية حسم المعركة إلاّ بتضحيات جسيمة يخرج منها منهوكاً لا يقوى على النهوض.

ويمكن أنْ نستشهد بشخصيّة معاوية أيضاً؛ وذلك أنّ معاوية كان متيقّناً من صعوبة حسم الموقف لصالحه إلاّ بتقديم خسائر جسيمة؛ إذْ لو كان يرى سهولة القضاء على جيش الإمام عليه السلام لما كان يصالحه عليه السلام، ويقيّد نفسه بشروط وقيود صعبة، فشخصيّته ترفض أنْ يكون لها ندّ يعارضها، أو ينافسها في مجالات الحياة المختلفة، وبالخصوص في مجال الحكم والرئاسة، وترفض –أيضاً– أنْ يمنح الحرّية لمعارضيه.

فمن المنطقيّ أنْ يكون الإمام الحسن عليه السلام هو الذي قد بادر إلى الصّلح، وعلى ضوئه، يكون الإمام عليه السلام قد فوّت الفرصة على معاوية لأن يظهر بمظهر المصلح

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٢/٤٤، ٤٨، ٦٥.

(٢) تاريخ الطبريّ: ١٥٩/٥، وأُسد الغابة: ٤٩١/١، وتاريخ الخميس: ٢٩٠/٢، والبداية والنهاية: ١٧/٨، والمنتظم: ١٨٣/٥.

والمحبّ لحقن الدماء، ويكون له قَصب السّبْق في ذلك.

وممّا يؤيّد ذلك، أنّ الإمام عليه السلام كان قد اشترط على المبايعين له بعد استشهاد أبيه عليه السلام أنْ يستسلموا لأوامره، إنْ حارب أو سالم.

وعلى كلا الرأيّين، فإنّ الإمام عليه السلام قد اتخذ الصّلح من أجل حقن الدماء، والتفرّغ للعمل الإصلاحيّ والتغييريّ بعده، وبناء القاعدة الشعبيّة التي أنهكتها ثلاثة حروب في أقلّ من أربع سنين.

خلاصة البحث

هنالك أسباب وعوامل عديدة اجتمعت وتضافرت لتجعل الإمام الحسن (عليه السلام) مضطرّاً إلى قبول الخيار الصعب من بين الخيارات المطروحة، التي منها: الاستمرار في القتال، ثمّ التضحية بالنفس في حال عدم إحراز النصر العسكريّ.

ومن جملة أسباب عدم اختيار موقف التضحية من قبل الإمام الحسن (عليه السلام):

أنّ معاوية أحكم خطّته، وأظهر نفسه بمظهر المسالم المحبّ للصّلح، وأنّ التضحية ستؤدّي إلى القضاء على الإمامين الحسن والحُسين (عليهما السّلام) وبقيّة بني هاشم، والصّفوة الخيّرة الصالحة من أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

وتتلخّص الأسباب التي فرضت الصّلح على الإمام (عليه السلام)، بعدم وجود جيش عقائديّ يتحمّل المسؤوليّة، وأنّ الصّلح الذي قرّر الإمام (عليه السلام) قبوله قد أحاطه بشروط تجعل الإمام (عليه السلام) في موقع القوّة دائماً، ومعاوية في موقع الضعف على المدى القريب والمدى البعيد معاً، سواء كان معاوية يفي بالشروط أم لا يفي بها.

اختبارات البحث

١. ماهي أسباب عدم اختيار موقف التضحية من قبل الإمام الحسن (عليه السلام) في مقابل معاوية؟

٢. تكلّم عن وعود معاوية للإمام الحسن (عليه السلام) في صلحه.

٣. عَرِّف بشروط الإمام الحسن (عليه السلام) على معاوية في الصّلح.

٤. ما هو الدور الإيجابيّ للوعود والشروط التي تضمّنها صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية؟

٥. ما الذي جعل معاوية يقبل بالصّلح مع الإمام الحسن (عليه السلام)؟

البحث رقم (٦)

صلح الإمام الحسن عليه السلام ومراعاة المصلحة الإسلامية العليا

أهداف البحث

١. تعداد بعض العوامل التي فرضت الصّلح على الإمام الحسن عليه السلام.
٢. إستيعاب حقيقة أنّ الصّلح إنّما كان من أجل المصلحة الإسلاميّة العليا.
٣. توضيح حقيقة أنّ الصّلح كان على طبق مصلحة المسلمين جميعهم.
٤. توضيح حقيقة أنّ الصّلح كان على طبق مصلحة الجماعة الصّالحة.
٥. نقل بعض ما ورد في الصّلح من توجيهات من قبل الإمام الحسن عليه السلام.

مقدمة البحث

تحدّد موقف الإمام المعصوم عليه السلام عدّة عوامل، وقد راعى الإمام الحسن عليه السلام في صلحه كلّ تلك العوامل، فكانت نتيجة الصّلح إيجابيّة، مهمّة، ضروريّة للمرحلة التي عاشها الإمام وما بعدها، وهذا ما سنركّز عليه في بحثنا هذا.

المطلب الأول: شرعية الموقف والقرار

وهذا الأمر بديهيّ في السيرة التاريخيّة لحركة الإسلام وقادته الصّالحين، فالشريعة هي الحاكمة على الموقف، وهي التي تحدّده في جميع الظروف والأحوال، فقد صالح رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً في الحديبية وهم كفّار، وصالح اليهود والنصارى في أكثر من واقعة، وصالح أمير المؤمنين عليه السلام معاوية في وقته كما تقدّم في الجزء الأوّل.

المطلب الثاني: الظروف والملابسات والمعادلات

الظروف والملابسات بنوعيها: الإيجابيّ والسّلبيّ هي التي تحدّد الموقف وتكون حاكمة عليه، وهذا واضح من خلال سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام، فرسول الله صلى الله عليه وآله لم يجاهد قريشاً في المرحلة المكّيّة كما تقدّم معنا في الجزء الأوّل؛ وما ذلك إلا لأنّ الظروف لم تكن تسمح بذلك، وحينما تغيّرت تلك الظروف

في المرحلة المدنيّة ، غيّر ﷺ موقفه، واستمرّ في جهاده إلى أنْ انتصر على جميع قوى الشّرك في المدينة والحجاز واليمن، وكذلك كان الأمر مع أمير المؤمنين عليه السلام في سيرته مع مَن تولّى الحكم قبله، ومع المتمرّدينَ عليه في خلافته.

المطلب الثالث: المصلحة الإسلامية العليا

من أساسيّات المنهج الإسلاميّ، أنّ لأيّ حكم شرعيٍّ مصلحة يتضمّنها، فما من حكمٌ إلّا وفيه مصلحة وملاك، فمن باب أولى أن يكون لأخطر موقف – وهو الصّلح في تلك الظروف الحسّاسة– مصلحة على المدى القريب والبعيد، فالصّلح انطوى على عدّة مصالح آنيّة ومستقبليّة راعاها الإمام عليه السلام قبل اتخاذه القرار، بعضها متعلّق بالمصلحة العامّة للمسلمين، والآخر متعلّق بمصلحة منهج أهل البيت عليهم السلام في حركته الواقعيّة في المسيرة التاريخيّة.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن صلحه بالقول: «لا تعذلوني؛ فإنّ فيها مصلحة»[1].

ولنتعرّض إلى هذين النوعين من المصلحة ببعض التفصيل:

أولاً: المصلحة العامّة للمسلمين

لقد قدَّم الإمام الحسن عليه السلام مصلحة المسلمين العامّة على جميع الامتيازات الأخر؛ لأنّه مكلّف بالحفاظ على كيان المسلمين الاجتماعيّ والسّياسيّ، وقد تبلورتْ المصلحة العامّة في صلحه بالنقاط الآتية:

١. وحدة الدولة والأمّة

إنّ استمرار التصادم العسكريّ ينتهي حتماً إلى إحدى نتيجتين: قيام دولتين إحداهما في العراق وما وراءه من جهة الشرق، كالحجاز وخراسان والريّ، والأخرى في الشام وما وراءه من جهة الغرب، كإفريقيا وما بعدها.

والنتيجة الثانية: انتصار أحد الطرفين، وخروجه من المعركة ضعيفاً لا يقوى على مواجهة الأعداء في الخارج، أو بناء الدّولة الإسلاميّة في الداخل، وكلا هاتين

---

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة: ٦٧/١.

النتيجتين تعدُّ خسارة فادحة للإسلام والمسلمين.

ومن أجل وحدة الدّولة والمجتمع صالح الإمام عليه السلام، صالح بعد أنْ رأى المصلحة في «جمع الكلمة، وترك القتال»[(١)]، فنزل عن الخلافة، وجعل الملك بيد معاوية، حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد[(٢)].

٢. إفشال المخطّطات الخارجية

إنّ الكيان الإسلاميّ معرّض في كلّ حين لمؤامرات خارجيّة تسعى للقضاء عليه منهجاً وسلوكاً ووجوداً، وإذا كان لكلّ معركة استحقاقاتها الخاصّة، فإنّ دخول الإمام عليه السلام في معركة مع معاوية يعني وضع جميع الإمكانات والطاقات العسكريّة والاقتصاديّة في صراع داخليّ يُنهك القوى، ويجعل الكيان الإسلاميّ يتهاوى لمجرّد أيّة ضربة متوّقعة من الخارج، أو فتنة من الداخل، وعليه، صالح عليه السلام بعد أنْ وجدَ أنّ الكيان الإسلاميّ يواجه خطر الأعداء إلى جانب خطر المفروضين عليه باسمه[(٣)]. فأفشل عليه السلام مخطّطات الأعداء؛ ومنع من تفكيرهم في الانقضاض على الوجود الإسلاميّ أو تحجيمه في بقعة جغرافيّة محدودة.

٣. حقن الدماء

إنّ حقن دماء المسلمين بالتخلّي عن معركة خاسرة هو موقف يستوجب النظر إليه في إطار المسؤوليّة والحرص على كيان الأمّة، وقد أدرك الإمام عليه السلام النتائج، وأنّ وضع المسلمين لا يحتمل صراعاً من هذا النوع؛ لذا، صالح حقناً للدماء وإصلاحاً للأوضاع، ولكي يكون موقفه وقراره حجّة على الطامعين في السّلطة، والذين يضحّونَ بإمكانات الأمّة من أجلها.

وقد عبّر عليه السلام عن هذه المصلحة في كثير من أقواله ومواقفه، قال عليه السلام: «وإنّ

---

(١) تاريخ الخميس: ٢٩٠/٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤١/٤.

(٣) يُنظر: الحسن بن عليّ: ١٠٥.

معاوية نازعني حقّاً هو لي، فتركته لصلاح الأمّة، وحقن دمائها...، ورأيتُ أنّ حقن الدماء خير من سفكها، وأردتُ صلاحكم، وأنْ يكون ما صنعتُ حجّة على مَن كان يتمنّى هذا الأمر»[١].

وقال ﷺ للمعترضين على صلحه: «رأينا أنّ حقن دماء المسلمين خير من إهراقها»[٢].

وقد قدّر ﷺ ضحايا المعركة -لو حدثت- بسبعينَ ألفاً، وهي خسارة كبيرة؛ إذْ قال: «ولكنّي خشيت أنْ يأتي يوم القيامة سبعون ألفاً، تشخب أوداجهم دماً، كلّهم يستعدي الله فيم أُهرق دمه»[٣].

وعبّر ﷺ عن صلحه في موضع آخر قائلاً: «طالت الفتنة، وسفكت فيها الدماء، وقُطِّعت فيها الأرحام، وقُطعت السُّبل، وعُطلّت الثغور»[٤].

٤. إدامة مسؤولية الإصلاح والتغيّير

إنّ الظروف التي عاشتها الأمّة من قبل جعلتها تتّجه نحو الابتعاد عن المنهج الإسلاميّ عقيدةً وسلوكاً؛ إذْ تغيّرت بعض المفاهيم والقيم، وقام الولاة والمنحرفون بتشويه المفاهيم والحقائق، وإشاعة الأحاديث الكاذبة.

ومن هنا، فإنّ الأمّة بحاجة إلى وجود عدد كبير من المصلحين والمغيِّرين لإعادتها إلى الاستقامة في الفكر والعاطفة والسّلوك، بعد خطوات دائمة من التحرك في مختلف ميادينها وأوساطها، وهذا يستدعي بقاء الجماعة الصالحة والمحافظة على حياتها، لتؤدّي مسؤوليّتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أجل ذلك، قام الإمام ﷺ باتخاذ قرار الصّلح، وقد عبّر عن ذلك بالقول: «إنّي

---

(١) أنساب الأشراف: ٤٣/٣.

(٢) البداية والنهاية: ٤٢/٨.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٧/١٦.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق: ٢٢٤/٤.

لمّا رأيتكم ليس بكم عليهم قوّة، سلّمت الأمر، لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها، وكذلك نفسي وأنتم لتبقى بينهم»[1].

وهذا لا يتّم إلاّ بالصّلح، وبقاء الجماعة الصّالحة يمنع معاوية من كثير من ممارساته التي تستهدف تشويه الحقائق وقلب الموازين، وتمنعه من تحريف الكتاب والسنّة، وتمنعه من التفرّغ لتنفيذ مخطّطاته لعودة الجاهليّة من جديد بلباس الإسلام.

ثانيا: مصلحة الجماعة الصالحة

لقد واجهت الجماعة الصالحة بقيادة أهل البيت عليهم السلام، ومنذ اللّحظات الأولى لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله محاولات كثيرة لتحديد وتحجيم دورها الرّيادي في الأمّة، خلافاً لوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله الصّريحة على ضرورة تفعيل دور الإمامة في الحياة الإسلاميّة، وتمكينها من واقع المسلمين بما يحفظ وجود الكيان الإسلاميّ، وديمومة المنهج السّليم.

وبما أنّ القاعدة العريضة من الأمّة المندرجة في كيان الجماعة الصّالحة تحتاج إلى القائد الذي يوجّه حركتها وسلوكها نحو أهداف الإسلام الكبرى، فإنّ وجود القائد الإمام المعصوم يعدّ من أوّليات حفظ هذه الجماعة، وتدعيم حركتها نحو وضع التحرّك الإسلاميّ العامّ في إطاره الصّحيح.

ومن خلال الصّلح، بقيت القيادة المعصومة حاضرة في الأحداث وفي المسيرة بما يحفظ الشرعيّة الواعية للأمّة، وتوجيه الدّولة والأمّة صوب المسار الصّحيح لحركتها.

وبالإضافة إلى الحفاظ على وجود الإمام الحسن عليه السلام، ووجود الإمام الحُسين عليه السلام، وامتداد خطّ الإمامة بهما، فإنّ مصلحة الجماعة الصالحة تمثّلت في المظاهر الآتية:

١. حقن دماء أفراد الجماعة الصالحة

استطاع الإمام عليه السلام من خلال اتخاذ قرار الصّلح حقن دماء أفراد الجماعة الصّالحة، والحيلولة دون إراقة دمائها، وقد عبّر عليه السلام عن هذه المصلحة المتوخّاة

---

(١) تحف العقول: ٢٢٧.

من قراره، ففي جوابه لمن اعترض عليه، قال: «إنّما فعلتُ ما فعلتُ إبقاءً عليكم»[١].

وقال أيضاً: «فلو كنتُ بالجزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض وألحب، ما كان معاوية بأبأس منّي بأساً...، وما أردتُ في ما فعلتُ إلاّ حقن الدماء...»[٢].

وقال عليه السلام: «ولولا ما أتيت، لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض إلاّ قتل»[٣].

٢. استمرار الدعوة من قبل الجماعة الصالحة

الهدف من وجود الجماعة الصّالحة هو إقرار المنهج الإلهيّ في الواقع، بالدعوة إلى مفاهيمه العقائديّة وقيمه التشريعيّة، وتحقيقها في صورة عمليّة وواقع موضوعيّ ذي معالم منظورة، تترجم فيها النصوص والمفاهيم النظريّة إلى حركات وأعمال وممارسات وأوضاع وارتباطات، والانتقال من مرحلة التأثّر الوجدانيّ بالفكر والعقيدة إلى مرحلة العمل الإيجابيّ على وفق هذا التأثّر؛ تحقيقاً للمنهج الإلهيّ.

ولا يتحقّق ذلك إلاّ بالحفاظ على وجود الجماعة الصّالحة، فهي الكفيلة بالدعوة إلى المنهج السّليم وإقراره في الواقع، وفي هذا الشّأن قال الإمام عليه السلام: «إنّي لمّا رأيت النّاس تركوا ذلك إلاّ أهله؛ خشيتُ أنْ يُجتثّوا عن وجه الأرض، فأردتُ أنْ يكون للدين في الأرض ناع»[٤].

أحرز الإمام عليه السلام من خلال الصّلح حريّة أتباعه وأنصاره؛ إذْ جعلها شرطاً من شروطه، والحريّة المنشودة هي فرض على معاوية لا يستطيع التنصّل عنه بسهولة، ما دام يخشى من المواجهة المسلّحة من جديد، ومن مظاهر الحريّة عدم متابعة مَن

---

(١) أنساب الأشراف: ٣/٤٥.

(٢) أنساب الأشراف: ٣/ ٤٩.

(٣) علل الشرائع: ١/ ٢٠٨.

(٤) مختصر تاريخ دمشق: ٧/ ٣٨.

له دور كبير في معركة صفّين أو التحريض على معارضة عثمان، ومن مظاهرها – أيضاً– حريّة الاعتراض على معاوية، وحريّة التحرّك باتجاه توعية الأمّة وتصحيح فهمهما للأفكار والأشخاص والأحداث.

٣. إعادة بناء الجماعة الصالحة

إنّ الأحداث التي ابتدأت منذ أواخر عهد عثمان مروراً بثلاث معارك طاحنة لإخماد تمرّد أصحاب الجمل وصفّين والنهروان، أدّت إلى تصدّع الطاقات والإمكانات التي تتمتّع بها الجماعة الصّالحة؛ إذْ إنّ سرعة الأحداث وشدّتها أدّت إلى حدوث الكلل والإرهاق داخل الجماعة الصّالحة، فهي بحاجة إلى استراحة نسبيّة من أجل إعادة بنائها، وتمتين قوّتها، وتوسيع قاعدتها، ورفدها بعناصر جديدة، وجميع ذلك حقّقه الإمام عليه السلام بصلحه، وقد عبّر عن ذلك، قائلاً: «أردتُ صلاحكم، وكفّ بعض عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه، حتّى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر»[١].

وجميع الشروط الموضوعة تنطوي على جملة من المصالح الخاصّة بالجماعة الصّالحة، وبقيادتها المتمثّلة بالإمام الحسن عليه السلام.

وجميع المصالح التي تحقّقت من صلح الإمام عليه السلام، هي التي جعلت الإمام عليه السلام يدفع الحرب بالصّلح على أساس خدمة الأهداف الإسلاميّة الكبرى، فقد ضحّى عليه السلام بالسّلطة الفوقية من أجل سلامة البنى التحتيّة.

وقد عبّر الإمام الباقر عليه السلام عن هذه المصالح، قائلاً: «والله، لَلذي صنعه الحسن بن عليّ عليه السلام، كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس»[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/١٦.

(٢) الكافي: ٣٣٠/٨.

خلاصة البحث

إنّ موقف الإمام المعصوم عليه السلام تحدّده عدّة عوامل موضوعيّة، وقد راعى الإمام الحسن عليه السلام في صلحه كلّ تلك العوامل، فكانت نتيجة الصّلح إيجابيّة مهمّة ضروريّة للمرحلة التي عاشها الإمام وما بعدها، ومن جملة تلك العوامل:

شرعيّة الموقف والقرار، والظروف والملابسات والمعادلات، والمصلحة الإسلاميّة العليا بنوعيها: المصلحة العامّة للمسلمين، ومصلحة الجماعة الصّالحة.

وقد عبّر الإمام الباقر عليه السلام عن هذه المصالح قائلاً: «والله، لَلذي صنعه الحسن بن عليّ عليه السلام، كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشّمس».

اختبارات البحث

١. أذكر بعض العوامل التي فرضت الصّلح على الإمام الحسن عليه السلام.
٢. بيِّن أنّ صلح الإمام الحسن عليه السلام إنّما كان من أجل المصلحة الإسلاميّة العليا.
٣. لماذا كان صلح الإمام الحسن عليه السلام على طبق مصلحة المسلمين جميعهم؟
٤. لماذا كان الصّلح على طبق مصلحة الجماعة الصالحة؟
٥. أذكر بعض ما ورد في الصّلح من توجيهات من قبل الإمام الحسن عليه السلام.

البحث رقم (٧)

نتائج صلح الإمام الحسن عليه السلام وآثاره

أهداف البحث

١. بيان انكشاف حقيقة معاوية والحكم الأمويّ بسبب الصّلح.

٢. توضيح انكشاف انحراف معاوية وعدم وفائه بالشّروط

٣. تحليل شخصيّة معاوية الإرهابيّة وخصائصه.

٤. وصف مراقبة الإمام الحسن عليه السلام لتصرّفات معاوية.

٥. بيان توسّع القاعدة الشعبيّة لأهل البيت عليهم السلام بسبب الصّلح.

مقدمة البحث

بعد أنْ تناولنا في البحث السّابق الظروف الموضوعيّة التي اضطرّت الإمام الحسن إلى عقد الصّلح مع معاوية، لا بدّ من إكمال الكلام في نتائج الصّلح الإيجابيّة، وآثاره المباركة التي لم تكن بدونه، التي قادت - في الأخير- إلى ثورة الإمام الحُسين عليه السلام واستشهاده في كربلاء.

المطلب الأول: انكشاف حقيقة معاوية والحكم الأموي

كان للصّلح دوره الكبير في كشف حقيقة معاوية ونواياه الخفيّة، فبعد أنْ استلم زمام الأمور، استسلم لزهو الانتصار، ولم يتمالك نفسه حتّى كشف عن سريرته ومكنونات أهوائه، ولم يلتفت إلى الآثار المترتّبة على هذا الكشف، فأعلن لأهل العراق عن أهدافه الحقيقيّة من الحرب، تلك التي تتلخّص في الوصول إلى قمّة السّلطة، كما جاء ذلك في خطابه حين قال: «إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم»(١).

وهذا التصريح قد كشف عن الوجه الحقيقيّ لمعاوية كشفاً لا يمكن بعد ذلك التستّر عليه بتزوير الأحاديث، وتحريف الوقائع، ولا تقوى المبرّرات الموضوعة

---

(١) مقاتل الطّالبيّين: ٧٠.

للتستّر عليه، التّي كان منها عدالة جميع الصّحابة، وغيرها من الفضائل التي أدلى بها الوضّاعون من وعّاظ السّلاطين.

وانكشفت حقيقة معاوية أمام الأمويّينَ أيضاً، وخصوصاً أمام عائلة عثمان؛ إذْ تخلّى عن جميع شعاراته في الأخذ بدم عثمان حين تمّ الصّلح، وترك متابعة قتلته، وحينما دخل دار عثمان، قالت عائشة بنت عثمان: «وا أبتاه»، وبكت، فأجابها معاوية: يا ابنة أخي، إنّ النّاس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أماناً...، ولئن تكوني بنت عمّ أمير المؤمنين، خير من أنْ تكوني امرأة من عرض المسلمين[١].

المطلب الثاني: انكشاف انحراف معاوية وعدم وفائه بالشروط

لقد كشف معاوية عن نواياه في عدم الوفاء بالعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه، فقال: «ألا إنّ كلّ شيء أعطيته للحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين، لا أفي به»[٢].

وكان لهذا التصريح دور واضح في تقييم الأشخاص والأحداث والمواقف من قبل عموم المسلمين؛ إذْ استطاعوا تشخيص القيادة الحقيقيّة وتمييزها من القيادة المزيّفة، وانكشفت لهم طبيعة الصّراع القائم، فهو ليس صراعاً بين قبيلتين أو شخصين، وإنّما هو صراع بين منهجين: منهج الاستقامة الذي يمثّله أهل البيت عليهم السلام، ومنهج الانحراف والجاهليّة الذي يمثّله الأمويّون.

وكان هذا التصريح فرصة للجماعة الصّالحة لتبيان الحقائق، وإقناع الأمّة بمخطّطات معاوية التخريبيّة النابعة من أهوائه.

---

(١) يُنظر: عيون الأخبار، لابن قتيبة: ١/ ٦٧.

(٢)مقاتل الطّالبيّين: ٦٩.

المطلب الثالث: خصائص معاوية الإرهابية

كان معاوية يتظاهر بالعفو والحلم والسّماحة، ويتظاهر بحبّ السّلام والأمان، وكراهة إراقة الدماء، فقد رفع المصاحف في صفّين، ودعا إلى الصّلح، مبرّراً ذلك بحقن الدماء، وهكذا فعل قبل الصّلح، إلاّ أنّه سرعان ما كشف القناع عن زيفه، فبعد أنْ تمّ تسليم السّلطة إليه بأيّام قلائل؛ نادى -وهو في المدائن- بأعلى صوته: «ألا إنّ ذمّة الله بريئة ممّن لم يخرج فيبايع...، ألا وإنّا قد أجّلنا ثلاثاً، فمَن لم يبايع، فلا ذمّة له، ولا أمان له عندنا»[١].

وقد خالف معاوية بذلك أساسيات المنهج الإسلاميّ المتّفق عليه بين عموم المسلمين، وهو عدم الإكراه على البيعة، وقد قامت سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) على ذلك، فلم يُكرهوا أحداً على البيعة؛ لأنّها اختياريّة. بينما أعلن معاوية عن طبيعته الإرهابيّة في ملاحقة ومطاردة وقتل الرافضين لبيعته.

المطلب الرابع: معارضة حرية الجماعة الصالحة

لم يستطع معاوية في حياة الإمام الحسن (عليه السلام) أنْ يقيّد حرية الجماعة الصّالحة، خوفاً من إعلان المواجهة المسلّحة ضدّ حكمه، فكان لها دور في التحرّك في أوساط الأمّة، وكان كثير من أعضائها البارزين يعترضون على معاوية، ويكشفون عن الحقائق دون أنْ يعمل معاوية شيئاً.

فقد صرّح عبد الله بن عبّاس بتباطؤ معاوية عن نصر عثمان[٢]، وحمّله قسطاً من المسؤوليّة عن قتله، دون أنْ يجيب على شيء.

وهدّده جارية بن قدّامة، قائلاً: «فإنْ وفيتَ لنا، وفينا، وإنْ ترغب إلى غير ذلك، فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً، وأذرعاً شداداً، وأسنّةً حداداً، فإنْ بسطتَ إلينا فتراً من

---

(١) أنساب الأشراف:٣/ ٤٧.

(٢) المصدر السّابق.

غدر، زلفنا إليك بباع من ختر...»[١].

وكان الأنصار لا يلتقون به إنْ قدم المدينة، وحينما سأل أبا قتادة عن ذلك، قال: «لم يكن لنا دوابّ، وحينما قال له: أين النواضح؟ أجابه: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر»[٢].

المطلب الخامس: رقابة الإمام الحسن عليه السلام لتصرّفات معاوية

تمتّع الإمام الحسن عليه السلام بحريّة كاملة في الاعتراض على معاوية وكشف انحرافه عن المنهج الإسلاميّ.

فقد قام خطيباً عليه السلام – ومعاوية جالس– فقال: «أيّها النّاس، إنّ معاوية زعم: أنّي رأيته للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، وكذب معاوية؛ أنا أولى النّاس بالنّاس في كتاب الله، وعلى لسان نبيّ الله...»[٣].

وهكذا بيّن الإمام عليه السلام إحدى الحقائق الأساسيّة، وهي عدم أهليّة معاوية للخلافة، وكذب مدّعياته، وأكّد إمامة أهل البيت عليهم السلام، ونفى الشرعيّة عن حكم معاوية، فلم يخاطبه إلاّ باسمه.

وفي خطاب آخر، وضع عليه السلام منهجاً لتشخيص الخليفة الحقّ، وبيّن انحراف معاوية عن المنهج السياسيّ الإسلاميّ، فخاطب معاوية أمام جمهور من المسلمين بقوله: «ويلك يا معاوية، إنّما الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمل بطاعة الله، ولعمري إنّا لأعلام الهدى، ومنار التقى، ولكنّك يا معاوية ممّن أبار السّنن، وأحيا البدع، واتّخذ عباد الله خولاً، ودين الله لعباً، فكان قد أخمل ما أنت فيه،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥٥/١٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، للسّيوطيّ: ١٥٩.

(٣) تاريخ الخلفاء: ١٦٠.

فعشت يسيراً، وبقيتْ عليك تبعاته»[١].

وفي داخل البلاط في عاصمة الأمويّينَ، أراد معاوية وبعض رجال الحكم انتقاصه، فلمّا أكملوا كلامهم، تكلّم الإمام عليه السلام متحدّياً الحكم الأمويّ في عقر داره، وقال: «أمّا بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني، ولكنّك شتمتني، فحشاً ألفته، وسوء رأي عُرفتَ به، وخُلقاً سيّئاً شبتَ عليه، وبغياً علينا؛ عداوةً منك لمحمّد وأهله...، وإنّك يا معاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم، تُسرّون الكفر، وتُظهرون الإسلام، وتُستمالون بالأموال».

ثمّ بيّن عليه السلام فضائل أبيه عليه السلام ومساوئ أعدائه، فابتدأ بمعاوية وأبيه، ثمّ ابن العاص، والوليد بن عقبة، والمغيرة بن شعبة، ثمّ خرج.

فقال معاوية: «والله، ما قام حتّى أظلم عليَّ البيت، قوموا عنّي، فلقد فضحكم الله وأخزاكم»[٢].

المطلب السادس: حريّة التحرّك والعمل الرسالي

لم يستطع معاوية تحجيم التحرّك والعمل الرسالي للإمام الحسن عليه السلام وأنصاره، بل كان يزجر مَن يريد أنْ يتدخّل لتقييد هذه الحركة في حياة الإمام الحسن عليه السلام، فقد كتب زياد بن أبيه إليه: إنّ ابن عبّاس يُفسد النّاس عليّ، فإنْ أذنتَ لي أنْ أتوعّده فعلت.

فكتب معاوية: «إنّ أبا الفضل وأبا سفيان كانا في الجاهليّة في مسلاخ واحد، وذلك حلف لا يحلّه سوء رأيك»[٣].

ومن خلال هذين الكتابين، نرى أن للمقرّبين من الإمام الحسن عليه السلام مطلق

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٨.

(٢) تحف العقول: ١٦٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٢٨٨- ٢٩٤.

الحرّيّة في التحرّك والعمل الرساليّ؛ إذْ إنّ إفساد النّاس الذي ورد في كتاب زياد، يعني تبيان فضائل أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ والدعوة إلى التمسّك بمنهجهم، وفضح ممارسات الحكم الأمويّ وانحرافه عن الأسس الإسلاميّة الثابتة، والتحريض على مخالفة حكمهم، وكان موقف معاوية هو ردع زياد عن توعّد ابن عبّاس وتهديده.

وحينما لاحق زياد رجلاً من أصحاب الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾، كتب الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ إلى زياد كتاباً جاء فيه: «من الحسن بن عليّ إلى زياد، أمّا بعد...، قد ذكر لي فلان أنّك تعرّضتَ له، فأحبّ ألّا تعرض له إلاّ بخير، والسّلام».

فغضب زياد وكتب له: «... وأيم الله، لأطلبنّه بين جلدك ولحمك».

فبعث الإمام ﴿عليه السلام﴾ بكتاب زياد إلى معاوية، فلمّا قرأه، غضب، وكتب له: «من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد. أمّا بعد، فإنّ لك رأيين: رأياً من أبي سفيان، ورأياً من سميّة، فأمّا رأيك من أبي سفيان، فحلم وحزم، وأمّا رأيك من سميّة، فما يكون من مثلها، إنّ الحسن بن عليّ كتب إليّ بأنّك عرضتَ لصاحبه، فلا تعرض له، فإنّي لم أجعل لك عليه سبيلاً... »[١].

وهدم زياد دار أحد الشيعة – وهو سعيد بن سرح–، فكتب الإمام ﴿عليه السلام﴾ إليه كتاباً، فلم يستجب له، فأخبر معاوية بالأمر، فكتب معاوية إلى زياد: «... كتابك إلى الحسن تشتم أباه، وتعرض له بالفسق، ولعمري إنّك الأولى بالفسق من أبيه...، فإذا ورد عليك كتابي، فخلّ ما في يديك لسعيد بن سرح، وابن له داره، واردد عليه ماله، ولا تعرُض له، فقد كتبت إلى الحسن أنْ يخيّره، إنْ شاء أقام عنده، وإنْ شاء رجع إلى بلده، ولا سلطان لك عليه، لا بيد ولا لسان»[٢].

---

(١) العقد الفريد: ٥/ ٢٧٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٨، ١٩، وأنساب الأشراف: ٣/ ٥٣.

المطلب السابع: توسّع القاعدة الشعبية لأهل البيت عليهم السلام

إستثمر الإمام عليه السلام الفرصة المتاحة له في توسيع القاعدة الشعبيّة لأهل البيت عليهم السلام بنشر الأفكار والمفاهيم السّليمة، ونشر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ونشر الأحاديث التي توجّه الأنظار إلى إمامة أهل البيت عليهم السلام ودورهم القيادي في الأمّة، ونشر مطلق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أنْ منع الخلفاءُ الثلاثةُ نشرَها في العهود السّابقة، واستطاع عليه السلام أنْ ينشر الوعي في صفوف المسلمين، حتّى أصبحوا يميّزون بين منهجين: منهج الاستقامة على خطّ الرسالة بقيادة أهل البيت عليهم السلام، ومنهج الأمويّين المنحرف، وهكذا وضع الإمام الحسن عليه السلام اللّبنات الأولى لتعرية الحكم الأمويّ وبيان حقيقته الجاهليّة، لكي تأتي اللّبنة الأخرى في مراحل الحركة الرساليّة، ولتكون الأمّة في حالة تعبئة نفسيّة وروحيّة للتفاعل مع ثورة الإمام الحُسين عليه السلام في ما بعد، فقد تفاعل صلح الحسن عليه السلام مع ثورة الحُسين عليه السلام ليؤدّيا بالنتيجة إلى تبنّي الجهاد المسلّح لإيقاف انحراف الحاكم أو إزالته، فكانت ثورة أهل المدينة وثورة التوّابين والمختار وغيرها من الثورات، التي كسرت الطوق المفروض على أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، فانطلقوا لأداء دورهم الرسالي في الأمّة على الرّغم من التخطيط الجاهليّ لهدم أصول الإسلام وحصونه.

خلاصة البحث

كان للصّلح الذي عقده الإمام الحسن مع معاوية دوره الكبير في كشف حقيقة معاوية ونواياه الخفيّة، فبعد أنْ استلم معاوية زمام الأمور استسلم لزهو الانتصار، ولم يتمالك نفسه حتّى كشف عن سريرته ومكنونات أهوائه، الذي كان له دور واضح في تقييم الأشخاص والأحداث والمواقف من قبل عموم المسلمين؛ إذْ استطاعوا تشخيص القيادة الحقيقيّة عن القيادة المزيّفة.

أعلن معاوية عن طبيعته الإرهابيّة في ملاحقة ومطاردة وقتل الرافضين لبيعته ومعارضة حرية الجماعة الصالحة.

تمتّع الإمام الحسن عليه السلام بحريّة كاملة في الاعتراض على معاوية وكشف انحرافه عن المنهج الإسلاميّ، ولم يستطع معاوية تحجيم التحرّك والعمل الرساليّ للإمام الحسن عليه السلام وأنصاره، بل كان يزجر مَن يُريد أنْ يتدخّل لتقييد هذه الحركة في حياة الإمام الحسن عليه السلام، الفرصة التي استثمرها الإمام عليه السلام في توسيع القاعدة الشعبيّة لأهل البيت عليهم السلام، فتفاعل صلح الحسن عليه السلام مع ثورة الحُسين عليه السلام ليؤدّيا بالنتيجة إلى تبنّي الجهاد المسلّح لإيقاف انحراف الحاكم أو إزالته.

اختبارات البحث

١. كيف أدّى صلح الإمام الحسن عليه السلام إلى انكشاف حقيقة معاوية والحكم الأمويّ؟

٢. كيف انكشف انحراف معاوية وعدم وفائه بشروط الصّلح؟

٣. أذكر بعض خصائص معاوية الإرهابيّة.

٤. صف متابعة الإمام الحسن عليه السلام لتصرّفات معاوية ورصدها.

٥. لماذا كان صلح الإمام الحسن عليه السلام من جملة الأسباب التي أدت إلى توسّع القاعدة الشعبيّة لأهل البيت عليهم السلام ؟

البحث رقم (٨)

الإمام الحسن (عليه السلام) بعد الصلح حتّى الشهادة

أهداف البحث

١. بيان مواقف الإمام وخطبه التي تبادلها مع معاوية.

٢. توضيح عدم اعتراف الإمام (عليه السلام) بشرعيّة النظام وفضحه.

٣. وصف الإعداد الفكريّ والسّلوكيّ للجماعة الصّالحة من قبله (عليه السلام).

٤. التعريف بمدرسة الإمام (عليه السلام) ونشاطه العلميّ.

٥. بيان غدر معاوية واغتياله الإمام الحسن (عليه السلام) عن طريق زوجته.

مقدمة البحث

لم يقعد الإمام الحسن (عليه السلام) بعد الصّلح عن فضح معاوية ومحاولاته لإرجاع الأوضاع الجاهليّة ولو بلباس إسلاميّ جديد، فقد أوضح (عليه السلام) ذلك في الكثير من خطبه التي تبادلها مع معاوية، وقد كان بعض تلك الخطب مشافهة معه.

ولم يقف (عليه السلام) أيضاً عن إعداد الجماعة الصالحة وتربيتها، لكي تكون القاعدة التي يستند إليها الخطّ الرساليّ في ترسيخ العقيدة الحقّة والدّفاع عن الحقّ أمام الباطل وفضحه، حتى ضاق الباطل به (عليه السلام) ذرعاً، فاغتالته يد الغدر والخيانة على يد زوجته اللّعينة جعدة بنت الأشعث.

المطلب الأول: الاجتماع في الكوفة

عُقد اجتماع موسّع حضره أنصار أهل البيت (عليهم السلام) وأنصار الأمويّين ممّن انخرطوا في جيش معاوية، وتبادل معاوية والإمام (عليه السلام) الخطب التي تعبّر عن منهج كلٍّ منهما؛ إذْ بيّن الإمام (عليه السلام) دور أهل البيت القياديّ في الأمّة، ووجوب طاعتهم. وممّا جاء في ذلك، قوله (عليه السلام) : «نحن حزب الله المفلحون، وعترة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأقربون، وأهل بيته الطاهرون الطيّبون، وأحد الثقلين اللّذين خلّفهما رسول الله (صلى الله عليه وآله)...، فإنّ طاعتنا مفروضة؛ إذْ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر

مقرونة...»[1].

وبيّن فضل أهل البيت عليهم السلام على المسلمين في هدايتهم وحقن دمائهم، كما بيّن سنن التاريخ في تقلّب الدول وعدم دوامها، فقال عليه السلام: «أمّا بعد، أيّها النّاس، فإنّ الله قد هداكم بأوّلنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإنّ لهذا الأمر مدّة، والدنيا دول، وإنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿وإنْ أدْري لَعَلَّهُ فتنةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إلى حيْن﴾»[2].

وأكّد عليه السلام على المواثيق المأخوذة على معاوية في إقامة العدالة، وتحسين الأوضاع المعيشيّة، وأشهده على ذلك، فقال عليه السلام: «وإنّي قد أخذتُ لكم على معاوية أنْ يعدل فيكم، وأنْ يوفّر عليكم غنائمكم، وأنْ يقسّم فيكم فَيْئَكُم».

ثمّ أقبل على معاوية فقال: أكذاك؟ قال: نعم[3].

وحينما نال معاوية من أمير المؤمنين عليه السلام في خطابه، أجابه الإمام عليه السلام: «أيّها الذاكر عليّاً، أنا الحسن، وأبي عليّ، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأُمّي فاطمة، وأُمّك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّك حرب، وجدّتي خديجة، وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قدماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً»، فقال مَن في المسجد : آمين[4].

وفي جميع المواقف، كان عليه السلام يسمّي معاوية باسمه دون إضافة أيّ لقب إليه، لئلّا يُضفي عليه أيّة صفة شرعيّة، ولم يستطع معاوية أنْ يُكرهه على عكس ذلك.

المطلب الثاني: عدم الاعتراف بشرعية النظام وفضحه في مركز قوّته

أراد معاوية من الإمام عليه السلام أنْ يتولّى قتال الخوارج، من أجل إشغال المعارضة

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعوديّ: ٤٣١/٢، وقد ينسب هذا القول إلى الإمام الحُسين عليه السلام في بعض كتب الاحتجاج.

(٢) تاريخ الطبريّ: ١٦٣/٥، سورة الأنبياء: ١١١.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبيّ: ٣٩.

(٤) مقاتل الطّالبيّين: ٧٨ .

بعضها ببعض، فلم يجبه عليه السلام إلى ذلك، وكان جوابه: «والله، لقد كففتُ عنك لحقن دماء المسلمين، وما أحسب ذلك يسعني، أفأقاتل عنك قوماً أنت والله أولى بالقتال منهم»[(١)].

وجاء في رواية أنّه عليه السلام قال له: «لو آثرتُ أنْ أُقاتل أحداً من أهل القبلة، لبدأتُ بقتالك، فإنّي تركتُكَ لصلاح الأمّة وحقن دمائها»[(٢)].

فرفض الاستجابة لأوامره، وبيّن عدم شرعيّتها، وأفشل مخطّط معاوية في زرع العداوة المصحوبة في توجّه الأنظار إلى العدوّ المشترك، وتَرَكَ عليه السلام الكوفة عائداً إلى المدينة.

كان هناك مناظرات كثيرة بين الامام عليه السلام وبين معاوية، استطاع الامام من خلالها فضح رأس النظام الأمويّ وأتباعه، ففي أوّل مناظرة بعد أنْ افتخر معاوية عليه عند اجتماع النّاس حوله أجابه عليه السلام:

«هيهات، لَشرّ ما علوتَ يابن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره، فالطائع لك عاص لله، والمكره معذور بكتاب الله، وحاشا لله أنْ أقول أنا خيرٌ منك؛ لأنّك لا خير فيك، فإنّ الله قد برّأني من الرذائل كما برّأك من الفضائل»[(٣)].

وفي مناظرة أُخرى كشف مساوئ معاوية والمقرّبين إليه -كما تقدّم في البحث السّابق- وبيّن عداء معاوية لرسول الله صلى الله عليه وآله على امتداد مراحل حياته.

وفي مجلس آخر قال معاوية: مَن أكرم النّاس أباً وأُمّاً، وجدّاً وجدّةً، وخالاً وخالةً، وعمّاً وعمّةً؟ فقام النعمان بن العجلان الزّرقيّ، فأخذ بيد الإمام الحسن عليه السلام، فقال: هذا...، ثمّ التفت إلى عمرو بن العاص، وقال: يا ابن العاص، أما علمتَ

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٩٨/٥، والعقد الفريد: ١٨١/١.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٠٩.

(٣) حياة الإمام الحسن: ٢/ ٣٠٦، عن روضة الواعظين للنيسابوريّ.

أنّه من التمس رضا مخلوق بسخط الخالق حرمه الله أمنيته، وختم له بالشقاء في آخر عمره؟![١].

وقد شجّعتْ مواقف الإمام الحسن عليه السلام غيره على تحدّي معاوية، حتّى قد تحدّاه سعد بن أبي وقّاص، وقال له: إنّما أنت منتز، بعد أنْ سلّم عليه بالقول: السّلام عليك أيّها الملك[٢]، وتحدّاه أبو الأسود، وابن عباس، وابن الزبير، وعبدالله بن هاشم المرقال، وآخرون.

وله عليه السلام مواقف عديدة في المدينة واجه بها معاوية عند قدومه إليها، وبيّن فيها مقام أهل البيتّ عليهم السلام، ومثالب معاوية والحكم الأموي.

المطلب الثالث: الإعداد الفكري والسلوكي للجماعة الصالحة

كان عليه السلام مستمرّاً في إعداد أصحابه إعداداً فكريّاً وسلوكيّاً، وكان يوجّه عقولهم وقلوبهم وإرادتهم إلى المسؤوليّة الكبرى في حمل المنهج الإسلاميّ وتقرير مفاهيمه وقيمه في واقع الحياة، وكان يؤكّد اتّساع أُفق النظر، والتعامل الموضوعيّ مع الأفكار والأحداث، وبذل الجهد لحماية العقيدة والشريعة، وصيانة الأخلاق في الشعور والممارسات العمليّة، فضلاً عن أعماق الضمير وفي الواقع الاجتماعيّ، وكان يدعو أصحابه وسائر المسلمين إلى جعل مصادر موازين الإسلام الثابتة معياراً لتقويم الأفكار والأعمال والأحداث والنّاس.

وكان يؤكّد أنّ التشيّع مسؤوليّة وممارسة سلوكيّة، وهو مرتبة شريفة وليس شعاراً يُرفع، ولا ادّعاءً فارغاً، كما جاء في قوله لأحد أصحابه: «إنْ كنتَ لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً، فقد صدقتَ، وإنْ كنتَ بخلاف ذلك، فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لستَ من أهلها»[٣].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣/٧.

(٢) تاريخ اليعقوبيّ: ٢١٧/٢.

(٣) بحار الأنوار: ١٥٦/٦٥.

وكانت أحاديثه الشريفة تؤكّد الإخاء، والتعاون، والإحسان، وحسن الخلق، وصدق اللّسان، والتكافل الاجتماعيّ، وكان يؤكّد المداومة على اللّقاءات في المساجد والبيوت لمدارسة الجوانب المختلفة في العقيدة والشريعة، وله عليه السلام لقاءات مع مختلف الطبقات ومختلف النّاس من أنصاره وغيرهم.

المطلب الرابع: مدرسة الإمام عليه السلام ونشاطه العلمي

أنشأ الإمام عليه السلام مدرسته الكبرى في المدينة، لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام في مختلف حقولها، وقد انتمى لمدرسته كبار العلماء، وعظماء المحدّثين والرواة، وقد ذكر المؤرّخون بعض أعلام تلامذته، مثل: ابنه الحسن المثنّى، والمسيّب ابن نجبة، وسويد بن غفلة، والشعبيّ، والأصبغ بن نباتة، وجابر بن خلد، وأبو مريم قيس الثقفيّ، وإسحاق بن يسار[(١)].

وكان عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فيجتمع النّاس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السّائلين، ويقطع حجج المجادلين[(٢)].

وكان يُجيب على الأسئلة الموجّهة إليه من مختلف الأفراد، حتى أولئك الذين ينتسبونَ إلى مدارس فكريّة أخرى، كالحسن البصري الذي أجابه عليه السلام في مختلف حقول المعرفة الإسلاميّة، في العقيدة والشريعة[(٣)].

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يحثّ على تداول حديث الرسول صلى الله عليه وآله، ونشره، وتدوينه[(٤)].

---

(١) يُنظر: تاريخ دمشق، ج١٢. صورة فوتوغرافيّة في مكتبة الإمام أمير المؤمنين، ومختصر تاريخ دمشق، ج٧ : ترجمة الإمام الحسن عليه السلام .

(٢) يُنظر: الفصول المهمّة: ١٥٥.

(٣) يُنظر: تحف العقول: ١٦٦.

(٤) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق: ٥/٧ .

المطلب الخامس: غدر معاوية واغتيال الإمام الحسن عليه السلام

أيقن معاوية أنّ بقاء الإمام عليه السلام حيّاً يشكِّل تهديداً واضحاً لنظامه القائم على أساس الخداع والتضليل وتزوير الحقائق وشراء الضمائر وإشاعة الإرهاب، وقد منعته هيبةُ الإمام عليه السلام من ممارسة كثير من الانحرافات المخالفة للكتاب والسنّة والمنهج الإسلاميّ الثابت، وبقيت تراوده الهواجس من وقوف الإمام عليه السلام بوجه مؤامراته، التي كان منها ترشيح ابنه يزيد للخلافة، فنفّذ أوّل غدر له؛ إذْ تآمر مع زوجة الإمام – جعدة بنت الأشعث– لدسّ السمّ إليه عليه السلام.

وبالفعل، نفّذتْ جعدة المؤامرة، وسمّت الإمام، فاستشهد عليه السلام مسموماً، وحينما وصل الخبر إلى معاوية، كبّر في جمع من أهل الشام، وقال: والله، ما كبّرتُ شماتةً بموته، ولكن استراح قلبي[١]، وصَفَتْ لي الخلافة[٢].

ثمّ استمرّ معاوية بنقضه العهود بعد استشهاده عليه السلام، حتّى قيل: إنّ أوّل ذُلّ دخل على العرب موتُ الحسن بن عليّ[٣].

وكان معاوية يخطّط لبيعة يزيد، إلاّ أنّه لم يكشف عنها إلاّ بعد استشهاد الإمام[٤]، ولمّا استشهد الإمام عليه السلام، لَعَنَ معاويةُ أميرَ المؤمنين عليه السلام على المنابر، وكتب إلى عمّاله أنْ يلعنوه، ففعلوا[٥].

وازداد البلاءُ بعد استشهاده؛ فلم يبق أحد من أتباعه إلاّ وهو خائف على دمه، أو طريد في الأرض[٦]؛ إذْ أصدر معاوية أوامره ببراءة الذمّة ممّن يذكر أهل البيت

(١) يُنظر: وفيات الأعيان: ٢/ ٦٦.

(٢) يُنظر: ربيع الأبرار: ٤/ ٢٠٩.

(٣) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق: ٧/ ٤٦، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٠.

(٤) يُنظر: الإستيعاب: ١/ ٣٧٦.

(٥) يُنظر: العقد الفريد: ٥/ ١١٤.

(٦) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٦.

عليه السلام بخير، وملاحقة أتباعهم بقطع أرزاقهم وهدم منازلهم[١]، وأصدر أوامره بقتل مَن اتّهم بحبّ عليّ عليه السلام وإنْ لم تقم عليه بيّنة[٢]، فقتل حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وخيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

المطلب السادس: وصايا الإمام الحسن عليه السلام

دخل عليه الصحابيّ الجليل جنادة بن أبي أُميّة، وقال له: عظني يا ابن رسول الله، فأجابه – وهو في أشدّ الأحوال– وأوصاه قائلاً: استعدّ لسفرك...، واعلم أنّك تطلب الدنيا والموت يطلبك...، واعلم أنّ الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب...، واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً...»[٣].

وأوصى أخاه الإمام الحُسين عليه السلام بوصايا عديدة تتعلّق بالشؤون العامّة، وبشؤونه الخاصّة، وأنْ يُدفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنْ رفض الحكّام ذلك، دُفن في البقيع، وأوصاه أنْ لا تراق محجمة دم من أجله[٤].

وأوصى أخاه محمّد بن الحنفية قائلاً: «كونوا أوعية العلم، ومصابيح الدجى...، علم الله أنّكم خير خلقه، فاصطفى منكم محمّداً صلى الله عليه وآله ...»، فأجابه محمّد بالطاعة والتسليم[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤٤/١١، وما بعدها.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٦/٤٤.

(٣) أعيان الشيعة: ٨٥/٤ .

(٤) أعيان الشيعة: ٧٩/٤ .

(٥) حياة الإمام الحسن: ٤٨٧/٢، ٤٨٩.

خلاصة البحث

لم يقعد الإمام الحسن عليه السلام بعد الصّلح عن فضح معاوية ومحاولاته لإرجاع الأوضاع الجاهليّة ولو بلباس إسلاميّ جديد، فقد أوضح عليه السلام ذلك في الكثير من خطبه التي تبادلها مع معاوية، وقد كان بعض تلك الخطب مشافهة معه.

أنشأ الإمام عليه السلام مدرسته الكبرى في المدينة، لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام في مختلف حقولها، وقد انتمى لمدرسته كبار العلماء، وعظماء المحدّثين، وكان يؤكّد أنّ التشيّع مسؤوليّة وممارسة سلوكيّة، وهو مرتبة شريفة وليس شعاراً يرفع، ولا ادّعاءً فارغاً.

وإنّه عليه السلام لم يقف عن إعداد الجماعة الصالحة وتربيتها، لكي تكون القاعدة التي يستند إليها الخطّ الرساليّ في ترسيخ العقيدة الحقّة والدفاع عن الحقّ أمام الباطل وفضحه، حتّى ضاق الباطل به عليه السلام ذرعاً، فاغتالته يد الغدر والخيانة على يد زوجته اللّعينة جعدة بنت الأشعث.

اختبارات البحث

١. على أيّ الأمور ركّز الإمام الحسن عليه السلام في خطبه التي تبادلها مع معاوية بعد عقد الصّلح؟

٢. تكلّم عن عدم اعتراف الإمام الحسن عليه السلام بشرعيّة النظام وفضحه.

٣. صف الإعداد الفكريّ والسّلوكيّ للجماعة الصّالحة من قبل الحسن عليه السلام.

٤. عرّف بمدرسة الإمام الحسن عليه السلام وبنشاطه العلميّ.

٥. تكلّم عن غدر معاوية واغتياله الإمام الحسن عليه السلام.

الفصل الثاني

تاريخ الإمام الحُسين ﵇

البحث رقم (٩)

تاريخ الإمام الحُسين عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان ميلاد الإمام الحُسين عليه السلام وكنيته وألقابه.

٢. وصف تاريخ الإمام الحُسين عليه السلام زمان معاوية.

٣. توضيح منهج معاوية لهدم الإسلام.

٤. التعريف بخطر خطّة تولية يزيد بعد معاوية.

٥. تقدير وقوف الإمام الحُسين عليه السلام أمام مخطّطات معاوية.

مقدمة البحث

بعد أنْ تناولنا في البحث السّابق تاريخ الإمام الحسن عليه السلام، نواصل في هذا البحث الكلام في أهمّ الخطوط العامّة في تاريخ الإمام الحُسين عليه السلام بادئين بولادته وسيرته أيّام معاوية، ووقوفه في وجه مخطّطاته الرامية إلى إرجاع الجاهليّة والقضاء على الإسلام.

المطلب الأول: ميلاده عليه السلام وكنيته وألقابه

ولد الحُسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالمدينة، لخمس خلون من شعبان المكرّم سنة أربع من الهجرة[1].

ولمّا ولد الحُسين عليه السلام، أُخبِر النبيّ صلى الله عليه وآله به، فجاءه، وأخذه، وأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، واستبشر به صلى الله عليه وآله، وسمّاه (حُسيناً)، وعقّ عنه صلى الله عليه وآله كبشاً، وقال لأمّه: احلقي رأسه، وتصدّقي بوزنه فضّة، وافعلي به كما فعلتُ بأخيه الحسن عليه السلام[2].

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ٢/ ٢٧، ومصباح المتهجد: ٥٩٣ عن الإمام الصّادق عليه السلام، ولكن في: ٥٧٥ ذكر أنّه عليه السلام ولد يوم الثالث من شعبان.

(٢) يُنظر: كشف الغمّة: ٢/ ٢١٦، ودعائم الإسلام: ١/ ١٧٨، ٢/ ١٨٥، أُسد الغابة: ٢/ ١١.

وأمّا كنيته عليه السلام، فقال الشّيخ كمال الدّين بن طلحة: كنيته (أبو عبد الله) لا غير.

وأمّا ألقابه، فكثيرة: الرّشيد، والطيّب، والوفي، والسيّد، والزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله تعالى، والسّبط، فكلّ هذه كانت تقال له وتُطلق عليه، وأشهرها: الزكي، ولكن أعلاها رتبة: ما لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله فيه وفي أخيه: إنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة[1].

المطلب الثاني: الإمام الحُسين عليه السلام ومعاوية

لقد مهّد الانحراف الذي خضع له المسلمون في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، والاستيلاء غير المشروع على منصب الخلافة، إلى أنْ يستولي الطلقاء على كرسيّ الحكم الإسلاميّ، وإلى اشتداد زاوية الانحراف عن الخطّ الإلهيّ، حتّى تحوّلت الخلافة الإسلاميّة بالتدريج إلى ملك عضوض، يتوارثه شرار الخلق، مع الاستخفاف التامّ بالقيم الإسلاميّة، واستبدالها بقيم جاهليّة بائدة.

لقد عاصر الإمام الحُسين عليه السلام - بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن عليه السلام- عشر سنوات من حكم معاوية، الذي كشف واقع أهدافه بكلّ صراحة بعد إبرام وثيقة الصّلح مع الإمام الحسن عليه السلام، ولخّصها في حبّ السّيطرة على الحكم، كما مرّ معنا في البحوث السّابقة.

وكان معاوية يتدرّج في تنفيذ المخطّط الأمويّ، الذي أفصح عنه أبو سفيان حين تولىّ عثمان منصب الحكم؛ إذْ عدَّ خلافة النبيّ عليه السلام كرة يتلاعب بها صبيان بني أُميّة[2].

المطلب الثالث: منهج معاوية لهدم الإسلام

لقد كانت الخطوات التي خطاها معاوية بعد إبرام الصّلح مع الإمام الحسن عليه السلام

---

(١) يُنظر: البخاريّ في الأدب المفرد، باب معانقة الصبيّ، ح ٣٦٤، وصحيح الترمذيّ: ١٣/ ١٩٥. وسنن ابن ماجة، كتاب المقدّمة، باب ١١: ١٤٤، ومسند أحمد: ١٧٢/٤.

(٢) يُنظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢/ ٤٤، والمقريزيّ: النزاع والتخاصم: ٣١.

تشكِّل مخطَّطاً متكاملاً لهدم الإسلام وإعادة الجاهليّة إلى المجتمع الإسلاميّ باسم الإسلام وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وإمرة المؤمنين، وتتلخّص هذه الخطوات في ما يأتي:

أولاً: إشاعة الإرهاب والتصفية الجسديّة وأُسلوب التجويع لكلّ القوى المعارضة للحكم الأمويّ، سيّما أتباع الإمام عليّ عليه السلام منهم، ومتابعتهم، وإخراس كلّ لسان حُرّ بكلّ وسائل التنكيل والاضطهاد.

فقد كتب معاوية إلى ولاته في جميع الأمصار: أنظروا مَنْ قامتْ عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه[١].

وكتب كتاباً آخر فيه: مَنْ اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدموا داره[٢].

وقد صوّر الإمام محمّد الباقر عليه السلام تلك المأساة الدامية بأقصر عبارة وأدقّها حين قال: فقُتلتْ شيعتُنا بكلّ بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكان مَنْ يُذكَر بحبّنا والانقطاع إلينا، سُجن، أو نُهب مالُه، أو هُدِّمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحُسين عليه السلام[٣].

ثانيا: إغداق الأموال من أجل شراء الضمائر والذمم؛ إمعاناً في إذابة الشخصيّة الإسلاميّة، وتمكيناً للسياسة المنحرفة من تحقيق أهدافها السّوداء، وقد تمّ فعلاً شراء نوعين من النّاس:

١. بعض الوعّاظ والمحدّثين الذين كان لهم دور مفضوح في العمالة لمعاوية، وافتراء الأحاديث الكاذبة ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله للنيل من عليّ عليه السلام وأهل بيته قاطبة.

٢. شراء ضمائر الوجوه الاجتماعيّة التي يخشى من تحرّكها ضدّ الحكم الأمويّ، وهو أسلوب مارسه معاوية وغيره من ساسة الحكم، حتّى صار إحدى متبنّيات

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ٢/ ٨٦.

(٢) المصدر السّابق.

(٣) المصدر السّابق.

السّياسة الأمويّة في جميع مراحلها.

ثالثا: العمل على تمزيق أواصر الأمّة الإسلاميّة بإثارة الروح القوميّة والقبليّة والإقليميّة بين قطّاعاتها المختلفة؛ إمعاناً منه في إلهاء الأمّة بتناقضات جانبيّة على حساب تناقضها الأساس مع الحكم الأمويّ الجائر، وذلك في ممارسة إثارة الضغائن بين القبائل العربيّة، وإشغالها بالصراعات الجانبيّة في ما بينها، كالصّراع الذي نشب بين قيس ومضر، وأهل اليمن والمدينة، وبين قبائل العراق في ما بينها، وإثارة العنصريّة عند العرب ضدّ المسلمين من غيرالعرب، الذين يُعرفون تاريخيّاً باسم (الموالي)، وبمقدور المرء أنْ يجد آثار تلك السياسة الجاهليّة جليّة في أشعار مسكين الدارمي، والفرزدق، وجرير، والأخطل، وسواهم[1].

رابعا: اغتيال الإمام السّبط الحسن بن عليّ (عليهما السلام)، بالرغم من أنّ معاوية كان قد تعهّد بأنْ لا يبغي له ولا لأخيه الغوائل.

خامسا: فرض البيعة لولده (يزيد) المعلن بفسقه، وتحكيمه في رقاب المسلمين تحت ظلال الكبت والاضطهاد والإغراء والترغيب، خلافاً للوثيقة التي تقضي بأنْ يكون الحسن (عليه السلام) خليفة للمسلمين بعد موت معاوية، فإنْ كان الحسن (عليه السلام) هو الآخر قد رحل إلى ربّه يومها، فالحُسين (عليه السلام) وليّ الأمر من بعده.

إنّ منح يزيد السّلطة ليقود الأمّة الإسلاميّة، ويخطّط لمستقبلها، ويحدّد مسارها، معناه الإنهاء العمليّ للوجود الإسلاميّ على الإطلاق، وردّة واقعيّة عن مبادئ السّماء، وعودة إلى الجاهليّة، ولكن في ثوب جديد وبشكل صريح.

فيزيد ـ كما تؤكّد المصادر التاريخيّة ـ كان يغلب عليه طابع الشذوذ في مختلف أفكاره وممارساته ومشاعره، الأمر الذي يحمل المنصف على القول بأنّ يزيدَ لم يتوافر له أيّ انفتاح واعٍ على الرسالة الإسلاميّة وأهدافها العليا، التي تُحقّق

---

(١) ثورة الحُسين: ٦١، ومابعدها.

أرقى صياغة للإنسان ـ بوصفه فرداً وعضواً في المجتمع ـ صياغة لا تتّصل مطلقاً بمرتكزات الجاهليّة من قريب أو بعيد.

وحين يُعدمُ يزيدُ الجوَّ التربويَّ الذي يوفّره الإسلام عادة لابنائه؛ فإنّ الأمر لا يدعو إلى العجب بعد ذلك؛ إذْ أطلعنا التاريخ الإسلاميّ على نشاطات مشبّعة بروح الانحراف عن الإسلام، ممّا كان ابن معاوية يمارسها على مسمع ومرأى من كثير من المسلمين في بلاد الشام، كاللّهو الماجن، واللّعب الخليع، وشرب الخمر، ومنادمة الفتيات، والغناء، بل كان يُلبس كلابه أساور الذّهب(١).

قال البلاذريّ: كان ليزيد قرد يجعله بين يديه، ويكنّيه أبا قيس، ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ، وكان يسقيه النبيذ، ويضحك ممّا يصنع، وكان يحمله على أتان وخشبة، ويرسلها مع الخيل(٢).

وقال المسعوديّ: وكان يزيد صاحب طرب وجوارح(٣) وكلاب وقرود وفهود، ومنادمة على الشراب.

وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيّامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة، واستُعملت الملاهي، وأظهر النّاس شرب الشراب(٤).

وهكذا، وقفت الأمّة على عتبة تاريخ جديد من حياتها، وأصبحت أمام خيارين: أنْ تتبنّى سياسة الرفض القاطع للواقع الذي فُرض عليها مهما كان الثمن، أو القبول بسياسة الأمر الواقع؛ إذْ عليها أنْ تتنازل عن رسالتها وسرّ عظمتها وعنوان عزّتها في الحياة، فكيف كان الأمر؟ (٥)

---

(١) يُنظر: الإمام الحُسين: ٣٤٥، وأنساب الأشراف: ٤/ ١و٢.

(٢) يُنظر: أنساب الأشراف: ٤/ ١و٢.

(٣) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ١٩٦– ١٩٧.

(٤) يُنظر: مروج الذهب: ٣/ ٦٧.

(٥) يُنظر: سيرة رسول الله وأهل بيته: ٢/ ٦٤– ٧١.

خلاصة البحث

يتلخّص منهج معاوية لهدم الإسلام في إشاعة الإرهاب والتصفية الجسديّة لكلّ القوى المعارضة وإغداق الأموال لشراء الضمائر وسياسة التجويع وتمزيق أواصر الأمّة بإثارة الروح القوميّة، واغتيال الإمام الحسن عليه السلام، وفرض البيعة ليزيد الفاسق المعلن بالفسق.

وهكذا جرّ الأمّة إلى وضع جديد وجعلها أمام أحد خيارين، هما: رفض الحكم والحاكم المنحرف عملاً بالأُصول السياسيّة للشريعة الإسلاميّة، أو الخضوع للانحراف الذي يمثّل عودة الجاهليّة بكلّ ثقلها إلى السّاحة السياسيّة من جديد.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن ميلاد الإمام الحُسين عليه السلام وكنيته وألقابه.
٢. صف مواقف الإمام الحُسين عليه السلام زمان معاوية.
٣. ما هو المنهج الذي انتهجه معاوية لهدم الإسلام؟
٤. عرف بخطر خطّة تولية يزيد بعد معاوية.
٥. كيف وقف الإمام الحُسين عليه السلام أمام مخطّطات معاوية؟

البحث رقم (١٠)

منهج الإمام الحُسين عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام

أهداف البحث

١. وصف مواجهة الإمام الحُسين عليه السلام لمعاوية وبيعة يزيد
٢. فهم محاولة الإمام عليه السلام جمع كلمة الأمّة والاستجابة لحركة الجماهير.
٣. بيان نشاط الإمام الحُسين عليه السلام في مجال فضح جرائم معاوية.
٤. بيان نشاط الإمام الحُسين عليه السلام في مجال تذكير الأمّة بمسؤوليّتها.
٥. إستيعاب أهمّيّة الخطوات والفعاليات التي قام بها الإمام الحُسين عليه السلام.

مقدمة البحث

لم يسكت الإمام الحُسين عليه السلام بعد إبرام الصّلح مع معاوية، بل كان يتحرّك على وفق مسؤوليّته تجاه شريعة ربّه وأُمّة جدّه صلى الله عليه وآله بصفته وريث النبوّة – بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام – مراعياً ظروف الأمّة، ومراقباً مدى تدهورها، وساعياً للمحافظة على ثمرة جهود الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وصحابته الأبرار.

لقد عمل الإمام عليه السلام في فترة حكم معاوية على تحصين الأمّة ضدّ الانهيار التامّ وإعطائها من المقوّمات القدر الكافي، كي تتمكّن من البقاء صامدةً في مواجهة المحن التي تستولدها الجاهليّة الأمويّة.

ويمكن أنْ نلخّص مجمل نشاطه عليه السلام في هذه المُدّة في ما سنتطرق إليه في هذا البحث.

المطلب الأول: مواجهة معاوية وبيعة يزيد

أعلن الإمام الحُسين عليه السلام رفضه القاطع لبيعة يزيد بعدما قرّر معاوية أنْ يسافر إلى يثرب ليتولّى بنفسه إقناع المعارضين، وبعد أنْ اجتمع بالإمام عليه السلام وعبد الله بن عبّاس، أشاد بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأثنى عليه، وعرض بيعة ابنه ومنحه الألقاب الفخمة، ودعاهما إلى بيعته، فانبرى الإمام عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال عليه السلام:

«أمّا بعد، يا معاوية، فلن يؤدّي المادحُ وإنْ أطنبَ في صفة الرسول ﷺ، وقد فهمتُ ما لبستَ به الخَلَفَ بعد رسول الله ﷺ من إيجاز الصّفة، والتنكّب عن استبلاغ النّعت، وهيهات هيهات يا معاوية!! فضح الصّبحُ فحمةَ الدّجى، وبهرتْ الشّمس أنوارَ السّرج، ولقد فضّلتَ حتّى أفرطتَ، واستأثرتَ حتّى أجحفتَ، ومنعتَ حتّى بخلتَ، وجُرتَ حتّى تجاوزتَ، ما بذلتَ لذي حقٍّ من اسم حقّه من نصيب، حتّى أخذَ الشيطانُ حظّهُ الأوفرَ ونصيبَه الأكمل.

وفهمتُ ما ذكرتَه عن يزيد، من اكتماله، وسياسته لأمّة محمّد ﷺ، تريد أنْ توهم النّاس في يزيد، كأنّك تصفُ محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلمٍ خاصّ، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد في ما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبّق لأترابهنّ، والقيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجدْه ناصراً...»[1].

المطلب الثاني: محاولة جمع الكلمة والاستجابة لحركة الجماهير

وأخذت الوفود تترى على الإمام من جميع الأقطار الإسلاميّة، وهي تعجّ بالشكوى، وتستغيث به نتيجة الظلم والجور الذي حلّ بها، وتطلب منه القيام بإنقاذها من الاضطهاد، ونقلت العيون في يثرب إلى السّلطة المحلّية تجمّع النّاس واختلافهم على الإمام ﷺ، وكان الوالي مروان بن الحكم، ففزع من ذلك، وخاف إلى حدٍّ بعيد من عواقبه، فرفع مذكّرة إلى معاوية جاء فيها: «أمّا بعدُ، فقد كثر اختلاف النّاس إلى الحُسين، والله، إنّي لأرى لكم منه يوماً عصيباً»[2].

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٦٦.

(٢) المصدر السّابق: ٢٢٣.

المطلب الثالث: فضح جرائم معاوية

كتب الإمام عليه السلام إلى معاوية مذكّرةً خطيرةً كانت جواباً على رسالته، يحمّله فيها مسؤوليّات جميع ما وقع في البلاد، من سفك الدماء، وفقدان الأمن، وتعريض الأمّة للأزمات، وتعدّ من أروع الوثائق الرسميّة التي حفلت بذكر الأحداث التي صدرتْ من معاوية، وهذا نصّها:

«أمّا بعدُ، بلغني كتابك تذكر فيه أنّه انتهتْ إليك عنّي أمور أنت عنها راغب وأنا بغيرها عندك جدير، وإنّ الحسنات لا يَهدي لها ولا يُسدّد إليها إلاّ الله تعالى. أمّا ما ذكرت أنّه رقى إليك عنّي، فإنّه إنّما رقاه إليك الملاّقون، المشّاؤون بالنميمة، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون، ما أردتُ لك حرباً، ولا عليك خلافاً، وإنّي لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن الإعذار فيه إليك وإلى أوليائك القاسطين حزب الظلمة.

ألستَ القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين، الذين كانوا يُنكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم؟ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، جُرأةً على الله، واستخفافاً بعهده.

أولستَ قاتل عمرو بن الحمق الخزاعيّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونهُ؟ فقتلته بعد ما أمّنته وأعطيته ما لو فهمته العُصْم لنزلت من رؤوس الجبال.

أولستَ بمدّعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمتَ أنّه ابن أبيك؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فتركتَ سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمّداً، وتبعتَ هواك بغير هدىً من الله، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويسملُ أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لستَ من هذه الأمّة وليسوا منك؟

أولستَ قاتل الحضرميّ الذي كتب فيه إليك زياد أنّه على دين عليّ كرّم الله وجهه، فكتبتَ إليه: أنْ اقتل كلّ مَن كان على دين عليّ؟ فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودينُ عليّ هو دين ابن عمّه ﷺ، الذي أجلسك مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك، لكان شرفك وشرف آبائك الرحلتين: رحلة الشتاء ورحلة الصيف»(١).

ولا توجد وثيقة سياسيّة في ذلك العهد عرضت لعبث السّلطة وسجّلت الجرائم التي ارتكبها معاوية غير هذه الوثيقة، وهي صرخة في وجه الظلم والاستبداد.

المطلب الرابع: تذكير الأمّة بمسؤوليتها

عقد الإمام عليه السلام مؤتمراً سياسيّاً عامّاً دعا فيه جمهوراً غفيراً ممّن شهد موسم الحجّ من المهاجرين والأنصار والتابعين وغيرهم من سائر المسلمين، فانبرى عليه السلام خطيباً فيهم، وتحدّث بما ألمّ بعترة النبيّ ﷺ وشيعتهم من المحن والإحن، التي صبّها عليهم معاوية، وما اتّخذه من الإجراءات المشدّدة في إخفاء فضائلهم، وستر ما أُثر عن الرسول ﷺ في حقّهم، وألزم الحاضرين بإذاعة ذلك بين المسلمين.

وفي ما يلي ما رواه سليم بن قيس عن هذا المؤتمر، ونصّ خطاب الإمام عليه السلام؛ إذْ قال: «ولمّا كان قبل موت معاوية بسنة، حجّ الحُسين بن عليّ وعبد الله بن عبّاس وعبد الله بن جعفر، فجمع الحُسين بني هاشم ونساءهم ومواليهم ومَن حجّ من الأنصار ممّن يعرفهم الحُسين وأهل بيته، ثمّ أرسل رسلاً، وقال لهم: لا تدعوا أحداً حجّ العام من أصحاب رسول الله ﷺ المعروفين بالصّلاح والنسك إلاّ أجْمعوهُم لي، فاجتمع إليه بمنى أكثر من سبعمائة رجل، وهم في سرادق، وعامّتهم من التابعين، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ ﷺ، فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ هذا الطاغية -يعني معاوية- قد فعل بنا وبشيعتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم، وإنّي أُريد أنْ أسألكم عن شيء،

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٢٧، وناسخ التواريخ: ١/ ١٩٥.

فإنْ صدقت، فصدّقوني، وإنْ كذبتُ، فكذّبوني، اسمعوا مقالتي، واكتموا قولي، ثمّ ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم، منْ آمنتموه ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أنْ يندرس هذا الحقّ ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

قال الراوي: فما ترك الحُسين شيئاً ممّا أنزل الله فيهم إلاّ تلاه وفسّره، ولا شيئاً ممّا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في أبيه وأخيه وأُمّه وفي نفسه وأهل بيته إلاّ رواه، وفي كلّ ذلك يقول أصحابه: اللّهمّ نعم قد سمعنا وشهدنا، وممّا ناشدهم به عليه السلام أنْ قال:

أُنشدكم الله، أتعلمونَ أنَّ عليّ بن أبي طالب كان أخا رسول الله حين آخى بين أصحابه فآخى بينه وبين نفسه، وقال: أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة؟

قالوا: اللّهم نعم.

قال: أُنشدكم هل تعلمون أنّ رسول الله اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه، ثمّ ابتنى فيه عشرة منازل، تسعة له، وجعل عاشرها في وسطها لأبي، ثمّ سدّ كلّ باب شارع إلى المسجد غير بابه؟ فتكلّم في ذلك مَن تكلّم، فقال: ما أنا سددتُ أبوابكم وفتحتُ بابه، ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه، ثمّ نهى النّاس أنْ يناموا في المسجد غيره، وكان يُجنب في المسجد، ومنزله في منزل رسول الله، فولد لرسول الله وله فيه أولاد؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أفتعلمون أنّ عمر بن الخطاب حرص على كوّة قدْر عينه يدعها في منزله إلى المسجد فأبى عليه، ثمّ خطب، فقال: إنّ الله أمرني أنْ ابنيَ مسجداً طاهراً لا يسكنه غيري وغير أخي وبنيه؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أُنشدكم الله، أتعلمون أنّ رسول الله قال في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ حين دعا النصارى من أهل نجران إلى المباهلة لم يأت إلاّ به وبصاحبته وابنيه؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله دفع إليه اللّواء يوم خيبر، ثمّ قال: لأدفعه إلى رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كرّار غير فرّار، يفتحها الله على يديه؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ بعثه ببراءة وقال: لايبلّغ عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله لم تنزلْ به شدّة قطّ إلاّ قدّمه لها ثقةً به وأنّه لم يدعه باسمه قطّ، إلاّ يقول يا أخي؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّ رسول الله قضى بينه وبين جعفر وزيد، فقال: يا عليّ، أنت منّي وأنا منك، وأنت وليّ كلّ مؤمن بعدي؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

قال: أتعلمون أنّه كانت له من رسول الله ﷺ كلّ يوم خلوة، وكلّ ليلة دخلة، إذا سأله أعطاه، وإذا سكت أبداه؟

قالوا: اللّهمّ نعم.

فلم يدع عليه السلام شيئاً أنزله الله في عليّ بن أبي طالب خاصّة وفي أهل بيته من القرآن ولا على لسان نبيّه إلاّ ناشدهم فيه، فيقول الصحابة: اللّهمّ نعم قد سمعناه، ويقول التّابع: اللّهمّ قد حدّثنيه مَن أثق به: فلان وفلان.

ثمّ ناشدهم أنّهم قد سمعوه يقول: مَن زعم أنّه يحبّني ويبغض عليّاً فقد كذب، ليس يحبّني ويبغض عليّاً، فقال له قائل: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: لأنّه منّي وأنا منه، مَن أحبّه فقد أحبّني، ومَن أحبّني فقد أحبّ الله، ومَن أبغضه فقد أبغضني، ومَن أبغضني فقد أبغض الله، فقالوا: اللّهمّ نعم، قد سمعناه، وتفرّقوا على ذلك»[1].

وكان هذا المؤتمر يتضمّن الإعداد لوضع مستقبليّ كان قد خطّط له الإمام الحُسين عليه السلام، كما سنرى ذلك في البحوث التالية بعونه تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ١٨٣.

خلاصة البحث

كان للإمام الحُسين عليه السلام بعد استشهاد أخيه الحسن السّبط عليه السلام نشاط سياسيّ واضح تجاه معاوية، فهو لم ينقض بنود الصّلح التي أمضاها أخوه الحسن عليه السلام مع معاوية كما نقضها معاوية، ولكنّه بدأ يتحرّك باتجاه إعداد وتجنيد الطاقات المستعدّة للمعارضة، وابتدأ بمواجهة معاوية بكلّ جرأة وصراحة لأخذه البيعة اللاّ مشروعة ليزيد وليّاً للعهد بعده.

حاول الإمام الحُسين عليه السلام أنْ يجمع كلمة الأمّة ويوحّدها باتجاه واحد، وكان مراقباً لكلّ تصرفات معاوية، وفاضحاً لجرائمه باستمرار، ولم يزل يستفيد من كلّ الفرص الممكنة للاستعداد للمرحلة المقبلة من المواجهة.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن مواجهة الإمام الحُسين عليه السلام لمعاوية وبيعة يزيد.
٢. كيف حاول الإمام الحُسين عليه السلام جمع كلمة الأمّة للوقوف في وجه معاوية ومخطّطاته؟
٣. ما هي نشاطات الإمام الحُسين عليه السلام في مجال فضح جرائم معاوية؟
٤. تكلّم عن نشاط الإمام الحُسين عليه السلام في مجال تذكير الأمّة بمسؤوليّتها في الوقوف أمام الظلم.
٥. ما هي أهمّيّة الخطوات والفعاليات التي قام بها الإمام الحُسين عليه السلام في وجه مخطّطات معاوية؟

البحث رقم (١١)

هجرة الإمام الحُسين عليه السلام إلى مكّة المكرّمة

أهداف البحث

١. وصف محاولة أخذ البيعة ليزيد من الإمام الحُسين عليه السلام في المدينة.

٢. بيان دخول الإمام الحُسين عليه السلام مكّة المكرّمة ونشاطاته فيها.

٣. وصف دعوة أهل الكوفة للإمام عليه السلام والإعلان عن الاستعداد للبيعة.

٤. توضيح إرسال الإمام عليه السلام رسوله مسلم بن عقيل إلى الكوفة للتأكّد من موقفهم.

٥. التعريف بموقف يزيد من أخبار الكوفة.

٦. بيان كتاب الإمام الحُسين عليه السلام إلى أهل البصرة وموقفهم منه.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق بعض الخطوط العامّة لتاريخ الإمام الحُسين عليه السلام؛ إذْ تكلّمنا في منهجه بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، ونشاطاته في فضح معاوية والتصدّي له في ما رامه من البيعة ليزيد، فضلاً عن محاولات الإمام عليه السلام في جمع كلمة الأمّة وتوحيد صفوفها مقابل الطغيان.

ونواصل في هذا البحث الكلام في حياته عليه السلام؛ إذْ نتناول بالبحث خطواته التالية على ما تقدّم، فنتكلّم عن هجرته عليه السلام الى مكّة المكرّمة والخطوات التي اتخذها هناك لتهيئة الظروف المناسبة لثورته المباركة.

المطلب الأول: محاولة أخذ البيعة ليزيد من الإمام الحُسين عليه السلام

لمّا استشهد الإمام الحسن عليه السلام، تحرّكت الشيعة بالعراق، وكتبوا إلى الحُسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم، وذكر أنّ بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتّى تمضي المدّة، فإذا مات معاوية، نظر في ذلك.

فلمّا مات معاوية منتصف رجب سنة ستّين من الهجرة [١]، وتخلّف بعده ولده يزيد، كتب يزيد إلى ابن عمّه الوليد بن عتبة والي المدينة، مع مولىً لمعاوية يقال له ابن أبي زريق، يأمره بأخذ البيعة على أهلها، وخاصّة على الحُسين ﷺ، ولا يرخّص له في التأخّر عن ذلك، ويقول: إنْ أبى عليك، فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه[٢].

وكان معاوية قبل وفاته قد حذّر يزيد من أربعة: الحُسين بن علي، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، ولا سيّما من الحُسين وابن الزبير[٣].

أمّا ابن الزبير، فهرب إلى مكّة، وأرسل الوليد خلفه واحداً وثمانين راكباً، فلم يُدركوه، وكان ابن عمر بمكّة.

وأمّا الحُسين ﷺ، فأحضر الوليدُ مروانَ بنَ الحكم، واستشاره في أمره، فقال: إنّه لا يقبل، ولو كنتُ مكانك، لضربتُ عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أكُ شيئاً مذكوراً[٤].

ثمّ بعث إلى الحُسين ﷺ في اللّيل، فاستدعاه، فعرف الحُسين ﷺ الذي أراد، فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه، وكانوا ثلاثينَ رجلاً، وأمرهم بحمل السّلاح، وقال لهم: إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولستُ آمنُ أنْ يكلّفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلتُ، فاجلسوا على الباب، فإنْ سمعتُم صوتي قد علا، فادخلوا عليه لتمنعوه عنّي[٥].

فصار الحُسين ﷺ إلى الوليد، فوجد عنده مروان بن الحكم، فنعى الوليد

(١) يُنظر: الطبقات الكبرى: ٤٤٢/١، وأنساب الأشراف: ٣٦٨/٣، وتهذيب الكمال: ٤١٤/٦.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٣٨/٥، والفتوح (ابن أعثم): ٨٨٢، وتاريخ اليعقوبيّ: ١٧٧/٢، والمناقب لابن شهرآشوب: ٨٨/٤ ، وبحار الأنوار: ٣٢٥/٤٤.

(٣) يُنظر: تجارب الأمم، ابن مسكويه: ٣٩/٢.

(٤) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٧، ومثير الأحزان: ٢٣ نحوه، وبحار الأنوار: ٣٢٤/٤٤.

(٥) يُنظر: الإرشاد: ٢/ ٣٢، وروضة الواعظين: ١٨٩، وإعلام الورى: ٤٣٤/١.

معاوية، فاسترجع الحُسين عليه السلام، ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد، وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له، فلم يُرِد الحُسين عليه السلام أنْ يصارحه بالامتناع من البيعة، وأراد التخلّص منه بوجه سلْميٍّ، فورّى عن مراده، وقال عليه السلام: «إنّي أراك لا تقنع ببيعتي سرّاً حتّى أُبايعه جهراً، فيعرف ذلك النّاس»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحُسين عليه السلام «تصبح وترى رأيك في ذلك»، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتّى تأتينا مع جماعة النّاس[١].

فقال له مروان: والله، لئن فارقك الحُسين السّاعة ولم يبايع، لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتّى تكثر القتلى بينكم وبينه، ولكن، احبس الرجل، فلا يخرج من عندك حتّى يبايع أو تضرب عنقه[٢].

فلمّا سمع الحُسين عليه السلام هذه المجابهة القاسية من مروان (الوزغ ابن الوزغ)، صارحهما حينئذ بالامتناع من البيعة، وأنّه لا يمكن أنْ يبايع ليزيد أبداً، فوثب الحُسين عليه السلام عند ذلك، وقال عليه السلام لمروان: «ويلي عليك يا ابن الزرقاء! أنتَ تأمر بضرب عنقي؟! كذبتَ والله ولؤمتَ»[٣].

ثمّ أقبل على الوليد، فقال عليه السلام: «أيّها الأمير، إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن، نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»[٤]، ثمّ خرج يتهادى بين مواليه.

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٨.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٣٩/٥، الكامل في التاريخ: ٥٣٠/٢، تذكرة الخواصّ: ٢٣٦ نحوه، البداية والنهاية: ١٤٧/٨.

(٣) القصص:٢١.

(٤) الفتوح: ٥/ ١٣، مقتل الحُسين عليه السلام للخوارزميّ: ١/ ١٨٣.

المطلب الثاني: دخول الإمام الحُسين عليه السلام مكّة المكرّمة

خرج الإمام الحُسين عليه السلام ليلة الأحد ليومين بقين من رجب متوجّهاً إلى مكّة[١] وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّني منَ الْقَوْمِ الظَّالمينَ﴾[٢]، وكان دخوله عليه السلام إلى مكّة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، ودخلها وهو يقرأ: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْديَني سَوَاءَ السَّبيلَ﴾[٣].

فأقام بمكّة باقي شعبان وشهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة وثماني ليال من ذي الحجّة.

وأقبل أهل مكّة ومَن كان بها من المعتمرينَ وأهل الآفاق يختلفون إليه، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها عامّة النهار، ويطوف ويأتي الحُسين عليه السلام في مَن يأتيه اليومين المتواليين، وبين كلّ يوم مرّة، ولا يزال يُشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير؛ لأنّه قد علم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحُسين عليه السلام باقياً في البلد، وأنّ الحُسين عليه السلام أطوع في النّاس منه وأجلّ[٤].

المطلب الثالث: دعوة أهل الكوفة والإعلان عن الاستعداد للبيعة

ولمّا بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحُسين عليه السلام من البيعة، أرجفوا

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ٢/ ٣٤، وروضة الواعظين: ١٨٩، وإعلام الورى: ١/ ٤٣٥.

(٢) يُنظر: القصص: ٢١، وتاريخ الطبريّ: ٤٣٤/٥، والكامل في التاريخ: ٥٣١/٢، وتذكرة الخواصّ: ٢٣٧ نحوه.

(٣) القصص: ٢٢.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥١/٥، والكامل فيالتاريخ: ٥٣٣/٢، والإرشاد: ٣٥/٢، وإعلام الورى: ٤٣٥/١ نحوه، وبحارالأنوار: ٣٣٢/٤٤.

بيزيد، وعُقد اجتماع في منزل سليمان بن صرد الخزاعيّ، فلمّا تكاملوا، قام سليمان فيهم خطيباً، وقال في آخر خطبته: إنّكم قد علمتُم بأنّ معاوية قد هلك وصار إلى ربّه، وقدم على عمله، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد، وهذا الحُسين بن عليّ قد خالفه، وصار إلى مكّة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإنْ كنتُم تعلمونَ أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه، فاكتبوا إليه، وإنْ خفتُم الوهن والفشل، فلاتغرّوا الرجل من نفسه. قالوا: بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه.

فأرسلوا وفداً من قبلهم وعليهم أبو عبد الله الجدلي، وكتبوا إليه معهم: «بسم الله الرّحمن الرّحيم. للحسين بن عليّ، من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد البجليّ، وحبيب بن مظاهر، وعبد الله بن وال، وشيعته من المؤمنين والمسلمين، سلام عليك. أمّا بعد، فالحمدُ لله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبل، الجبّار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي انتزى على هذه الأمّة فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضاً منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دُولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود. وإنّه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك أقبلتَ، أخرجناه حتّى يلحق بالشام إنْ شاء الله تعالى، والسّلام عليك ورحمة الله يا ابن رسول الله، وعلى أبيك من قبلك، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم»(١).

ثمّ لبثوا يومين، وأنفذوا قيس بن مسهّر الصّيداويّ، وعبد الرحمن بن عبد الله ابن شدّاد الأرحبيّ، وعمارة بن عبد الله السّلوليّ إلى الحُسين عليه السلام، ومعهم نحو مائة وخمسين صفحة من الرجل والاثنين والأربعة، وهو مع ذلك يتأنّى ولا

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٢/٥، والكامل في التاريخ: ٥٣٣/٢، والإرشاد: ٣٦/٢، ومثير الأحزان: ٢٥، والمناقب لابن شهرآشوب: ٨٩/٤.

يُجيبهم، فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترتْ الكتب حتّى اجتمع عنده اثنا عشر ألف كتاب، ثمّ لبثوا يومين آخرين، وسرّحوا إليه هاني بن هاني السّبيعيّ وسعيد بن عبد الله الحنفيّ، وكانا آخر الرسل، وكتبوا إليه: «بسم الله الرّحمن الرّحيم. للحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فحيّهلا، فإنّ النّاس ينتظرونك، لا رأي لهم غيرك، فالعجلَ العجلَ، ثمّ العجلَ العجلَ. والسّلام»[1].

المطلب الرابع: رسول الحُسين ﷺ إلى الكوفة

ثمّ كتب الإمام الحُسين ﷺ مع هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله : «بسم الله الرّحمن الرّحيم. من الحُسين بن عليّ إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليَّ بكتبكم، وكانا آخر مَن قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم أنّه ليس علينا إمام، فأقبِل لعلّ الله يجمعنا بكَ على الحقّ والهدى. وأنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي: مسلم بن عقيل، فإنْ كتبَ إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمتْ به رسلُكم وقرأتُ في كتبكم، فإنّي أقدم إليكم وشيكاً إنْ شاء الله تعالى، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدّائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذلك لله. والسّلام»[2].

ودعا الحُسين ﷺ ابن عمّه مسلم بن عقيل، وقيل: إنّه كتب معه جواب كتبهم، فسرّحه مع قيس بن مسهّر الصّيداويّ ورجلين آخرين، وأمره بالتقوى وكتمان أمره واللّطف، فإنْ رأى النّاس مجتمعين مستوسقين، عجّل إليه بذلك[3]، فأقبل مسلم

---

(١) يُنظر: المصادر السّابقة.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٣/٥، الكامل في التاريخ: ٥٣٤/٢ نحوه، الإرشاد: ٣٩/٢.

(٣) يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٩٩.

(رحمه الله) حتّى أتى المدينة، واستأجر دليلين من قيس، فأقبلا به يتنكّبان الطريق، وأصابهما عطش شديد، فعجزا عن السّير، فاومآ له إلى سنن الطريق، ومات الدليلان عطشاً.

ثمّ أقبل حتّى دخل الكوفة، فنزل دار المختار، وأقبلتْ النّاس تختلف إليه، فكلّما اجتمع إليه جماعة، قرأ عليهم كتاب الحُسين عليه السلام وهم يبكون، وبايعه النّاس، حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الحُسين عليه السلام : أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا. والسّلام»[(١)].

وجعل النّاس يختلفون إليه، حتّى عُلم بمكانه، فبلغ النعمان بن بشير ذلك، وكان والياً على الكوفة، فصعد المنبر، وخطب النّاس وحذّرهم الفتنة، فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرميّ، حليف بني أُميّة، فقال له: إنّه لا يصلح ما ترى إلاّ الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين، فقال له النعمان: أنْ أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبُّ إليّ من أنْ أكون من الأعزّين في معصية الله، ثمّ نزل[(٢)].

المطلب الخامس: موقف يزيد من أخبار الكوفة

كتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة ومبايعة النّاس له، ويقول: إنْ كان لك في الكوفة حاجة، فابعث إليها رجلاً قويّاً، ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضعّف[(٣)].

وكتب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة وعمر بن سعد بنحو ذلك، فدعا يزيد

---

(١) يُنظر: أنساب الأشراف: ١٧٤/٢، وتاريخ الطبريّ: ٥٩٨/٤.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٥/٥، والكامل في التاريخ: ٥٣٥/٢، والإرشاد: ٤١/٢، وفيه «عبد اللَّه ابن مسلم بن ربيعة الحضرمي».

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٦/٥، والكامل في التاريخ: ٥٣٥/٢، والإرشاد: ٤٢/٢.

سرجون الروميّ مولى معاوية (وكان سرجون مستولياً على معاوية في حياته، وهو من النصارى)، واستشاره في مَن يولّي على الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله ابن زياد، وهو يومئذ وال على البصرة، وكان معاوية قد كتب لابن زياد عهداً بولاية الكوفة، ومات قبل إنفاذه، فقال سرجون ليزيد: لو نُشر لك معاوية، ما كنتَ آخذاً برأيه؟ قال: بلى، قال: هذا عهده لعبيد الله على الكوفة(١).

فضمّ يزيد البصرة والكوفة إلى عبيد الله، وكتب إليه بعهده، وسيّره مع مسلم بن عمرو الباهليّ، وكتب إلى عبيد الله معه: أمّا بعد، فإنّه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشقّ عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتّى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة، حتّى تثقفه فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه، والسّلام.

فخرج مسلم بن عمرو حتّى قدم على عبيد الله بالبصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز من وقته، والتهيّؤ والمسير إلى الكوفة من الغد(٢).

المطلب السادس: كتاب الحُسين عليه السلام إلى أهل البصرة

وكتب الحُسين عليه السلام إلى رؤساء الأخماس بالبصرة وإلى أشرافها مع ذراع السّدوسيّ، ومع مولى للحُسين عليه السلام اسمه سليمان، ويكنّى أبا رزين، فكتب إلى مالك ابن مسمع البكريّ، والأحنف بن قيس، ويزيد بن مسعود النهشليّ، والمنذر بن الجارود العبديّ، ومسعود بن عمر الأزديّ بنسخة واحدة:

«أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمّداً صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثمّ قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أرسل به، وكنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ النّاس بمقامه في النّاس، فاستأثر علينا قومنا بذلك،

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٤٨/٥، وتهذيب الكمال: ٤٢٣/٦، تهذيب التهذيب: ٥/١.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٧/٥، والإرشاد: ٤٢/٢، روضة الواعظين: ١٩٢.

فأغضينا؛ كراهية للفرقة، ومحبّة للعافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولاه، وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه، فإنّ السنّة قد أُميتتْ، وإنّ البدعة قد أُحييتْ، فإنْ تُجيبوا دعوتي وتُطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد»[1].

موقف زعماء البصرة من دعوة الإمام الحُسين عليه السلام

فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا، قال: يا بني تميم، كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ، أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدّمت فيه فرطاً، قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أُريد أنْ أُشاوركم فيه وأستعين بكم عليه، فقالوا: إذاً واللهِ نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل نسمع.

فقال: إنّ معاوية قد مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعتْ أركانُ الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنْ قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدّعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضىً منهم، مع قصَر حلم، وقلّة علم، لا يعرف من الحقّ موطىء قدمه، فأُقسم بالله قسماً مبروراً لجهادُه على الدّين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحُسين بن عليّ، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضلٌ لا يوصف، وعلمٌ لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصّغير، ويحنو على الكبير، فأكرِم به راعي رعيّة، وإمام قوم، وجبت لله به الحجّة، وبلغتْ به الموعظة، وقد كان صخر بن قيس (وهو الأحنف) انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله ونصرته، والله، لا يقصّر أحدٌ عن نصرته إلاّ أورثه الله تعالى الذلّ في ولده، والقلّة في عشيرته، وها أنا ذا قد

---

(١) مثير الأحزان: ٢٧، وبحار الأنوار: ٣٣٩/٤٤.

لبستُ للحرب لامتها، وادّرعتُ لها بدرعها، مَن لم يُقتلْ، يمُتْ، ومَن يَهرُبْ، لم يَفُتْ، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: أبا خالد، نحن نبلُ كنانتك، وفرسانُ عشيرتك، إنْ رميتَ بنا، أصبتَ، وإنْ غزوتَ بنا، فتحتَ، لا تخوض والله غمرة إلاّ خضناها، ولا تلقى والله شدّة إلاّ لقيناها، ننصرك والله بأيدينا، ونفديك بدمائنا إذا شئتَ، فافعل.

وتكلّمت بنو سعد بن يزيد، فقالوا: أبا خالد، إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافُك، والخروجُ عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس (الأحنف) أمرنا بترك القتال يوم الجمل، فحمدنا رأيه، فأمهلنا نراجع الرأي، فنأتيك برأينا... .

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، وأعربوا عن استجابتهم لأمره[1].

ثمَّ كتب إلى الحُسين عليه السلام جوابه، مبدياً فيه استعداده للنصرة، وقرأ الحُسين كتابه، ودعا له بالأمن يوم الخوف، والإرواء يوم العطش الأكبر، ولكن، لمّا تجهّز للخروج لنصرة سيّده الحُسين عليه السلام، بلغه قتله، فجزع من انقطاعه عنه.

وأمّا الأحنف بن قيس، فقد كتب للحسين عليه السلام: أمّا بعد، فاصبِرْ إنّ وعدَ الله حقّ، ولا يستخفنّكَ الذينَ لا يُوقنونَ.

وأمّا المنذر بن الجارود، فإنّه جاء بالكتاب والرسول إلى عبيد الله بن زياد في عشيّة اللّيلة التي يريد ابن زياد أنْ يذهب في صبيحتها إلى الكوفة، فأخذ عبيد الله الرسول فصلبه، ثمّ خطب النّاس، وتوعّدهم على الخلاف، وخرج من البصرة، واستخلف أخاه عثمان عليها[2].

---

(١) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٢ـ ١١٣ ومثير الأحزان: ٢٧ نحوه، وبحار الأنوار: ٣٣٧/٤٤.

(٢) يُنظر: أعيان الشيعة: ١: ١٠ ، ومثير الأحزان: ٢٧، وبحار الأنوار: ٣٣٩/٤٤.

خلاصة البحث

أمر يزيدُ واليَ المدينة بأنْ يأخذ البيعة له من الحُسين ﷺ، وامتنع الحُسين معلناً أنّ مثله لا يبايع مثل يزيد، وهنا، قرّر الهجرة من المدينة إلى مكّة، فدخلها في الرابع من شعبان سنة (٦٠) هجريّة.

وبدأت دعواتُ الكوفيّين تترى عليه، وتطلب منه التوجّه إلى العراق ليقاتلوا معه الحزب الأمويّ الحاكم، فوجّه ﷺ رسوله مسلم بن عقيل ليستخبر الوضع له، بينما تدارك يزيد وضع الكوفة بإرسال عبيد الله بن زياد إليها.

وأما أهل البصرة الذين أرسل لهم الإمام الحُسين ﷺ كتاباً يستنهضهم به إلى مواجهة يزيد، فقد كان رأي أغلبهم النهوض معه والجهاد بين يديه.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن محاولة أخذ البيعة ليزيد من الإمام الحُسين ﷺ في المدينة.
٢. ما هي النشاطات التي قام بها الإمام الحُسين ﷺ في مكّة المكرّمة؟
٣. تكلّم عن دعوة أهل الكوفة للإمام الحُسين ﷺ، وعن إعلانهم الاستعداد للبيعة.
٤. ما هي المهمّة التي أوكلها الإمام الحُسين ﷺ لمسلم بن عقيل حين أرسله إلى الكوفة؟
٥. صفْ موقف أهل البصرة من كتاب الحُسين ﷺ.

البحث رقم (١٢)

رسول الحُسين عليه السلام مسلم، وما جرى عليه في الكوفة

أهداف البحث

١. وصف تدارك ابن زياد الوضعَ في الكوفة.
٢. إدراك أخلاق ابن زياد في طريقة كشفه عن مخبأ مسلم وأصحابه.
٣. بيان اعتقال ابن زياد هانياً.
٤. توضيح خروج مسلم في الكوفة وخذلان أهلها له.
٥. إدراك هيبة مسلم وعدم خوفه من ابن زياد واستشهاده.

مقدمة البحث

تقدّم إرسال الكوفة برجالها بالكتب الى الإمام الحُسين عليه السلام يُعلنون استعدادهم جميعهم لمبايعته عليه السلام وجهاد أعدائه، ولمّا كثرتْ الكتب والرسائل إليه عليه السلام وهو في المدينة، عزم على إرسال مسلم رسولاً إلى الكوفة، فإذا أبلغه بأنّ الأمور كما يقولون، خرج إليهم إلى الكوفة للجهاد.

وتقدّم مبايعة الكثيرينَ من أهل الكوفة لمسلم بعد أنْ وصلها، فأرسل إلى ابن عمّه بما جرى، وأنّ الأمور كما قالوا.

وأمّا في هذا البحث، فستتابع ردّ فعل يزيد على هذا الوضع، فقد أرسل إليها ابن زياد بعد أنْ كان والياً على البصرة، وما جرى من ردّة أهل الكوفة على أعقابهم، واستشهاد مسلم سلام الله عليه.

المطلب الأول: ابن زياد يتدارك الوضع في الكوفة

وأقبل ابن زياد إلى الكوفة، فلمّا أشرف عليها، نزل حتّى أمسى، ودخلها ليلاً ممّا يلي النجف، وعليه عمامة سوداء، وهو متلثّم، فدخلها من جهة البادية في زيّ أهل الحجاز ليُوهم أنّه الحُسين عليه السلام، والنّاس كانوا قد بلغهم إقبال الحُسين عليه السلام فهم ينتظرونه، فظنّوا أنّه الحُسين عليه السلام، فقالت امرأة: الله أكبر، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فتصايح النّاس، وقالوا: إنّا معك أكثر من أربعين ألفاً، وأخذ لا يمرّ على جماعة من

النّاس إلّا سلّموا عليه، وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشرهم بالحُسين عليه السلام ما ساءه، وازدحموا عليه حتّى أخذوا بذنب دابّته، وكشف لهم عبد الله بن مسلم الباهليّ عن هويّته، قائلاً: تأخّروا، هذا الأمير عبيد الله بن زياد، وحسر اللّثام عن وجهه، وقال: أنا عبيد الله، فتساقط القوم، ووطئَ بعضُهم بعضاً، وسار حتّى وافى القصر باللّيل.

وأصبح ابن زياد، فخطب، وتوعّد النّاس بالعقوبة للعاصي، والإحسان للمطيع(١).

المطلب الثاني: مسلم يأبى اغتيال ابن زياد

ولمّا سمع مسلم بن عقيل خبر مجيء عبيد الله وتَوَعُّده النّاس، خرج من دار المختار إلى دار هاني بن عروة في جوف اللّيل، وأخذ أنصاره يختلفون إليه على تستّر(٢)، وألحّ عبيد الله في طلبه، وجاء عبيد الله لعيادة شريك بن الحارث الهمدانيّ في دار هاني، وأمر شريك مسلم بن عقيل بأنْ يقتل عبيد الله إذا جلس عنده(٣).

المطلب الثالث: ابن زياد يكتشف مخبأ مسلم وأصحابه

ولمّا خفي على ابن زياد أمر مسلم، عمد إلى التجسّس، فدعا غلامه معقل، ودفع إليه أربعة آلاف درهم، وأمره بحسن التوصل إلى أصحاب مسلم، وأنْ يدفع إليهم المال ليستعينوا به، ويُظهر لهم أنّه منهم من أهل حمص، فجاء إلى مسلم بن عوسجة، فاغترّ بكلامه، وأدخله على مسلم بن عقيل، فأخبر ابن زياد بكلّ ما أراد(٤).

وبلغ الذين بايعوا مسلماً خمسةً وعشرين ألف رجل، فعزم على الخروج، فقال هانئ: لا تعجل، وخاف هانئ عبيدَ الله على نفسه، فانقطع عن مجلسه، وتمارض.

فدعا ابن زياد محمّد بن الأشعث، وحسّان بن أسماء بن خارجة، وعمرو بن

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٩/٥، والإرشاد: ٤٣/٢، والبداية والنهاية: ١٥٣/٨.

(٢) يُنظر: الإرشاد: ٤٥/٢، وإعلام الورى: ٤٣٨/١، وبحار الأنوار: ٣٤١/٤٤.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٦٠/٥.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٦٢/٥، والكامل في التاريخ: ٥٣٧/٢، ومقاتل الطالبيّين: ١٠٠.

الحجّاج الزبيديّ، وكان هانئ متزوّجاً رويحة بنت عمرو هذا، فقال لهم: ما يمنع هانياً من زيارتنا؟ قالوا: إنّه مريض، قال: بلغني أنّه بريء، وأنّه يجلس على باب داره، فالقوه، ومُروه أنْ لا يدع ما عليه من حقّنا، فإنّي لا أحبّ أنْ يفسد عندي مثله من أشراف العرب، فأتوه، وقالوا: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فإنّه قد ذكرك، قال: المرض، قالوا: بلغه أنّك برئتَ، وأقسموا عليه أنْ يذهب معهم، فذهب، ولم يكن حسّان يعلم بشيء ممّا كان، وكان محمّد بن الأشعث عالماً به[١].

المطلب الرابع: ابن زياد يعتقل هانياً

فلمّا دخل هانئ على ابن زياد، قال: إيه يا هانئ، ما هذه الأمور التي تربّص في دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين؟ جئتَ بمسلم بن عقيل، فأدخلتَه دارك، وجمعتَ له الجموع والسّلاح في الدور حولك، وظننتَ أنّ ذلك يخفى عليّ؟ فأنكر هانئ أنْ يكون قد فعل، فدعا ابن زياد معقلاً.

فعلم هانئ أنّه كان عيناً عليهم، فسقط في يده ساعة، ثمّ راجعته نفسه، وجعل يعتذر إلى ابن زياد بأنّه ما دعا مسلماً إلى منزله، وإنّما جاءه يسأله النزول فاستحيا من ردّه، وداخله من ذلك ذمام، وأنّه يذهب الآن فيخرجه، فقال ابن زياد: والله، لا تفارقني حتّى تأتيني به، فقال: لا والله لا أجيئك به، أجيئك بضيفي تقتله؟!

وخلا به مسلم بن عمرو الباهليّ ليقنعه بأنْ يأتيَ به، فأبى، فقال ابن زياد: والله لتأتينّي به أو لأضربنّ عنقك، قال: إذاً تكثر البارقة حول دارك، فقال: والهفاه عليك! أبالبارقة تخوّفني؟ وهانئ يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه، ثمّ قال: أدنوه منّي، فاستعرض وجهه بالقضيب، حتّى كسر أنفه، وشقّ حاجبه، ونثر لحم جبينه وخدّه على لحيته، وسالتْ الدماء على ثيابه ووجهه ولحيته، وكُسر القضيب.

وضرب هانئ يده على قائم سيف شرطيٍّ، وجاذبه الشّرطيّ ومنعه، فقال عبيد

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٦٤/٥، والكامل في التاريخ: ٢/ ٥٣٨، والإرشاد: ٤٦/٢.

الله: أحروريّ سائر اليوم؟ قد حلّ دمك، جُرّوه، فجرّوه، فألقوه في بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، وجعلوا عليه حَرَساً.

فقام إليه حسّان بن خارجة، فقال: أ رُسُل غَدر سائر اليوم؟! أمرتنا أنْ نجيئك بالرجل، حتّى إذا جئناك به، فعلتَ به هذا، فقال عبيد الله: وإنّك لهاهنا، فأمر به، فضُرب وتُعتع وأُجلس ناحية.

وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانياً قد قتل، فأقبل في مذحج حتّى أحاط بالقصر، فقال ابن زياد لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ أعلمهم أنّه حيّ، ففعل، فقالوا: أمّا إذا لم يقتل، فالحمدُ لله، وانصرفوا[١].

المطلب الخامس: خروج مسلم في الكوفة

أرسل مسلم إلى القصر مَن يأتيه بخبر هانئ، فلمّا أُخبر أنّه ضُرب وحُبس، قال لمناديه: نادي: «يا منصورُ، أمت»، وكان ذلك شعارهم، فنادى، فاجتمع إليه أربعة آلاف كانوا في الدور حوله – وقال المسعوديّ: اجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل– فسار إلى ابن زياد، فما نزل ابن زياد حتّى دخلت النظارة المسجد، يقولون: جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه[٢].

وقدّم مسلم مقدّمته، وعبّأ أصحابه ميمنة وميسرة، ووقف هو في القلب، وأقبل نحو القصر، وتداعى النّاس واجتمعوا حتّى امتلأ المسجد والسّوق، وضاق بعبيد الله أمره، وبعث إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده، وليس معه إلاّ ثلاثون رجلاً من الشرطة، وعشرون رجلاً من أشراف النّاس، وخاصّته، وجعل مَن في القصر مع ابن زياد يُشرفون على أصحاب مسلم، وأصحاب مسلم يرمونهم بالحجارة، ويشتمونهم، ويفترون على عبيد الله وأُمّه وأبيه[٣].

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٦٤/٥، والأخبار الطوال: ٢٣٠، ومقاتل الطالبيّين: ١٠٢.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٦٨/٥، ومقاتل الطالبيّين: ١٠٣، والكامل في التاريخ: ٥٤٠/٢.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٦٩/٥، وروضة الواعظين: ١٩٣.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب، وأمره أنْ يخرج في مَن أطاعه من مذحج ويخذّل النّاس عن ابن عقيل ويخوّفهم، وأمر محمّد بن الأشعث أنْ يخرج في مَن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان، وأمر جماعة من الأشراف بمثل ذلك، وحبس باقي وجوه النّاس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة مَن معه.

وأقام النّاس مع ابن عقيل يكثرون حتّى المساء، وأمرهم شديد، وأمر ابن زياد مَن عنده من الأشراف أنْ يُشرفوا على النّاس، فيُمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، ويخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وجعل (كثير) يخذّل النّاس ويخوّفهم بأجناد الشام، فأخذوا يتفرّقون، وكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها، فتقول: انصرف، النّاس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه، ويقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب؟ حتّى أمسى ابن عقيل في خمسمائة[(١)].

فلما اختلط الظلام، جعلوا يتفرّقون، فصلّى المغرب وما معه إلاّ ثلاثون نفساً، فخرج من الباب فإذا ليس معه أحد[(٢)].

فمضى على وجهه متلدّداً في أزقّة الكوفة، حتّى أتى باب امرأة اسمها (طوعة)، ولها ولد اسمه بلال كان قد خرج مع النّاس، وأُمّه قائمة تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل، فردّت عليه السّلام، وطلب منها ماء، فسقته، وجلس، ودخلت، ثمّ خرجت، فقالت: يا عبد الله، ألم تشرب؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكتَ، ثمّ أعادت مثل ذلك، فسكتَ، فقالت: سبحان الله، يا عبد الله، قم – عافاك الله– إلى أهلك، فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أحلّه لك، فقام وقال: يا أَمَة الله، ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، ولعلّي مكافيك بعد اليوم؟ قالت: وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل، قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: أُدخل، فدخل إلى بيت في دارها غير الّذي تكون فيه، وفرشت له، وعرضت

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٥٠/٥، وتهذيب الكمال: ٤٢٦/٦، وتهذيب التهذيب: ٥٩١/١.

(٢) يُنظر: مقتل الحُسين للخوارزميّ: ٢٠٧/١، والفتوح: ٥٠/٥.

عليه العشاء، فلم يتعشّ، وجاء ابنها فرآها تُكثر الدخول في البيت والخروج منه، فاستراب بذلك، ولم يزل بها حتّى أخبرته[١].

وجعل ابن زياد لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع، فأمر أصحابه أنْ يشرفوا، فينظروا هل يرون أحداً؟ فلم يروا أحداً، فأخبروه بتفرّق القوم.

فخرج بأصحابه إلى المسجد، ونادى مناديه: برئت الذمّة من رجل من الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلّى العتمة إلاّ في المسجد، فامتلأ المسجد من النّاس.

فلمّا أصبح، جلس مجلسه، وأذّن للنّاس، فدخلوا عليه، وجاء ابن تلك المرأة، فأخبر عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بمكان مسلم من أُمّه[٢]، فبعث سبعين رجلاً، حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم، فلمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال، علم أنّه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، فأشرفوا عليه من فوق البيوت يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب ويلقونها عليه، فلمّا رأى ذلك، خرج عليهم مصلتاً سيفاً في السّكّة، فقاتلهم، حتى أُثخن بالجراح وبالحجارة، وعجز عن القتال، فأُخذ أسيراً، وانتزع محمّد بن الأشعث سيفه وسلاحه [٣].

المطلب السادس: مسلم يتحدّى كبرياء ابن زياد

ثمّ أُدخل مسلم على ابن زياد، فلم يسلّم عليه بالإمرة، فقال له الحرسي: سلّم على الأمير، فقال: أسكت، ويحك! والله ما هو لي بأمير، فقال ابن زياد: لا عليك، سلّمت أم لم تسلّم فإنّك مقتول، قال: إنْ قتلتني، فلقد قتل مَن هو شرّ منك مَن هو خيرٌ منّي.

قال: قتلني الله إنْ لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحدٌ في الإسلام.

فقال: أما إنّك أحقّ مَن أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنّك لا تدع سوء القتلة وقبح المُثلة وخبث السّريرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فقال: يا عاقّ، يا شاقّ، شققتَ عصا المسلمين، وألقحتَ الفتنة.

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٧١/٥، والكامل في التاريخ: ٥٤١/٢، ومقاتل الطالبيّين: ١٠٤.

(٢) يُنظر: الفتوح: ٥٢/٥، ومقتل الحُسين للخوارزميّ: ٢٠٨/١.

(٣) يُنظر: المناقب، لابن شهرآشوب: ٩٣/٤.

قال: كذبتَ، إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأمّا الفتنة، فإنّما ألقحتَها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف.

قال: إيه ابن عقيل، أتيتَ النّاس وهم جميع، وأمرهم ملتئم، فشتّتَ أمرهم، وفرّقتَ كلمتهم.

قال: كلّا، لستُ لذلك أتيت، ولكنّكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتأمّرتم على النّاس بغير رضا منهم، وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف، وننهى عن المنكر، وندعوهم إلى حكم الكتاب والسُّنّة، وكنّا أهل ذلك.

فأقبل ابن زياد يشتمه... ثم قال: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثمّ أتبعوه جسده، فصُعد به وهو يكبّر ... فضُرب عنقه، وأُتبع رأسه جثّته[١].

وقام ابن الأشعث فشفع في هاني، فوعده ابن زياد، ثمّ بدا له، فأمر بهاني بعد قتل مسلم، فقال: أخرجوه إلى السّوق فاضربوا عنقه، فأخرجوه وهو مكتوف، فجعل يقول: وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم، ثمّ جذب يده فنزعها من الكتاف، ووثبوا إليه فشدّوه وثاقاً، وضربه مولىً تركيٌّ لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فقتله[٢].

وكان خروج مسلم في الكوفة يوم الثلاثاء، لثمان مضين من ذي الحجّة، يوم التروية، وقتله يوم الأربعاء، يوم عرفة، لتسع خلون منه[٣].

وأمر ابن زياد بجثّة مسلم وهانئ فصُلبتا بالكناسة، وبعث برأسيهما إلى يزيد بن معاوية، وأخبره بأمرهما[٤]، فأعاد يزيد الجواب إليه يشكره على فعله وسطوته، ويقول له: قد بلغني أنّ حُسيناً قد سار إلى الكوفة، فضع المناظر والمسالح، واحبس على الظنّة، وخذ على التّهمة، واكتب إليّ في كلّ ما يحدث[٥].

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ٦٢/٢، وإعلام الورى: ٤٤٤/١، وروضة الواعظين: ١٩٦.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٧٨/٥، والإرشاد: ٢/ ٦٣، وإعلام الورى: ٤٤٤/١.

(٣) يُنظر: الإرشاد: ٦٦/٢، وإعلام الورى: ٤٤٥/١.

(٤) يُنظر: الفتوح: ٦١/٥، ومقتل الحُسين للخوارزميّ: ٢١٥/١.

(٥) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٨٠/٥، وتاريخ دمشق: ٣٠٧/١٨.

خلاصة البحث

أقبل ابن زياد إلى الكوفة ليتدارك الوضع فيها، ولمّا سمع مسلم بن عقيل خبر مجيء عبيد الله وتَوَعُّده النّاس، خرج من دار المختار إلى دار هاني بن عروة في جوف اللّيل، ولمّا خفي على ابن زياد أمر مسلم، عمد إلى التجسّس، فدعا غلاماً له اسمه معقل، ودفع إليه أربعة آلاف درهم، وأمره بحسن التوصّل إلى أصحاب مسلم، وأنْ يدفع إليهم المال ليستعينوا به، ويُظهر لهم أنّه منهم من أهل حمص، فجاء إلى مسلم بن عوسجة، فاغترّ بكلامه، وأدخله على مسلم بن عقيل، فأخبر ابن زياد بكلّ ما أراد، فاعتقل ابن زيد هانئاً، فأمره بأنْ يجيئه بمسلم فامتنع.

فلمّا سمع مسلم بذلك، خرج في الكوفة، فنادى، فاجتمع إليه أربعة آلاف كانوا في الدور حوله، فسار إلى ابن زياد، فما نزل ابن زياد حتّى دخلت النظارة المسجد، يقولون: جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه، فعمد إلى سياسة الكذب والتخذيل، حتّى تفرّق جماعة مسلم عنه، فبعث إليه من يعتقله في بيت طوعة، فوقع القتال بينه وبينهم، حتى أثخن بالجراح والحجارة، فأسر، ثمّ أُدخل على ابن زياد، فلم يسلّم عليه بالإمرة، فأمر به فقُطعتْ رأسه فوق القصر، ثمّ رمي برأسه وبدنه الطاهر من فوقه.

اختبارات البحث

١. صِف تدارك ابن زياد الوضعَ في الكوفة بعد كتبهم للإمام الحُسين عليه السلام.
٢. تكلّم عن أخلاق ابن زياد بصورة عامّة.
٣. ما هي النشاطات التي قام بها ابن زياد بعد تنصيبه واليا على الكوفة؟
٤. لماذا خذل أهل الكوفة مسلم بعد مبايعتهم له؟
٥. تكلّم عن حادثة شهادة مسلم بن عقيل (رض).

البحث رقم (١٣)

حركة الإمام الحُسين عليه السلام من مكّة إلى العراق

أهداف البحث

١. توجيه عزم الإمام الحُسين عليه السلام وإصراره على التوجّه إلى العراق.

٢. وصف ملاحقة السّلطة للإمام الحُسين عليه السلام.

٣. التعريف بكتاب الأمان من أمير المدينة إلى الحُسين عليه السلام والسر فيه.

٤. توضيح مسيرة الإمام عليه السلام إلى الكوفة.

٥. بيان ما جرى مع حامل كتاب الإمام عليه السلام إلى الكوفة واستشهاده.

مقدمة البحث

تعرّضنا في البحث السّابق إلى ما جرى على مسلم في الكوفة من خذلان أهلها واستشهاده على يدي عمّال يزيد فيها، الخبر الذي لم يصل الحُسين عليه السلام قبل خروجه من مكّة، التي كان قد بقي فيها إلى أنْ وصله كتاب مسلم بوفاء أهل الكوفة وبيعتهم له.

وفي هذا البحث، سنواصل هذه الأحداث، فنتعرّض إلى ملاحقة السّلطة للإمام عليه السلام في المدينة، وعزمها على قتله إنْ لم يبايع، وعزمه عليه السلام على الخروج منها إلى الكوفة، وبعض ما جرى عليه في هذا المسير.

المطلب الأول: عزم الإمام الحُسين عليه السلام على التوجه إلى العراق

وكان يزيد بن معاوية قد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص من المدينة إلى مكّة في عسكر عظيم، وولاّه أمر الموسم، وأمّره على الحاجّ كلّهم، فحجّ بالنّاس، وأوصاه بقبض الحُسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكّن منه، يقتله غيلة، وأمره أنْ يناجز الحُسين عليه السلام القتال إنْ هو ناجزه.

فلمّا كان يوم التروية، قدم عمرو بن سعيد إلى مكّة في جند كثيف، فلمّا علم الحُسين عليه السلام بذلك، عزم على التوجّه إلى العراق، وكان قد أحرم بالحجّ، وقد

وصله قبل ذلك كتاب مسلم بن عقيل ببيعة أهل الكوفة له، فطاف بالبيت، وسعى بين الصّفا والمروة، وقصّر من شعره، وأحلّ من إحرام الحجّ، وجعلها عمرةً مفردةً؛ لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أنْ يُقبض عليه، فخرج من مكّة يوم الثلاثاء، وقيل: يوم الأربعاء، يوم التروية، لثمان مضين من ذي الحجّة، فكان النّاس يخرجون إلى منى والحُسين عليه السلام خارج إلى العراق[١].

ولمّا عزم الحُسين عليه السلام على الخروج من مكّة إلى العراق، قام خطيباً في أصحابه، فكان ممّا قال: «الحمدُ لله، وماشاء الله، ولا قوّة إلاّ بالله، وصلّى الله على رسوله. رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعةٌ له في حظيرة القدس، تقرُّ بهم عينهُ، ويُنجَز بهم وعده، مَن كان باذلاً فينا مهجته، وموطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنّي راحلٌ مصبحاً إنْ شاء الله تعالى»[٢].

وجاءه أبو بكر (عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ)، فنهاه عن الخروج إلى العراق، فقال له الحُسين عليه السلام: جزاك الله خيراً يا ابن عمّ، قد اجتهدتَ رأيك، ومهما يقض الله، يكن[٣].

وجاءه عبد الله بن عبّاس، فنهاه عن الخروج أيضاً، فقال: أستخير الله، وأنظر ما يكون، ثمّ أتاه مرّة ثانية، فأعاد عليه النهي، وقال: إنْ أبيتَ إلاّ الخروج، فاخرج إلى اليمن، فقال الحُسين عليه السلام: يا ابن عمّ، إنّي والله لأعلم أنّك ناصح مشفق، وقد أزمعتُ وأجمعتُ المسير[٤].

وجاءه عبد الله بن الزبير، فأشار عليه بالعراق، ثمّ خشي أنْ يتّهمه، فقال: لو

---

(١) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٣.

(٢) يُنظر: مثير الأحزان: ٢٩/١.

(٣) يُنظر: المصدر السّابق: ٢٧.

(٤) يُنظر: كشف الريبة: ص٨٩، والأخبار الطوال: ٢٤٣، والبداية والنهاية: ١٦٤/٨.

أقمت، لما خالفنا عليك، فلمّا خرج ابن الزبير، قال الحُسين عليه السلام: إنّ هذا ليس شيء أحبّ إليه من أنْ أخرج من الحجاز(١).

ثمّ جاءه عبد الله بن عمر، فأشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذّره من القتل والقتال، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، أما علمتَ أنّ من هوان الدنيا على الله أنّ رأس يحيى بن زكريّا أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعينَ نبيّاً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنْ لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجّل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام؟ اتّقِ الله يا أبا عبد الرحمن، ولا تدعنّ نصرتي(٢).

وكان الحُسين عليه السلام يقول: وأيَم الله، لو كنتُ في جحر هامّة من هذه الهوامّ، لاستخرجوني حتّى يقتلوني، والله، ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السّبت، والله، لا يَدَعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك، سلّط الله عليهم مَن يُذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من فرام(٣) المرأة(٤).

وجاءه محمّد بن الحنفيّة في اللّيلة التي أراد الحُسين عليه السلام الخروج في صبيحتها عن مكّة، فقال له: يا أخي، إنّ أهل الكوفة قد عرفتَ غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفتُ أنْ يكون حالك كحال مَن مضى، فإنْ رأيتَ أنْ تُقيم، فإنّك أعزّ مَن بالحرم وأمنعه، فقال: يا أخي، قد خفتُ أنْ يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم فأكون الذي يُستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفيّة: فإنْ خفت ذلك، فصر إلى اليمن، أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع النّاس به، ولا يقدر عليك أحدٌ، فقال عليه السلام: أنظر في ما قلتَ(٥).

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٨٣/٥– ١٨٤، والبداية والنهاية: ١٦٠/٨– ١٦٦.

(٢) يُنظر: مثير الأحزان: ٢٩/١.

(٣) الفرام: خرق حيض المرأة.

(٤) يُنظر: سير أعلام النبلاء: ٣٠٥/٣، والبداية والنهاية: ١٦٩/٨.

(٥) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٨.

فلمّا كان السَّحَر، ارتحل الحُسين ﴿عليه السلام﴾، فبلغ ذلك ابن الحنفيّة، فأتاه، فأخذ بزمام ناقته ـ وقدْ ركبها ـ فقال: يا أخي، ألم تعدني النظر في ما سألتك؟ فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: أتاني رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بعدما فارقتك، فقال: يا حُسين، أُخرج، فإنّ الله شاء أنْ يراك قتيلاً، فقال محمّد ابن الحنفيّة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟! فقال: إنّ الله قد شاء أنْ يراهنّ سبايا، فسلّم عليه ومضى[١].

وسمع عبد الله بن عمر بخروجه، فقدّم راحلته، وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل، فقال: أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال: العراق، قال: مهلاً، ارجع إلى حرم جدّك، فأبى الحُسين ﴿عليه السلام﴾، فلمّا رأى ابن عمر إباءه، قال: يا أبا عبد الله، اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ يقبّله منك، فكشف الحُسين ﴿عليه السلام﴾ عن سرّته، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً، وبكى، وقال: أستودعك الله يا أباعبد الله، فإنّك مقتول في وجهك هذا[٢].

المطلب الثاني: ملاحقة السلطة للإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾

لمّا خرج الحُسين ﴿عليه السلام﴾ من مكّة، اعترضته رسل عمرو بن سعيد بن العاص أمير الحجاز من قبل يزيد وعليهم أخوه يحيى بن سعيد ليردّوه، فأبى عليهم، وتدافع الفريقان، وتضاربوا بالسّياط، ثمّ امتنع عليهم الحُسين ﴿عليه السلام﴾ وأصحابه امتناعاً شديداً، ومضى الحُسين ﴿عليه السلام﴾ على وجهه، فبادروا، وقالوا: يا حُسين، ألا تتقي الله؟! تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمّة؟ فقال: لي عَمَلي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ، أَنْتُمْ بَرِيئُونَ ممَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ ممَّا تَعْمَلُون[٣].

---

(١) يُنظر: المصدر السّابق.

(٢) يُنظر: الأمالي، للصّدوق: ص٢١٧، ح ٢٣٩، وبحار الأنوار: ٣١٣/٤٤.

(٣) يُنظر: مثير الأحزان: ١/ ٢٨.

وعن عليّ بن الحُسين عليهما السلام قال: خرجنا مع الحُسين عليه السلام، فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلاّ ذكر يحيى بن زكريّا وقتله[١].

ثمّ سار عليه السلام حتى أتى الصّفاح، فلقيه الفرزدق الشّاعر، قال الفرزدق: حججتُ بأمّي سنة ستّين، فبينما أنا أسوق بعيرها حتّى دخلتُ الحرم؛ إذْ لقيتُ الحُسين عليه السلام خارجاً من مكّة معه أسيافه وأتراسه، فقلتُ: لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن عليّ، فأتيته وسلّمت عليه، وقلتُ له: أعطاك الله سؤلك، وأمّلك في ما تحبّ، بأبي أنت وأمّي يا ابن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟ فقال: لو لم أعجل لأُخذت، ثمّ قال لي: مَن أنت؟ قلتُ: رجلٌ من العرف، فلا والله ما فتّشني عن أكثر من ذلك، ثمّ قال لي: أخبرني عن النّاس خلفَك؟ فقلتُ: الخبير سَألت، قلوبُ النّاس معك، وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السّماء، والله يفعل ما يشاء، فقال عليه السلام: صدقتَ، لله الأمر من قبل ومن بعد، وكلّ يوم ربّنا هو في شأن، إنْ نزل القضاء بما نحبّ، فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإنْ حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد مَن كان الحقّ نيّته، والتقوى سيرته، فقلتُ له: أجل، بلّغك الله ما تحبّ، وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرني بها، وحرّك راحلته، وقال: السّلام عليك[٢].

المطلب الثالث: كتاب الأمان من أمير المدينة

وألحق عبد الله بن جعفر الحُسين عليه السلام بابنيه عون ومحمّد، وكتب على أيديهما كتاباً يقسم عليه فيه بالرجوع، ويقول: إنّي مشفق عليك من هذا الوجه أنْ يكون فيه هلاكك، وإنْ هلكتَ اليوم، طفئ نور الأرض، فإنّك عَلم المهتدين[٣].

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ١٣٢/٢، ومجمع البيان: ٧٧٩/٦، وكشف الغمّة: ٢٢١/٢.

(٢) يُنظر: الإرشاد: ٦٧/٢، وإعلام الورى: ٤٤٥/١، وتاريخ الطبريّ: ٣٨٦/٥.

(٣) يُنظر: الفتوح: ٥/ ٦٧، ومقتل الحُسين عليه السلام للخوارزميّ: ٢١٧/١.

وصار عبد الله إلى عمرو بن سعيد أمير المدينة، فسأله أنْ يكتب للحُسين عليه السلام أماناً، ويمنّيه البرّ والصّلة، فكتب له، وأنفذه مع أخيه يحيى بن سعيد، فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر، وجهدا به في الرجوع، فقال: إنّي رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ له، فقال له: فما تلك الرؤيا؟ قال: ما حدّثتُ بها أحداً، وما أنا محدّثٌ بها أحداً حتَّى ألقى ربّي عزّوجلّ، فلمّا أيس منه عبد الله بن جعفر، أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه، والمسير معه، والجهاد دونه، ورجع هو إلى مكّة[١].

وسار الحُسين عليه السلام نحو العراق مسرعاً لا يلوي على شيء، حتّى بلغ وادي العقيق، فنزل ذات عرق، فلقيه رجل من بني أسد يسمّى بشر بن غالب وارداً من العراق، فسأله عن أهلها، فقال: خلّفتُ القلوب معك والسّيوف مع بني أميّة، فقال: صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد[٢].

المطلب الرابع: الإمام عليه السلام يخبر أهل الكوفة بتوجّهه إليهم

ولمّا بلغ الحُسين عليه السلام إلى الحاجز من بطن الرمّة، كتب كتاباً إلى جماعة من أهل الكوفة، منهم سليمان بن صرد الخزاعيّ، والمسيّب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وغيرهم، وأرسله مع قيس بن مسهر الصّيداويّ، وذلك قبل أنْ يُخبَر بقتل مسلم، يقول فيه: «بسم الله الرّحمن الرّحيم. من الحُسين بن عليّ إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يُخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، سألت الله أنْ يحسن لنا الصّنيع، وأنْ يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة، يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي، فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادمٌ عليكم في أيّامي هذه إنْ شاء الله تعالى، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٣].

---

(١) يُنظر: وتهذيب الكمال: ٤١٨/٦، وسير أعلام النبلاء: ٢٩٧/٣، والبداية والنهاية: ١٦٣/٨.

(٢) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣١، والفتوح: ٦٩/٥، ومقتل الحُسين عليه السلام للخوارزميّ: ٢٢٠/١.

(٣) يُنظر: الإرشاد: ٢/ ٦، وبحار الأنوار: ٤٤/ ٣٦٩، والمناقب لابن شهرآشوب: ٩٥/٤.

وكان مسلم بن عقيل قد كتب إليه قبل أنْ يُقتل بسبع وعشرين ليلة[١].

فأقبل قيس بكتاب الحُسين عليه السلام، فلمّا انتهى إلى القادسيّة، اعترضه الحصين ابن تميم ليفتّشه، فأخرج قيس الكتاب وخرّقه، فحمله إلى ابن زياد، فقال له: مَن أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه، قال: فلماذا خرّقتَ الكتاب؟ قال لئلّا تعلم ما فيه، قال: وممّن الكتاب وإلى مَن؟ قال: من الحُسين إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم، فغضب ابن زياد، وقال: والله، لا تفارقني حتّى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتسبّ الحُسين بن علي وأباه وأخاه، وإلاّ، قطّعتك إرباً إرباً، فقال قيس: أمّا القوم، فلا أُخبرك بأسمائهم، وأمّا سبّ الحُسين وأبيه وأخيه، فأفعل (وكان قصده أنْ يبلّغ رسالة الحُسين عليه السلام إلى أهل الكوفة)[٢].

فصعد قيس، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله، وأكثر من الترحّم على عليّ والحسن والحُسين، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أُميّة، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّ هذا الحُسين بن عليّ خير خَلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنا رسوله إليكم، وقد خلّفته بالحاجر فأجيبوه، فأمر به ابن زياد فرُمي من أعلى القصر[٣]، فتقطّع فمات، فبلغ الحُسين عليه السلام قتله، فاسترجع واستعبر بالبكاء، ولم يملك دمعته، ثمّ قرأ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[٤]

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٩٥/٥.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ٣٧٠/٤٤، والفتوح: ٨٢/٥ .

(٣) يُنظر: تجارب الأمم: ٥٧/٢.

(٤) الأحزاب: من الآية٢٣. يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٩٤/٥، والبداية والنهاية: ١٦٧/٨.

خلاصة البحث

أنفذ يزيد عمرو بن سعيد بن العاص من المدينة إلى مكّة بجيش عظيم، وأوصاه بقبض الحُسين عليه السلام سرّاً، وإنْ لم يتمكّن منه، يقتله غيلة، فلمّا علم الحُسين عليه السلام بذلك، عزم على التوجّه إلى العراق، فجاءه بعض أصحابه ناصحاً له بعد الخروج، أو التوجّه إلى اليمن، فكان الحُسين عليه السلام يقول: وأيم الله، لو كنتُ في جحر هامّة من هذه الهوامّ، لاستخرجوني حتّى يقتلوني. فلمّا كان السّحر، ارتحل الحُسين عليه السلام.

ولمّا خرج الحُسين عليه السلام من مكّة، اعترضته رسل أمير الحجاز من قبل يزيد ليردّوه، فأبى عليهم، وتدافع الفريقان، وتضاربوا بالسّياط، ثمّ امتنع عليهم الحُسين عليه السلام وأصحابه امتناعاً شديداً، ومضى الحُسين عليه السلام.

ولمّا بلغ الحُسين عليه السلام إلى الحاجز من بطن الرمّة، كتب كتاباً إلى جماعة من أهل الكوفة، يخبرهم بخروجه إليهم، وأرسله مع قيس بن مسهر الصّيداويّ، الذي قبض عليه من قبل قوّات يزيد، ولكنّه خرق الكتاب وأبى أنْ يخبرهم بما كان فيه، فرُمي به من عالٍ، فاستشهد.

اختبارات البحث

١. كيف تفسّر عزم الإمام الحُسين عليه السلام وإصراره على التوجّه إلى العراق؟
٢. صف ملاحقة السّلطة للإمام الحُسين عليه السلام في مكّة وفي الطريق إلى العراق.
٣. ماذا كان ردّ الإمام الحُسين عليه السلام على كتاب الأمان من أمير المدينة؟ ولماذا؟
٤. تكلّم عن مسيرة الإمام الحُسين عليه السلام إلى الكوفة بشكلٍ مختصر.
٥. تكلّم عمّا جرى مع حامل كتاب الإمام عليه السلام إلى الكوفة واستشهاده.

البحث رقم (١٤)

الركب الحُسيني في طريقه إلى العراق

أهداف البحث

١. بيان مجيء خبر شهادة مسلم وهانئ للحُسين عليه السلام.
٢. بيان تفرّق النّاس عن الإمام الحُسين عليه السلام بعد سماعهم أخبار الكوفة.
٣. وصف لقاء الإمام الحُسين عليه السلام بالحرّ.
٤. توضيح منع الحرّ الإمام الحُسين عليه السلام من الانصراف.
٥. وصف التحاق أنصار الإمام الحُسين عليه السلام بإمامهم.

مقدمة البحث

كنّا في البحث الماضي مع الحُسين عليه السلام حينما خرج من المدينة في طريقه إلى العراق، فبينا بعض ما جرى عليه في هذا الطريق.

ونواصل الرحلة في هذا البحث معه عليه السّلام إلى العراق، وما جرى عليه من أحداث في هذا الطريق، من سماعه خبر استشهاد مسلم وهانئ، ومن لقائه الحرّ وما جرى بينهما، ومن التحاق بعض أنصاره عليه السلام به.

المطلب الأول: في الثعلبية

ولمّا نزل الحُسين عليه السلام الخزيميّة، أقام بها يوماً وليلة، ثمّ سار حتّى نزل الثعلبيّة، فبات بها، فلمّا أصبح، إذا برجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرّة الأزديّ قد أتاه فسلّم عليه، ثمّ قال: يابن رسول الله، ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدّك محمّد صلى الله عليه وآله؟ فقال الحُسين عليه السلام : ويحك يا أبا هرّة، إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرتُ، وشتموا عرضي فصبرتُ، وطلبوا دمي فهربتُ، وأيم الله، لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذلّاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلّطنّ عليهم مَن يُذلّهم، حتّى يكونوا أذلّ من قوم سبأ[1].

---

(١) يُنظر: الأمالي، للصّدوق: ٢١٨، ح ٢٣٩، وبحار الأنوار: ٣١٤/٤٤.

ولمّا بلغ الحُسين عليه السلام الثعلبيّة، جاءه عبد الله بن سليم والمذري بن المشمعل الأسديّان، فأخبراه بما جرى على مسلم وهانئ، من الشهادة ومن جرّهما في الأسواق، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ، رحمة الله عليهما، يردّد ذلك مراراً، وارتجّ الموضع بالبكاء لقتل مسلم بن عقيل، وسالت الدموع عليه كلّ مسيل.

فلمّا كان السّحر قال لفتيانه وغلمانه: أكثروا من الماء، فاستقوا وأكثروا، وكان لا يمرّ بماء إلاّ اتّبعه مَن عليه، ثمّ ارتحلوا، فسار حتّى انتهى إلى زبالة(١)، فأتاه بها خبر خبر عبد الله بن يَقطُر، وهو أخو الحُسين عليه السلام من الرضاعة(٢) (٣).

المطلب الثاني: تفرّق النّاس عن الحُسين عليه السلام

فلمّا بلغ الحُسين عليه السلام خبر قتل مسلم وهانئ ورسول له آخر اسمه عبد الله بن يقطر، أخرج إلى النّاس كتاباً، فقرأه عليهم. وفيه: بسم الله الرّحمن الرّحيم. أمّا بعد، فإنّه قد أتاني خبرٌ فظيعٌ، قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خَذَلَنا شيعتنا، فمَن أحبّ منكم الانصراف، فلينصرف في غير حرج، ليس عليه ذمام.

فتفرّق النّاس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً، حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه، وكان اجتمع إليه مدّة مقامه بمكّة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، وإنّما فعل ذلك لعلمه بأنّ أكثر من اتّبعوه إنّما اتّبعوه ظنّاً منهم أنّه يقدم بلداً قد استقامتْ له طاعة أهله، فكره أنْ يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون ما يقدمون عليه، وقد علم أنّه إذا بيّن لهم، لم يصحبه إلاّ مَن يريد مواساته والموت معه(٤).

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ٧٣/٢، وروضة الواعظين: ١٩٦، وبحار الأنوار: ٣٧٢/٤٤.

(٢) قيل: كانت أُمّه حاضنة للحُسين عليه السلام، ولم يكن رضع، ولكنه سمّي رضيعاً له لحضانة أُمّة له. له.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٩٨/٥، والبداية والنهاية: ١٦٩/٨.

(٤) يُنظر: الإرشاد: ٧٥/٢، وروضة الواعظين: ١٩٧، وبحار الأنوار: ٣٧٤/٤٤.

ولقيه الفرزدق بعدما رجع من الحجّ، فسلّم عليه، وقال: يابنَ رسول الله، كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته؟! فاستعبر الحُسين ، باكياً، ثمّ قال: رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيّاته ورضوانه أما إنّه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا[١]، وأنشأ يقول:

فـإنْ تكـن الدّنيـا تُعـَـدُّ نفيسـةً ... فَـدَارُ ثـواب الله أعـلـى وأنـبلُ

وإنْ تكن الأبدانُ للموت أُنشئتْ ... فقتلُ امرئ بالسّيف في الله أفضلُ

وإنْ تكن الأرزاقُ قسـماً مقـدَّراً ... فَقلَّةُ حرْص المرء فى الرزق أجملُ

وإن تكن الأموالُ للترك جَمْعُها ... فمـا بـالُ متروك به المرءُ يَبْخَلُ[٢]

فلمّا كان وقت السّحر، أمر الحُسين أصحابه، فاستقوا ماء، وأكثروا، ثمّ سار من زبالة حتّى مرّ ببطن العقبة، فنزل عليها، ثمّ سار حتّى نزل شراف، فلمّا كان في السّحر، أمر فتيانه، فاستقوا من الماء فأكثروا[٣].

المطلب الثالث: الإمام الحُسين يلتقي الحرّ[٤]

ثمّ سار حتّى انتصف النهار، فبينا هو يسير؛ إذْ كبّر رجل من أصحابه، فقال الحُسين : الله أكبر، لمَ كبّرت؟ قال: رأيتُ النخل، فقال له جماعة من أصحابه: والله، إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قطّ، فقال لهم الحُسين : فما ترونه؟ قالوا: نراه والله أسنّة الرّماح، وآذان الخيل، وإذا به جيش الحرّ بن يزيد التميميّ، وهو زهاء ألف فارس، حتّى وقف هو وخيله مقابل الحُسين في حرّ

---

(١) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٤، وبحار الأنوار: ٣٧٤/٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧٤/٤٤.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤٠٠/٥، والإرشاد: ٧٦/٢، وبحار الأنوار: ٣٧٥/٤٤.

(٤) للاطلاع على ما جرى بين الإمام الحُسين والحرّ، يُنظر: تجارب الأمم: ٥٧/٢- ٦٥.

الظهيرة، والحُسين وأصحابه معتمّون متقلّدون أسيافهم، فقال الحُسين ﷺ لفتيانه: أسقوا القوم، وأرووهم من الماء ورَشِّفوا الخيل ترشيفاً، أي: أسقوها قليلاً، فأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء، ثمّ يُدنونها من الفرس، فاذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، عُزلتْ عنه وسقوا آخر، حتّى سقوها عن آخرها[1].

وقال الحُسين ﷺ للحرّ: ألنا أم علينا؟ فقال: بل عليك يا أبا عبد الله، فقال الحُسين ﷺ: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

فلم يزل الحرّ موافقاً للحُسين حتّى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحُسين ﷺ الحجّاج بن مسروق أنْ يؤذّن، فلمّا حضرتْ الإقامة، خرج الحُسين ﷺ في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أيّها النّاس، إنّها معذرةٌ إلى الله وإليكم، إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتبكم، وقدمتْ عليّ رسلكم، أنْ أَقدمْ علينا، فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أنْ يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فإنْ كنتم على ذلك، فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإنْ لم تفعلوا، وكنتُم لقدومي كارهين، انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي جئتُ منه إليكم، فسكتوا، فقال للمؤذّن: أقم، فأقام الصّلاة.

قال الحُسين ﷺ للحرّ: أتريد أنْ تصلّي بأصحابك؟ قال: لا، بل تصلّي أنت ونصلّي بصلاتك، فصلّى بهم الحُسين ﷺ، ثمّ دخل، فاجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحرّ إلى مكانه الذي كان فيه، فدخل خيمة قد ضُربتْ له، واجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد الباقونَ إلى صفّهم الذي كانوا فيه، فأعادوه، ثمّ أخذ كلّ

---

(١) قال عليّ بن الطعان المحاربيّ: كنتُ مع الحرّ يومئذٍ، فجئتُ في آخر مَن جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحُسين ﷺ ما بي وبفرسي من العطش، قال: أنِخِ الراوية، والراوية عندي السّقاء، ثمّ قال: يابن الأخ، أنِخِ الجمل، فأنختهُ، فقال: اشرب، فجعلتُ كلّما شربتُ سال الماء من السّقاء، فقال الحُسين ﷺ : اخنث السّقاء، أي: اعطفه، فلمْ أَدرِ كيف أفعل، فقام، فخنّثه بيده، فشربتُ، وسقيتُ فرسي. يُنظر: بحار الأنوار: ٣٧٦/٤٤.

رجل منهم بعنان دابّته وجلس في ظلّها، فلمّا كان وقت العصر، أمر الحُسين ﷺ أنْ يتهيّأوا للرحيل، ففعلوا، ثمّ أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقدم الحُسين ﷺ، وقام فصلّى، ثمّ سلّم وانصرف إليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، أيّها النّاس، فإنّكم إنْ تتّقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله، يكن أرضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمّدٍ أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم، والسّائرين فيكم بالجور والعدوان، وإنْ أبيتم إلاّ الكراهية لنا والجهل بحقّنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمتْ به عليّ رسلُكم، انصرفت عنكم.

فقال له الحرّ: أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر، فقال الحُسين ﷺ لبعض أصحابه: يا عقبة بن سمعان، أخرج الخُرجَيْن اللّذين فيهما كتبهم إليّ، فأخرج خُرجين مملوئين صحفاً، فنُثرتْ بين يديه، فقال له الحرّ: إنّا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك أنْ لا نفارقك حتّى نقدمك الكوفة على عبيد الله، فقال له الحُسين ﷺ : الموت أدنى إليك من ذلك[١].

المطلب الرابع: الحرّ يمنع الإمام الحُسين ﷺ من الانصراف[٢]

ثمّ قال الحُسين ﷺ لأصحابه: قوموا فاركبوا، فركبوا، وانتظر هو حتّى ركبتْ نساؤه، فقال لأصحابه: انصرفوا، فلمّا ذهبوا لينصرفوا، حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحُسين ﷺ للحرّ: ثكلتك أُمّك، ما تريد؟ فقال له الحرّ: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنتَ عليها ما تركت ذكر أُمّه بالثكل كائناً مَن كان، ولكن مالي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما أقدر عليه.

فقال له الحُسين ﷺ فما تريد؟ قال أُريد أنْ أنطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فقال: إذاً والله لا أتّبعك، فقال: إذاً واللهِ لا أدعك، فترادّا القول ثلاث مرّات،

---

(١) يُنظر: تجارب الأمم: ٢/٥٧–٦٥، وتاريخ الطبريّ: ٥/٤٠٠، وأنساب الأشراف: ٣/٣٨٠، والكامل في التاريخ: ٢/٥٥١، ومقتل الحُسين ﷺ للخوارزميّ: ١/٢٢٩، والإرشاد: ٢/٧٧.

(٢) تجد الحوادث في المصادر السّابقة.

فلمّا كثر الكلام بينهما، قال له الحرّ: إنّي لم أُؤمر بقتالك، إنّما أُمرتُ أنْ لا أُفارقك حتّى أُقدمك الكوفة، فإذا أبيت، فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردّك إلى المدينة، يكون بيني وبينك نصفاً، حتّى أكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فلعلّ الله يرزقني العافية من أنْ أُبتلى بشيء من أمرك، فخذ ها هنا، فتياسر عن طريق العذيب والقادسيّة، فتياسر الحُسين وسار والحرّ يسايره.

فقال الحُسين عليه السلام : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مَن رأى سلطاناً جائراً، مستحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أنْ يُدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرّحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر، وقد أتتني كتبكم، وقدمتْ عليّ رسلُكم ببيعتكم أنّكم لا تُسلموني ولا تخذلوني، فإنْ وَفَيتم لي ببيعتكم، فقد أصبتم حظّكم ورشدكم، وأنا الحُسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونفسي مع أنفسكم، وأهلي وولدي مع أهاليكم وأولادكم، ولكم بي أُسوة.

وإنْ لم تفعلوا، ونقضتُم عهدي، وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي منكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور مَن اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم، ومَن نكث فإنّما ينكث على نفسه، وسيُغني الله عنكم، والسّلام.

فقال له الحرّ: أُذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلنّ.

فقال له الحُسين عليه السلام : أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أنْ تقتلوني؟

فلمّا سمع الحرّ ذلك، تنحّى عنه، وجعل يسير ناحية عن الحُسين عليه السلام[1].

---

(١) تقدّمت المصادر. ويُنظر: بحار الأنوار: ٣٧٦/٤٤ ، وما بعدها.

المطلب الخامس: التحاق أنصار الحُسين عليه السلام بإمامهم

ولم يزل الحُسين سائراً حتّى انتهوا إلى (عذيب الهجانات)، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة لنصرة الحُسين على رواحلهم، وهم: عمرو بن خالد الصّيداويّ، ومجمع العائذيّ، وابنه، وجنادة بن الحارث السّلمانيّ، ومعهم غلام لنافع بن هلال الجمليّ، وهو يجنُبُ فرساً لنافع يقال له (الكامل)، وكان نافع خرج إلى الحُسين عليه السلام قبلهم، فلقيه في الطريق، وأوصى أنْ يتبع بفرسه المسمّى بالكامل، ومعهم دليل يقال له الطرمّاح بن عدي الطائيّ على فرسه، وكان قد امتار لأهله من الكوفة ميرة، فخرج بهم على غير الطريق، فلمّا وصلوا إلى الحُسين عليه السلام، أراد الحرّ حبسهم أو ردّهم إلى الكوفة، فمنعه الحُسين عليه السلام من ذلك، وقال: لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي، إنّما هؤلاء أنصاري، وهم بمنزلة مَن جاء معي، فإنْ بقيتَ على ما كان بيني وبينك، وإلّا، ناجزتك، فكفّ الحرّ عنهم(١).

ثمّ سألهم الحُسين عليه السلام عن خبر النّاس، فقالوا: أمّا الأشراف، فقد استمالهم ابن زياد بالأموال، فهم إلبٌ واحد عليك، وأمّا سائر النّاس، فأفئدتهم لك، وسيوفهم مشهورة عليك، ثمّ قال لهم: فهل لكم علم برسولي قيس بن مسهر؟ قالوا: نعم، قتله ابن زياد، فترقرقتْ عينا الحُسين عليه السلام ولم يملك دمعته(٢).

---

(١) تقدّمت مصادر حوادث الحرّ رضوان الله تعالى عليه.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤٠٥/٥، والكامل في التاريخ: ٥٥٤/٢.

خلاصة البحث

لمّا بلغ الحُسين عليه السلام الثعلبيّة، جاءه خبر ما جرى على مسلم وهانئ، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ، ثمّ أخبر أصحابه بالخبر وبخذلان شيعته له، ثمّ قال: «فمَن أحبّ منكم الانصراف، فلينصرف في غير حرج، ليس عليه ذمام»، حتّى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة، ونفرٌ يسير ممّن انضمّوا إليه.

فلمّا كان وقت السّحر، أمر الحُسين عليه السلام أصحابه، فاستقوا ماء، وأكثروا ثمّ سار من زبالة حتّى مرّ ببطن العقبة فنزل عليها، ثمّ سار حتّى نزل شراف، فلمّا كان في السّحر، أمر فتيانه، فاستقوا من الماء فأكثروا.

ثمّ سار حتّى انتصف النهار، حتى لقي الحرّ في زهاء ألف فارس، فأمر الحُسين عليه السلام فتيانه بسقيهم وخيولهم.

ثمّ خطب الحُسين عليه السلام بهم يُخبرهم بكتبهم التي أرسلوها له يستصرخونه، فأخبره الحرّ بأنّه أمر بأنْ يقدمه الكوفة على عبيد الله، فقال له الحُسين عليه السلام : الموت أدنى إليك من ذلك.

وصار الاتفاق على عدم مسير الحُسين عليه السلام إلى الكوفة، وأنْ يختار مسيراً آخر.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن مجيء خبر شهادة مسلم وهانئ للإمام الحُسين عليه السلام.

٢. ماذا كان موقف المرافقين للإمام الحُسين عليه السلام بعد سماعهم أخبار الكوفة؟ ولماذا؟

٣. صف لقاء الإمام الحُسين عليه السلام بالحرّ.

٤. بماذا كان الحرّ مأموراً بالنسبة إلى موقفه من الإمام الحُسين عليه السلام؟

٥. ماذا كان جواب الإمام الحُسين عليه السلام على ما قاله له الحرّ؟

البحث رقم (١٥)
الركب الحُسيني في أرض الميعاد

أهداف البحث

١. وصف وصول موكب الإمام الحُسين ﷺ إلى كربلاء.
٢. بيان انطلاق عمر بن سعد لقتال الإمام الحُسين ﷺ.
٣. توضيح حرمان الإمام الحُسين ﷺ وأصحابه من الماء.
٤. وصف المفاوضات التي جرتْ بين الإمام الحُسين ﷺ وابن سعد.
٥. وصف ما جرى ليلة عاشوراء.

مقدمة البحث

سرنا مع الإمام الحُسين ﷺ في طريقه إلى الكوفة، حتّى منعه الحرّ من إكمال الطريق إليها، ما اضطرّه إلى الانحراف إلى كربلاء، فهو الآن فيها، فلننظر ما جرى عليه في هذه الأرض.

المطلب الأول: موكب الإمام الحُسين ﷺ في كربلاء

لم يزل الحُسين ﷺ سائراً حتّى انتهى إلى قصر بني مقاتل فنزل به، فلمّا كان آخر اللّيل، أمر فتيانه فاستقوا من الماء، ثمّ أمر بالرّحيل، فارتحل من قصر بني مقاتل ليلاً.

قال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعة، فخفق وهو على ظهر فرسه خفقة، ثمّ انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ، والحمدُ لله ربّ العالمينَ، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ الأكبر[1]، فقال: يا أبه، جُعلتُ فداك، ممَ حمدتَ واسترجعتَ؟ قال: يا بني، إنّي خفقتُ خفقة، فعنّ لي فارس على فرس، وهو يقول: القوم يسيرونَ والمنايا تسير إليهم، فعلمتُ أنّها أنفسنا نُعيَتْ إلينا، فقال: هل

(١) كان للإمام الحُسين ولدان باسم عليّ، وهذا الأكبر، أمّا الأصغر، فهو الإمام زين العابدينَ ﷺ.

يا أبه، لا أراك الله سوءاً، ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى والذي إليه مرجع العباد، قال: إذاً لا نبالي أنْ نموت محقّين، فقال له الحُسين عليه السلام: جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده.

فلمّا أصبح، نزل فصلّى الغداة، ثمّ عجّل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه يريدُ أنْ يفرّقهم، فيأتيه الحرّ فيردّه وأصحابه، حتّى أتاه كتابٌ من ابن زياد يأمره فيه بأنْ يُجعجع بالحُسين عليه السلام، فقال الحُسين عليه السلام للحرّ: دعنا ويحك ننزل هذه القرية أو هذه، يعني: نينوى والغاضريّة، أو هذه، يعني: شفيّة، فقال: لا أستطيع، هذا رجلٌ قد بُعث عليّ عيناً [1].

ثمّ إنّ الحُسين عليه السلام قام وركب، وكلّما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أُخرى، حتّى بلغ كربلاء يوم الخميس، الثاني من المحرّم، سنة إحدى وستّين، فلمّا وصلها، قال: ما اسم هذه الأرض؟ فقيل: كربلاء، فقال: اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء [2]، ثمّ أقبل على أصحابه، فقال:

النّاس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّتْ معايشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء، قلّ الديانون[3].

ثمّ قال: أهذه كربلاء؟ قالوا: نعم يابن رسول الله، فقال: هذا موضع كرب وبلاء، انزلوا، هاهنا مناخ ركابنا، ومحطّ رحالنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا، فنزلوا جميعاً، ونزل الحرّ وأصحابه ناحية.

---

(١) يُنظر: الأخبار الطوال: ٢٥١، وبغية الطلب في تاريخ حلب: ٢٦٢٤/٦.

(٢) للاطلاع على تاريخ وصوله عليه السلام كربلاء، يُنظر: الأخبار الطوال: ٢٥١، وبغية الطلب في تاريخ حلب: ٢٦٢٤/٦.

(٣) للاطلاع على خطبه عليه السلام قبل يوم عاشوراء، يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤٠٣/٥، ومثير الأحزان: ٤٤، والملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٨، والحدائق الورديّة: ١١٣/١، وبحار الأنوار: ٣٨١/٤٤، ومقتل الحُسين عليه السلام للخوارزميّ: ٢٣٦/١.

ثمّ إنّ الحُسين عليه السلام جمع ولده وأخوته وأهل بيته، ثمّ نظر إليهم، فدمعتْ عيناه، ثمّ قال: اللّهمّ إنّا عترة نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله، وقد أُزعجنا وطُردنا وأُخرجنا عن حرم جدّنا، وتعدّت بنو أُميّة علينا، اللّهمّ فخُذ لنا بحقّنا، وانصُرنا على القوم الظالمين[١].

وكتب الحرّ إلى عبيد الله بن زياد يعلمه بنزول الحُسين بكربلاء، فكتب ابن زياد إلى الحُسين: أمّا بعد، فقد بلغني يا حسين نزولك بكربلاء، وقد كتب إليّ أمير المؤمنينَ يزيد أنْ لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللّطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد، والسّلام.

فلمّا قرأ الحُسين الكتاب، ألقاه من يده، وقال: لا أفلح قومٌ اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

فقال له الرسول: الجواب يا أباعبد الله، فقال له: ما عندي جواب؛ لأنّه قد حقّتْ عليه كلمة العذاب، فرجع الرسول إليه فخبّره بذلك، فغضب عدوّ الله من ذلك أشدّ الغضب[٢]، والتفتَ إلى عمر بن سعد وأمره بقتال الحُسين، وقد كان ولّاه الرّي قبل ذلك، فاستعفى عمر من ذلك، فقال ابن زياد: فاردد إلينا عهدنا، فاستمهله، ثمّ قبل بعد يوم خوفاً عن أنْ يُعزل عن ولاية الرّي[٣].

المطلب الثاني: انطلاق عمر بن سعد لقتال الحُسين عليه السلام

فلمّا كان اليوم الثالث من المحرّم، قدم عمر بن سعد بن أبي وقّاص في أربعة آلاف، وسار إلى قتال الحُسين بالأربعة الآلاف التي كانت معه، وانضمّ إليه الحرّ وأصحابه، فصار في خمسة آلاف، ثمّ جاءه شمر في أربعة آلاف، ثمّ أتبعه ابن زياد بيزيد بن ركاب الكلبيّ في ألفين، والحصين بن تميم السّكونيّ في أربعة آلاف،

---

(١) يُنظر: مقتل الحُسين عليه السلام للخوارزميّ: ٢٣٦/١.

(٢) يُنظر: الفتوح: ٨٤/٥ ومقتل الحُسين عليه السلام للخوارزميّ: ٢٣٩/١، ومطالب السّؤول: ٧٥.

(٣) يُنظر: بحار الأنوار: ٣٨٣/٤٤-٣٨٤.

وفلان المازني في ثلاثة آلاف، ونصر ابن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألف فارس، تكمّلتْ عنده إلى ستّ ليال خلون من المحرّم، وبعث كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف، وشبث بن ربعي الرياحيّ في ألف، وحجّار بن أبجر في ألف، ذلك خمسة وعشرون ألفاً، وما زال يُرسل إليه بالعساكر حتّى تكامل عنده ثلاثون ألفاً، ما بين فارس وراجل[١].

المطلب الثالث: حرمانُ الحُسين عليه السلام وأصحابه من الماء

وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى ابن سعد أنْ حُلْ بين الحُسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقيّ الزكي عثمان بن عفان[٢].

فبعث عمر في الوقت عمرو بن الحجّاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة، وحالوا بين الحُسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء، ومنعوهم أنْ يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحُسين عليه السلام بثلاثة أيّام.

فلمّا اشتدّ العطش على الحُسين عليه السلام وأصحابه، أمر أخاه العبّاس بن عليّ عليهما السلام، فسار في عشرين رجلاً يحملونَ القرب، وثلاثينَ فارساً، فجاؤوا حتّى دنوا من الماء ليلاً وأمامهم نافع بن هلال الجمليّ يحمل اللّواء، فقال عمرو بن الحجّاج: مَن الرّجل؟ قال نافع، قال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلّأتمونا عنه، قال: فاشرب هنيئاً، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة والحُسين عطشان هو وأصحابه، فقالوا: لا سبيل إلى سقي هؤلاء، إنّما وُضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء.

فقال نافع لرجاله: املأوا قربكم، فملؤوها، وثار إليهم عمرو بن الحجّاج

---

(١) للاطلاع على عدد جيش ابن سعد، يُنظر:المناقب لابن شهرآشوب: ٩/٤، والأمالي للصّدوق: ٢١٩، ح ٢٣٩، وبحار الأنوار: ٣١٥/٤٤، وإثبات الوصيّة: ١٧٦.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤١٢/٥، وأنساب الأشراف: ٣٨٩/٣، والإرشاد: ٨٦/٢.

وأصحابه، فحمل عليهم العبّاس ونافع بن هلال فكشفوهم، وأقبلوا بالماء، ثمّ عاد عمرو بن الحجّاج وأصحابه وأرادوا أنْ يقطعوا عليهم الطريق، فقاتلهم العبّاس وأصحابه حتّى ردوّهم، وجاؤوا بالماء إلى الحُسين عليه السلام[(١)].

وذُكر إنّهم اقتتلوا على الماء ولم يمكّنوهم من الوصول إليه، (وضيّق) القوم على الحُسين عليه السلام حتّى نال منه العطش ومن أصحابه، فقال له برير بن خضير الهمدانيّ: يابن رسول الله، أتأذن لي أنْ أخرج إلى القوم؟ فأذن له، فخرج إليهم، فقال: يا معشر النّاس، إنّ الله عزّوجلّ بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السّواد وكلابه، وقد حيل بينه وبين ابنه، فقالوا: يا برير، قد أكثرتَ الكلام فاكفف، والله، ليعطش الحُسين كما عطش مَن كان قبله، فقال الحُسين عليه السلام: أُقعد يا برير[(٢)].

ثمّ وثب الحُسين عليه السلام متوكّئاً على قائم سيفه، ونادى بأعلى صوته، فقال: أُنشدكم الله هل تعرفونني؟ قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه، قال: أُنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ أُمّي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال أُنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ جدّتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأمّة إسلاماً؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ سيّد الشّهداء حمزة عمّ أبي؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلّده؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: أُنشدكم الله، هل تعلمونَ أنّ عليّاً كان أوّل القوم

---

(١) يُنظر: الأخبار الطوال: ٢٥٥، وبغية الطلب في تاريخ حلب: ٢٦٢٧/٦، وتاريخ الطبريّ: ٤١٢/٥، وأنساب الأشراف: ٣٨٩/٣، وتجارب الأمم: ٧٠/٢، ومقاتل الطالبيّين: ١١٧.

(٢) يُنظر: الأمالي للصّدوق: ٢٢٢، ح ٢٣٩، وروضة الواعظينَ: ٢٠٤، وبحار الأنوار: ٣١٨/٤٤.

إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً وأنّه وليّ كلّ مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فبِمَ تَستَحلّونَ دمي وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الصّادر عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي يوم القيامة؟ قالوا: قد علمنا ذلك كلّه، ونحن غير تاركيك حتّى تذوق الموت عَطَشاً.

فلمّا خطب هذه الخطبة، وسمع بناته وأخواته كلامه، بكيْنَ، وارتفعتْ أصواتُهنّ، فوجّه إليهنَّ أخاه العبّاس وعليّاً ابنه، وقال لهما: أسكتاهُنّ، فلَعمري ليُكثرنَّ بكاؤهنَّ[1].

المطلب الرابع: المفاوضات بين الحُسين ﷺ وابن سعد[2]

وأرسل الحُسين ﷺ إلى عمر بن سعد مع عمرو بن قرظة الأنصاريّ أنّي أُريد أنْ أُكلّمكَ فالقني اللّيلة بين عسكري وعسكرك، فخرج إليه ابن سعد في عشرينَ وخرج الحُسين ﷺ في مثلها، فأمر الحُسين ﷺ أصحابه فتنحّوا، وبقي معه أخوه العبّاس وابنه عليّ الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا، وبقي معه ابنه حفص وغلام له، فقال له الحُسين ﷺ: ويلك يا ابن سعد أما تتّقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني وأنا ابن مَن علمتَ؟ ذَرْ هؤلاء القوم وكُنْ معي، فإنّه أقرب لك إلى الله؟

فقال ابن سعد: أخاف أنْ تُهدم داري، فقال الحُسين أنا ابنيها لك، فقال: أخاف أنْ تؤخذ ضيعتي؟ فقال الحُسين: أنا أُخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز، فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثمّ سكتَ ولَمْ يُجبه إلى شيء، فانصرف عنه الحُسين وهو يقول: مالَكَ ذَبَحَكَ الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤٢٤/٥، والكامل في التاريخ: ٥٦١/٢، والبداية والنهاية: ١٧٨/٨.

(٢) للاطلاع على هذه المفاوضات، يُنظر: تجارب الأمم: ٦٦/٢، تاريخ الطبريّ: ٤١٣/٥، والكامل في التاريخ: ٥٥٦/٢، والطبقات الكبرى: ٤٦٥/١.

حشرك فوالله إنّي لأرجو أنْ لا تأكل من بُرّ العراق إلّا يسيراً، فقال: في الشّعير كفاية عن البر، مستهزئاً بذلك القول.

وأرسل إليه مرّة أُخرى إنّي أُريد أنْ ألقاك، فاجتمعا ليلاً بين العسكرين وتناجيا طويلاً، والتقى الحُسين وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً، فكتب ابن زياد إلى ابن سعد بأنْ ينظر، فإنْ نزل حسين وأصحابه على حكمي، واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلماً، وإنْ أبوا، فازحف إليهم حتّى تقتلهم، وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإنْ قتلتَ حُسيناً، فأوطئ الخيل صدرَه وظهرَه، فإنّه عاقّ شاقّ قاطع ظلوم، ولستُ أرى أنّ هذا يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن على قول قد قلتُهُ لو قد قتلتُهُ لفعلتُ هذا به، فإنْ أنت مضيتَ لأمرنا، جزيناك جزاء السّامع المطيع، وإنْ أبيتَ، فاعتزل عملنا وجندنا، وخلِّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنّا قد أمرناه بأمرنا، والسّلام[١].

المطلب الخامس: ليلة عاشوراء

ونهض عمر بن سعد إلى الحُسين عليه السلام عشيّة يوم الخميس، لتسع مضين من المحرّم[٢]، وجاء شمر حتّى وقف على أصحاب الحُسين عليه السلام فقال: أين بنو أُختنا ـ يعني العبّاس وجعفراً وعبدالله وعثمان ابناء عليّ عليه السلام ـ فقال الحُسين عليه السلام: أجيبوه وإنْ كان فاسقاً، فإنّه بعض أخوالكم، وذلك أنّ أُمّهم أُمّ البنين كانت من بني كلاب وشمر من بني كلاب[٣].

---

(١) الذي أفشل هذه المفاوضات بين الإمام الحُسين عليه السلام وابن سعد هو الشمر لعنه الله. لمطالعة تفاصيل المفاوضات وما عمله الشمر، يُنظر: البحار: ٣٩٠/٤٤، وأنساب الأشراف: ١٨٢/٣، والإرشاد: ٢١٢، وإعلام الورى: ٢٣٦.

(٢) يُنظر: أنساب الأشراف: ١٨٢/٣، والإرشاد: ٢١٢، وتاريخ الطبريّ: ٣١٥/٤.

(٣) يُنظر: الفتوح: ١٦٨/٥.

فقالوا له: ما تريد؟ فقال لهم: أنتم يا بني أُختي آمنونَ فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحُسين والزموا طاعة يزيد، فقالوا له: لعنك الله ولعن أمانَك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمانَ له؟![١].

وناداه العبّاس ابن أمير المؤمنين عليه السلام: تبّت يداك، ولَعَن ما جئتنا به من أمانك، يا عدوّ الله، أتأمرنا أنْ نترك أخانا وسيّدنا الحُسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللّعناء وأولاد اللّعناء؟!

ثمّ نادى عمر بن سعد: يا خيل الله، اركبي، وبالجنّة أبشري، فركب النّاس، ثمّ زحف نحوهم بعد العصر.

وقال له العبّاس: يا أخي، أتاك القوم، فنهض، ثمّ قال: يا عبّاس اركب أنت حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما بالكم وما بدا لكم؟ فلمّا أخبره العبّاس بقولهم، قال له: ارجع إليهم، فإنْ استطعتَ أنْ تؤخّرهم إلى غدوة، وتدفعهم عنّا العشيّة، لعلّنا نصلّي لربّنا اللّيلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي كنتُ أُحبّ الصّلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدّعاء والاستغفار، فسألهم العبّاس ذلك، فقبلوا[٢].

فجمع الحُسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، فخطبهم، وقال بعد الحمد والثناء: أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يوماً لنا من هؤلاء، ألا وأنّي قد أذنت لكم، انطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم منّي ذمام، وهذا اللّيل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً، وليأخذْ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا اللّيل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري[٣].

---

(١) يُنظر: الفتوح: ١٦٨/٥، والإرشاد: ٢١٣.

(٢) يُنظر: الفتوح: ١٧٨/٥، وإعلام الورى: ٢٣٧.

(٣) يُنظر: المناقب: ٩٨/٤، والكامل: ٥٧/٤.

فقال له إخوته وابناؤه وبنو أخيه وابناء عبد الله بن جعفر: ولمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً، بدأهم بهذا القول أخوه العبّاس ابن أمير المؤمنين، واتّبعه الجماعة عليه، فتكلّموا بمثله ونحوه.

ثمّ نظر إلى بني عقيل، فقال: حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا، قد أذنت لكم، قالوا: سبحان الله، فما يقول النّاس لنا؟! وما نقول لهم: إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرمِ معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا؟! لا والله ما نفعل ذلك، ولكنّنا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتّى نردَ موردك، فقبّح الله العيش بعدك[(١)].

وقام إليه كلٌّ من مسلم بن عوسجة الأسديّ، وسعيد بن عبد الله الحنفيّ، وزهير ابن القين، خاطباً كلٌّ منهم بخطبة يُعلنُ فيها الموت دون الحُسين عليه السلام وأهله، ثمّ تكلّم جماعة أصحابه بكلام يُشبه بعضه بعضاً وقالوا: أنفسنا لك الفدا، نقيك بأيدينا ووجوهنا، فإذا نحن قُتلنا بين يديك، نكون قد وفينا لربّنا، وقضينا ما علينا[(٢)].

وأمر الحُسين عليه السلام أصحابه أنْ يقرّبوا بين بيوتهم، ويُدخلوا الأطناب بعضها في بعض، ويكونوا بين يدي البيوت، فيستقبلونَ القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم قد حفّت بهم، إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوّهم.

وقام الحُسين وأصحابه اللّيل كلّه يصلّونَ ويستغفرونَ ويدعونَ، وباتوا ولهم دويّ كدويّ النّحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك اللّيلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثونَ رجلاً[(٣)].

---

(١) يُنظر: مثير الأحزان: ٥٢.

(٢) يُنظر: الإرشاد: ٢١٤، تاريخ الطبريّ: ٣١٧/٤، وأمالي الصّدوق: ١٥٦.

(٣) يُنظر: الإرشاد: ٢١٥، تاريخ الطبريّ: ٣١٩/٤، وإعلام الورى: ٢٣٩.

خلاصة البحث

بلغ الحُسين عليه السلام كربلاء يوم الخميس، الثاني من المحرّم، سنة إحدى وستّين من الهجرة، فلمّا كان اليوم الثالث من المحرّم، قدم عمر بن سعد بجيوشه ومَن لحق بهم، حتّى تكامل عنده ثلاثون ألفاً، ما بين فارس وراجل.

ثمّ ورد كتاب ابن زياد في الأثر إلى ابن سعد أنْ حُلْ بين الحُسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، كما صنع «بالتقيّ الزكي عثمان بن عفّان»!.

ونهض عمر بن سعد إلى الحُسين عليه السلام عشيّة يوم الخميس، لتسع مضين من المحرّم، فأرسل الحُسين عليه السلام العبّاس يستمهلم اللّيلة للصّلاة والدّعاء، فأمهلوهم.

فجمع الحُسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، فخطبهم، وجزّاهم خيراً، وطلب منهم أنْ يتفرّقوا عنه، وأنّهم في حلّ من ذمامه، فقام بنو هاشم والأصحاب خاطبينَ، مجدّدينَ البيعة على الموت دون الحُسين عليه السلام وعياله.

اختبارات البحث

١. ما الذي رآه الإمام الحُسين عليه السلام في خفقته في طريقه إلى كربلاء؟ وماذا كان ردّ عليٍّ الأكبر عليه؟

٢. أمر ابن زياد ابن سعد بأنْ يحولَ بين الحُسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة، بماذا تعلّل ذلك؟ وما ردّك عليه؟

٣. ماذا كان ردّ الأصحاب عندما طلب الإمام الحُسين عليه السلام منهم أنْ يتركوه وينجوا بأنفسهم؟

٤. صف المفاوضات التي جرتْ بين الإمام الحُسين عليه السلام وابن سعد في كربلاء.

٥. تكلّم عمّا جرى ليلة عاشوراء في معسكر الإمام الحُسين عليه السلام.

البحث رقم (١٦)

الركب الحُسيني وأحداث يوم عاشوراء الدامية

أهداف البحث

١. بيان استعدادات معسكر الإمام الحُسين عليه السلام للقتال.

٢. توضيح خطبتي الإمام الحُسين عليه السلام في أعدائه وتوبة الحرّ الرياحيّ.

٣. وصف بطولة أصحاب الإمام الحُسين عليه السلام واستشهادهم.

٤. توجيه جهاد بني هاشم واستشهادهم بين يدي سيّدهم الحُسين عليه السلام.

٥. وصف استشهاد الإمام الحُسين عليه السلام، ودعائه في لحظاته الأخيرة.

مقدمة البحث

نزلنا مع الحُسين عليه السلام في كربلاء، أرض الشّهادة، فلنر معاً ما جرى في هذا اليوم الدامي، من استعدادات معسكر الإمام الحُسين عليه السلام للقتال، ولنستمع له عليه السلام وهو يخطب في أعدائه بطريقة تؤدّي إلى أنْ يُعلنَ الحرّ الرياحيّ توبته ويستشهد بين يديه، ولنشهد لأصحاب الإمام الحُسين عليه السلام صمودهم وصبرهم وبطولتهم واستشهادهم بين يدي إمامهم وسيّدهم الحُسين عليه السلام، ثمّ لنشاهد جهاد بني هاشم واستشهادهم وهم يدافعونَ عن رسالتهم وإمامهم عليه السلام، ثمّ لنقف أمام فاجعة الإنسانيّة الكبرى: قتل الإمام الحُسين عليه السلام ظامئاً عطشانَ، ثمّ لنستمع إليه عليه السلام وهو يناجي ربّه في لحظاته الأخيرة، موقف لا يمكن أن يصدر إلا عن معصوم ملئ قلبه صبرا ورضا بخالقه تعالى.

المطلب الأول: الإستعداد للقتال

لمّا أصبح الحُسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلّى بأصحابه صلاة الصّبح، قام خطيباً فيهم، فحَمدَ الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «إنّ الله تعالى قد أذنَ في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصّبر والقتال»[1]، ثمّ صفّهم للحرب، وكانوا اثنين وثمانين فارِساً وراجلاً.

---

(١) يُنظر: إثبات الوصيّة: ١٦٣، كامل الزيارات: ٧٣.

فجعل زُهير بن القين في الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة[١]، وثبت هو ﷺ وأهل بيته في القلب[٢]، وأعطى رايته أخاه العبّاس[٣].

وجعلوا البيوت في ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أنْ يُتركَ في خندق كان قد حُفر هناك، وأنْ يُحرق بالنّار، مخافة أنْ يأتوهم من ورائهم[٤].

وأقبل عُمر بن سعد نحو الحُسين ﷺ في ثلاثين ألفاً، وأقبلوا يجولونَ حول البيوت، فيرون النّار تضطرم في الخندق، فنادى شمر بن ذي الجوشن بأعلى صوته: يا حسينُ، تعجَّلتَ النارَ قَبل يوم القيامة؟ فقال ﷺ : مَن هذا؟ كأنّه شمرُ بن ذي الجوشن؟ قيل: نعم، فقال ﷺ : يابن راعية المعزى، أنت أولى بها منّي صليّاً.

ورام مسلم بن عوسجة أنْ يرميه بسهم، فمنعه الحُسين ﷺ، وقال: أكره أنْ أبدأهم بقتال[٥].

ولمّا نظر الحُسين ﷺ إلى جمعهم كأنّه السّيل، رفع يديه بالدّعاء، وقال:

«اللّهمّ أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدّة، وأنت لي في كُلِّ أمر نزَل بي ثقةٌ وعُدّةٌ، كم من هَمٍّ يضعفُ فيه الفؤادُ، وتقلُّ فيه الحيلةُ، ويخذلُ فيه الصّديقُ، ويشمَتُ فيه العدوُّ، أنزلتُه بكَ وشكوتُه إليك، رغبةً منّي إليكَ عمّن سواكَ، فكشفْتَه وفرّجتَه، فأنتَ وَليُّ كُلِّ نعمة، ومُنتهى كُلِّ رَغبة»[٦].

المطلب الثاني: خطبتا الإمام الحُسين ﷺ في أعدائه وتوبةُ الحرّ الرياحي

أولاً: الخطبة الأولى

ثمَّ دَعا ﷺ براحلته فَركبَها، ونادى بصوت عال، يسمعهُ جُلُّهم:

---

(١) يُنظر: الإرشاد، للمفيد: ٢٣٣.

(٢) يُنظر: مقتل الحُسين، للخوارزميّ: ٤/٢ .

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٢١٧/٤ .

(٤) يُنظر: الإرشاد، للمفيد: ٢٣٣ .

(٥) يُنظر: الإرشاد، للمفيد: ٢٣٤، وتاريخ الطبريّ: ٣١٨/٣ .

(٦) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٦١/٤ .

أيّها النّاس، إسمَعوا قولي، ولا تعجلوا، حتّى أعظَكم بما هو حقٌّ لكم عليّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدَمي عليكم، فإنْ قَبلتُم عُذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النّصف[1] من أنفسكم، كنتُم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيلٌ، وإنْ لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوا النَّصَفَ من أنفسكم، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ولا تُنْظِرُون﴾[2]،﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحينَ﴾[3].

ثمّ حمدَ الله وأثنى عليه، وصلّى على محمّد وعلى الملائكة والأنبياء، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره، ولم يُسمع متكلِّمٌ قبله ولا بعده أبلَغُ منه في منطقه[4]، ثُمّ قال: قال:

عبادَ الله، اتّقوا الله، وكونوا من الدّنيا على حذر، فإنّ الدّنيا لو بقيتَ على أحد، أو بقي عليها أحدٌ، لكانت الأنبياء أحقّ بالبقاء، وأولى بالرّضا، وأرضى بالقضاء، غيرَ أنَّ الله خلق الدّنيا للفناء، فجديدها بال، ونعيمها مضمحلّ، وسرورُها مُكفهرٌّ[5]، والمنزل بُلغَة، والدّار قلعةٌ، فتزوّدوا، فإنَّ خير الزاد التّقوى، واتّقوا الله لعلّكم تُفلحون[6].

أيّها النّاس، إنّ الله تعالى خلق الدّنيا ، فجعلها دار فناء وزوال، متصرِّفةً بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور مَن غرّته، والشقيُّ مَن فتنته، فلا تغرّنّكم هذه الدّنيا، فإنّها تقطعُ رجاءَ مَن ركَنَ إليها، وتُخيِّبُ طمعَ مَن طمعَ فيها، وأراكُم قدْ اجْتَمعتُم على أمرٍ قد أسخطتُم الله فيه عليكم، وأعرَضَ بوجهه الكريم عنكم، وأحلَّ بكم نِقْمَته،

---

(١) النَصَف ــ بفتح النون والصّاد ــ بمعنى: العدل والإنصاف. المنجد.

(٢) سورة يونس: ٧١ .

(٣) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤٢٥/٥، والكامل في التاريخ: ٦١/٤ .

(٥) يقال: «فلان مُكفهِرّ»، أي: منقبض كالح، لا يُرى فيه أثر بِشر ولا فَرَح، المنجد.

(٦) يُنظر: تاريخ دمشق: ٢١٨/١٤، وكفاية الطالب: ٤٢٩.

فنعمَ الربُّ ربُّنا، وبئس العبيد أنتُم، أقررتُم بالطاعة، وآمنتم بالرّسول محمّد ﷺ ، ثمّ إنّكم زحفتُم إلى ذُريّته وعترته تريدونَ قتلهم، لقدْ استحوذَ عليكم الشّيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتبّاً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قومٌ كفروا بعد إيمانهم، فبُعداً للقوم الظالمين[(١)].

أيّها النّاس، انسبُوني مَن أنا، ثُمَّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظُروا هل يَحلُّ لكم قَتلي وانتهاكُ حُرمتي؟ ألستُ ابن بنت نبيِّكم، وابن وصيِّه وابن عمِّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدِّق لرسوله بما جاء من عند ربِّه؟ أوليسَ حمزةُ سيّد الشّهداء عمَّ أبي؟ أوليسَ جعفرٌ الطيّار عمّي؟ أولَم يَبلُغكم قول رسول الله لي ولأخي: «هذان سيّدا شباب أهل الجنّة»؟ فإنْ صدّقتموني بما أقول ـ وهو الحقّ ـ والله، ما تعمَّدتُ الكذب مُذ علمتُ أنَّ الله يمقتُ[(٢)] عليه أهلَه، ويُضرُّ به من اختلقَه، وإن كذَّبتموني، فإنَّ فيكم مَن إنْ سألتموه عن ذلك أخبركم، سلُوا جابر بن عبد الله الأنصاريّ، وأبا سعيد الخدريّ، وسهل السّاعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سَمعوا هذه المقالةَ من رسول الله لي ولأخي، أما في هذا حاجزٌ لكم عن سفك دمي؟ فقال الشّمر: هو يعبدُ الله على حرف إنْ كان يدري ما يقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبدُ الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادقٌ، ما تدري ما يقول، قد طبعَ الله على قلبك.

ثمّ قال الحُسين عليه السلام : فإنْ كنتم في شكٍّ من هذا القول، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيِّكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم، وَيْحَكُمْ، أتطلبوني بقتيل منكم قتلتهُ؟ أو مال لكم استهلكتُه، أو بقصاص جراحة؟

فأخذوا لا يُكلّمونه، فنادى: يا شَبث بن ربعي، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس ابن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليَّ أن أقدم قد أينعت الثّمار، واخضرَّ

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٥/٥.

(٢) المقت: البغض الشّديد لمَن تراه تعاطى القبيح.

الجناب، وإنّما تقدمُ على جُند لكَ مُجَنَّدة؟

فقالوا: لم نفعل.

قال: سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم، ثمّ قال: أيّها النّاس، إذا كرهتموني، فدعوني أنصرف عنكم إلى مأمني من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمِّك، فإنّهم لن يُروكَ إلاّ ما تُحبُّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟

فقال الحُسين عليه السلام : أنتَ أخو أخيك، أتريد أنْ يطلبك بنو هاشم أكثر من دمِ مسلم ابن عقيل؟

لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذيل، ولا أفرُّ فرار العبيد.

عباد الله، إنّي عُذْتُ بربِّي وربِّكم أنْ ترجمون، أعوذ بربّي وربِّكم من كُلِّ متكبِّر لا يؤمنُ بيوم الحساب.

ثمَّ أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان فعقلَها[1].

ثانيا: الخطبة الثانية

ثمّ إنّ الحُسين عليه السلام ركب فرسه، وأخذ مصحفاً ونشره وجعله على رأسه، ووقف بإزاء القوم، وقال: يا قوم إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

ثُمَّ استشهَدَهم عن نفسه المقدّسة، وما عليه من سيف النبيّ صلى الله عليه وآله، ولامته وعمامته، فأجابوه بالتصديق، فسألهم عمّا أقدمهم على قتله، قالوا: طاعةً للأمير عبيد الله بن زياد، فقال عليه السلام:

تبّاً لكم أيّتها الجماعةُ وترحاً، حين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتُم علينا ناراً اقتدحناها على عَدوِّنا وعدوِّكم، فأصبحتم إلباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٥/ ٧.

(٢) يُنظر: تذكرة الخواصّ: ٢٥٢.

أصبح لكم فيهم، فهلّا ـ لكم الويلات ـ تركتمونا والسّيف مشيمٌ، والجأش طامنٌ، والرأيُ لمّا يُستحصفـُ، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدّبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفَراش، ثمَّ نقضتموها... .

ألا وإنّ الدَّعيَّ ابن الدَّعيّ قد ركَزَ بين اثنتين: بين السَّلَّة[1] والذِّلَّة، وهيهاتَ منّا الذِّلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجورٌ طابتْ وطهُرتْ، وأُنوفٌ حميّةٌ، ونفوسٌ أبيَّةٌ، من أنْ نُوثرَ طاعةَ اللّئامِ على مصارعِ الكرام.

ألا وإنّي زاحفٌ بهذه الأُسرة، مع قلّة العدد، وخذلان النّاصر... .[2]

ثالثا: توبةُ الحرّ بن يزيد الرياحيّ

ولمّا سمع الحرُّ بن يزيد الرياحيّ كلامه واستغاثته، أخذ يدنو من الحُسين عليه السلام قليلاً قليلاً، ثمَّ ضرب جوادَه نحو الحُسين عليه السلام[3]، وقال: يا أبا عبد الله، إنّي تائبٌ، فهل لي من توبة»؟ فقال الحُسين عليه السلام: نعم، يتوبُ اللهُ عليك[4].

المطلب الثالث: بطولة أصحاب الحُسين عليه السلام واستشهادهم

تقدَّم عُمر بن سعد نحو جيش الحُسين عليه السلام، ورَمى بسهم، وقال: إشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل مَن رَمى، ثُمَّ رمى النّاس، فلم يبقَ مِن أصحابِ الحُسين أحدٌ إلّا أصابه من سهامهم[5]، فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بدّ منه، فإنَّ هذه السّهامُ رُسلُ القوم إليكم، فحمَل أصحابه حملةً واحدةً[6]، واقتتلوا

---

(١)السَّلّة ـ بفتح السّين وتشديد اللّام ـ بمعنى استلال السّيوف، وكناية عن الحرب والقتال. يُنظر: لسان العرب، مادّة(سلل).

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٥/٨-٩.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣/٣٢٠.

(٤) يُنظر: الأمالي للصّدوق: ١٣٦، المجلس ٣٠.

(٥) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٥/١٢؛ والفتوح: ٥/١٠٠.

(٦) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٨.

ساعةً، فما انْجلَتْ الغُبرة إلّا عن خمسينَ صريعاً[(١)].

المطلب الرابع: جهاد بني هاشم واستشهادهم

أولاً: شبل الحُسين الأكبر عليه السلام

ولمّا لم يَبْقَ مع الحُسين عليه السلام إلاّ أهل بيته، عَزَموا على ملاقاة الحُتُوفِ، ببأس شديد، وحفاظ مُرٍّ، ونفوسٍ أبيَّة، وأقبل بعضهم يودِّعُ بعضاً[(٢)]، وأوّل مَنْ تقدّم أبو الحسن: عليّ الأكبر، وعمرهُ سبعٌ وعشرونَ سنة[(٣)]، وكان مرآة الجمال النّبوي، ومثال خُلقه السّامي، فاستأذنَ أباه، وبرزَ مُرْتَجزا[(٤)].

ولم يتمالَك الحُسين عليه السلام دون أنْ أرْخى عينيه بالدّموع[(٥)]، فلم يَزل يُقاتِلُ حتّى ضجّ أهلُ الكوفة لكثرة مَن قَتَلَ منهم[(٦)]، فقتلَ مائةً وعشرينَ فارساً، وقد اشتدَّ به العَطش، فرجع إلى أبيه يستريح، ويذكر ما أجهده من العَطَش[(٧)]، ثمَّ رَجَعَ إلى الميدانِ، فأكثرَ القتلى في أهلِ الكوفةِ حتّى أكْمَلَ المائتين[(٨)]، فقال مُرّةُ بنُ مُنْقِذِ العَبْديّ[(٩)]: عليَّ آثامُ العرب إنْ لَمْ أُثْكِل أباه به[(١٠)]، فطَعَنه بالرُّمح في ظهره[(١١)]، وضربَه بالسّيف على رأسِه، فَفَلَق هامَتَه، واعتَنَقَ فَرَسه فاحتملَهُ إلى معسكر الأعداء،

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ١٢/٤٥، نقلاً عن محمّد بن أبي طالب.

(٢) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٢/ ٢٦، ومثير الأحزان، لابن نما: ٦٨ .

(٣) وُلد عليّ الأكبر في الحادي عشر من شعبان سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة، ذكره المقرّم في المقتل: ٣٠٩، نقلاً عن أنيس الشيعة ـ مخطوط ـ .

(٤) يُنظر: الإرشاد للمفيد: ٢٣٨.

(٥) يُنظر: مثير الأحزان:١/ ٦٨ .

(٦) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٣٠/٢ .

(٧) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٣١/٢، ومقتل العوالم: ٩٥ .

(٨) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٣١/٢ .

(٩) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٧٤/٤، والأخبار الطوال: ٢٥٦.

(١٠) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٣١/٣، ومناقب ابن شهرآشوب: ١٠٩/٤.

(١١) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٣١/٢، ومقتل العوالم: ٩٥.

وأحاطوا به حتّى قطَّعُوه بسيوفهم إرباً إرباً[١].

ثانيا: عبدُ الله بن مسلم بن عقيل

وخرجَ من بعده عبد الله بن مسلم بن عقيل، فقتلَ جماعةً بثلاثِ حَمَلات[٢]، ورماه يزيد بن الرقّاد الجهنيّ، فاتّقاه بيدِه، فسمّرها[٣]إلى جبهته، فما استطاع أنْ يُزيلها عن جبهته[٤]، فجاء إليه يزيد بن الرقّاد، وأخرج سهمه من جبهته، وبقي النصل[٥]فيها وهو ميّتٌ[٦].

ثالثا: حملة آل أبي طالب

ولمّا قُتِل عبد الله بن مسلم، حَمَلَ آل أبي طالب حَمْلةً واحدةً، فصاحَ بهم الحُسين عليه السلام : صبراً على الموت يا بني عمومتي، والله، لا رأيتُم هواناً بعد هذا اليوم[٧]، فَوَقَعَ فيهم عونٌ بن عبد الله بن جعفر الطّيار، وأُمّه العقيلة زينب، وأخوه محمّد، وأُمّه الخوصاء، وعبد الرّحمن بن عقيل بن أبي طالب، وأخوه جعفر بن عقيل، ومحمّد بن مُسلم بن عقيل.

وأصابتْ الحسنَ المثنّى ابن الإمام الحسن السّبط عليه السلام ثماني عشرة جراحةً، وقُطعَتْ يده اليُمنى، ولم يستشهد.

---

(١) يُنظر: مقتل الحُسين عليه السّلام للخوارزميّ: ٣٠/٢، والفتوح: ١١٤.

(٢) يُنظر: مناقب ابن شهرآشوب: ١٠٥/٤.

(٣) سَمَّرَ البابَ وغيرَه: شدّه بالمسمار، والمعنى: ألصق يده بجبهته.

(٤) يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٦٢ .

(٥) النصل: حديدة الرّمح والسّهم والسّكّين. المنجد.

(٦) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٦٤/٦، وبحار الأنوار: ٣٧٥/٤٥.

(٧) يُنظر: المقتل للخوارزميّ: ٢٨/٢.

وخرج أبو بكر بن أمير المؤمنين ﷺ، واسمه محمّد، قتله زَحر بن بدرٍ النَّخعيّ[١].

وَخَرَج عبد الله بن عقيل، فما زالَ يضرِب فيهم حتّى أُثخنَ بالجِراح، وسقطَ إلى الأرض، فجاء إليه عثمان بن خالد التميميّ فقتلهُ[٢].

وخرج أبو بكر بن الحسن بن أمير المؤمنين ﷺ، وهو عبد الله الأكبر، وأُمّه أُمّ ولد يقال لها رملةٌ، فقاتل حتّى قُتِلَ[٣].

رابعا: القاسم بن الحسن المجتبى ﷺ

وخَرجَ من بعده أخوه لأُمِّه وأبيه القاسم، وهو غلامٌ لم يبلُغ الحُلُم، فلمّا نظر إليه الحُسين ﷺ، اعتنقه وبكى[٤]، ثمَّ أذِنَ له، فبرزَ كأنّ وجهه شِقَّةُ قمر، وبيده السّيف، وعليه قميصٌ وإزارٌ وفي رجليه نَعْلانِ، فمَشى يَضْرِبُ بسيفه، فانقطع شِسْعُ نعله اليسرى، فوقف يشدُّ شِسعَ نعله، وبينا هو على هذا، إذْ شدَّ عليه عمرو بن سعد بن نُفيل الأزدي، فما ولّى حتّى ضرب رأسه بالسّيف، فوقع الغلام لوجهه[٥].

خامسا: حامل اللواء: العبّاس ابن أمير المؤمنين

ولمّا رأى العبّاس ﷺ كَثرةَ القتلى من أهله؛ قال لإخوانه من أُمِّه وأبيه (عبد الله وعثمان وجعفر): تقدّموا يا بني أُمّي، حتّى أراكم نَصَحتم لله ولرسوله، والتفتَ إلى عبد الله، وكان أكبر من عثمان وجعفر، وقال: تقدّم يا أخي، حتّى أراك قتيلاً وأحتسبك[٦]، فقاتلوا بين يدي أبي الفضل حتّى قُتِلوا بأجمعهم.

---

(١) يُنظر: مناقب ابن شهر آشوب: ١٠٧/٤، ومقتل الخوارزميّ: ٢٨/٢.

(٢) يُنظر: مناقب ابن شهرآشوب: ١٠٦/٤.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٤٣/٣، وفيه: أنّ قاتله هو: عبد الله بن عقبة الغنويّ.

(٤) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٢٧/٢.

(٥) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٥٧٠/٢، الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة): ٤٧١/١، ومثير الأحزان: ٦.

(٦) يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٥٤.

ولم يستطِع العبّاس صبراً على البقاء، بعد أنْ فنى صحبه وأهل بيته، وهو يرى «حجّة الوقت» مكثوراً، فقال له الحُسين عليه السلام: يا أخي، «أنت صاحب لِوائي»، فقال عليه السلام: قد ضاق صدري من هؤلاء المنافقين، وأُريد أنْ آخذَ ثأري منهم[١]، فأمَرَهُ الحُسين عليه السلام أنْ يطلبَ الماء للأطفال ...، ثُمَّ ركِبَ جواده وأخذ القِربة، فأحاط به أربعةُ آلاف، ورموه بالنّبال[٢]، فلم تُرْعِبه كثرتهم، ثُمَّ ملأَ القِربة، وركب جواده، وتوجّه نحو المخيَّم، فقُطع عليه الطريق، وجعلَ يضربُ، حتّى أكثر القتل فيهم، فكمن له زيد بن الرقّاد الجهنيّ من وراء نخلة، وعاونه حكيم بن الطُّفيل السّنبسيّ، فضربه على يمينه، فبراها[٣]، فلم يعبأ بيمينه بعد أنْ كان همُّه إيصال الماء إلى أطفال الحُسين وعياله[٤]، ولكنّ حكيم بن الطفيل كمَنَ له من وراء نخلة، فلمّا مرَّ به، ضربَه على شماله، فقطعها[٥]، وتكاثروا عليه، وأتته السّهام كالمطر، فأصاب القِربة سهمٌ وأُريق ماؤها، وسهمٌ أصاب صدره[٦]، وضربه رجلٌ بالعمود على رأسِه، رأسِه، ففلَقَ هامَتَه[٧]، فانقلب عن فرسه وصاح إلى أخيه الحُسين: أدركني، فلمّا أتاه أتاه رآه صريعاً، فبكى وحمله إلى الخيمة، ثمّ قالوا: ولمّا قتل العبّاس قال الحُسين عليه السّلام: الآن انكسر ظهري وقلّتْ حيلتي[٨].

سادسا: الإمام السجّاد عليه السلام

ونهض السجّاد يتوكّأُ على عصا ويجرُّ سيفَه، لأنّه مريض لا يستطيع الحركة، فصاحَ الحُسين بأُمِّ كلثوم: اِحبسيه؛ لئلاّ تخلو الأرض من نسل آل محمّد، فأرجعته

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٥/ ٤١.
(٢) المصدر السّابق.
(٣) يُنظر: المناقب لابن شهرآشوب: ١٠٨/٤.
(٤) يُنظر: المقتل للمقرم: ٣٢٧ .
(٥) يُنظر: المناقب لابن شهرآشوب: ١٠٨/٤.
(٦) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٢/٤٥.
(٧) يُنظر: المنتخب للطريحيّ: ٣١٤ .
(٨) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٢/٤٥.

إلى فراشه[١].

سابعا: مقتل عبد الله الرضيع

وَدَعا الإمام الحُسين عليه السلام بولَدِه الرضيع يودّعه، فأتته زينب بابنه عبد الله، وأُمّه الرّباب، فأجلسه في حِجْرِه يُقبِّلُه، ثمَّ أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهِل الأسديّ بسهم، فذبحه[٢].

المطلب الخامس: استشهاد الإمام الحُسين عليه السلام

وتقدّم الحُسين عليه السلام نحو القوم، مصلِتاً سيفه، آيساً من الحياة، ودعا النّاس إلى البراز، فلم يزل يقتلُ كلَّ مَن برز إليه، حتّى قتلَ جمعاً كثيراً، ثمَّ حَمَلَ على الميمنة، فصاح عمر بن سعد بالجمع: اِحملوا عليه من كلِّ جانب[٣]، فأتته أربعة آلاف نَبْلَة، وَقَصَده القومُ، واشتدَّ القتالُ، وقد اشتدَّ به العطَش.

ثُمَّ إنّه عليه السلام ودَّعَ عِيالَه ثانياً، وأمرَهُم بالصّبرِ ولِبْسِ الأُزُر، وقال: اِستعدّوا للبلاء، واعلموا أنَّ الله تعالى حاميكم وحافِظكم، وسينجِّيكم من شرِّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب عدوّكم بأنواع العذاب، ويعوِّضُكم عن هذه البليّة بأنواع النِّعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقِّص من قدركم[٤].

فقال عمر بن سعد: ويحكم، اِهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحُرَمِه، والله إنْ فَرغَ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسّهام، فحملَ عليهم كاللّيث الغضبان، فلا يَلحَقُ أحداً إلاّ بعجَه بسيفه فقتَلَه، والسّهام تأخذُه من كلِّ ناحية، وهو يتَّقيها بِصدره ونحرِه[٥].

---

(١) يُنظر: الخصائص الحُسينيّة: ١٨٨.

(٢) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٩، وبحار الأنوار: ٤٦/٤٥، تاريخ الطبريّ: ٤٤٨/٥.

(٣) يُنظر: مثير الأحزان: ٧٢.

(٤) يُنظر: جلاء العيون، للعلاّمة المجلسيّ (بالفارسيّة): ٦٨٦.

(٥) يُنظر: مثير الأحزان في أحوال الأئمة الإثني عشر أمناء الرحمن، للجواهريّ: ٨٦.

ورجع إلى مركزه يُكثرُ من قول: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم[(١)].

ورماه أبو الحُتوف الجعفيّ بسهم في جبهته، فنزَعه، وسالت الدّماء على وجهه، فقال: اللّهمَّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العُصاة، اللّهمَّ احصِهِم عدداً، واقتُلهم بدداً، ولا تذَرْ على وجه الأرضِ منهم أحداً، ولا تغفِر لهم أبَداً.

ولمّا ضَعُف عن القتال، وقف يستريح، فرماه رجلٌ بحجر على جبهته، فسال الدّم على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدّم عن عينيه، ورماه آخرُ بسهم محدّد له ثلاث شُعَب وقع على قلبه.

فقال: بسمِ الله، وبالله، وعلى ملّةِ رسول الله، ورفَعَ رأسه إلى السّماء، وقال: إلَهي، إنّك تَعلَمُ أنّهم يقتُلونَ رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنتِ نبيٍّ غيريّ، ثمَّ أخرج السّهم من قفاه، وانبعثَ الدمُ كالميزاب[(٢)]، فوضع يده تحت الجُرْح، فلمّا امتلأتْ، رمى به نحو السّماء، وقال: هوَّنَ عليَّ ما نزل بي أنّه بعين الله، فلم يسقُط من ذلك الدّم قطرةٌ إلى الأرض[(٣)].

وأعياه نَزْفُ الدّم، فجلَسَ على الأرض ينوءُ برقَبَته، فانتهى إليه في هذا الحال مالكُ بن النسر، فشتمه، ثمَّ ضربه بالسّيف على رأسه، وبقي الحُسين عليه السلام مَليّاً جالساً، ولو شاؤوا أنْ يقتلوه لفعلوا، إلاّ أنّ كلّ قبيلة تتَّكل على غيرها، وتكره الإقدام على قتلِه[(٤)].

فصاح الشّمر: ما وقوفكم؟ وما تنتظِرون بالرَّجل وقد أثخنته السِّهام والرِّماح؟

---

(١) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١ .

(٢) يُنظر: الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١، مقتل الخوارزميّ: ٣٤/٢.

(٣) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٣٤/٢.

(٤) يُنظر: الأخبار الطوال: ٢٥٨.

احملوا عليه[١].

وضربَه زُرعة بن شريك على كتفه الأيسر، ورماه الحصين بن تميم في حلقِه، وضربَه آخرُ على عاتِقه، وطعنه سنان بن أنس في تَرْقُوَتِه، ثمّ في بواني صَدرِه، ثمّ رماه بسهم في نَحرِه، وطعنه صالح بن وهب في جنبه.

المطلب السادس: دعاءُ الحُسين ﷺ في لحظاته الأخيرة

ولمّا اشتدَّ بالحُسين ﷺ الحال، رفع طرفه إلى السّماء، وقال:

اللّهمَّ مُتعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المِحال، غنيٌّ عن الخلائق، عريضُ الكبرياء، قادِرٌ على ما تشاء، قريبُ الرّحمة، صادق الوعد، سابغ النّعمةِ، حسنُ البلاء، قريبٌ إذا دُعيت، محيطٌ بما خلقتَ، قابل التّوبة لمن تاب إليك، قادرٌ على ما أردتَ، ومُدركٌ ما طلبتَ، وشكورٌ إذا شُكِرْتَ، وذكورٌ إذا ذُكِرْتَ، أدعوكَ محتاجاً، وأرغبُ إليك فقيراً، وأفزعُ إليك خائفاً، وأبكي مكروباً، وأستعينُ بك ضعيفاً، وأتوكّلُ عليك كافياً، اللّهمَّ احكم بيننا وبين قومنا، فإنّهم غرُّونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترةُ نبيِّك، وولدُ حبيبك محمّد ﷺ، الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على الوحي، فاجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً، يا أرحمَ الراحمين[٢].

وانتهتْ زينب ﷺ نحو الحُسين وهو يجودُ بنفسه، فصاحتْ: أيْ عُمر، أيُقتَل أبو عبد الله وأنت تَنظر إليه؟ فصرَفَ بوجهِهِ عنها ودُموعه تسيلُ على لحيته[٣].

فقالت: ويحكم، أما فيكم مُسلمٌ؟ فلم يُجبها أحدٌ[٤]، ثمَّ صاح ابن سعد بالنّاس: اِنزلوا إليه وأريحوه، فبدرَ إليه الشّمرُ، فرَفَسَه برِجلِه، وجلس على صدره، وقبضَ على شيبته المُقدَّسةِ، وضربه بالسّيف اثنتي عشرةَ ضربةً، واحتزَّ رأسه المُقدَّس[٥].

---

(١) يُنظر: مقتل الخوارزميّ: ٣٥/٢، والمناقب، لابن شهرآشوب: ١١١/٤.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ٣٤٨/١٠١، باب زيارته يوم ولادته ﷺ.

(٣) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٧٨/٤، تاريخ الطبريّ: ٣٣٤/٣.

(٤) يُنظر: الإرشاد، للمفيد: ٢٤٢.

(٥) يُنظر: المقتل للخوارزميّ: ٣٦/٢-٣٧، ومقتل العوالم: ١٠٠.

خلاصة البحث

لمّا أصبح الحُسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلّى بأصحابه صلاة الصّبح، قام خطيباً فيهم، ثمّ صفّهم للحرب، وكانوا اثنين وثمانين فارساً وراجلاً.

وأقبل عُمر بن سعد نحو الحُسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً، وقاتل أصحاب الحُسين قتال الأبطال، حتّى استشهدوا عن آخرهم دون إمامهم، ودون عيال الرسول صلى الله عليه وآله.

وكان أوّل مَنْ تقدّم من بني هاشم عليّ الأكبر، فبرز من بعده عبد الله بن مسلم، ومن بعده أخوه لأُمّه وأبيه القاسم، وهو غلامٌ لم يبلُغ الحُلُم.

ثم حَمَلَ آل أبي طالب حَمْلةً واحدةً، حتّى استشهدوا عن آخرهم.

ولمّا رأى العبّاس عليه السلام كَثرةَ القتلى من أهله؛ قال لإخوانه من أُمّه وأبيه: تقدّموا يا بني أُمّي، حتّى أراكم نَصَحتم لله، فبرزوا، حتى استشهدوا جميعهم.

ولم يستطِع العبّاس صبراً على البقاء، فبرز مجاهداً جهاد الأبطال حتّى استشهد سلام الله عليه.

ثمّ برز الإمام الحُسين عليه السلام ودعا النّاس إلى البراز، فلم يزل يقتلُ كلَّ مَن برز إليه، حتّى قتلَ جمعاً كثيراً، حتّى تكاثروا عليه بعد أنْ أعياه العطش والحرّ، فاستشهد سلام الله عليه.

اختبارات البحث

١. بيّن استعدادات معسكر الإمام الحُسين عليه السلام للقتال في عاشوراء.
٢. ما الذي ركّز عليه الإمام الحُسين عليه السلام في خطبتيه في أعدائه يوم عاشوراء؟
٣. تكلّم عن بطولة أصحاب الحُسين عليه السلام واستشهادهم.
٤. صف جهاد بني هاشم يوم عاشوراء.
٥. ما كان هدف الإمام الحُسين عليه السلام من طلب الماء لرضيعه؟

البحث رقم (١٧)

الثورة الحُسينيّة (١): العوامل والأهداف

أهداف البحث

١. توضيح سرّ عدم ثورة الإمام الحُسين عليه السلام زمان معاوية.
٢. بيان الأمراض التي كان يعاني المجتمع منها زمان الإمام الحسن عليه السلام.
٣. وصف العوامل الحقيقيّة لثورة الإمام الحُسين عليه السلام.
٤. وصف الأهداف الحقيقيّة لثورة الإمام الحُسين عليه السلام.
٥. توضيح أنّ ثورة الإمام الحُسين عليه السلام كانت الحلّ الوحيد للمجتمع.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق تاريخ الإمام الحُسين عليه السلام إلى حين هجرته إلى مكّة وتوضيحه للحقائق المخزية المختلفة التي أخفاها الخليفة الظالم، وبعثه لابن عمّه مسلم بن عقيل إلى الكوفة لتهيئة الأمور للثورة، ونواصل في هذا البحث تاريخه عليه السلام، فنتناول ثورته المباركة بالتحليل، فنتكلّم في العوامل والأهداف.

المطلب الأول: السرّ في عدم ثورة الإمام الحُسين عليه السلام زمان معاوية

بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام واغتياله من قبل معاوية ونقض معاوية لبنود الصّلح، تحرّكتْ الشيعة، وطالبت الإمامَ الحُسينَ عليه السلام بالتحرّك والثورة ضدّ معاوية؛ إذْ إنّ الحُسين عليه السلام كان يملك الدّليل المقبول لثورته، ولكنّه لم يستجب لطلباتهم، وآثر السّكون ما دام معاوية حيّاً.

والسرّ – كما يبدو – كان يكمن في أمرين على الأقلّ:

الأوّل: إنّ الوفاء بالعهد خُلق إسلاميّ رفيع يمثّله الإمام المعصوم أحسن تمثيل، ولا يسوّغ الإمام لنفسه أنْ يهبط إلى مستوى معاوية في نقضه للعهد، بالرّغم من أنّ نقض العهد من قِبل معاوية مسوّغ شرعيّ وأخلاقيّ للخروج من تعهّده، ولكنّ معاوية كان بإمكانه أنْ يستغلّ هذا النقض كورقة رابحة يستعملها ضدّ الإمام

الحُسين عليه السلام، ويضلّل به الرأي العام.

الثاني: إنّ السّبب الذي من أجله عقد الإمام الحسن عليه السلام الصّلح مع معاوية ما دام مستمرّاً ونافذ المفعول، فالإمام الحُسين عليه السلام لا يتحرّك ولا يثور، إلاّ إذا تهيّأت الظروف الموضوعيّة التي تضمن لثورته تحقيق أهدافها.

وكان السّبب في إبرام الصّلح مع معاوية: أنّ الأمّة الإسلاميّة – ولا سيّما القطّاع الواسع من الموالين لأهل البيت عليهم السلام– كانت قد سيطرت عليه حالة الشكّ في رساليّة خطّ أهل البيت عليهم السلام، حينما لاحظوا مرارة الصّراع بين معاوية والإمام عليّ عليه السلام، وبين طلحة والزبير وعائشة وبين عليّ عليه السلام، وبين الخوارج وبين عليّ عليه السلام، وأنزلوا عليّاً عليه السلامإلى مستوى معاوية الذي كان يرمي للوصول إلى الحكم بكلّ سبب، ولم يكن لهذا التصدّي منه والحرص على استلام السّلطة أيّ مسوّغ رساليّ.

وقد سرى هذا الشكّ في مدى رساليّة حروب الإمام عليه السلام إلى جمع من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، حتّى أنّهم استبعدوا أنْ يكون مثل عائشة أو طلحة أو الزبير على باطل، فكيف يقاتلهم الإمام عليّ عليه السلام وكلّهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وحينما يستفحل هذا الشكّ ويتحوّل إلى حالة مرضيّة – كما حدث ذلك في عصر الإمام الحسن عليه السلام – لم يكن بالإمكان علاج هذه المسألة حتّى بالتضحية، بل كان لا بدّ من الصّبر والتأنّي؛ ليتّضح لعامّة المسلمين مدى دَجَل معاوية، ومدى تظاهره بالإسلام من جهة، ومدى التزام أهل البيت عليهم السلام بمبادئهم الرساليّة من جهة أخرى.

وقد فضح معاوية نفسه وكشف عن واقعه بعد نقضه لكلّ بنود الصّلح مع الإمام الحسن عليه السلام، وكان لا بدّ للشاكّين في سلامة خطّ أهل البيت عليهم السلام من الاكتواء بلظى النار التي سعّرها لهم معاوية وأخذ يؤجّجها بكلّ ضراوة، وكان ترشيح يزيد وفرض البيعة له بالخلافة هو آخر الخطّ لمعاوية، وقد مهّد لذلك باغتيال الإمام الحسن عليه السلام ليخلو له الجوّ، وقد ذكر له التاريخ أكثر من محاولة ومراوغة لتحقيق مأربه هذا وتحكيم الجاهليّة بثوب جديد في ربوع الدّولة الإسلاميّة.

المطلب الثاني: الدوافع الحقيقية للثورة الحُسينية

هناك أكثر من دافع وسبب قد ذكره المؤرِّخون لتعليل النهضة الحُسينيّة، ولكنّ هذه الأسباب متداخلة ومترتّبة في ما بينها، بحيث يكون بعضها سبباً أعمق، أو كاشفاً عن سبب.

وهناك أسباب مقبولة لدى عامّة المسلمين، وقاطعة للعذر، بينما لا تكون أسباباً حقيقيّة ونهائيّة.

والأسباب الحقيقيّة لا بدّ أنْ نستلهمها من صاحب الثورة نفسه، ولا يكفي أنْ نستند فيها إلى تحليلات الآخرين لها.

وقد لاحظنا نصوص الإمام الحُسين (عليه السلام) حين أعلنَ في أكثر من مشهد، ومنذ بداية تحرّكه وحتّى نهاية الشّوط من حياته: أنّه إنّما قام لطلب الإصلاح في أُمّة جدّه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، المتمثِّل في التصدّي للحاكم الجائر المستحلّ لحرمات الله، وإذا كان هذا المستوى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتحقّق إلاّ بالتضحية والشهادة في سبيل الله، تعيّن هذا الأسلوب من الإصلاح، ولا سيّما إذا كان تركه يؤدّي إلى محق الشريعة وضياع الرسالة التي لا شيء أغلى منها في ميزان الله تعالى.

وللوصول إلى الجواب التفصيليّ - الذي كان يحتّم على الإمام الحُسين (عليه السلام) اختيار طريق التضحية والشهادة بالنحو الذي اختاره، فضلاً عن تنبّؤات الرسول (صلى الله عليه وآله) وإخباراته، التي كانت تُفصح عن الأسباب الكامنة في واقع الأمّة ومدى تردّيها وهبوطها- لا بدّ أنْ نقف على أبعاد المشكلة الحقيقيّة التي كانت تعانيها الأمّة الإسلاميّة في عصر الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لتتّضح لنا مدى سلامة هذا الطريق، وأنّه الطريق الوحيد الذي كان يستطيع الإمام (عليه السلام) أنْ يختاره من أجل معالجة المشكلة، ورفع آثارها الكارثيّة الفتّاكة.

لقد عرفنا أنّ الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾ قد عالج بصلحه مشكلة التشكيك في مدى رساليّة خطّ أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، ولكن، بعد أنْ اكتوت الأمّة بنار المأساة التي أجّجها الحكم الأمويّ - وقد عرفنا أساليبه التي استخدمها لتمييع شخصيّة ابناء الأمّة وسلب إرادتها وإباحة كرامتها وتخديرها- أصبحتْ هذه الأمّة تدرك الخطر، إلا أنّها كانت لا تزال لا تقدر على مجابهته، وكلمة الفرزدق المعروفة للإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ : «قلوبهم معك، وسيوفهم عليك»، تعبّر عن تصوير دقيق وواقعيّ لهذه الحالة الاجتماعيّة المرضيّة التي انتابت المجتمع الإسلاميّ في عصر الحكم الأمويّ.

إنّ هناك أكثر من مشهد لتصوير مدى عمق مرض فقدان الإرادة في جسم الأمّة، وعلى مختلف المستويات والقطّاعات الاجتماعيّة، بدءً بأقرب النّاس إلى أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، وانتهاءً بالبُعداء عنهم وعن ثقافتهم.

ولا بدّ أنْ نستعرض بعض النماذج لرسم صورة عن هذا الواقع المؤلم الذي كان يلمسه الإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ بكلّ وضوح:

١- لقد أجمعت كلمة عقلاء المسلمين على تخويف الحُسين ﴿عليه السلام﴾ - يوم صمّم ﴿عليه السلام﴾ أنْ يرفض بيعة يزيد ويثور عليه بوصفه معلناً بفسقه مستحلّاً لحرمات الله - وكانوا يمنّونه السّلامة، ويقترحون عليه الحلول التي لا تنتهي به إلى الشهادة، وكانوا لا يتصوّرون أنّ التضحية يمكن أنْ تكون بديلاً للحياة، ولم يتلقَّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ هذه النصائح من عوام النّاس، بل من سادة المسلمين، أمثال: محمّد بن الحنفيّة، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عبّاس، وعبد الله بن عمر.

لقد كانت هذه النصائح تعبّر عن نوع من الانهيار النفسيّ الذي شمل زعماء المسلمين فضلاً عن الجماهير التي كانت تعيش هذا الانهيار مضاعفاً في أخلاقها وسلوكها وأطماعها.

٢- موقف كثير من زعماء البصرة الموالين لخطّ الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾، الذين كاتبهم الإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ واستنصرهم بعد أنْ أشعرهم بالخطر الذي تواجهه الأمّة الإسلامية.

لقد كان ردّ الفعل لكثير من هؤلاء عدم الاستجابة لنداء الإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾، بل نرى أثر الانهيار التامّ كان بادياً على المنذر بن الجارود، الذي سلّم الرسول والرسالة إلى ابن زياد الذي حينها والياً على البصرة، لا حُبّاً به، بل حفاظاً على نفسه، ولئلّا يكتشف ذلك ابن زياد فيجعل الموقف نقطة ضعف عليه، فلكي يوفّر كلّ ضمانات البقاء الذليل، قام بهذا الردّ الخيانيّ، الموقف الذي تسبّب في قتل رسول الحُسين ﴿عليه السلام﴾؛ فقد صلبه ابن زياد عشية الليلة التي خرج في صبيحتها إلى الكوفة [(١)].

وأمّا الأحنفُ بن قيس الذي قد يحسب على الإمام عليّ ﴿عليه السلام﴾، فقد أجاب الإمام ﴿عليه السلام﴾ بآية واحدة فقط، يأمره فيها بالتصبّر والتريّث، ونلمس في هذا الجواب أنّ إقدام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ كان يُعدّ عند هؤلاء نوعاً من العجلة وقلّة الأناة والخفّة واللا تعقّل والعياذ بالله، وهذه هي أخلاقيّة الهزيمة النفسيّة التي تقع فيها الأمّة بالتدريج.[(٢)]

٣- حينما لقي الإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ عبيد الله بن الحرّ الجعفيّ، استنصره، وكان عبيد الله ممّن عرف الحُسين ﴿عليه السلام﴾، وعرف خطّ الحُسين ﴿عليه السلام﴾، فعزّ عليه أنْ يقدّم قطرة من دمه في سبيل الله، لكنّه كان مستعداًّ لأنْ يقدّم فرسه لمولاه.

٤- ذهب حبيب بن مظاهر الأسديّ ليدعو عشيرته بني أسد لنصرة سيّده الحُسين ﴿عليه السلام﴾، وما كان من العشيرة إلاّ أنْ غادرتْ - بأجمعها- تلك اللّيلة المنطقة، وخشيتْ أنْ تبقى حياديّة لا إلى الحُسين ﴿عليه السلام﴾ ولا إلى عدوّ الحُسين﴿عليه السلام﴾، وهل هذه إلّا الهزيمة النفسيّة التي مُنيت بها قطاعات الأمّة بمختلف مستوياتها يومذاك؟!

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٩ ، وأعيان الشيعة: ١ / ٥٩٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣ / ٣٠٠ ، والآية (٦٠) من سورة الروم .

٥- لقد استطاع عبيد الله بن زياد خلال أسبوعين أو ثلاثة بعد مقتل مسلم بن عقيل أنْ يجنّد الأُلوف من ابناء الكوفة ضدّ الحُسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهم مَن كان قد حارب إلى جانب أبيه عليه السلام في صفّين والجمل والنهروان.

وإذا كانت الهزيمة النفسيّة للأمّة هي الحالة المرضيّة العامّة التي قد تعرّضت لها الأمّة المسلمة في عصر الحُسين عليه السلام، فالحُسين عليه السلام حين يريد معالجة هذا المرض المستشري في جسمها، لا بدّ له أنْ يقدّم الموقف النظريّ والعمليّ معاً تجاه الوضع القائم، ويضع النقاط على الحروف بنحو ينتهي إلى اجتثاث جذور هذا المرض الخبيث.

ومن هنا، كانتْ الثورة المسلّحة بالشكل المثير جداً، والذي يستنهض النفوس الميّتة ويحييها من سباتها، ويبدّل جُبنها إلى الشجاعة، ووهنها إلى الإقدام، هو الحلّ الوحيد للأزمة التي حلّت بالأمّة المسلمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتفصيل ذلك: أنّ الحُسين عليه السلام كانت أمامه عدّة حلول ممكنة بعد أنْ طلب منه يزيد البيعة وهدّده بالقتل إنْ لم يبايع:

الموقف الأوّل: أنْ يبايع يزيد كما بايع جملة من الصّحابة وابنائهم.

الموقف الثاني: أنْ يرفض البيعة ويبقى في مكّة أو المدينة.

الموقف الثالث: أنْ يلجأ إلى بلد من بلاد العالم الإسلاميّ كما اقترح عليه أخوه محمّد بن الحنفيّة.

الموقف الرابع: أنْ يتحرّك ويذهب إلى الكوفة مستجيباً للرسائل التي وردته من أهلها، ثمّ يُستشهد بالطريقة التي وقعتْ.

وكان اختياره للموقف الرابع قائماً على أساس إدراكه لطبيعة الظرف الذي يعيشه، فإنّه كان عليه أنْ يقف موقفاً يعالج فيه عدّة أقسام من أفراد الأمّة الإسلاميّة:

القسم الأوّل: وهو القسم الذي كان يشكِّل جزءاً كبيراً من الأمّة، ويضم مَن قد فَقَدَ خلال عهد معاوية بن أبي سفيان إرادته وقدرته على مواجهة الوضع القائم، وهو يشعر بالذّلّ والاستكانة، وأنّ خسارة كبيرة تحيق بالأمّة الإسلاميّة، وهي تبديل الخلافة إلى كسرويّة وهرقليّة.

القسم الثاني: مَن هان عليه الإسلام، فلم يعد يهتم بالرّسالة بقدر اهتمامه بمصالحه الشخصيّة، وتضاءلتْ أمامه الرّسالة، وكبر أمامه – في المقابل – وجوده ومصالحه واعتباراته.

والقسم الثالث: المغفّلونَ الذين كان بالإمكان أنْ تنطلي عليهم حيلة بني أُميّة لو سكت صحابة الرسول عن تحويل الخلافة إلى قيصريّة وكسرويّة.. فإنّ الخلافة وإنْ انحرفتْ عن خطّها المستقيم منذ توفّي الرسول ﷺ، إلا أنّ مفهومها بقي هو مفهوم الخلافة، غاية الأمر، اغتصبه أبو بكر، ومن ثمّ عمر وعثمان، بينما كان ما طرأ في عهد معاوية، إنّما طرأ على المفهوم نفسه، وهو تغيّر أساسيّ؛ إذْ لم تعد الخلافة حكماً للأُمّة، وإنّما حوّلها معاوية إلى حكم كسرى وقيصر، وهو تحويل خطير في المفهوم، أراد معاوية أنْ يُلبسه ثوب الشرعيّة، ولو كان هذا التحويل يواجَه بسكوت من قبل الصّحابة، لأمكن أنْ تنطلي حيلة معاوية على الكثير من السذّج والبسطاء؛ إذْ يرون في سكوت الصّحابة إمضاءً له.

والقسم الرابع: وهو ما يرتبط بتنازل الإمام عليه السلام عن المعركة مع معاوية وإعلانه الهدنة، بعدِّه الأسلوب الوحيد الذي كان يحتّمه على الإمام الحسن عليه السلام موقعه ومركزه بصفتِهِ أميناً على الإسلام والمسلمين، فإنّ هذا الواقع لم يكن مكشوفاً بالدرجة الواضحة إلّا داخل دائرة الجماهير التي كانت تعيش المأساة عن قرب كالعراق بشكل عامّ، دون مَن كان يعيش في أطراف العالم الإسلاميّ، كأقاصي خراسان؛ إذْ لم يعش المحنة يوماً بعد يوم، ولم يكتوِ بالنار التي اكتوى بها الإمام

الحسن عليه السلام في الكوفة من قواعده وأعدائه، وإنّما كانت تصله الأخبار عبر المسافات الشاسعة بين الكوفة وأطراف خراسان مثلاً.. فهو لم يميّز أنّ هذا التنازل هل هو اعتراف بشرعيّة الأُطروحة الأمويّة، أم أنّه تصرّف اقتضته الضّرورة والظروف الموضوعيّة التي كان يعيشها الإمام الحسن عليه السلام ؟

فكان لا بدّ للإمام الحُسين عليه السلام من أنْ يختار موقفاً يعالج فيه مشكلة كلّ واحدٍ من هذه الأقسام الأربعة من الأمّة، وليس هذا تقسيماً حدّيّاً بحيث لا يمكن أنْ ينطبق قسمان منهما على فرد واحد، بل يمكن أنْ يتصادق عنوانان منها على فرد أو أفراد من الأمّة الإسلاميّة.

فكان لا بدّ من أنْ يختار عليه السلام الموقف الذي يُرجع فيه للقسم الأوّل إرادته التي فقدها بالتميّع الأُمويّ، وللقسم الثاني إيمانه بالرسالة وشعوره بأهميّة الإسلام، وأنْ يسلب الدليل عن معاوية على تحويل الخلافة إلى كسرويّة وقيصريّة، وذلك عن طريق معارضة الصّحابة –المتمثِّلة فيه وفي البقيّة الباقية من الصّحابة والتابعين– لعمليّة التحويل هذه، وأنْ يختار الموقف الذي يشرح فيه – حتّى لمن كان بعيداً عن الأحداث – أنّ تنازل الإمام الحسن عليه السلام لم يكن إمضاءً لعمليّة التحويل.

وتقويم المواقف الأربعة من حيث قدرة كلّ منها على تحقيق الأهداف المُشار اليها كما يأتي:

أمّا الموقف الأوّل – وهو أنْ يبايع يزيد بن معاوية– فهو لا يحقّق مكسباً على مستوى معالجة تلك الأقسام من الأمّة؛ لأنّه لم تكن قصّة يزيد قصّة أبي بكر وعمر وعثمان، لأنّ التحويل هنا على مستوى المفهوم، ولم يكن بالإمكان أنْ تمضي دون أنْ يقف أهل البيت الذين هم القادة الحقيقيّون للأُمّة الموقف الدّينيّ الواضح المحدّد من عمليّة التغيير هذه.

وأمّا الموقف الثاني، فهو لا يحقّق ذلك المكسب الذي يريده الحُسين ﴿عليه السلام﴾ أيضاً؛ وذلك لأنّه ﴿عليه السلام﴾ كان يؤكّد – والظروف الموضوعيّة كانت تشهد على طبق تأكيده– أنّه لو بقي في المدينة أو في مكّة رافضاً للبيعة، لقُتل من قِبَلِ بني أُميّة حتّى ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وهذا القتل ليس كالقتل الذي استطاع أنْ يحرِّك البقيّة الباقية من عواطف المسلمين تجاه رسالتهم ودينهم.

فإرجاع النّاس إلى عقيدتهم باستغلال المتبقّي من عواطفهم ومشاعرهم، لا يمكن خلال قتل عابر سهل من هذا القبيل، بل لا بدّ من أنْ تحشّد له كلّ المثيرات والمحرِّكات.

وأمّا الموقف الثالث، فهو وإنْ كان أسلم من الأوّل والثاني على الخطّ القصير؛ من جهة أنّه يمكنه أنْ يعتصم بشيعته في اليمن مثلاً إلى برهة معيّنة من الزمن، إلا أنّه سوف يؤدّي إلى انعزاله ﴿عليه السلام﴾، وإلى إحاطة نفسه بإطار منغلق عن مسرح الأحداث، بينما لا بدّ من أنْ يباشر عمله التغييريّ على مسرح الأحداث الذي كان وقتئذ هو الشام والعراق ومكّة والمدينة، كي يمكن لهذا العمل أنْ يؤثِّر تربويّاً وروحيّاً وأخلاقيّاً في كلّ العالم الإسلاميّ.

وعليه، كان لا بدّ من أنْ يختار ﴿عليه السلام﴾ الموقف الرابع، الذي استطاع أنْ يهزّ به ضمير الأمّة من ناحية، ويُشعرها بأهمّية الإسلام وكرامة هذا الدّين من ناحية ثانية، وأنْ يدحض عمليّة تحويل الخلافة إلى كسرويّة وقيصريّة من ناحية ثالثة، وأنْ يوضّح لكلّ المسلمين مفهوم التنازل عند الإمام الحسن ﴿عليه السلام﴾، وأنّه لم يكن موقفاً إمضائيّاً، وإنّما كان أُسلوباً تمهيديّاً لموقفه ﴿عليه السلام﴾.

خلاصة البحث

لم يتحرّك الإمام الحُسين عليه السلام بعد موت معاوية؛ لأنّه عليه السلام لم يكن مستعداً لنقض بنود الصّلح الموقّعة في زمن الإمام الحسن عليه السلام بحال من الأحوال، كما أنّه كان ينتظر توفّر كلّ الشروط اللّازمة للثورة، تلك التي لم تكن متوافرة عند استشهاد الإمام الحسن عليه السلام.

يعود الدافع الحقيقيّ للثورة إلى أنّ إرادة الأمّة كانت قد أصبحت ميّتة بعد أنْ عرفت حقيقة خطّ أهل البيت عليهم السلام.

لم يكن أيّ إجراء بقادر على تحريك ضمير الأمّة إلاّ الشهادة والتضحية، التي تغرس في أعماق وجودها عظمة الدين ورخص النفس والحياة المادّيّة بالنسبة إلى دين الله، الذي جاء بكرامة الإنسان، واستهدف إيصاله إلى الكمال اللاّئق به.

اختبارات البحث

١. لماذا آثر الإمام الحُسين عليه السلام السّكوت ما دام معاوية حيّاً؟

٢. بيّن حالة الشّك التي وصلت اليها الأمّة بعد سيطرة معاوية على الحكم.

٣. ما هي الدوافع الحقيقيّة للثورة الحُسينيّة؟ ولماذا لم يكتف الإمام بالموعظة أو المقاطعة للسّلطة؟

٤. لماذا كانت الثورة المسلّحة بالشكل المثير جدّاً هي الحلّ الوحيد للأزمة التي حلّت بالأمّة المسلمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

٥. ما هي الاعتراضات التي قدّمتها بعض الأطراف على الإمام الحُسين عليه السلام عندما أعلن الخروج إلى العراق؟

البحث رقم (١٨)

الثورة الحُسينية (٢): المقوّمات ـ الخصائص ـ النتائج

أهداف البحث

١. بيان مقومات الثورة الحُسينيّة بحيث جعلتها ثورة مميّزة.
٢. توضيح خصائص الثورة الحُسينيّة.
٣. توجيه إشراك النساء والأطفال في الثورة الحُسينيّة من قِبَله عليه السلام.
٤. وصف آثار الثورة الحُسينيّة على المدى القريب والبعيد.
٥. إدراك أهمّيّة القيادة الحكيمة في الثورة الحُسينيّة.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق تاريخ الإمام الحُسين عليه السلام في ثورته المباركة ضدّ الحكم الأمويّ، فتكلّمنا في العوامل والأسباب التي أدّتْ إلى تلك الثورة، وفي الأهداف التي توخّاها الإمام من ثورته.

وأمّا في هذا البحث، فنواصل الكلام في الثورة الحُسينيّة من زاوية أخرى، وهي الكلام في مقوّمات تلك الثورة وخصائصها في زواياها المختلفة، كما نتناول أبرز النتائج التي أفرزتها وما زالت تفرزها هذه الثورة المباركة.

المطلب الأول: مقومّات الثورة الحُسينية وخصائصها

نستطيع أنْ نحدّد الموقف العمليّ للحسين عليه السلام بأنّه موقف مبني على ضوء النظرة الإسلاميّة للحكم؛ لأنّ النظرية الإسلاميّة في الحكم تبتني على أساس الأطروحة المنفذّة في الواقع، والمتجسّدة في الخطوات العمليّة للسّلطة، فإنْ كانت تلك الأطروحة إسلاميّة، فهي، وإلاّ، فلا قيمة لإسلاميّة الحاكم وصلاته وتعبّده؛ لأنّ المعنى العباديّ الحقيقيّ لا بدّ أنْ ينعكس على سلوك الفرد ومشاعره وأعماله.

ومن هنا، فلا قيمة لإسلاميّة يزيد أو غيره من حكّام الجور، ولا معنى للشّعائر التي يؤدّونها.

وإذا كان الأمر كذلك، والحكّام الأمويّون لا يطبّقون شريعة السّماء، فعلى الحُسين عليه السلام – بوصفه أفضل إنسان يجسّد الإسلام يومذاك– وعلى المسلمين جميعاً، الوقوف بوجه هؤلاء الطغاة والتصدّي لهم؛ لأنّهم يريدون حكم الجاهليّة، ويحاربون شريعة السّماء.

ولكنّ هذه الجاهليّة ارتدتْ ثوباً جديداً هذه المرّة يُخفي حقيقتها عن الأنظار، ولقد ثار الحُسين عليه السلام ليكشف للأُمّة اختفاء الحكّام خلف اسم الدين، وليفضح أمام المسلمين حقيقة الطواغيت الذين حكموا النّاس باسم خلافة الرسول صلى الله عليه وآله.

لم تكن واقعة الطفّ قضيّة مأساويّة عابرة حدثتْ في مرحلة معيّنة من التاريخ فحسب؛ بل هي صورة متكاملة لتجسيد الصّراع بين الحقّ والباطل، وهي حَدَثٌ واقعيٌّ ينبضُ بالحياة، أدّى أدواره كلّ صنفٍ من أصناف البشر، وبمختلف الأعمار والأجناس، فيها المعصوم الذي لا يُخطئ ساهياً، والمجرم الذي لا يتورّع عن فعل أدنى الأفعال وأبشعها، فيها المرأة والطفل الرّضيع والصّبي والشيخ العجوز، فيها التائب والعاصي، فيها السّموّ والرّفعة، وفيها – أيضاً– الدّناءة والخسّة.

وهي وإنْ لم تعبِّر عن مرحلة تاريخيّة، لكنّها عبَّرتْ عن حالة أمّة، انحرف بها الحكّام عن جادّة الصّواب، وأبعدوها عن رسالتها وعقيدتها، حتّى أصبحتْ أمّة ميّتة، لا تفكِّر إلاّ بهذا المقدار من النّفس الصّاعد النازل، هذه الأمّة التي بلغ بها الخوف حدّاً لا يُوصف، فهي تعرف أنَّ الحقّ لا يُعمل به، والمنكر لا يُتناهى عنه، تُدرك ذلك ولا تُحرِّك ساكناً، إنّ هذه الأمّة جاءها أجلها فماتتْ، وإنْ كانت الأجساد متحرِّكة.

وجاءت واقعة الطفّ – بوصفها قضيّة مأساويّة مثيرة– لتحرِّك في الأمّة ضميرها، وتُعيدها نحو رسالتها، وتبعث شخصيّتها العقائديّة من جديد، وكان من اللاّزم أنْ يقوم بهذا الدّور مجموعة من النّاس قادرة – بما تمتلك من قدرات ومقوّمات– على أنْ تجعل دورها فاعلاً ومؤثّراً في حياة هذه الأمّة الميّتة، كما صوّر

ذلك الفرزدق بقوله للإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ : النّاس سيوفهم عليك، وقلوبهم معك.

وكانت أهمّ هذه المقوّمات التي اجتمعتْ في ثورة الحُسين ﴿عليه السلام﴾ الفريدة، ما يأتي:

١- المقوّمات الشخصية للثّائر

إنّ الثّائر الذي يقودُ جبهة الحقّ كان إماماً معصوماً يمتلك كلّ المواصفات القدسيّة، بنصّ حديث الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾: «الحسنُ والحُسينُ إمامان قاما أو قعدا»، فهذه الصّفة القدسيّة التي يمتلكها الإمام الحُسين ﴿عليه السلام﴾ تُدركها الأمّة، خصوصاً مع وجود عددٍ غير قليل من الصّحابة الذين عاصروا الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ وسمعوا منه تلك الأحاديث بشأن هذا الإمام ﴿عليه السلام﴾.

وبالإضافة إلى ذلك، فالإمام ﴿عليه السلام﴾ يمتلك عنصر النسب الذي لا تشوبه شائبة، ولا يناله شكّ: أبوه عليّ ﴿عليه السلام﴾، وأمّه فاطمة (عليها السّلام)، وجدّه الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ ، والصّحابة يتذكّرون حديث الرسول ﴿صلى الله عليه وآله﴾ بشأنه: «حُسينٌ منّي وأنا من حُسين»، يدركون هذا التمازج الروحيّ والتمازج النسبيّ، والحُسين ﴿عليه السلام﴾ يمتلك الجاه والشرف، كيف لا وهو محطّ أنظار المسلمين، وكهف المستغيثين واللاجئين، ويمتلك الإمام المال والثروة؟!

أتذكرون يوم عاشوراء حينما خاطب – سلام الله عليه– أُخته الحوراء قائلاً: ناوليني ملابس أستبدلُ بها ملابسي هذه لئلّا يطمع القوم فيها فيسلبونيها، فلمّا أعطته ملابس رديئة بالية، قال لها مستنكراً: «أوَ يلبس ابن أبيك مثل هذا؟!»، فلو كان لباسه الأوّل عاديّاً، لقبل تلك الخرق البالية، فلا بدّ أنْ يكون لباسه في أوّل الأمر من أفخر الألبسة وأثمنها، والروايات تذكر أنَّ القافلة الهاشميّة كانت محمّلة بالأموال الكثيرة، فالحُسين ﴿عليه السلام﴾ كان يمتلك كلّ المقوّمات الشخصيّة للقداسة، إلى جنب الشرف والجاه، الغنى والثروة والعصمة.

٢- الحجّة

ولكي لا تكون الثورة هامشيّة فلا تعطي ثمرتها المرجوّة، فقد كان الثائر يمتلك الوثائق الكفيلة بإضفاء المشروعيّة على هذه الثورة، وأنّها الحلّ الوحيد والخيار الذي لا بديل له، فقد كانت الرسائل الواردة من زعماء العراق، ومن الكوفة خاصّة، تطلب من الإمام عليه السلام بإلحاح القدوم إلى العراق، وكان مضمون هذه الرسائل - كما تنقل الروايات والمستندات التي تعرّضنا لها في البحوث المتقدمة- : أقدِم على جند لك مجنّدة، فقد طاب الجنان، واخضرّ المقام.

ولاشكّ أنّ عدم تلبية الإمام عليه السلام لهذه الطلبات - التي تقدّر على أقلّ الروايات باثني عشر ألف رسالة- سيلزم الإمام عليه السلام الحجّة في تفويته للفرصة، وبالعكس، فإنّ المجيء سيُلزم الأمّة الحجّة إنْ هي خانتْ.

والأمر الآخر، هو أنّ الإمام عليه السلام كان أمامه التهديد الأمويّ إنْ هو لم يبايع، ولو بايع، فإنّه سيعطي - في مثل هذه الحالة- الوثيقة الشرعيّة للحكّام الأمويّينَ الظّلمة، وسيطفئ بالتالي بصيص الأمل الذي ترصده الأمّة في تلك الشخصيّة المعارضة، أعني: شخصيّة الإمام عليه السلام.

وأما في حالة رفضه عليه السلام، فإنّه أمام خيارين: إمّا الموت الذي قرّره الأمويّونَ له ولو كان متعلّقاً بأستار الكعبة، وإمّا الرّحيل إلى إحدى المناطق التي يمتلك فيها شعبيّة وشيعة، ولا تتعدّى هذه المناطق (اليمن، والكوفة، والبصرة)، ومن المعلوم أنّ الطلب الأمويّ سوف يلاحقه في هذه المناطق بلا فرق، وما دامت الكوفة تحتوي أكثر القواعد الشعبيّة المؤيّدة له - سلام الله عليه- بالإضافة إلى الطلب الشديد من قبل أهلها، فإنّ الخيار الصّحيح لا بدّ من أنْ يكون بالرحيل إلى الكوفة عاصمة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، ولهذا، رفض الإمام عليه السلام إلحاح أخيه محمّد بن الحنفيّة وممانعته من الذهاب إلى الكوفة، كما رفض طلب ابن عبّاس (رحمه الله)، الذي أشار على الإمام عليه السلام بالذهاب إلى اليمن.

٣- الشّعار

ولكي لا تشوّه هذه الثورة، خصوصاً وأنّ الإمام ﷺ قد علم بخيانة أهل الكوفة، وكيف أنّهم قتلوا رسوله مسلم بن عقيل ﷺ وصاحبه هانيء بن عروة، وشرّدوا بقيّة الأنصار، واعتقلوا قسماً منهم، الصّورة جعلت الحُسين ﷺ أمام مواجهة عسكريّة لا مناص له منها، ولكي لا تشوّه هذه الثورة، فقد أعلن الحُسين ﷺ عن أهدافها، وطرح شعاراتها ابتداءً من المدينة حتّى يوم المجزرة الكربلائيّة، فهو يقول: «والله، إنّي ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، لآمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر».

ثمّ أنّه وضع الأمّة أمام الخيارات التي لا مناص منها ليجعل من ثورته الأسلوب الوحيد أمام التحدّيات الكافرة، فبعد أنْ التقى الحرّ بن يزيد الرّياحي (رضي الله عنه)، قال ﷺ : «هذه أرض الله واسعة، فدعوني أذهب وشأني»، أو ما يقارب هذه العبارة، وفي هذه الكلمة – في أقلّ تقدير– أنْ يُتركَ الإمام ﷺ يختار حياة العزلة، ولكنّ جيش الحرّ رفض التخلّي عن أوامر السّلطة الجائرة، فجعجعوا به إلى كربلاء، وهناك أيضاً وضع أصحابه أمام الخيار، فلم يرد إقحامهم في معركة خاسرة من الناحية العسكريّة؛ لذا جمعهم ليلة العاشر من المحرّم، ثمّ خطبهم، وقال: «إنّ هذا اللّيل قد أرخى سدوله، فاتخذوه جملاً، ليس عليكم منّي ذمام». ولقد رفض هؤلاء الأخيار هذا الطلب، حينما قام زهير بن القين، فقال: «ماذا نقول للعرب ـ أو: لجدّك ـ أيُقتل ابن بنت رسول الله ونظلُّ أحياءً؟! لا والله لا نفعل ذلك أبداً»، وقال غيره مثل قوله.

ولمّا كانت المواجهة حتميّة، وكان السّيف الحكم الفصل؛ أصرّ الإمام الحُسين ﷺ على خوض هذه الحرب، فكان لسانُ حاله:

إنْ كانَ دينُ محمّدٍ لمْ يستقِمْ   إلّا بقتلِي، يا سيوفُ خُذِيني

وعلى كلّ حال، فقد وضع الإمام الحُسين ﷺ أهداف الثورة أمام عينيه منذ

حركته من المدينة حتى مصرعه في الطفّ، بل واصلت أخته الحوراء (عليها السّلام) حمل تلك الرسالة، فكانت الوسيلة الإعلاميّة التي تُذيع أخبار الثورة، والمِعْوَل الذي أخذ يهدم في العرش الأمويّ الحاكم بكلّ غروره وخيلائه.

٤- المقوّم العاطفي

وهي عمليّة إثارة المشاعر في نفوس المسلمينَ الذين لم تحرِّك الأفكار المنطقيّة عقولهم.

ويلاحظ المقوّم العاطفيّ في الثورة الحُسينيّة من خلال أُسلوبين:

أوّلهما: إشراك العقائل من الهاشميّات في الثورة بالإضافة إلى إشراك الأطفال، بالدرجة التي يُسهِم فيها رضيعٌ وُلد في اليوم العاشر من المحرّم أثناء المعركة؛ فإنّ وجود نساء البيت العلويّ ومخدرات الهاشميّين في خِضَمّ هذه المحنة، لا بدّ من أنْ يثير في النفوس العطف، وفي القلوب الانكسار، مهما كانت تلك النفوس متوحّشة ومهما كانت تلك القلوب قاسية.

أمّا الأطفال، فقد قدّمتهم الثورة دليلاً على أنّ هؤلاء القوم يحاربونَ خوفاً وطمعاً، قد بلغ بهم الأمر - حينما نسوا الله فأنساهم ذكر أنفسهم- حدّاً لا يوصف من الدّناءة والوضاعة واللّؤم، فلهذا، خاطبهم الحُسين عليه السلام بقوله: «إنْ كان الذنب ذنب الكبار، فما هو ذنب هؤلاء الأطفال؟»، وبهذه المشاركة أضاف عليه السلام للثورة رصيداً عاطفيّاً ضخماً جعلها تحتلّ مركز القمّة بين الفواجع على طول التاريخ، وتحرّك مشاعر المسلمينَ وعواطفهم وأحاسيسهم إلى يومنا هذا.

والأُسلوب الثاني: هو أسلوب التذكير والوعظ الذي استخدمه الإمام عليه السلام وصحبه (رضوان الله عليهم)، فلقد ذكّر الإمام عليه السلام القوم بقوله: «إنسبوني مَن أنا، ألستُ ابن بنت نبيّكم؟ ثمّ يقول: لِمَ تحاربونني، ألِسُنّة غيّرتُها، أم لِبدعة ابتدعتها؟» وفي موضع آخر يقول: «إنْ لم يكن لكم دين وكنتم عُرُباً ـ كما تزعمون ـ فكونوا أحراراً في دنياكم»، كان ذلك في إشارة منه للقوم حينما هجموا على بيوت عقائل

الرسالة، إلّا أنّهم وصلوا حدّاً لم ينسوا فيه دينهم فحسب، بل نسوا حتّى أعرافهم العربيّة التي تعوّدوها وتسالموا عليها، ولهذا أيضاً، نجد الإمام عليه السلام يصف حال النّاس بقوله: «والدّين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا مُحِصّوا بالبلاء، قلّ الديّانون».

وعلى ضوء ما سبق، نكون قد رسمنا صورة موجزة لمقوّمات الثورة من جهة، ولحالة الأمّة من جهة أخرى، فالأمّة -كما قلنا- بلغتْ حالة الاحتضار أو الموت بحيث لا تقوى على المعارضة؛ إذْ كانت تعيش أزمة معقّدة من الخوف، في الوقت الذي كان يحاول الحكّام فيه جرّ الأمّة إلى الهاوية، وقتل روح العزّة والكرامة لديها، وتفتيت كيانها الحضاريّ، وإبعادها عن رسالتها، رسالة السّماء[1].

المطلب الثاني: نتائج الثورة الحُسينية

وإذا أردنا أنْ نعرف مدى نجاح الإمام الحُسين عليه السلام في تحقيق أهدافه، فإنّنا نلمس انتصاره في يوم عاشوراء نفسه؛ إذْ استطاع أنْ يستقطب جمعاً ممّن خرج لقتاله وانضوى تحت لواء الجيش الأمويّ، وما التحاق الحرّ وغيره من أفراد الجيش إلى معسكر الحُسين عليه السلام واستشهادهم، إلّا بوادر النصر الأولى التي نجدها بوضوح في قدرة الحُسين عليه السلام على تحريك ضمير الأمّة، وإحياء روح البسالة والشّهادة فيها، وبثّ الحسّ بالمسؤوليّة إزاء الدّين المحمّديّ الشريف.

وقدْ توالت الاستجابة لنداء الحُسين عليه السلام بعد عاشوراء حتّى يومنا هذا، واستطاعت هذه النهضة وروح الشّهادة التي أحياها في أمّة جدّه صلى الله عليه وآله أنْ تزلزل عروش الظالمين بما فيها الحكم الأمويّ، وتسقط عنه كلّ الأقنعة أوّلاً، ثمّ تؤدّي به إلى الانهيار والزوال ثانياً.

ولم يستطع الحكم العبّاسيّ الغاشم -أيضاً- أنْ يتخلّص من شرر هذه الثورة

---

(١) يُنظر: المجموعة الكاملة لآثار الشّهيد الصّدر قدس سره: ٨٣/١٣.

المقدّسة، وأصبحت الثورة على الظلم هي الشّعار الأوّل لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم ومحبّيهم، بل قد تأثّر مَن سواهم بهذه الروح العالية، واستطاع المسلمونَ أنْ يصمدوا بوجه الاستعمار الصّليبيّ الذي عمّ العالم الإسلاميّ بعد سقوط الخلافة العثمانيّة.

إذن، لقد أفلح الحُسين عليه السلام في ثورته إذْ استطاع أنْ يحقّق مكاسبها ويجني ثمارها على مدى القرون، محقّقاً النبوءة التاريخيّة الفريدة التي صدرت من جدّه عليه السلام: «حسينٌ منّي، وأنا من حُسين»، بعد أنْ استجاب هو لله ولرسوله، ملبيّاً دعوة الحقّ إلى الشّهادة في سبيل الله، متّخذاً منها وسامه الخالد الذي به خلدت ثورته، وستبقى مشعلاً متوهّجاً ينير الدّرب في الظلمات، ويكتسح كلّ العقبات أمام دين الله حتّى يظهره الله على الدين كلّه ولو كره المشركون، ويتحقّق الوعد الإلهيّ القاطع بانتصار الحقّ بشكل تامّ، وزهوق الباطل وزواله من على وجه الأرض، ببركة دماء الشّهداء من ابناء الحُسين عليه السلام وأنصاره ومحبّيه وشيعته ومن حذا حذوهم تحت راية لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله.

وأما ما جرى في معركة كربلاء من فضائع وحشيّة يندى لها جبين الإنسانيّة من جهة، ومن صورٍ للشّجاعة والبسالة والتضحية والإيثار عزّ نظيرها في التاريخ من جهة أخرى، فتلك أمور نحيل القارئ فيها على أمّهات الكتب التاريخيّة للاطلاع وأخذ العبرة، علماً بأنّنا تعرّضنا - ولو باختصار- إلى تلك الصّور في البحوث السّابقة.

خلاصة البحث

من جملة ما تقوّمت به ثورة الإمام الحُسين عليه السلام هو القائد، الذي نصبه الله إماماً للمسلمين بنصٍّ من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، القائد الذي تعمّد منذ بداية حركته التصريح بالشعارات التي اعتمدها؛ لتكون واضحة بحيث لا تقبل التشويه والتزييف مدى العصور.

جمَعَ الإمام الحُسين في ثورته من عناصر التحريك العاطفيّ ما يُعطي لحركته رصيداً عاطفيّاً ضخماً، بحيث يجعلها تحتلّ مركز القمّة بين الفواجع على طول التاريخ.

آتت الثورة الحُسينيّة ثمارها منذ اليوم الأوّل؛ إذْ التحق مجموعة من جنود ابن سعد بمعسكر الحُسين عليه السلام، وآثروا الآخرة على الدّنيا.

وكان من جملة نتائج الثورة الحُسينيّة–أيضاً– أنْ سجّلت دفاعاً عن المقدّسات، وإزهاقاً للباطل، ودحراً للشيطان، وتبديداً للأوهام، وكشفاً للزيف، وفشلاً للأطماع، وتصحيحاً لانحراف ساد أوساطاً في ظلّ حاكم جائر كيزيد بن معاوية، وأنّها ظلّت بعد ذلك منطلقاً للحقّ ومسرحاً للفكر النيّر، ورمزاً خالداً يُشير دائماً وأبداً إلى العزّة والكرامة والتضحية والإباء.

اختبارات البحث

١. ما هي الأسباب والدوافع الكامنة وراء ثورة الإمام الحُسين عليه السلام؟

٢. بين باختصار الأسلوبين اللّذين استخدمهما الإمامُ الحُسين عليه السلام في إثارة المشاعر.

٣. أُذكر بعض العناصر التي أدّت أدوارها في خلود واقعة الطّف.

٤. ما الصّفات التي لا بدّ للقائد من التحلّي بها ليكون مؤثّراً في نفوس الأمّة؟

٥. ما هي أهم مقوّمات الثورة الحُسينيّة؟ وما هي أهمّ صفات قائدها؟

الفصل الثالث

تاريخ الإمام زين العابدين عليه السلام

البحث رقم (١٩)

تاريخ الإمام زين العابدين عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان ولادة الإمام السّجّاد عليه السلام، وكنيته، وألقابه.

٢. توضيح النصّ على إمامة الإمام السّجّاد عليه السلام.

٣. وصف نتائج ثورة الإمام الحُسين في عاصمة الحكم الأمويّ.

٤. التعريف بنتائج ثورة الإمام الحُسين في المدينة وغيرها.

٥. تحليل ردّ فعل الحكم الأمويّ وهمجيّته في مواجهة ردود الأفعال.

مقدمة البحث

انتهينا من التعرّض إلى أهمّ الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الحُسين عليه السلام، حتى وصل بنا الكلام إلى استشهاده والثلّة الطيّبة من أهل بيته وأصحابه في معركة كربلاء، لتصل النوبة هنا إلى الكلام في تاريخ إمام آخر من أئمّة الهدى عليهم السلام في خطوطه المهمّة العريضة، وهو الإمام زين العابدين عليه السلام، الذي يُعَدّ عصره عصراً حسّاساً جدّاً بالنسبة إلى الإنسانيّة بصورة عامّة، وبالنسبة إلى الشيعة بصورة خاصّة، كونه عاصر حادثة كربلاء الفجيعة، وما نجم عنها من آثار.

المطلب الأول: الولادة والكنية والألقاب

ولد عليه السلام بالمدينة، نهار الخميس، الخامس من شعبان المكرّم، سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، في أيّام جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قبل وفاته بسنتين.

وأمّا كنيته المشهورة، فهي: «أبو الحسن»، وقيل: أبو محمّد.

وأمّا لقبه عليه السلام، فله ألقاب كثيرة كلّها تطلق عليه، أشهرها: زين العابدين عليه السلام، وسيّد السّاجدين عليه السلام، والزكيّ، والأمين، وذو الثفنات[1].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٨٥٣/٢ – ٨٥٦.

المطلب الثاني: النص على إمامة علي بن الحُسين زين العابدين عليه السلام

بالإضافة إلى النصوص العامّة التي تضافرت عن الرسول صلى الله عليه وآله حول إمامة خلفائه الاثني عشر المهديّين(١)، والنصوص التي تضمّنت ذكرهم بأسمائهم(٢)، والنصوص التي وردت عن أهل البيت عليهم السلام أنفسهم حول إمامة الأئمّة منهم..، نلاحظ أنّ كلّ إمام كان ينصّ على إمامة الذي يليه في الموضع والزمن المناسبين.

وقد نصّ الإمام الحُسين عليه السلام على إمامة زين العابدين عليه السلام في أكثر من موضع وزمان، منها: ما ورد عن أمّ سلمة قبيل هجرته من المدينة إلى مكّة فكربلاء؛ إذْ دفع إليها كتباً، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي، فادفعي إليه ما قد دفعتُ إليك، فلمّا قتل الحُسين عليه السلام، أتى عليّ بن الحُسين (عليهما السّلام) أمّ سلمة، فدفعت إليه كلّ شيء أعطاها الحُسين عليه السلام(٣).

كما نصّ الحُسين عليه السلام على إمامة ولده زين العابدين عليه السلام قبل استشهاده؛ فقدْ دفع كتاباً ملفوفاً ووصيّة ظاهرة إلى ابنته فاطمة الكبرى، وكان عليّ بن الحُسين (عليهما السلام) مريضاً لا يرون أنّه يبقى بعده، ولمّا قُتل الحُسين عليه السلام، ورجع أهل بيته إلى المدينة، دفعتْ فاطمة الكتاب إلى عليّ بن الحُسين (عليهما السلام)، ثمّ صار الكتاب إلى ابنه الباقر عليه السلام(٤).

ونصّ الإمام زين العابدين عليه السلام على هذه الوصيّة حين احتجاجه مع عمّه محمّد ابن الحنفيّة عند الحجر الأسود(٥).

---

(١) يُنظر: كفاية الأثر ومنتخب الأثر، وقادتنا، وإثبات الهداة، وإعلام الورى، وإحقاق الحقّ، والأُصول من الكافي التي جُمعت فيها النصوص على إمامة الأئمّة عليهم السلام، وعيون كراماتهم الدالّة على إمامتهم.

(٢) يُنظر: المصادر السّابقة.

(٣) يُنظر: الغيبة، للطوسيّ: ١١٨، والكافي: ٢٤٢/١، الحديث ٣.

(٤) يُنظر: إعلام الورى: ١/ ٤٨٢ – ٤٨٣، وجلاء العيون، للعلاّمة المجلسيّ (بالفارسيّة): ٦٨٦.

(٥) يُنظر: الاحتجاج: احتجاجات الإمام زين العابدين عليه السلام .

المطلب الثالث: ردود فعل الثورة الحُسينية زمان الإمام عليه السلام

أولاً: ردود الفعل الفردية

بدأت ردود الفعل على مقتل الإمام الحُسين عليه السلام بالظهور مع دخول سبايا أهل البيت عليهم السلام إلى الكوفة، فعندما صعد ابن زياد المنبر وأثنى على يزيد وحزبه وأساء إلى الحُسين عليه السلام وأهل بيت الرسالة، «قام إليه عبد الله بن عفيف الأزديّ، وقال له: يا عدوّ الله، إنّ الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولاّك وأبوه، يابن مرجانة، تقتل أولاد النبيّين، وتقوم على المنبر مقام الصدّيقين؟!

فقال ابن زياد: عليّ به، فأخذته الجلاوزة، فنادى بشعار الأزد، فاجتمع منهم سبعمائة، فانتزعوه من الجلاوزة، فلمّا كان اللّيل، أرسل إليه ابن زياد من أخرجه من بيته، فضرب عنقه، وصلبه[(١)].

ومع أنّ هذه المواجهة انتهت لصالح ابن زياد، لكنّها كانت مقدّمة لاعتراضات أُخَر.

وظهرت في الشام أيضاً بوادر السّخط والاستياء، الأمر الذي جعل يزيداً ينحو باللاّئمة في قتل الحُسين عليه السلام على ابن زياد.

وفي المدينة، ألقى الإمام زين العابدين عليه السلام خطاباً في أهلها لدى عودته من الشام والعراق، يقول المؤرّخون: إنّ الإمام عليه السلام جمع النّاس خارج المدينة قبل دخوله إليها، وخطب فيهم قائلاً بعد الحمد والثناء:

«أيّها القوم، إنّ الله – وله الحمد– ابتلانا بمصائب جليلة، في الإسلام عظيمة، قُتل أبو عبد الله الحُسين عليه السلام، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السّنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها النّاس، فأيّ رجالات منكم يُسرّون بعد قتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحزنُ من

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ٢٤٤.

أجله؟ أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالِها؟... .

أيّها النّاس، أصبحنا مطرودينَ مشرّدينَ مذودينَ وشاسعينَ عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين، إنْ هذا إلاّ اختلاق.

والله، لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في الوصاية بنا؛ لما زادوا على ما فعلوا، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبةٍ ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها وأفظعها وأمرّها وأفدحها!! فعند الله نحتسب في ما أصابنا وأبلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام»[1].

لقد جسّد هذا الخطاب – على قصره– واقعة كربلاء على حقيقتها، مركّزاً على المظلوميّة التي لحقت بأهل البيت عليهم السلام في قتل الحُسين بن عليّ (عليهما السّلام) من جانب، وأسر أهل بيته من جانب آخر، بالإضافة إلى المظلوميّة التي لحقتهم بعد واقعة الطفّ، فقد نصبت رؤوس الشهداء – بما فيهم سيّدهم الحُسين عليه السلام– فوق الأسنّة تُنقل ويُتباهى بها من بلد إلى بلد.

وعقّب الإمام زين العابدين عليه السلام واصفاً ما لقيه آل النبيّ من السّبي والتشريد كما يُعامل الترك والروم الكافرون، وهم أهل بيت الوحي، ومعدن الرسالة، وهم قادة الإيمان، وأبواب الخير والرحمة والهداية.

وأنهى الإمام خطابه بوصف في منتهى الدقّة عن عظمة الجرائم التي ارتكبها جيش السّلطة الأمويّة في حقّ أهل البيت عليهم السلام؛ فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله لو كان يأمر هؤلاء بالتمثيل بأهل البيت وتعذيبهم، لما كانوا يزيدون على ما فعلوا، فكيف بهم وقد نهاهم عن التمثيل بالكلب العقور؟! وكيف يمكن توجيه كلّ ما فعلوه وقد أوصاهم النبيّ بحفظه في عترته؟! ولم يطالبهم بأجرٍ على الرسالة سوى المودّة في قرباه؟!

---

(١) الملهوف: ٢٣٠، بحار الأنوار: ١٢٨/٤٥– ١٢٩.

ثانيا: ردود الفعل الجماعية

١- ثورة أهل المدينة

ولم تكن الأوضاع هادئة في المدينة في السّنة التي كانت تحت إدارة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأوضح شاهد على اضطراب الأوضاع في المدينة، هو استبدال ثلاثة ولاة خلال عامين[١].

وأراد عثمان بن محمّد بن أبي سفيان أنْ يكسب رضا أهل المدينة وتهدئتهم بعد مقتل الإمام الحُسين (عليه السلام)، فأرسل وفداً من ابناء المهاجرين والأنصار إلى دمشق ليشاهدوا الخليفة الشابّ عن كثب، وينالوا نصيبهم من هداياه، إلاّ أنّ الوفد رأى في سلوك يزيد ما يشين ويقبح، فأظهروا شتم يزيد وعيبه لمّا رجعوا إلى المدينة.

ومن هنا، لم يتلكّأ أهل المدينة في إخراج عامل يزيد عليها، فحاصروا بني أميّة وأتباعهم، وأخرجوهم عن المدينة بشرط عدم الرجوع إليها.

ولمّا بلغ أمر الثورة إلى مسامع يزيد، أرسل مسلم بن عقبة – السفّاك– ليقضي على ثورة أهل المدينة – مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومهبط وحي الله– وزوّده بتعليمات خاصّة تجاههم، قائلاً له:

«اُدع القوم ثلاثاً، فإنْ أجابوك، وإلاّ فقاتلهم، فإذا ظهرتَ عليهم، فأبحها – أي المدينة– ثلاثاً، فما فيها من مال أو دابّة أو سلاح أو طعام، فهو للجند»[٢].

وأمرهُ أنْ يُجهِز على جريحهم، ويقتل مُدْبرَهم[٣].

وصل جيش يزيد إلى المدينة، وبعد قتال عنيف مع أهلها، نفّذ قائد الجيش أوامر يزيد، وأوعز إلى جنوده باستباحة المدينة، فهجم الجند على البيوت، وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، كما أسروا آخرين.

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٤٠٢/٧.

(٢) تاريخ الطبريّ: ٣٧٢/٤، والكامل في التاريخ: ١١٣/٤.

(٣) يُنظر: التنبيه والإشراف: ٢٦٣.

قال المدائنيّ، عن هشام بن حسّان: ولدت ألف امرأة من أهل المدينة بعد وقعة الحرّة من غير زوج، وروي عن الزهريّ أنّه قال: كان القتلى يوم الحرّة سبعمائة من وجوه النّاس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي، ممّن لا أعرف، من حرّ وعبد وغيرهم، عشرة آلاف[(١)].

ثمّ نُصب كرسيٌّ لمسلم بن عقبة، وجيء بالأسارى من أهل المدينة، فكان يطلب إلى كلّ واحد منهم أنْ يبايع ويقول: إنّني عبد مملوك ليزيد بن معاوية، يتحكّم فيّ، وفي دمي، وفي مالي، وفي أهلي، ما يشاء[(٢)]، وكلّ مَن امتنع ولم يبايع بالعبوديّة ليزيد، وأصرّ على القول بأنّه عبدٌ لله سبحانه وتعالى، قتله[(٣)].

وأُتي بزين العابدين عليه السلام إلى مسلم بن عقبة، وهو مغتاظ عليه، فتبرّأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه وقد أشرف عليه، ارتعدَ، وقام له، وأقعده إلى جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحدٍ ممّن قدّم إلى السّيف إلاّ شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه.

ولم يبايع الإمام عليه السلام ليزيد، وذكر المؤرّخونَ -أيضاً- أنّ الإمام عليه السلام كفل في واقعة الحرّة أربعمائة أسرة من عبد مناف، وظلّ يُنفق عليها حتّى خروج جيش مسلم من المدينة[(٤)].

٢- ثورة أهل مكة

وبعد أنْ قمع مسلم بوحشيّة ثورة أهل المدينة وأجهض انتفاضتهم، توجّه إلى مكّة التي أعلن فيها عبد الله بن الزبير ثورته على الحكم الأمويّ، لكنّه لقي حتفه في الطريق، فتسلّم الحصين بن نمير قيادة الجيش الأمويّ بناء على أوامر يزيد،

---

(١) يُنظر: البداية والنهاية: ٢٢٠/٨، وتاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٨١/٤، ومروج الذهب: ٧٠/٣، والكامل في التاريخ: ٤/ ١١٨، والبداية والنهاية: ٢٢٢/٨.

(٣) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٤/ ١١٨، ومروج الذهب: ٧٠/٣.

(٤) يُنظر: كشف الغمّة: ١٠٧/٢.

وعندما وصل أطراف مكّة، فرض حصاراً عليها، وضرب الكعبة بالمنجنيق وأحرقها(١).

ثالثا: ثورة التوّابين

شهد العراق تحرّكاً جديداً ضدّ الحكم الأمويّ؛ وذلك بعد الندم الذي أخذ يقضّ مضاجع الكوفيّين؛ إذْ خذلوا سيّدهم الحُسين (عليه السلام) ضدّ الحكم الأمويّ، لكنّهم لم يحقّقوا شيئاً يذكر، فقد قُتل سليمان بن صرد قائدهم، ورجع من بقي إلى الكوفة.

رابعا: ثورة المختار

وفي تلك الغضون ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ على مسرح الأحداث، مستنهضاً أهل العراق لأخذ الثأر من قَتَلة أبي عبد الله الحُسين (عليه السلام)، فبدأ بإعداد الشيعة للثورة بعد فشل ثورة التوّابين، وكان يعرفُ جيّداً أنّ أي تحرّك شيعي يقتضي زعامة من أهل بيت الرسالة (عليهم السلام)، وأنّ الانطلاق للثورة ينبغي أنْ يتمّ باسمه. ومَن أفضل من عليّ بن الحُسين (عليهما السلام)؟ وإنْ رفض الإمام (عليه السلام) الاستجابة لذلك، فليس أمامه غير محمّد بن عليّ بن أبي طالب (ابن الحنفيّة)، وهو عمّ الإمام السّجّاد (عليه السلام).

من هنا، كاتب المختار كُلّاً من الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعمّه محمّد.

أمّا الإمام (عليه السلام) – الذي كان قد خَبَرَ عدم وفاء العراقيّين وتذبذبهم، وأنّ الدين لعق على ألسنتهم– فلم يُعلن عن تأييده الصّريح له، لكنّه (عليه السلام) أمضى عمله عندما ثأر من قتلة أبيه الحُسين (عليه السلام).

وأرسل المختار رأسَي عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد إلى الإمام (عليه السلام)، فسجد (عليه السلام) شكراً لله تعالى، وقال: «الحمدُ لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار خيراً»(٢).

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٨٣/٤، والكامل في التاريخ: ٢٤/٤.

(٢) يُنظر: رجال الكشي: ٨٤.

خلاصة البحث

هناك نصوص خاصّة وعامّة كثيرة على إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام.

بدأت ردود فعل الثورة الحُسينيّة قبل استشهاد الإمام الحُسين عليه السلام حين التحق بمعسكره جمع من معسكر ابن زياد ورجّحوا الموت معه على الحياة مع الطغاة اللّئام.

استمرّت ردود الفعل بالظهور بعد عاشوراء، فقد أدان ابن زياد في الكوفة عبد الله بن عفيف الأزديّ، وفي الشام ظهرت ردود فعل أُخرى، ثمّ تمخّضت سنة (٦٢) هجريّة عن ثورة أهل المدينة التي انتهك يزيد حرمتها، ومن بعدها مكّة، ثمّ غيرهما.

لم يُسهم الإمام زين العابدين عليه السلام في ثورة أهل المدينة لأسباب شتّى، وكانت آخر ردود فعل الثورة الحُسينيّة هي انهيار الحكم السّفيانيّ، وانشقاق البيت الأمويّ، الذي لم ينجُ من الثورات المتتالية التي تعاقبت لإسقاطه وتفتيته.

اختبارات البحث

١. ما هي ردود فعل الثورة الحُسينيّة في الشام؟

٢. علامَ ركّز الإمام السّجّاد عليه السلام في خطابه الذي ألقاه في المدينة بعد استشهاد أبيه؟

٣. كيف اندلعت ثورة أهل المدينة؟ ولماذا؟

٤. هل أسهم الإمام السّجّاد عليه السلام في ثورة أهل المدينة؟ ولماذا؟

٥. لماذا انهار الحكم السّفيانيّ وتزعزع الحكم الأمويّ بعد استشهاد مولانا الحُسين عليه السلام؟

البحث رقم (٢٠)

ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام بصورة عامّة.
٢. توضيح التهديدات الراجعة إلى الأمّة الإسلاميّة عصر الإمام السّجّاد عليه السلام.
٣. توضيح التهديدات الراجعة إلى طبقة خاصّة في عصر الإمام عليه السلام.
٤. وصف عوامل انهيار الحكم الأمويّ.
٥. التعريف بعوامل استمرار الحكم الأمويّ.

مقدمة البحث

بدأنا في البحث السّابق بالتعرّض إلى أهمّ الخطوط العريضة في تاريخ إمام آخر من أئمّة الهدى عليهم السّلام، وهو الإمام زين العابدين عليه السّلام، نواصل اليوم هذه المهمّة، فنتكلّم في أهمّ ملامح عصر هذا الإمام الهمام، مركّزين على الأخطار التي كانت تهدّد الأمّة الإسلاميّة ككلّ، أو بعض قطاعات تلك الأمّة بالخصوص في زمانه عليه السلام.

المطلب الأول: التهديدات الراجعة إلى الأمة الإسلامية

فجّر الإسلام في غياهب الجاهليّة ثورته الثقافيّة العملاقة، وأرسى بذلك قواعد الحضارة الإسلاميّة العظيمة وأُسسها، فكانت الدعوة القرآنيّة إلى استخدام العقل وطلب العلم هي الركن الأوّل في هذه الثورة الثقافيّة، والتسامي إلى الكمال الأخلاقيّ والمعنويّ هو الركن الثاني في هذه الثورة العملاقة، وجاء الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة بوصفه عنصراً حيويّاً في هذه المنظومة الثقافيّة والأخلاقيّة الإلهيّة، التي طلع بها الإسلام على المجتمع البشريّ آنذاك.

وكانت النتيجة أنْ تحوّل المجتمع العربيّ الجاهليّ المفتّت - في فترة قصيرة جدّاً في حساب الحضارات- إلى دولة عظمى، وحضارة جديدة تنطوي على

عناصر القوّة والبقاء والكمال؛ غير أنّ الاهتمام الكبير بالفتوحات الإسلاميّة لم يرافقه الاهتمام بالصّيانة الداخليّة، الأمر الذي عرّض المسلمين لخطرين كبيرين خارج النطاق السّياسيّ والعسكريّ، خصوصاً وأنّ الحاكمين إنّما اهتموا بالفتوحات لأسباب عديدة، منها السياسيّ، ومنها المادّي الدنيويّ.

والأوّل منهما: هو الخطر الذي نجم عن انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة وأعراف تشريعيّة وأوضاع اجتماعيّة مختلفة، بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله أفواجاً.

وهنا، كان لا بدّ من عمل على الصّعيد العلميّ يؤكّد في المسلمين أصالتهم الفكريّة وشخصيّتهم التشريعيّة المتميّزة المستمدّة من الكتاب والسّنّة[(١)].

والثاني منهما: هو الخطر الذي نجم عن موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلاميّ في أعقاب ذلك الامتداد الهائل؛ لأنّ موجات الرخاء تُعرّض أيّ مجتمع إلى خطر الانسياق وراق ملذّات الدنيا، والإسراف في زينة هذه الحياة المحدودة، وانطفاء الشعور الملتهب بالقيم الخلقيّة والصّلة الروحيّة بالله واليوم الآخر، وبما تضعه هذه الصّلة أمام الإنسان من أهداف كبيرة.

وقد أسهم الحكّام الأمويّونَ – أيضاً– بقدر كبير في تشجيع حياة اللّهو والطرب والميوعة بين ابناء الأمّة الإسلاميّة.

هذا كلّه في ما يخصّ الحضارة الإسلاميّة والشريعة الإلهيّة والأمّة الإسلاميّة بمختلف قطاعاتها واتجاهاتها.

---

(١) يُنظر: مقدّمة الصّحيفة السجّادية، للسيّد الشهيد الصّدر ﵀.

المطلب الثاني: التهديدات الراجعة إلى بعض القطاعات بالخصوص

وأمّا الأخطار والمحن التي كانت تخصّ الجهاز الحاكم في الدّولة الإسلاميّة، أو بعض قطّاعات الأمّة المسلمة، فيمكن تلخيصها في محنة انحراف الحكّام، ففي نظرة سريعة إلى عصر الإمام زين العابدين - بدءاً باستلامه مهامّ الإمامة بعد استشهاد أبيه عليه السلام، وإلى استشهاده في(٢٥) محرّم الحرام سنة (٩٤) أو (٩٥) هجريّة- نلاحظ معاصرته لحكومة يزيد التي انتهت بهلاكه عام (٦٤) هجريّة، ثمّ حكومة مروان البالغة تسعة أشهر في الشام، وحكومة ابن الزبير في مكّة؛ إذْ بويع لعبد الملك بن مروان بعد هلاك أبيه عام (٦٥) هجريّة.

وقد استمرّ التنافس بين ابن الزبير وعبد الملك حتّى عام (٧٣) هجريّة؛ إذْ قُتل ابن الزبير، وخَلا كرسيّ الحكم لعبد الملك حتّى سنة (٨٦) هجريّة، ثمّ بويع للوليد بعد هلاك عبد الملك، واستمرّ حكمه حتّى استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام سنة (٩٤) أو (٩٥) هجريّة.

إذن، فترة حكم عبد الملك هي أطول فترة عاصرها الإمام عليه السلام؛ إذْ تبلغ العقدين تقريباً.

وقد اجتمعت في هذا العصر عدّة عوامل لانهيار الحزب الأمويّ الحاكم، ولكنّا نلاحظ استمرار الأمويّين في الحكم حتّى عام (١٣٢) هجريّة، فما هي الأسباب التي أدّت إلى دوام هذا الحكم الجاهليّ المنحرف بالرغم من توافر عناصر الهدم والانهيار؟

إذن، لا بدّ من أنْ ندرس كلّاً من عوامل الهدم إلى جانب عوامل الدوام، ثمّ نقارن بين المجموعتين، لنرى الأسباب الواقعيّة التي وقفت وراء استمرار الحكم الأمويّ لمدّة تناهز السبعة عقود بعد ثورة الإمام الحُسين عليه السلام، ومن خلالها، نقف على طبيعة الظروف الدينيّة والثقافيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة التي اتّصف بها عصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

أولاً: عوامل انهيار الحكم الأموي

١- ثورة الإمام الحُسين عليه السلام

استطاعت ثورة الإمام الحُسين عليه السلام أنْ تكشف زيف الأقنعة الدينيّة التي كان يتقنّع بها الحكم الأمويّ الجاهليّ؛ إذْ بدت القيم الجاهليّة التي هدمها الإسلام واضحة في سلوك الأمويّين الحاكمين، واتّضح لكلّ القطاعات زيف الشعارات الدينيّة التي يرفعها الحاكمون؛ فإنّ الإمام الحُسين عليه السلام قد قُتل مظلوماً عطشان وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو النّاس إلى الالتزام بشريعة جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

لقد أدان يزيد كلّ مَن اطّلع على أوامره بقتل الحُسين بن عليّ عليهما السلام.

قال الحافظ السّيوطيّ: «ولمّا قُتل الحُسين عليه السلام وبنو أبيه، بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد، فسُرَّ بقتلهم أوّلاً، ثمّ ندم لمّا مقته المسلمون على ذلك، وأبغضه النّاس، وحقّ لهم أنْ يبغضوه»[(١)].

وقد أحيت الملحمة الحُسينيّة في سنة (٦١) هجريّة روح الإباء والعزّة والكرامة لدى المسلمين، وتجلّت هذه الحقيقة في المعارضة الدمويّة المستمرّة التي تمثّلت في الثورات المتتالية حتّى إسقاط الحكم الأمويّ، فقد كانت ثورة أهل المدينة سنة (٦٢) هجريّة، ثمّ تلتها ثورة التوّابين سنة (٦٤) هجريّة، ثمّ ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفيّ في الكوفة على الحكم الأمويّ سنة (٦٥) هجريّة، و غيرها.

٢- حركة الإمام زين العابدين عليه السلام وعقائل الرسالة

لقدكانت خُطب الإمام زين العابدين عليه السلام وعمّته زينب الكبرى عقيلة بني هاشم (عليها السّلام) في كربلاء والكوفة والشام والمدينة أهمّ حواضر العالم الإسلاميّ، تشكّل الدور الثاني والمكمّل للثورة الحُسينيّة العملاقة؛ إذْ لولا هذه الخطب

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٠٨.

الفاضحة لحقيقة التعامل الأمويّ مع أهل بيت الوحي، والمفسّرة لأبعاد ومعالم الثورة الحُسينيّة والكاشفة عن حقيقتها، لكانت شعارات الأمويّين المضلّلة قد قضت على أهداف هذه الثورة العظيمة، فإنّ الأمويّين حاولوا بكلّ جهدهم أنْ يصفُوا الإمام الحُسين عليه السلام بالخروج على شريعة جدّه، على العكس تماماً من واقع ثورته التي استهدف فيها الإطاحة بالحكم الجاهليّ وإحياء شريعة جدّه صلى الله عليه وآله.

٣- انهيار الحكم السفياني وانشقاق البيت الأموي

هلك يزيد سنة (٦٤) هجريّة بعد أنْ ارتكب الفضائح العظام التي تمثّلت – أوّلاً– بقتله للإمام الحُسين عليه السلام، ثمّ استباحته لمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وقتل الصّحابة والتابعين فيها سنة (٦٢) هجريّة ، ثمّ هدمه الكعبة واستباحتها سنة (٦٣)هجريّة.

وأمّا ابن يزيد، وهو معاوية الذي بايعه أهل الشام، فلم يستمرّ حكمه أكثر من أربعين يوماً؛ إذْ أعلن عن تنازله عن العرش، ومات بعدها في ظروف غامضه، حتى قيل إنّه مات مسموماً[١]، بل أدان معاوية الأوّل وأباه يزيد بن معاوية، وبهذا، انهار الحكم السّفيانيّ.

ثانيا: عوامل استمرار الحكم الأموي

على الرّغم من انتهاء الحكم السّفيانيّ عام (٦٤) هجريّة، إلاّ أنّه أعقبه الحكم المروانيّ الذي استمرّ حتّى عام (١٣٢) هجريّة، ما يعني عدم سقوط الحكم الأمويّ الجاهليّ بالرغم من تلاحم عدّة عوامل قويّة لإبادته، وذلك لوجود عدّة أسباب ساعدت على بقائه، وإليك صورة موجزة وسريعة عن كلّ واحد من هذه الأسباب:

١- الغطاء الشرعي للحكم المنحرف

يتمثّل الغطاء الشرعيّ في مفردتين أساسيّتين: الأولى: وعّاظ السّلاطين. الثانية:

---

(١) يُنظر: الفخريّ: ١١٨.

مفاهيم عقائديّة ودينيّة خاطئة.

بعد أنْ كشفت الثورة الحُسينيّة زيف الخطّ الحاكم وجاهليّة الحكم الأمويّ، كان لا بدّ للسّلطة من استخدام بعض المتلبّسين بالعلم؛ للتعاون معها، وتوجيه خططها وسلوكها، مثل: محمّد بن مسلم بن شهاب (الزهريّ)، والشّعبيّ. وقد كان لارتباط مثل هؤلاء بالسّلطة دور إيجابيّ في إسباغ الطابع الشرعيّ على الحكم القائم.

وكان لمفاهيم: الجبر، وحرمة الخروج على الحاكم المسلم، وإسباغ طابع القدسيّة على الخلافة والخليفة، وحرمة ترك الجماعة، وحرمة نقض البيعة، وغيرها من المفاهيم المضلّلة، دورٌ إيجابيّ –أيضاً– في التوجيه العقائديّ والدينيّ لتصرّفات الحاكمين.

٢- عدم التعرّض المباشر والصريح لأهل البيت عليهم السلام

عرفنا أنّ أطول فترة حكم في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام هي فترة حكومة عبد الملك بن مروان، وقد استفاد عبد الملك بن مروان من التجربة الخاطئة للحكم السّفيانيّ تجاه أهل البيت عليهم السلام، فاستعمل سياسة مرنة تجاه الإمام زين العابدين والهاشميّين (بني عبد المطّلب) من جهة، بينما شدّد على أتباعهم من جهة أُخرى، وذلك امتصاصاً للنقمة ضدّ حكمه.

وقد أرسل عبد الملك إلى الحجّاج كتاباً جاء فيه: «أمّا بعد، فانظر دماء بني عبد المطّلب، فاحتقنها، واجتنبها، فإنّي رأيت آل أبي سفيان لمّا ولغوا فيها لم يلبثوا إلاّ قليلاً»[(١)].

وهناك محاولات دون القتل سجّلها التاريخ عن عبد الملك تجاه الإمام عليه السلام، مثل غمزه بتزويج الإمام لمولاته التي أعتقها، وتهديده للإمام بقطع رزقه من بيت

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٦/ ١١٩.

المال إنْ لم يسلّمه سلاح رسول الله ﷺ، وإلقاء القبض على الإمام وتسريحه إلى دمشق(١).

٣- تفتيت جبهة المعارضة

تركّزت سياسة الحاكمين الأمويّين بشكل عامّ على قمع وتفتيت جبهة المعارضة منذ عصر معاوية، وكان ذلك من خلال عدّة وسائل وقنوات:

منها: الرقابة التامّة والضّغط الشديد الموجّه إلى مراكز التحرّك التي عرفها السفيانيّون، وهي مراكز الولاء لأهل البيت ﷺ، مثل: الكوفة وما والاها.

ومنها: الضغط الاقتصاديّ وسياسة التجويع. فقد سلّط عبد الملك الحجّاج السفّاك للقضاء على حركة ابن الزبير، ثمّ سلّطه على العراق؛ إذْ توجّه إلى شيعة أهل البيت ﷺ فقتلهم شرّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة، حتّى أنّ الرجل كان أحبّ إليه أنْ يقال له زنديق أو كافر من أنْ يُقال له شيعة عليّ ﷺ، وقد أوصى عبد الملك ابناءه بالحجّاج خيراً، وطلب منهم الاستعانة به؛ لأنّه هو الذي وطّأ لهم الملك بسفكه لدماء المعارضين(٢).

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٦/ ١٤٦، و ١٣٠، وكشف الغمّة: ٢/٧٦ – ٧٩.

(٢) يُنظر: تاريخ الخلفاء، ومروج الذهب، واليعقوبيّ: حياة عبد الملك.

خلاصة البحث

اتّسم عصر الإمام زين العابدين عليه السلام - الذي أعقب موجة الفتوح الأُولى- بانفتاح الأمّة الإسلاميّة على سائر الشعوب ما أدّى إلى أنْ تواجه خطرين كبيرين: خطر المسخ الثقافيّ وخطر الانهيار الأخلاقيّ.

كانت نشاطات الإمام عليه السلام متّجهة إلى معالجة الخطرين السّابقين من خلال التأصيل العلميّ والثقافيّ والتربية الأخلاقيّة، عن طريق ربط الإنسان بربّه في عالم المادّة من خلال الدعاء والتفاني في المعبود الحقّ.

كان على الإمام عليه السلام أنْ يواجه انحراف الحكّام بنحو لا تتضرّر بذلك الدّولة الإسلاميّة ككيان سياسيّ إسلاميّ، ولا يستغلّ الحكّام ذلك لتثبيت حكمهم المنحرف.

جمع الحكّام مجموعة من عوامل البقاء إلى جانب عوامل الهدم التي كانت قد اجتمعت لانهيار الحكم الأمويّ الظالم، وتمثّلت هذه العوامل بالغطاء الشرعيّ للحكم المنحرف وعدم التعرّض الصّريح والمباشر لأهل البيت عليهم السلام، وتفتيت جبهة المعارضة.

كان على الإمام عليه السلام أنْ يستجيب لمتطلّبات هذه المرحلة بشكل خاصّ إلى جانب اهتمامه بمتطلبات المسلمين على المدى البعيد بشكل عامّ أيضاً.

اختبارات البحث

١. ماهي أركان الثورة الثقافيّة في الإسلام؟

٢. ما هي عوامل انهيار الحكم الأمويّ بعد منتصف القرن الأوّل؟

٣. لماذا لم ينته الحكم الأمويّ بالرغم من توافر عناصر انهياره؟

٤. عرِّف بالأساليب التي استخدمها الأمويّون لتفتيت جبهة المعارضة.

٥. تركّزت سياسة الحاكمين الأمويّين على قمع وتفتيت جبهة المعارضة من خلال عدّة وسائل وقنوات، بيّن ذلك باختصار.

البحث رقم (٢١)

ملامح التخطيط في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان ملامح التخطيط في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بصورة عامّة.
٢. فهم أنّ أهل البيت عليهم السلام هم حفظة الرسالة المحمّديّة الشريفة.
٣. توضيح الأخطار التي واجهت الأمّة والعلاج الذي طرحه الإمام عليه السلام.
٤. التعريف بمدرسة الإمام السّجّاد عليه السلام.
٥. توضيح حادثة استشهاد الإمام السّجّاد عليه السلام.

مقدمة البحث

تعرّضنا في البحثين السّابقين إلى أهمّ الخطوط العريضة في تاريخ الإمام زين العابدين عليه السّلام، ونتكلّم هنا في ملامح التخطيط في سيرة هذا الإمام الهمام، في مواجهته للأخطار التي أحدقت بالأمّة الإسلاميّة في عصره، والمنهج الذي انتهجه في ذلك، الأمر الذي أوجف منه المبطلون فاغتالوه بأيدهم النتنة.

المطلب الأول: أهل البيت عليهم السلام حفظة الرسالة المحمدية الشريفة

إذا عرفنا – أوّلاً– المهامّ الأساسية التي اختار الله لتحقيقها أهل بيت الرسالة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، والتي هي صيانة الرسالة والأمّة والدّولة الإسلاميّة من الضياع؛ إذْ جاهد الرسول صلى الله عليه وآله والصّفوة الخيّرة من صحابته من أجل تبليغ وتطبيق النظام الإسلاميّ، وإرساء قواعده على وجه الأرض.

وعرفنا – ثانياً– التخطيط الماكر الذي قام به أعداء الإسلام لمحو الإسلام المحمّديّ المتمثّل في خطّ أهل بيت الوحي، وذلك من خلال عزل أهل بيت الرسالة عليهم السلام عن مزاولة مهامّهم الرساليّة في الميادين المختلفة.

وعرفنا – ثالثاً– الأساليب والأُطر والقنوات التي تمّ من خلالها هذا العزل، وعرفنا النتائج التي كان يتوقّع حصولها بعد هذا العزل، التي اقترنت بالتزام أهل البيت عليهم السلام بالأصول الأخلاقيّة والمنهج القِيَمي الذي دعا إليه الإسلام وأرسى قواعده الرسول

صلى الله عليه وآله، إلى جانب معرفة الأعداء بالتزام أهل البيت عليهم السلام بأصول الشريعة والرسالة وعدم تخطّيهم عن قِيَمِها، وعدم الالتواء في التعامل حتّى مع أعدائهم.

إذا عرفنا جميع ما سبق، نكون قادرين حينئذ على فهم عظمة الدور الذي قام به أهل البيت عليهم السلام في الظروف الحرجة التي كان ينبغي من خلالها أنْ يُحفظ تراث الرسول صلى الله عليه وآله وثمرة جهاده من الضياع، ويقاوم الانحراف العميق الذي بدأ بالظهور والتطوّر بسرعة فائقة والنفوذ في جسم الأمّة والدّولة، وأخذ يتسرّب إلى الرسالة والشريعة بشكل تدريجيّ.

ولولا صبر أهل البيت عليهم السلام وأناتهم وحلمهم، ولولا تخطيطهم الحكيم الذي كان يجمع الأصالة والدقّة والعمق والمشروعيّة؛ لما كان يندحر الباطل القابع تحت ستار الشعارات الإسلاميّة البرّاقة، ولما كان الباطل المختبئ تحت أُطر ومفاهيم دينيّة ينكشف لعامّة المسلمين، ولما كان التاريخ يخلّدهم كأبطال حملوا لواء التضحية والفداء من أجل العقيدة الإلهيّة والشريعة الربّانيّة.

المطلب الثاني: الأخطار التي واجهت الأمّة في عصر الإمام عليه السلام

وأمّا الأخطار التي واجهت الأمّة في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام، فأهمّها:

أولاً: المسخ الثقافي

داهم الأمّة في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام خطر المسخ الثقافيّ؛ وذلك بسبب انفتاحها على الأمم التي دخلت الإسلام عن طريق الفتوحات، وهذه الأمم كانت تملك أبعاداً حضاريّة منحرفة عن خطّ التوحيد الخالص، كبلاد فارس، والبلدان الخاضعة للروم، وكان حكّام المسلمين غارقين في لهوهم في هذا الوقت.

تصدي الإمام عليه السلام لهذا الخطر

ولكنّ الإمام زين العابدين عليه السلام تصدّى بكلّ ما أُوتي من قوّة إلى ذلك من خلال عدّة محاور، آخذاً بالنظر ظروف التقيّة التي كانت تحيط به.

المحور الأول: جلوسه في مسجد النبي صلى الله عليه وآله في المدينة، يلقي فيه دروساً

يتحدّث فيها بصنوف المعرفة الإسلاميّة، من تفسير وحديث وفقه وعقائد... .

المحور الثاني: تصدّيه للردّ على الشبهات، وعلى أصحاب العقائد الفاسدة التي بدأت تنتشر في زمانه، كالمجبّرة، والمجسّمة، والصوفيّة، وأمثال ذلك.

المحور الثالث: تبنّي مجموعة من النابهين ممّن يمكن الاعتماد عليهم، كأبان بن تغلب، وإسماعيل بن عبد الخالق، وثابت بن أبي صفيّة، ورشيد الهجريّ، وأمثالهم، فأخذ هؤلاء يبثّون العلوم الحقّة بعد تلقّيها من الإمام ﷺ إلى النّاس في بقاع الأرض.

المحور الرابع: شراء العبيد ثمّ عتقهم، بعد أنْ يدخلهم في بيته أو مزرعته دورة عمليّة في الأخلاق والعبادة، وبعد أنْ يريهم الإسلام الحقيقيّ المتمثّل بسلوكه وأفعاله وأقواله، ويمنحهم ما يُمكّنهم من شقّ طريق العيش الكريم بعد عتقهم، وكان ﷺ يعتق الألف أو ما يزيد كلّ عام.

وهذا المحور له بُعدُه في علاج الخطر الوارد، من حيث أنّ المعتَقينَ أصبحوا يشكّلون جيلاً من التلامذة الواعين للإسلام، ما يؤدّي إلى انعكاس ما عرفوه من الحقّ إلى كلّ مَن يتصل بهم من الأقربينَ والأبعدينَ، خصوصاً وأنّ بعض العبيد بعد تحرّرهم كانوا يهاجرون إلى بلدانهم أو بلدان اُخرى غير المدينة المنورة.

ثانيا: المسخ الأخلاقي

كما داهم الأمّة أيضاً المسخ الأخلاقيّ، وهو ما أوجب الانسياق وراء الملذّات الدنيويّة؛ إذْ انفتح المسلمون على العالم بعد الفتوحات، وهذا الانفتاح أدّى إلى فتح أسواق عديدة وحركة تجاريّة، واتصال مع ما توصّلت إليه تلك الأمم من رقي ووسائل للترف، خصوصاً وأنّ حكّام المسلمين كانوا منساقين وراء هذه الملذّات، حتى سرت إلى ما هو محرّم في الشريعة، كشرب الخمر، والغناء، وأمثال ذلك[١].

---

(١) يُنظر: مقدّمة السيّد الشّهيد الصّدر ﵁ على الصّحيفة السّجّاديّة.

تصدي الإمام عليه السلام لهذا الخطر

وقد تصدّى الإمام عليه السلام لخطر المسخ الأخلاقيّ من خلال محاور عديدة، منها:

المحور الأول: الدعاء، فإنّ الإمام بيّن واقع الإسلام – مبدأ وعقيدة وشريعة ومنهجاً– من خلال أدعيته المتنوّعة، فقد جمع الإمام بين الدعاء لله والدعوة إلى الله بأدعيته المباركة، ومن جملة تلك الأدعية ما جمع في الصّحيفة السّجّاديّة المباركة، فإنّ هذه الصّحيفة تُحدث – عند مَن يجعلها محور حركته وسلوكه– التوازن الحقيقيّ بين جميع الارتباطات والعلاقات المتنوّعة.

المحور الثاني: سلوكه الخاصّ المتميّز، فقد عرف بالعبادة والورع وكثرة السّجود، ومعاهدة القرآن، وبالزهد عن ملذّات الدنيا مع التمكّن منها، والسّخاء، والإنفاق، والسّماحة والحلم، وغير ذلك من السّجايا الحميدة الربّانيّة، التي كان المجتمع آنذاك بحاجة ماسّة إلى رؤيتها متجسّدة في شخص حتى لا يطرق أذهانهم مثاليّة هذه الخصال إذا لم يشاهدوها متجسّدة في شخص.

المحور الثالث: بيان الحقوق كاملة وبأبعاد دقيقة من خلال رسالته المعروفة برسالة الحقوق، التي بيّن فيها الإمام حقوق أعلى مقام في الوجود، وهو الله عزّ وجلّ إلى أدنى مقام، كحقّ الأعضاء، كالعين، واليد، وغيرها.

الحفاظ على الدولة الإسلامية

بالإضافة الى التصدّي للخطرين الحسّاسين السّابقين، فقد اتخذ الإمام عليه السلام – وبدافع من إحساسه بالمسؤوليّة والقيام بمهمّته– المواقف الجليلة للحفاظ على كيان الدّولة الإسلاميّة، وهى عديدة، منها: إبداء العلاج الناجح في أزمة النقد التي أراد ملك الروم أنْ يحدثها، وذلك بضرب بلاد الإسلام النقد الخاصّ بها، ثمّ الأمر بإلغاء النقد السّابق والتوعّد بأشدّ العقاب لمن يتداوله في بلادالإسلام[1].

(١) يُنظر: البداية والنهاية: ٩/ ٦٨.

تعرية الحكّام المنحرفين

ومع مواقفه الجليلة للحفاظ على كيان الدّولة الإسلاميّة، كان يسلك عدّة طرق يعرّي من خلالها الحكّام الظلمة من غطاء الشرعيّة الذي كانوا يحرصون على توفره، بعد أنْ انكشف زيف الخطّ الأمويّ الحاكم وانحراف الحكّام لدى قطاع واسع من المسلمين، ومن تلك المحاور:

١- الحرص على طرح البديل الصّحيح الذي يمثّل خطّ أهل البيت عليهم السلام، الذين يُعَدّونَ الأُمناء على الرسالة والشريعة، وبه ينفضح الخطّ المنحرف الذي يترأسه الجهاز الحاكم.

٢- إظهار الحزن وكثرة البكاء على انتهاك العنصر المقدّس، ألا وهو الإمام الحُسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة، حتى تعرف الأجيال على مرّ التاريخ ظلامة أهل البيت عليهم السلام، وما اتّصف به الأمويّون من القساوة والفظاعة، ومن خروجهم عن حريم الدين والشريعة.

٣- بيان زيف وعّاظ السّلاطين، الذين يُعدّون المصدر الأساس في إعطاء الغطاء الشرعيّ لتصرّفات الحكّام المنحرفين لدى عامّة المسلمين.

المطلب الثالث: مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام

سارت الحكومة الأمويّة من أجل إحكام سيطرتها على رقاب المسلمين في خطّ إماتة الوعي ومحاربة العلم وإنشاء مذاهب أو تيارات عقديّة تنتهي إلى الجمود الفكريّ والركود العلميّ بالتدريج، ولكنّ الإمام عليه السلام بدأ بإنشاء مدرسته العلميّة، وإيجاد حركة فكريّة عن طريق حلقات البحث والتدريس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، وبما يثيره في خطبه في صلوات الجمع أُسبوعياً، فحدّث النّاس بصنوف المعرفة الإسلاميّة، من تفسير، وحديث، وفقه، وعقائد، وأخلاق و....، وكان يفيض عليهم من علوم آبائه الطاهرين ويمرّن النابهين منهم على التفقّه والاستنباط.

وقد تخرّج عدد غفير من فقهاء المسلمين يحملون وعي الإمام وروحه وعلمه،

وكانت هذه الحلقات هي المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهيّة وشخصيّات علميّة[١]. وهكذا، حقّق الإمام عليه السلام غاياته المتوخّاة من خلال مدرسته، التي تبنّى مواصلة عملها الأئمّة عليهم السلام من بعده. ما أحدث ثقلاً في الأمة أوجب أنْ يوقف اندفاع الحكّام ومَن سار في ركبهم في تخريب المعالم الأساسيّة للأمّة الإسلاميّة، وأحدث عند الأمّة شعوراً بضرورة الارتباط بأهل البيت عليهم السلام وأصبح الولاء القلبيّ لهم مَعْلَماً واضحاً لدى عامّة العلماء وبالتدريج لدى قطاعات كبيرة من المسلمين.

المطلب الرابع: إستشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام

كان وجود الإمام السّجّاد عليه السلام يمثّل خطورة حقيقيّة، بعد قيامه بكلّ ما تقدّم من المهامّ التي أوجبت الحدّ من حركتهم، بل وفضحهم؛ ولذا، شقّ على الأمويّين ذلك، وأقضّ مضاجعهم، وبالأخصّ الوليد بن عبد الملك، فقد روى الزهريّ أنّ الوليد قال: لا راحة لي وعليّ بن الحُسين موجود في دار الدّنيا[٢]؛ ولذا، أجمع رأيه على اغتيال الإمام عليه السلام، فبعث سمّاً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أنْ يدسّه للإمام عليه السلام[٣]، وبالفعل، نفّذ عامله ما أمره به، فانتقل الإمام عليه السلام إلى جوار ربّه، فسلامٌ عليه يومَ وُلِدَ ويوم استُشهد ويومَ يُبعث حيّاً.

---

(١) يُنظر: مقدّمة السيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر للصّحيفة السّجّاديّة.

(٢) يُنظر: حياة الإمام زين العابدين: ٦٧٨.

(٣) يُنظر: منتهى الآمال: ٥٧/٢.

خلاصة البحث

كلّ مَن يقف على خصائص عصر الإمام زين العابدين عليه السلام، ويلاحظ سلوكه عليه السلام، يجد انسجاماً كبيراً بين سلوكه وسيرته، وبين متطلّبات عصره، فكان تخطيطاً واقعيّاً يتحكّم في سيرته وسلوكه عليه السلام.

ويتلخّص نشاط الإمام زين العابدين عليه السلام في كشف الأقنعة المزيّفة التي قبع الحاكمون تحتها، مستغلّين غطاءً دينيّاً يتمثّل في توجيه الحكم المنحرف وإعطائه صبغة دينية إسلاميّة لمفاهيم خاطئة كان يروّجها هؤلاء المرتبطون بالبلاط.

كان بناء جامعة أهل البيت عليهم السلام بشكل تفصيليّ هو العلاج الأساس للقضاء على هذه المشكلة الجديدة، التي اتّجهت الحكومات للتسلّح بها.

كانت لأهل البيت عليهم السلام مواقف إيجابيّة مع الدّولة الإسلاميّة إلى جانب مواقفهم السّلبيّة من الحكّام المنحرفين.

كان اتّجاه الإمام عليه السلام إلى حقل الدعاء كعلاج ضروريّ تتطلّبه ظروف عصره وما تلاه من العصور.

اختبارات البحث

١. ما المقصود بالمسخ الثقافيّ؟ وماهو علاجه في عصرنا الحاضر؟

٢. تكلّم عن مشكلة الانهيار الأخلاقيّ التي أصيب بها المجتمع عصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

٣. مع أنّ الإمام السّجّاد عليه السلام كان معارضاً صلباً للحكم الأمويّ، إلا أنّ له مواقف أنقذ فيها الدّولة الإسلاميّة، كيف تفسّر ذلك؟

٤. عرّى الإمام زين العابدين عليه السلام حكّام عصره من غطاء الشرعيّة عَبر عدّة محاور، أذكرها باختصار.

٥. لأيّ غرض أكثر الإمام عليه السلام من الأدعية في حياته؟

الفصل الرابع

تاريخ الإمام الباقر عليه السلام

البحث رقم (٢٢)

تاريخ الإمام محمّد الباقر عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان مولد الإمام الباقر عليه السلام وكنيته وألقابه.
٢. التعريف بحكّام عصر الإمام الباقر عليه السلام.
٣. التعريف بأمراض حكّام عصر الإمام الباقر عليه السلام.
٤. وصف الأخطار الداخليّة التي هدّدت الأمّة الإسلاميّة في عصره عليه السلام.
٥. وصف الأخطار الخارجيّة التي هدّدت الأمّة الإسلاميّة في عصره عليه السلام.

مقدمة البحث

انتهينا ـ بحمده ومنِّه ـ من الكلام في أهمّ الخطوط العريضة في تاريخ الإمام زين العابدين عليه السلام، وندخل هنا في تاريخ إمامٍ آخر من أئمّة الهدى عليهم السلام؛ إذْ نتناول بالبحث والتحقيق أهمّ الخطوط العريضة في تاريخه أيضاً، وهو الإمام محمّد الباقر عليه السلام. مركّزين في هذا البحث على أهمّ ما أحدق بالأمّة الإسلاميّة من أخطار في عهد هذا الإمام عليه السلام.

المطلب الأول: المولد والكنية والألقاب

ولد أبو جعفر، محمّد بن علي بن الحُسين بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة، قبل قتل جده الحُسين عليه السلام بثلاث سنين.

وأمّا كنيته: فأبو جعفر لاغير.

وله ثلاثة ألقاب: الباقر، والشاكر، والهادي، أشهرها الباقر، ولُقّب بذلك لبقره العلم، وهو تفجّره وتوسّعه.

وروى جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر، يوشك أنْ تلتحق بولد لي من ولد الحُسين عليه السلام، اسمه كاسمي، يبقر العلم بقراً ـ أي:

يفجّره تفجيراً ـ فإذا رأيتَه، فاقرأه عنّي السّلام، قال جابر: فأخّر الله تعالى مدّتي حتّى رأيتُ الباقر عليه السلام، فأقرأته السّلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله(١).

المطلب الثاني: النصّ على إمامة الباقر عليه السلام

عِلاوة على النصّ العامّ الذي ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وآله على إمامة كلّ واحد من الأئمّة الاثني عشر(٢)، فقد وردت روايات متعدّدة تنصّ على إمامته عليه السّلام، منها:

١- عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه، قال: التفتَ علي بن الحُسين إلى ولده وهو في الموت وهم مجتمعونَ عنده، ثمّ التفتَ إلى محمّد بن علي ابنه، فقال: يا محمّد، هذا الصّندوق فاذهب به إلى بيتك، ثمّ قال: أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكنّه كان مملوءاً علماً(٣).

٢- عن مالك بن أَعْيَن الجهنيّ، قال: أوصى علي بن الحُسين عليه السلام ابنه محمّد بن علي عليه السلام، فقال: «بني، إنّي جعلتك خليفتي من بعدي، لا يعدي في ما بيني وبينك أحد إلا قلّده الله يوم القيامة طوقاً من نار، فأحمد الله على ذلك وأشكره، ...»(٤).

المطلب الثالث: التعريف بحكام عصر الإمام الباقر عليه السلام

أولاً: الوليد بن عبد الملك

كان الوليد الحاكم على البلاد الإسلاميّة عند تولّي الإمام الباقر عليه السلام الإمامة، فقد استولى على الحكم سنة (٨٦) هجريّة، ودام حكمه تسع سنين وسبعة أشهر؛ إذْ

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٨٧٩/٢ -٨٨٢.

(٢) يُنظر: كتاب سليم بن قيس: ٩٤، وكفاية الأثر: ٣١١، والغيبة للطوسيّ: ١٠٥.

(٣) يُنظر: البصائر: ٤٤/٤، وإعلام الورى: ٢٦٠، والكافي: ٣٠٥/١.

(٤) كفاية الأثر: ٣١٩.

توفي في دير مروان سنة (٩٦) هجريّة، وكان عمره (٤٥) سنة[١].

ومن صفات الوليد:

أ- التجبّر والظلم[٢]، حتى قال عنه عمر بن عبد العزيز: إنّه ممّن امتلأت الأرض به جوراً[٣].

ب- غلبة اللّحن عليه.

ج- كثرة النكاح والطلاق، ويقال أنّه تزوّج ثلاثاً وستّين امرأة غير الإماء[٤].

وقد وقع الخلاف بينه وبين أخيه سليمان؛ لأنّ الوليد أراد خلع سليمان ومبايعة ابنه عبد العزيز، ولكنّ سليمان أبى، ولم يُجبه للبيعة جميع الولاة باستثناء الحجّاج بن يوسف، وقتيبة بن مسلم، وبعض الخواصّ، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوة، ولكنّه مات قبل ذلك[٥].

ثانيا: سليمان بن عبد الملك

استولى على الحكم بعد موت الوليد سنة (٩٦) هجريّة، وأوّل ما قام به هو عزل ولاة الوليد، وبالأخصّ عمّال الحجّاج بن يوسف[٦].

وقد أطلق بعض السّجناء، ويذكر أنّه أطلق في يوم واحد واحداً وثمانين ألفاً[٧]،وإنّما فعل ذلك تقرّباً للناس.

ومن جهة أُخرى، غلب عليه طمعه وجشعه إلى الإجحاف في جباية الخراج،

---

(١) يُنظر: تاريخ ابن الأثير: ٤/ ١٣٨.

(٢) يُنظر: تاريخ الخلفاء، للسيوطيّ: ٢٢٣.

(٣) يُنظر: المصدر السّابق.

(٤) يُنظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ١٣٣/١.

(٥) يُنظر: المنتظم: ١٢/٧.

(٦) يُنظر: الكامل في التاريخ: ١١/٥.

(٧) يُنظر: تاريخ ابن عساكر: ٨٠/٥ .

حتى كتب إلى عامله على مصر، أُسامة بن زيد التنوخيّ عندما سأله التخفيف على الرعيّة: هبلتك أُمّك، إحلب الدرّ، فإذا انقطع، فاحلب الدم[١]. ولم يدم حكمه إلّا ثلاث سنوات، فقد توفي في سنة (٩٩) هجريّة[٢].

ثالثا: عمر بن عبد العزيز

تقلّد الحكم بعهد من سليمان بن عبد الملك.

ومن خصائص عهد هذا الحاكم:

أ- لمس النّاس الأمن والرفاه بشكل نسبيّ.

ب- رفع سبّ الإمام علي عليه السلام بعد كلّ صلاة، واستبدله بالقول: إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى.

ج- إظهار الصّلة بالعلويّين، فقد أعطى عشرة دنانير لابناء علي وفاطمة، على عكس ما كان عليه الحال في زمن الحكّام الأمويّين السّابقين.

د- ردّ فدك؛ إذْ سلّمها إلى الإمام الباقر عليه السلام.

وعلى الرّغم من الإصلاحات التي قام بها عمر بن عبد العزيز، إلا أنّه قد أُخذ عليه بعدّة مؤاخذات، منها:

١- أقرّ القطائع التي اقتطعها مَن سبقه من الأمويّين مع أنّها بغير حقّ.

٢- لم يستبدل العمّال على البلاد الإسلاميّة، مع أنّهم جهدوا في ظلم النّاس وابتزاز أموالهم.

٣- أقرّ العطاء الذي كان للأشراف، مع أنّه ممّا يتنافي مع المبادئ الإسلاميّة.

٤- زاد عطاء أهل الشام عشرة دنانير، ولم يفعل مثله لأهل العراق.

توفي في سنة (١٠١) هجريّة، وقيل: مات مسموماً من قبل بعض الأمويّين،

---

(١) يُنظر: الوزراء والكتّاب، للجهشياريّ: ٥٢.

(٢) يُنظر: تاريخ ابن الأثير: ١٥١/٤.

تخوّفاً من أنْ يعهد بالخلافة لمَن يصلح لها، فعاجلوه[١].

رابعا: يزيد بن عبد الملك

استولي على الحكم بعهدٍ من أخيه سليمان، وقد أقام أربعين يوماً يسير بين النّاس بسيرة عمر بن عبد العزيز، ولكن، شقّ ذلك على بني أُميّة، فآتوه بأربعين شيخاً شهدوا عنده بأنّه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب[٢]، فعدل عن سياسة عمر، وساس النّاس سياسة عنف وجبروت، فكتب إلى عمّاله بعد أنْ عزل عمّال عمر بن عبد العزيز: أمّا بعد، فإنّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا النّاس إلى طبقتهم الأولى[٣]، فعاد الظلم بأبشع صورة.

خامسا: هشام بن عبدالملك (أحول بني أميّة)

استولي على الحكم بعد وفاة أخيه سنة (١٠٥) هجريّة، وكان من صفاته:

١- البخل، بل كان شديد البخل[٤].

٢- الظلم والطغيان.

لقي الإمام الباقر عليه السلام في عهده ضروب المحن والآلام، ومن ذلك إشخاصه إلى الشام، ثمّ اعتقاله هناك، إلى أنْ فرّج الله عنه، وحاول هشام اغتيال الإمام أكثر من مرّة، ولكنّ الإمام عليه السلام كان ينجو من ذلك، إلاّ في المرّة الأخيرة؛ إذْ دسّ إليه السّم[٥].

المطلب الرابع: أوضاع العالم الإسلامي زمان الإمام الباقر عليه السلام

لم تكن الأوضاع مستقرّة في العالم الإسلاميّ زمان الإمام الباقر عليه السلام لعدّة عوامل، منها:

---

(١) يُنظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ١٤٢/١.

(٢) يُنظر: تاريخ ابن الأثير: ٢٣٢/٤.

(٣) يُنظر: العقد الفريد: ١٨٠/٣.

(٤) يُنظر: البخلاء: ١٥٠.

(٥) يُنظر: بحار الأنوار: ٣١٢/٤٦.

أولاً: النزاعات الواقعة داخل البيت الأموي على السلطة

ثانيا: الانحراف السياسي

فقد تحولَّت الخلافة إلى ملك يُتَوارث، ووُزِّعت المناصب على الأقرباء والابناء، ولم يُراعَ في ذلك كلّه الكفاءة[١].

ثالثا: الانحراف الفكري والعقائدي

فإنّ الانحرافات تطوّرتْ إلى تيّارات واتّجاهات، حتى انتشرت عقيدة المجبّرة، والمفوِّضة، والمرجئة، والمجسّمة والمشبّهة، والزندقة التي جحد أصحابها البعث والنشور، وأسقط العقاب والثواب، كما انتشر التصوّف الذي ينادي بالاعتزال عن الحياة، وأمثال ذلك، وصاحَبَ رواج ذلك كلّه ظواهر منحرفة عديدة، كفصل الدين عن السّياسة، والعمل بالقياس، والإفتاء بالرأي.

رابعا: الفتن الداخلية والأخطار الخارجية

فإنّ قتيبة بن مسلم خلع سليمان بن عبد الملك واستقلّ في خراسان[٢]، وأمّا يزيد بن المهلب، فقد خلع يزيد بن عبد الملك، وإنْ تمكّن الأخير من قتله بعد ذلك، وقد ثار زيد بن عليّ بن الحُسين في زمن هشام بن عبد الملك، وإنْ تمكّن الأخير من القضاء على الثورة وقتل زيد.

هذا على مستوى الأخطار الداخليّة، وأمّا الأخطار الخارجيّة، فقد ظفر الخزر بالمسلمين وانتصروا عليهم في بعض الثغور، وكان في سنة (١٠٤) هجريّة، وهذا الحدث له دلالته التي تكشف عن ضعف هيبة الدّولة في نظر الأعداء.

خامسا: الانحراف الأخلاقي

فالأمويّون حوّلوا الأنظار إلى الغزوات، وحشّدوا الطاقات البشريّة لفتح البلدان؛

---

(١) تاريخ الخلفاء، للسّيوطيّ: ٢٢٠، ٢٢٣، ونهاية الأَرَب: ٣٥٥/٢١.

(٢) يُنظر: تاريخ ابن خلدون: ١٥١/٥.

طلباً للغنائم، وتوسّعاً في السّيطرة، الأمر الذي أدّى إلى تشتيت الأُسر بغياب المعيل والراعي أو فقدانه، وإلى كثرة العبيد من جوارٍ وغلمان، ما أدّى إلى التشجيع على اقتنائهم، وبالأخصّ الذين يمتلكونَ القدرة على الغناء، فشاع الغزل والتشبيب بالنساء[1] وشرب الخمر وأمثال ذلك، حتى أصبح اللّهو والمجون عند الحكّام ومن تبعهم مقدّماً على كلّ هموم الدّولة، ولقد طرب يزيد بن عبد الملك يوماً حتى قال: دعوني أطير، فقالت له جاريته حبابة: على مَن تدع الأمّة؟ قال: عليك، ولمّا ماتت، تركها ثلاثة أيّام دون دفن، حتّى نَتَنَتْ، وبقي سبعة أيّام لا يظهر للنّاس[2].

سادسا: الانحراف الاقتصادي

فأموال بيت المال كانت تُصرف في ملذّات الحكّام والأمراء، ولم تستمثر في مشاريع تُنعش الحالة الاقتصاديّة في البلاد الإسلاميّة[3].

---

(١) يُنظر: الأغاني: ٦/ ٢١٩.

(٢) يُنظر: الكامل في التاريخ: ١٢١/٥.

(٣) يُنظر: الأغاني: ١٠٩/٧، و ١/ ٣٣٩، ومروج الذهب: ٧٦/٣.

خلاصة البحث

زخر عصر الإمام الباقر (عليه السلام) بالاضطرابات السّياسيّة الحادّة، والصّراعات الفكريّة العميقة، نتيجة السّياسة الأمويّة المنحرفة.

أحدقت بالوطن الإسلاميّ أخطار خارجيّة وداخليّة. ويمكن تلخيص أبرز مظاهر الانحراف في عهد الإمام (عليه السلام) بما يأتي:

١- الانحراف الفكريّ والعقائديّ.

٢- الانحراف السّياسيّ.

٣- الانحراف الاجتماعيّ.

٤- الانحراف الأخلاقيّ.

٥- الانحراف الاقتصاديّ.

اختبارات البحث

١. بِمَ كان يزخر عصر الإمام الباقر (عليه السلام) من المشاكل؟ وماذا كان أثر ذلك على حياة الأمّة؟

٢. ما هي أبرز معالم الانحراف في عصر الإمام (عليه السلام)؟

٣. ما هي المدارس الفكريّة التي ظهرت في عهد الإمام الباقر (عليه السلام)؟

٤. عرِّف بحركة الزندقة.

٥. تكلّم – باختصار– عن مظاهر الترف المادّي الذي عاشه الحكّام ومَن سار في ركبهم في عصر الإمام الباقر (عليه السلام).

البحث رقم (٢٣)

نشاطات الإمام الباقر (عليه السلام) في مواجهة التهديدات المختلفة

أهداف البحث

١. التعريف بنشاط الإمام الباقر (عليه السلام) في مجال الإصلاح الفكريّ والعقائديّ.
٢. وصف نشاط الإمام الباقر (عليه السلام) في مجال الإصلاح السّياسيّ.
٣. توضيح نشاط الإمام الباقر (عليه السلام) في مجال الإصلاح الاجتماعيّ.
٤. تحليل نشاطات الإمام (عليه السلام) في مجال بناء الجماعة الصّالحة.
٥. بيان أهمّيّة الجماعة الصّالحة في الأمّة وأهمّ خصائصها.

مقدمة البحث

تعرّضنا في البحث السّابق إلى الأخطار المختلفة التي أحاقت بالأمّة الإسلاميّة وبالمسلمين زمان إمامة الإمام الباقر (عليه السلام)، وقد شاهدنا شدّة تلك الأخطار والتهديدات وتنوّعها واستفحالها بين جميع قطاعات المجتمع، فكان لا بدّ للإمام (عليه السلام) – وهو الممثّل للرسالة المحمّديّة والمدافع عنها– من مواجهة تلك الأخطار على تنوّعها وشدّتها، وهذا ما سنتعرّض له في هذا البحث؛ إذْ نشاهد تلك النشاطات التي قام بها (عليه السلام) على محورين: محور النشاطات العامّة، ومحور بناء الجماعة الصّالحة.

المطلب الأول: النشاطات العامة للإمام الباقر (عليه السلام)

ويتمثّل هذا المحور في تحرّك الإمام (عليه السلام) في أوساط الأمّة لإعادتها إلى خطّ الاستقامة، وقد تمّ ذلك ضمن محاور عديدة، منها:

أولاً: محور الإصلاح الفكري والعقائدي

وكانت الوسائل التي سلكها الإمام (عليه السلام) لهذا المحور عديدة، نذكر منها:

أ– الردّ على الأفكار والعقائد الهدّامة والمذاهب المنحرفة بالأدلّة الدامغة والبراهين الواضحة، وله حوارات عديدة مع أئمّة المذاهب، كالحسن البصريّ، ومحمّد بن المنكدر، الذي هو من مشاهير زهّاد ذلك العصر، ونافع بن الأزرق أحد

رؤساء الخوارج، وعبد الله بن محمّد البصريّ، وقتادة بن دعامة البصريّ[١].

ب- إدانة فقهاء البلاط وغيره، أمثال: قتادة بن دعامة البصريّ، وأبي حنيفة بن النعمان، يقول الأستاذ محمّد أبو زهرة كتعليق على هذه الإدانة: «تتبيّن إمامة الباقر للعلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، وكأنّه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادّة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة»[٢].

ج- الدعوة إلى أخذ الفكر من مصادره النقيّة، قال الباقر عليه السلام لسلمة بن كهيل، وللحكم بن عتيبة: «شرّقا وغرّبا، فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً خرج من عندنا»[٣].

د- نشر الإمام عليه السلام علوم أهل البيت عليهم السلام لعامّة الأمّة، وقد أخذ منه جملة ممّن له وزنه وثقله في المجتمع، أمثال: عطاء بن رباح، وعمرو بن دينار، والزهريّ، وربيعة الرأي، وابن جريح، والأوزاعيّ، وبسّام الصّيرفيّ، وغيرهم[٤].

وقد حقّق الإمام عليه السلام مرجعيّته الدينيّة لكلّ هؤلاء، حتى قال عبد الله بن عطاء: ما رأيتُ العلماء عند أحدٍ أصغر منهم عند أبي جعفر، لقد رأيتُ الحكَم عنده كأنّه متعلّم[٥].

وبهذه الخطوة أرسى الإمام عليه السلام قواعد المدرسة الفقهيّة النموذجيّة، التي واصل مسيرتها ونمّاها من بعده الإمام جعفر الصّادق عليه السلام، وكان إيجاد هذه الخطوة أمراً ضروريّاً للأُمّة الإسلاميّة؛ لأنّها كانت لا تفقه من أُمور دينها القليل ولا الكثير، بسبب الأحداث والاضطرابات السّياسيّة، وإهمال الحكّام الشؤون الدينيّة إهمالاً تامّاً.

وكان من أهمّ مميّزات هذه المدرسة الفقهيّة الاعتماد على الكتاب والسّنّة الصحيحة؛ فإنّ الإمام كان يُسند الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإذا ما أرسله ولم

---

(١) يُنظر: أعيان الشيعة: ٦٥٣/١.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلاميّة، محمّد أبو زهرة: ٦٨٩.

(٣) الكافي: ٣٩٩/١.

(٤) يُنظر: سير أعلام النبلاء: ٤٠١/٤.

(٥) يُنظر: مختصر تاريخ دمشق: ٧٩/٣.

يُسنده، فإنّ سنده هو والده زين العابدين عليه السلام، عن الحُسين بن عليّ الشهيد، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عن جبرائيل، عن الله سبحانه وتعالى[1].

مضافاً إلى تعليم الآخرين ممّن له الأهليّة كيفيّة الاستنباط الصّحيح للمسائل والموضوعات المستجدّة، والتحذير من استعمال القياس، وإعمال الرأي الشخصيّ الذي لا يخضع إلاّ للمزاج الشخصيّ.

ثانيا: محور الإصلاح السياسي

وقد تمّ ذلك من خلال عدّة اُمور، منها:

أ- نشر الوعي السّياسيّ في الأمّة، من خلال طرح الفكر السّياسيّ السّليم المنسجم مع رؤية أهل البيت عليهم السلام، ممّا نوّر الأمّة؛ إذْ أدركتْ عدم صحّة إبراز المعارضة المسلّحة ما لم تكتمل شروطها من حيث العدّة والعدد.

كما اتّضح للأمّة وجود وسائل وآليات اُخَر تكون وسيلة ضغط على الحكومة توجب الحدّ من تصرّفاتها المستبدّة والظالمة، من قبيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال عليه السلام: إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصّالحين، وفريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتردّ المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف بها من الأعداء، ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكّوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم[2].

ب- فضح الواقع الأمويّ، وقد تمّ ضمن عدّة نشاطات:

١- التصريح بفساد الحكّام الأمويّين وباطلهم للأشخاص الذين يطمئنّ من إخلاصهم وسلامتهم[3].

---

(١) يُنظر: إعلام الورى: ٢٩٤.

(٢) يُنظر: تهذيب الأحكام: ١٨/٦.

(٣) يُنظر: شرح نهج البلاغة: ٤٢/١١- ٤٤.

٢- الدعوة إلى مقاطعة الحكم القائم، والنهي عن العمل معه وإعانته(١).

٣-مواقفه المباشرة من الحكّام المعاصرين، مراعياً في ذلك ما تقتضيه ظروف التقيّة، ومن ذلك موقفه عليه السلام من هشام بن عبد الملك عندما استقدمه إلى الشام، ولم يسلّم الإمام عليه بالخلافة، قال هشام: يا محمّد بن عليّ، لا يزال الرجل منكم قد شقّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه وزعم أنّه الإمام سفهاً وقلّة علم... ثمّ سكتَ هشام، فانبرى عملاؤه، وجعلوا ينالونَ من الإمام ويسخرونَ منه، وهنا، تكلّم الإمام عليه السلام، فقال: أيّها النّاس، أينَ تذهبون؟ وأينَ يُراد بكم؟ بنا هدى الله أوّلكم، وبنا يختمُ آخركم، فإنْ يكن لكم مُلك معجَّل، فإنّ لنا مُلكاً مؤجّلاً، وليس بعد مُلكنا مُلك؛ لأنّا أهل العاقبة، والعاقبة للمتّقين...(٢)، ثمّ خرج الإمام عليه السلام بعد أنْ ملأ نفوسهم حزناً وأسى، ولم يستطيعوا الردّ على منطقه القوي.

ثالثا: محور الإصلاح الاجتماعي

لقد بذل الإمام الباقر عليه السلام عناية خاصّة لإصلاح أخلاق ابناء المجتمع الإسلاميّ، بدءاً بالمقرّبين منه، ثمّ سائر الأوساط الاجتماعيّة، بل والمؤسّسات الحكوميّة، وكان يستثمر جميع الفرص الممكنة لإيجاد التغيير المطلوب، ولهذا، تعدّدت الأساليب التي كان يتّبعها لتحقيق هذا التغيير، ومن ذلك:

أ- نشر الأحاديث النبويّة التي تتعرّض إلى البناء الأخلاقيّ للمسلم، مضافاً إلى نشر النصوص التي تحذّر من ضياع المبادئ الخلقيّة؛ لأنّ قيمة الأمّة والحفاظ على هويّتها يكون من خلال التمسّك بالأخلاق، وإلّا، إنمسخت هويّة الأمّة.

ب- تربية النخبة من الأمّة لكي تأخذ دورها في تربية الأمّة، والأخذ بيدها إلى السّلوك السّوي، والخلق الرفيع، والابتعاد عن رذائل الأخلاق.

---

(١) يُنظر: الكافي: ١٠٧/٥.

(٢) يُنظر: بحارالأنوار: ٧٥/١١.

المطلب الثاني: نشاطات الإمام (عليه السلام) في مجال بناء الجماعة الصّالحة

أولاً: أهمية الجماعة الصالحة في الأمة

أرسى الإمامان الباقر والصّادق(عليهما السّلام) قواعد بناء الجماعة الصّالحة، بعد أنْ وضع لبناتها الإمام زين العابدين (عليه السلام) بشكل كامل كما تقدّم في البحوث السّابقة، بنحوٍ يكون مَن يسلكها ممثّلاً لخطّ أهل البيت (عليهم السلام) تمثيلاً كاملاً، وذراعاً يستعين به الإمام (عليه السلام) في القيام بدوره الرساليّ في الأمّة، فأنشأ كلّ إمام جيلاً من الصّلحاء كانوا فقهاء الأمّة، وعلماء يُقتدى بهم، وهم كثيرون جداً.

وقد تحقّق بتلك الجماعة الصّالحة أُمور كثيرة، منها:

١- حفظ الشريعة الإسلاميّة من التحريف.

٢- المحافظة على هويّة المجتمع الإسلاميّ من الضياع؛ ولذا لم تؤثّر التيّارات المنحرفة المتنوّعة، ولا دعوات العنصريّة والطائفيّة والإقليميّة، في ضياع الهويّة الإسلاميّة للأمّة ككلّ.

٣- الوقوف أمام التيّارات الباطلة حتّى تمّ تطويقها في كلّ حقبة زمنيّة برزتْ فيه.

ثانيا: أهم خصائص الجماعة الصالحة

وأمّا أهمّ خصائص الجماعة الصّالحة، فمنها:

أ- العقيدة الصّحيحة والثقافة السّليمة؛ لاتصالها بالمنبع الأصيل الصّافي، وهو أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

ب- التحلّي بدرجة عالية من الكمالات النفسيّة والعمليّة.

فالأئمّة (عليهم السلام) - وبالأخصّ الإمامين الباقر والصّادق (عليهما السلام)- بذلوا جهوداً كبيرة في إعداد نماذج صالحة، حتى شهد العدوّ والصّديق بعلمهم وفضلهم وورعهم، وصلاحيّتهم للمرجعيّة، وقيادة الأمّة.

خلاصة البحث

انصبّ دور الإمام الباقر عليه السلام في هذه المُدّة التي كثرت فيها أقوال الغلاة والمرجئة وأهل التفويض والجبر والتجسيم على إبطالها؛ إذْ وقف منها موقفاً تميّز بالحزم والردع الحاسم، مسلّطاً الضوء على أخطار تلك النشاطات وتأثيرها المباشر على مستقبل الأمّة.

في هذه المُدّة الشائكة جدّاً أرسى الإمام أُصول مدرسته العلميّة العامّة التي وفد إليها طلّاب العلم من مختلف المذاهب والتيّارات، فكانت منطلقاً للفكر النيّر الواعي والتربية القرآنيّة الفريدة.

تركّز دور الإمام عليه السلام على بناء القاعدة الثابتة للجماعة الصّالحة لتكون الطليعة الواعية، والقاعدة الصّلبة لتوسيع القواعد الشعبيّة من أجل إقامة حكم الله في الأرض.

كان من أهداف الجماعة الصّالحة، حفظ الشريعة الإسلاميّة من التحريف، صيانة المجتمع الإسلاميّ من الضّعف والانهيار.

اختبارات البحث

١. كان نشاط الإمام الباقر عليه السلام لإصلاح الواقع الفاسد يدور حول محورين أساسيّين، أذكرهما باختصار.

٢. لماذا تحرّك الإمام الباقر عليه السلام في أوساط الأمّة؟

٣. كيف أسهمَ الإمام الباقر عليه السلام في الإصلاح الفكريّ والعقائديّ؟

٤. هل أسهمَ الإمام الباقر عليه السلام في الإصلاح السّياسيّ؟ علّل إجابتك.

٥. ما هي الأمور التي حقّقتها الجماعة الصّالحة عهد الإمام الباقر عليه السلام؟

الفصل الخامس

تاريخ الإمام الصادق عليه السلام

البحث رقم (٢٤)

تاريخ الإمام جعفر الصادق عليه السلام

أهداف البحث

١. التعريف بولادة الإمام الصّادق عليه السلام وكنيته ولقبه.

٢. بيان ملامح عهد الإمامين الباقر والصّادق عليهما السلام.

٣. وصف الغزو الثقافيّ الذي تعرّض له المجتمع الإسلاميّ، وجهود الإمام الصّادق في مواجهة هذا الغزو.

٤. توضيح الوضع السّياسيّ في عصر الإمام الصّادق عليه السلام.

٥. توجيه عدم ثورة الإمام عليه السلام على الحكم الأمويّ على الرغم من ضعفه زمنه.

مقدمة البحث

تناولنا بالكلام في البحوث السّابقة أهمّ الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الباقر عليه السلام؛ إذْ تكلّمنا عن مولده وأسمائه وكناه وأهمّ الحكّام الذين عاصرهم عليه السّلام، وتعرّضنا بعد ذلك لأبرز المحاور التي تناولها نشاطه عليه السّلام لإصلاح الواقع الفاسد الذي عاشه المجتمع ذلك الوقت، وما نريد أنْ نتعرّض إليه ابتداء من هذا البحث هو الحديث عن أهمّ الخطوط العريضة في تاريخ الإمام الصّادق عليه السلام؛ ولأنّ تاريخ هذا الإمام يمثّل مرحلة حسّاسة في التاريخ الإسلاميّ بصورة عامّة والتاريخ الشيعيّ بصورة خاصّة، فسوف نتعرّض الى الأحداث بصورة أكثر تفصيلاً إنْ شاء الله تعالى.

المطلب الأول: الولادة والكنية والألقاب

ولد جعفر الصّادق ابن محمّد بن عليّ زين العابدين ابن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب بالمدينة المنورة سنة ثمانين من الهجرة الشريفة[1].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢/٩١٠- ٩١١.

وأمّه السيّدة الطاهرة «أم فروة» بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر[١].

وأمّا ألقابه، فكثيرة، منها: الصّادق، والصّابر، والفاضل، والقائم، وغيرها[٢].

المطلب الثاني: النصّ على إمامة الإمام الصادق عليه السلام

عِلاوة على النصّ العامّ من قبله صلى الله عليه وآله على كلّ واحد من الأئمّة المعصومين عليهم السلام، فقد وردت نصوص خاصّة على إمامة الإمام الصّادق عليه السلام، ومنها:

١- روى الكلينيّ بإسناده عن أبي الصّبّاح الكنانيّ، قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي، فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[٣].

٢ـ وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام لأصحابه يوماً: «إذا افتقدتموني، فاقتدوا بهذا، فإنّه الإمام بعدي»، وأشار إلى ابنه جعفر[٤].

المطلب الثالث: عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام

يُعدُّ عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام - (٩٥- ١٤٨هـ) حتى بداية أيّام هارون العبّاسيّ (١٧٠ هـ)- عهد الانفراج بالنسبة للنشاط الفكريّ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام إذا ما قيس إلى العهود السّابقة واللاحقة؛ وذلك، لأنّ الحكم الأمويّ كان قد أخذ بالضّعف والانهيار حتى السّقوط (سنة ١٣٢هـ) لأسباب كثيرة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كانت هذه المُدّة بداية العهد العبّاسيّ الأوّل؛ إذْ كانت الدّولة فتيّة، لاسيّما وهي ترفع شعار الرضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) يُنظر: أصول الكافي: ٤٧٢/١.

(٢) يُنظر: موسوعة الإمام الصّادق: ١٦٢/١، وتذكرة الخواص: ٣٠٧، ومناقب آل أبي طالب: ٢٨١/٤.

(٣) يُنظر: أصول الكافي: ١/ ٢٤٣، باب الإشارة والنصّ على أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام.

(٤) يُنظر: كفاية الأثر: ٢٥٤.

فتلك النهاية وهذه البداية اجتمعتا لتشكّلا عصر ضعف الدولتين، ومن الطبيعيّ في هذا الظرف أنْ يشتغل الحكّام وأتباعهم بإحكام القبضة على الحكم لئلّا يُفلت من أيديهم زمام الأمر.

إنّ تنامي الاضطرابات ضدّ الحكّام الأمويّين من جهة، والتناحر بين رموز البيت الأمويّ من جهة ثانية، واشتداد نقمة الأمّة على الحاكمين من جهة ثالثة، هي من جملة أسباب انهيار وانقراض الحكم الحديديّ الأمويّ.

ومن هنا، سُمّي هذا العصر بعصر انتشار علوم آل محمّد؛ إذْ كان فضلاء الشيعة ورواتهم في تلك السّنين آمنين على أنفسهم، مطمئنّين، متجاهرين بولاء أهل البيت عليهم السلام، معروفين بذلك بين النّاس، ولم يكن للأئمّة عليهم السلام مزاحم لنشر الأحكام، فكان يحضر شيعتهم مجالسهم العامّة والخاصّة للاستفادة من علومهم. وفي تلك المدّة القليلة، كتبوا عن أئـمّتهم أكثر ما ألّفوه، وبسعيهم نشرت علوم آل محمّد صلى الله عليه وآله[1].

وهناك عامل آخر ساعد الإمامين الصّادقين على القيام بمهامهّما الفكريّة بالإضافة إلى ما تقدّم، وهو ابتعادهما عن الطموح إلى تولّي السّلطة؛ لعلمهما بأنّها لاتصل إليهما، وأنّهما لايصلان إليها؛ لأسباب أدركاها من متابعتهما لما جرى ويجري من أحداث، ولمعرفتهما بواقع المستويات الاجتماعيّة والسّياسيّة لابناء الأمّة الإسلاميّة آنذاك، فلم يقتربا من سلطان، ولم يتّصلا بسلطة، ولم يتدخّلا بشأن سياسيّ يمت إلى النظام الأمويّ أو النظام العبّاسيّ بوجه من الوجوه[2].

المطلب الرابع: غزو الحضارات الوافدة

امتاز عهد الإمامين الصّادقين عليهما السلام بميزة اُخرى، هي: غزو الحضارات الوافدة، كاليونانيّة والهنديّة والفارسيّة، بما تحمله تلك الحضارات من فلسفات وثقافات ونظريات لا تلتقي مع وجهة النظر الإسلاميّة، ما يعني ضرورة أنْ تكون للمسلمين

---

(١) يُنظر: الذريعة: ٢/١٣١-١٣٢.

(٢) يُنظر: تاريخ التشريع الإسلاميّ، عبد الهادي الفضليّ: ٩٦.

فلسفة منبعثة من واقع النظريّة الإسلاميّة؛ حتّى لاتتوزّعهم الفلسفات الوافدة والحضارات اللا إسلاميّة.

ولم يكن بين المسلمين –آنذاك– شخصيّة مؤهّلة علميّاً بمستوى هذه المسؤوليّة غير الإمام الصّادق ﷺ، ليؤسّس لهم مدرستهم الفلسفيّة الخاصّة بهم، لتحتضن فكرهم الفلسفيّ الإسلاميّ، وتقف أمام تحدّي الحضارات الوافدة، وتحدّ من تأثيرها على الذهنيّة الإسلاميّة في مجال العقيدة والتشريع معاً.

قال الإمام الصّادق ﷺ: «لمّا حضرت أبي الوفاة، قال: يا جعفر، اُوصيك بأصحابي خيراً، قلتُ: جعلتُ فداك، واللهِ، لأدَعَنَّهم والرجلُ منهم يكون في مصر فلا يَسأَلُ أحداً[١]»[٢].

فالإمام الصّادق ﷺ كان قد استعدّ وخطّط لمرحلة تصدّيه للإمامة، وذلك بالتركيز على الإعداد العلميّ والإغناء الثقافيّ؛ بحيث يجعل كلّ واحد من تلامذة أبيه ﷺ في غنى عن الأخذ من الغير، وهذا يعني الإعداد لمرجعيّة أصحاب أهل البيت العلميّة، فضلاً عن مرجعيّة أهل البيت أنفسهم.

كما أنّ الإمام الباقر ﷺ كان قد هيّأ أصحابه وشيعته لأخذ معالم الشريعة من ابنه الصّادق ﷺ، عندما قال لهم: «إذا افتقدتموني، فاقتدوا بهذا – مشيراً الى جعفر الصّادق– فإنّه الإمام والخليفة بعدي»[٣].

المطلب الخامس: الحالة السياسية في عصر الإمام الصادق ﷺ

وأمّا بالنسبة إلى الحالة السّياسيّة في عصر الإمام الصّادق ﷺ، فتوضيحه:

١– لم يكن الوضع السّياسيّ الذي كان يريد الإمام الصّادق ﷺ أنْ يتحرّك فيه قد تبدّل عن عصر أبيه الباقر ﷺ، فهشام بن عبد الملك الذي أقدم على اغتيال

---

(١) الإرشاد: ٤٠/١، وبحار الأنوار: ١٢/٤٧، ح١.

(٢) يُنظر: إثبات الوصيّة: ١٧٧، وإثبات الهداة: ٣٣٠/٥.

(٣) كفاية الأثر: ٢٥٤، وبحار الأنوار: ١٥/٤٧.

الإمام الباقر عليه السلام كان هو الحاكم الطاغي، وسياسته مع الإمام الصّادق عليه السلام وشيعته كانت هي السّياسة القائمة على أساس الحقد الجاهليّ والترويع والاضطهاد.

فقد تعرّض زيد بن علي عمّ الإمام الصّادق عليه السلام في زمن أخيه الإمام الباقر عليه السلام للإذلال والتوهين من قبل هشام، بوصفِهِ أحد رموز أهل البيت عليهم السلام، كما جعل زيداً يزداد قناعة بضرورة الثورة المسلّحة ضدّ الحاكمين؛ وذلك لِفساد الحكّام الذين جلسوا في موقع الرسول صلى الله عليه وآله، وهم يحكمون باسمه، في الوقت الذي يستهينون به صلى الله عليه وآله وبأهل بيته وهم غير مكترثين بمن يسبّه عندهم.

فحينما صمّم زيدٌ على الثورة المسلّحة ضدّ طغاة بني أُميّة، جاء إليه جابر بن يزيد الجعفيّ يسأله عن سبب تصميمه على الثورة، ويخبره بأنّه لو خرج يُقتل، فقال زيد لجابر: «يا جابر، لم يَسَعَنِ أنْ أسكت وقَد خولف كتاب الله، وتُحوكم بالجبت والطاغوت، وذلك أنّي شاهدت هشاماً ورجل عنده يسبّ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت للسابّ: ويلك ياكافر، أما أنّي لوتمكّنت منك لاختطفتُ روحَك وعجّلتُك إلى النار، فقال لي هشام، مَه جليسنا يا زيد.

قال زيد لجابر: فوالله، لو لم يكن إلاّ أنا ويحيى ابني، لخرجتُ عليه وجاهدتُه حتى أفنى»(١).

٢- زيد بن علي وإعلان الثورة على الأمويّين

جمع زيد بن علي الأنصار والدّعاة، وأعلن ثورته، والتحق به عدد غفير، وأيّده جمع من الفقهاء والعلماء على ذلك.

لكنّ المتتبع للوضع السّياسيّ والأخلاقيّ لتلك المرحلة، يرى أنّ الاضطراب العقائديّ والأخلاقيّ كان سمة من سمات ذلك العصر؛ فبالرغم من وجود التذمّر الصّارخ من بني أمية وجورهم، وبالرغم من البحث عن بديل سياسيّ يتمثّل في

---

(١) تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: ١٠٨- ١٠٩، ويُنظر: حياة الإمام محمّد الباقر: ٧٢/١.

خطّ أهل البيت (عليهم السلام)، وهو الخطّ الذي كافح الظلم وتحمّل ألوان العذاب من الحكم الأموي المنحرف، نجد أنّ هاتين المفردتين لم تفيا بكامل الشروط الموضوعيّة لنجاح الثورة، بل نجد ظاهرة التخذيل والتشكيك في حركة زيد سمة بارزة في هذه المرحلة أيضاً.

لقد كانت الثورة على مستوى تكامل مسيرة الأمّة ضرورة اجتماعيّة وسياسيّة لئلا تتنازل عن شخّصيتها للظالمين، ولتحافظ على هويّتها الإسلاميّة، المتمثّلة في الحيويّة والحساسيّة ضدّ الباطل.

من هنا، فَجّرَ زيد ثورته، وحقَقّ نصراً حاسماً ضدّ الأمويّين من هذه الزاوية، بعد أنْ خاض حرباً طاحنه كادت أنْ تنتهي لصالح زيد لولا وقُوع الفتنة في صفوف أتباعه المقاتلين؛ إذ تعّمدت بعض العناصر الدخيلة أنْ تفرّق جيشه وأتباعه، ولكنّه صمد وقاتل حتّى استشهد رضوان الله عليه.

وبعد قتله، أمر هشام بصلب جثمانه الطاهر على باب دمشق، ثمّ أُرسل جثمانه إلى المدينة، فنُصب عند قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله)[1] في سنة (١٢١ هـ).

٣- موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من ثورة زيد

قال مهزم الأسديّ: «دخلتُ على الإمام الصّادق (عليه السلام)، فقال: يا مهزم، ما فعل زيد؟ قال: قلتُ: صُلِب، قال: أين؟ قلتُ: في كناسة بني أسد، قال: أنتَ رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟ قال: قلتُ: نعم، فبكى، حتّى بكت النساء خلف السّتور»[2].

وبعد هذا المصاب، نجد الإمام الصّادق (عليه السلام) في مواقف متعدّدة يتبنّى الدفاع عن عمّه زيد، ويترحّم عليه، ويوضّح منطلقاته وأهدافه، ويرسّخ في النفوس مفهوماً

---

(١) عمدة الطالب: ٢٥٨، والنزاع والتخاصم: ٢٧، وأنساب الأشراف: ٢٩٢/٢٧.

(٢) أمالي الطوسيّ: ٢٨٤/٢.

إسلاميّاً عن ثورته؛ إذْ يعُدُّ هذه الثورة جزءاً من حركة الإمام عليه السلام، وليس حدثاً خارجاً عنها، كما نجده يردّ على الإعلام المضادّ للثورة ضمن عدّة مواقف وتصريحات[1].

لقد كانت سياسة السّلطة الحاكمة عندما تريد الانتقام من خصومها هي إلقاء تهم وعناوين مستهجنة في نظر العرف العام، لكنّ الإمام الصّادق عليه السلام يقول في هذا الصّدد: «لا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً صدوقاً، ولم يدْعُكم إلى نفسه، إنّما دعاكم إلى الرّضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله، ولو ظفر، لَوَفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمعٍ لينقضه»[2].

٤- حكومة الوليد بن يزيد

وبعد أنْ هلك هشام بن عبد الملك في ربيع الثاني من سنة (١٢٥هـ)، استولى على الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان يسمّى بالفاسق؛ إذْ لم يكن في بني أُميّة أكثر إدماناً منهُ للشراب والسّماع، ولا أشدّ مجوناً وتهتّكاً واستخفافاً بأمر الأمّة.

حتّى أنّه واقَعَ جاريةً له وهو سكران، وجاءه المؤذِّنون يؤذّنونه بالصّلاة، فحلف أنْ لا يُصلي إلاّ هي، فلبستْ ثيابه، وصلّتْ بالمسلمين وهي سكرى وجنب[3].

ويروى أنّه تفاءل يوماً بالمصحف الكريم، فخرجت الآية التالية: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[4]، فمزّق المصحف[5].

---

(١) يُنظر: أمالي الصّدوق: ١/ ٢٨٦، و ٢٧٥/١٣.

(٢) الحور العين: ١٨٨.

(٣) حياة الحيوان: ٧٢/١.

(٤) إبراهيم: ١٥.

(٥) مروج الذهب: ١٤٩/٣.

٥- بداية الانهيار

لم تكن هذه اللّحظات التاريخيّة من حياة الأمّة التي بدأت فيها بالمطالبة بإزاحة بني أُميّة من مركز الحكم لتتحقّق بشكل عفوي، وإنّما كانت قد جاءتْ نتيجة لفعاليات ثوريّة بدأت بعد ثورة الإمام الحُسين عليه السلام، واستمرّت حتّى ثورة زيد بن علي عليه السلام، التي كسّرت هيبة هشام بن عبد الملك، الطاغية الأمويّ.

لقد صّرح الإمام الصّادق عليه السلام بعاقبة هذا الانحدار والتردّي والتمردّ على حرمات الله قائلاً: «إنّ الله عزّ ذكره أذن في هلاك بني أُميّة بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيّام»[1].

٦- إستيلاء يزيد بن الوليد على الخلافة

وفي سنة (١٢٦هـ) قُتل الوليد بن يزيد من قبل الأمويّين أنفسهم، واستولى على مركز الخلافة من بعده يزيد بن الوليد بن عبد الملك، المسمّى بالنّاقص؛ إذْ أنقص عطاءات النّاس، وكانت مدّة حكمه خمسة أشهر ونصفاً، ولم يتعرّض الإمام في عهده لأيّ ضغط، فكان يزاول نشاطه العلميّ بكلّ حريّة، وخاصّة مع ملاحظة الفوضى السّياسيّة التي لم تُشهد من قبل.

وهذا الواقع السّياسيّ لم يمكن مسكه ولا السّيطرة عليه وتكريسه باتّجاه واحد من قبل الإمام عليه السلام، من هنا، نجد أنّ موقفه عليه السلام من هذا الوضع كان موقف المصلح المرشد؛ إذْ نراه يحذّر من الاندفاع وراء أصحاب الدعوات تارة، ويدعو للموقف الثوريّ تارة أخرى، ولكن، لا أيّ خطّ ثوريّ، وإنّما الخطّ الثوريّ المعتمد على العقيدة الصّحيحة إنْ وجد هكذا خطّ.

فالإمام عليه السلام محيط بتفاصيل واقعه؛ لأنّه على رأس حركة لم تكن وليدة السّاعة، ولا تخفى عليه حركة التيّارات الطارئة في هذا الظرف، ولا الاطماع التي كانت

---

(١) الكافي: ٨ /١٦١-١٦٥، وتفسير العيّاشيّ: ١ / ٣٢٥.

تحرّك رؤساءها[1].

٧- الحالة الدينية والثقافية العامّة

وأمّا الحالة الدينيّة والثقافيّة العامّة في هذه الظروف السّياسيّة المضطربة، فمن الطبيعيّ أنْ لانشهد لها تطوراً إلاّ بمقدار ما يرتبط بالشعور بالتذمّر من الظالمين، وضرورة القضاء على الحكم الفاسد، الذي لم ينفكّ عن دعوة النّاس إلى الفساد الفكريّ والأخلاقيّ، ويجرّهم إلى الانهيار الاقتصاديّ والفقر والحرمان.

(١) يُنظر: حياة الإمام الصّادق، القرشيّ: ٧/ ٦٦- ٧٧.

خلاصة البحث

عاصر الإمام الصّادق ﷺ ثورة عمّه زيد بن عليّ ضدّ الأمويّين سنة (١٢١هـ)، الذي بدأت الاضطرابات تزداد بعد مقتله وحتى سنة (١٣٢هـ) حين سقط الحكم الأمويّ بشكل كامل، وأُسِّست الدّولة العبّاسيّة.

هذه الفترة (١١٤– ١٣٢هـ) هي الفترة التي كانت مؤاتية للإمام الصّادق ﷺ لإكمال بناء قواعده، وتشييد دعائم الصّرح الفكريّ الإسلاميّ؛ لأنّها فترة انشغال الحكّام الأمويّين والعبّاسيّين عنه وعن شيعته.

اختبارات البحث

١. بماذا تميّز عصر الإمام الصّادق ﷺ؟

٢. ما هي ملامح الحالة السّياسيّة في عصر الإمام الصّادق ﷺ؟

٣. متى ثار كلّ من زيد بن علي ﷺ ويحيى بن زيد رضوان الله عليهما؟ ولماذا؟

٤. ما هي نتائج ثورة زيد ويحيى؟

٥. ما هو موقف الإمام الصّادق ﷺ من ثورتَي زيد ويحيى؟

البحث رقم (٢٥)

مواجهة الإمام الصادق عليه السلام للتيارات المنحرفة

أهداف البحث

١. بيان مواجهة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام للانحرافات السّياسيّة.
٢. توضيح مواجهة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام للانحرافات الأخلاقيّة.
٣. التعريف بالنشاط الفكريّ والعقائديّ للإمام الصّادق عليه السلام.
٤. التعريف بالنشاط السّياسيّ للإمام الصّادق عليه السلام.
٥. وصف جامعة أهل البيت عليهم السلام ومميّزاتها.

مقدمة البحث

إنّ طبيعة الحالة الدينيّة والسّياسيّة والفكريّة والأخلاقيّة، هي التي تحدّد للقائد الرساليّ نوع نشاطاته، ومستوى كلّ نشاط في ضوء الأهداف الرساليّة العُليا، والمصلحة الإسلاميّة المُثلى.

وقد عاش الإمام الصّادق عليه السلام في عهدين سياسيّين متماثلين، هما: نهاية العهد الأمويّ، وبداية العهد العبّاسيّ الأوّل.

وطبيعة المرحلة التي عاشها الإمام الصّادق عليه السلام إبّان الحكم الأمويّ وبدء انهياره – وهي المرحلة الأولى من عصره– تطلبّت من الإمام عليه السلام نشاطاً فكريّاً وعلميّاً وتربويّاً وسياسيّاً خاصّاً، لمعالجة مجموعة الانحرافات الفكريّة والدينيّة والأخلاقيّة والسّياسيّة التي كانت تزخر بها السّاحة الإسلاميّة آنذاك، والعلاج كان لا بدّ من أنْ يكون على المدى القريب والبعيد معاً، وهذا ما نريد تناوله في هذا البحث، علماً بأنّنا سوف نتعرّض إلى تفصيل أكثر لبعض محاور بحثنا في بحوث مستقبليّة — إنْ شاء الله–، كنشاط الإمام عليه السلام واهتمامه في مجال بناء الجماعة الصّالحة.

المطلب الأول: الانحراف السياسي

يعود الانحراف السّياسيّ في جذوره إلى الانحراف الفكريّ والدينيّ والأخلاقيّ

بشكل خاصّ، ومن هنا، لم يمكن علاجه بشكل سطحيّ دون معالجة جذوره وأسبابه.

وكانت المرحلة تتطلّب من الإمام عليه السلام أنْ يقدّم علاجه لهذه الانحرافات فيها على مستويين أيضاً: على المستوى العامّ لمجتمع المسلمين اتجاهاته ومذاهبه وتيّاراته المختلفة، وعلى المستوى الخاصّ بأتباع أهل البيت عليهم السلام، وهم الجماعة الصّالحة.

ومن هنا، نلاحظ تنوّع نشاطات الإمام الصّادق عليه السلام وأساليب عمله بما يتناسب مع كلّ هذه المجالات والمستويات ومراحل الإصلاح القريبة والبعيدة معاً.

المطلب الثاني: الانحراف الأخلاقيّ

ثّم إنّ الانحرافات الأخلاقيّة قد تعود هي أيضاً إلى جذور عقائديّة أو فكريّة وثقافيّة أو منهجيّة، ومن هنا، نلاحظ تنوّع النشاط الفكريّ والعلميّ للإمام عليه السلام، وتنوّع أطراف الحوار والاحتجاج معه، فهو يناقش أصحاب التيّارات الفكريّة الإلحاديّة، كالزنادقة والغلاة، وفي الوقت نفسه يحاجج المعتزلة وأصحاب الرأي والقياس،

ويعكف -أيضاً- على بناء قواعد جامعته الإسلاميّة الكبرى، ويعتزل العمل الثوريّ السّياسيّ مباشرةً، بينما يرعى ثورات العلويّين، ويشجّع بعضها ويشجب البعض الآخر تارة أُخرى، ويهتمّ بأتباع أهل البيت عليهم السلام بشكل خاصّ، بحيث يرسم لهم برنامجاً كاملاً يستوعب كلّ أبعاد وجودهم الفكريّ والأخلاقيّ والدينيّ والسّياسيّ والاجتماعيّ والأمنيّ والاقتصاديّ، ويرسم لهم خُطى حركتهم المستقبليّة، ويعدّهم إعداداً قويماً للتأثير في المجتمع الإسلاميّ وإصلاح انحرافاته، كما يعدّهم لتسلّم زمام الأمور في مستقبلهم القريب أو البعيد، بحسب حجم استجابتهم لقواعد التغيير والإصلاح الاجتماعيّ وسننها.

المطلب الثالث: النشاط الفكري والعقائدي للإمام الصادق عليه السلام

إذا راجعنا حوارات واحتجاجات الإمام عليه السلام في كتب الاحتجاج أو السّيرة الخاصّة به[١]، لاحظنا عدّة ظواهر ملفتة للنظر، منها:

١- إنّ النسبة الأكبر من الاحتجاجات كانت مع رموز الملاحدة والزنادقة في عصره، مثل: الدّيصانيّ، وابن أبي العوجاء.

٢- ويأتي الاحتجاج مع أصحاب الرأي والقياس في الدرجة الثانية من مجموعة الاحتجاجات المأثورة عنه.

٣- تتنوّع أطراف الحوار مع الإمام عليه السلام إلى أنواع المعتقدات، بدءًا من إنكار وجود الله تعالى، وحتّى السّلوك المنحرف والمغلوط والفهم الخاطيء لمسيرة الشريعة.

٤- ونلاحظ - أيضاً- أنّ الإمام عليه السلام في حواره مع الزنادقة والملحدين يمثّل العالم الحليم الهاديء، المسيطر على كلّ أرجاء المعرفة، المتعمّق إلى كلّ أغوار الفكر، الآخذ بزمام البحث الموضوعيّ النزيه، ما أدىّ إلى رجوع بعض الملحدين وإيمانهم بالله على يديه.

بينما نجده في مواجهته لتيّار الغلوّ، ذلك القائد الهادر الذي لايقرّ له قرار، وهو يكيل أنواع اللّعن، ويتمنّى الإبادة التامّة لهؤلاء الغلاة.

المطلب الرابع: الإمام الصادق عليه السلام وبناء جامعة أهل البيت عليهم السلام

أولاً: أهمية جامعة الإمام الصادق عليه السلام

لقد واصل الإمام الصّادق عليه السلام تطويره للمدرسة التى أسّسها آباؤه الطاهرون عليهم السلام من قبله، وانتقل بها إلى آفاق أرحب، فاستقطبت الجماهير من مختلف البلاد الإسلاميّة؛ لأنّها استطاعت أنْ تُلبّي رغباتهم، وحاولت ملء الفراغ الذّي كانت تعانيه

(١) يُنظر: احتجاج الطبرسيّ، وعوالم المعارف، الجزآن المختصّان بالإمام الصّادق عليه السلام.

الأمّة آنذاك؛ إذْ جاءت الجامعة – ومع حضور ثقل الإمام عليه السلام فيها– عاملاً أساسيّاً في التخّلص من الاضطراب الفكريّ في تلك المرحلة.

ثانياً: مميزات جامعة الإمام الصادق عليه السلام

وممّا يمّيز مدرسة الإمام الصّادق عليه السلام عن باقي المدارس ما يأتي:

١– عدم انغلاقها في المعرفة على خصوص العناصر الموالية فحسب، وإنّما انفتحت لتضمّ طلاّب العلم من مختلف الاتجاهات، فهذا أبو حنيفة الذي كان يخالف الإمام عليه السلام في منهجه، كان ممّن يختلف إلى الإمام الصّادق عليه السلام، ويسأله عن كثير من المسائل(١).

٢– عدم اقتصار جامعة الإمام عليه السلام على حقلٍ واحدٍ، كالفقة أو الكلام مثلاً، ليكون ذلك سبباً لمخاطبة وجذب فئة محدودة من النّاس، وإنّما تناولت جامعته العلميّة مجموعة العلوم الدينيّة وغير الدينيّة.

٣– عدم تلوّث جامعة الإمام عليه السلام بسياسة الحكومات الجائرة، بل قد رأتْ الأمّة أنّ هذه المدرسة يقوم عليها وريث النبوّة، وعملاق الفكر المحمّديّ، الإمام أبو عبد الله الصّادق عليه السلام، المعروف بمواقفه الرّساليّة، واستقامته على خطّ الشريعة الربّانيّة المحمّديّة.

٤– المنهج العلميّ السّليم، والعمق الفكريّ، والاتجاه العقائديّ التربويّ والإصلاحيّ.

٥– عدم انفصال الجهود المبذولة فيها عن حركة الإمام عليه السلام وأنشطته الأخَر، بل كانت الجامعة جزءاً لاينفصل عن برنامجه التغييريّ؛ لأنّها كانت تُسهم – بالتأكيد– في خلق مناخ يمهّد بدوره لبناء الفرد الصّالح، ومن ثمّ المجتمع الصّالح.

٦– الاعتناء بالتخصّص العلميّ في تلك المرحلة؛ لأنّ للاختصاص دوراً كبيراً

---

(١) يُنظر: مختصر التحفة الاثني عشريّة، للآلوسيّ: ٨ ، وحياة الإمام الصّادق، للقرشيّ.

في إنماء الفكر الإسلاميّ وتطويره، وبالتخصّص تتنوّع العطاءات، ويكون الإبداع وعمق الإنتاج؛ لذا، وجّه الإمام التخصّص العلميّ، وتصدّى للإشراف على كلّ تلك التخصّصات.

٧- التخطيط لإنشاء وتنشيط حركة الاجتهاد وتخريج الفقهاء والمجتهدين في علوم الشريعة الإسلاميّة.

والاجتهاد ضرورة قرآنيّة التزم بها أهل البيت عليهم السلام، وعملوا على تحقيقه لأتباعهم؛ لئلّا يكونوا أتباعاً لغيرهم، وليكونوا القدوة المثلى في كلّ عصر.

فقد رسم الإمام عليه السلام منهج الاجتهاد في فهم النصّ، وحارب اجتهاد الرأي المتمثّل في القياس والاستحسان، كما حاربه القرآن وسائر أئـمّة أهل البيت عليهم السلام، وحاولوا إبعاده عن الشريعة، وإبعاد أتباعهم عنه، ومن هنا، رسموا لنا معالم هذا الاجتهاد وخطوطه العريضة، وبيّنوا أُسسه وأساليبه، ووفّروا وسائله وأدواته، وطبّقوا منهجه، ودعوا أصحابهم إليه، وقدّموا نماذج حيّة للمجتمع الإسلاميّ في هذا الصّدد.

وهكذا، انبثقت مدرسة الفقهاء الرّواة، التي اعتمدت منهج أهل البيت الفقهيّ والتشريعيّ، وتميزّت بذلك عن سائر المدارس الفقهيّة المتحرّرة من هذا المنهج، أو الجامدة على ظواهر النصوص.

المطلب الخامس: النشاط السياسي للإمام الصادق عليه السلام

إستهدف الإمام عليه السلام لونين من الانحراف: الأوّل: الانحراف السّياسيّ المتمثّل في انحراف الحاكمين، والثاني: الانحراف السّياسيّ الفكريّ الناشيء من فقدان الفكر والوعي السّياسيّ السّليم.

ولهذا ركزّ الإمام عليه السلام على ما يأتي:

أوّلاً: التثقيف على عدم شرعيّة الحكومات الجائرة، والتي ليس لها رصيد شرعيّ، ورتّب على ذلك تحريم الرجوع إليها لحلّ النزاعات والخصومات، كما

ورد عنه قوله عليه السلام: «إيّاكم أنّ يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجلٍ منكم يعلم شيئاً من قضايانا، فاجعلوه بينكم، فإنّي قد جعلته قاضياً، فتحاكموا إليه»[١].

وقال عليه السلام أيضاً: «أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله، فقد شركه في الإثم»[٢].

إنّ تفتيتَ الأسس التي يعتمد عليها الظالمون في حكمهم، يُعَدّ عملاً سياسيّاً مهمّاً لزعزعة عرشهم، والقضاء على الجور، من خلال زعزعة أُسس قوّتهم وسيطرتهم.

قال عليّ بن حمزة: كان لي صديق من كتّاب بني أُميّة، فقال لي: استأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام، فأستأذنت له، فلمّا دخل، سلّم وجلس، ثمّ قال: جُعلتُ فداك، إنّي كنتُ في ديوان هؤلاء القوم، فأصبتُ من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضتُ في مطالبه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لو أنّ بني أُمية لم يجدوا مَن يكتب لهم، ويجبي لهم الفيء[٣]، ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقّنا...»[٤].

ثانياً: مارس الإمام عليه السلام التثقيف على الصيغة السّياسيّة السّليمة، من خلال تبيان موقع الولاية المغصوب، واستخدم الخطاب القرآنيّ في هذا المجال الذي حاولت فيه المدارس الفكريّة الأخرى تجميد النصّ بحدود الظاهر، فقد علّق عليه السلام على قوله تعالى: ﴿وإذْ ابتلى اِبْراهيمَ ربّهُ بِكَلِمَات فَأتَمَّهُنَّ قَالَ إنّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إمَاماً

---

(١) وسائل الشيعة: ٤/١٨.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/ ٢.

(٣) الفيء: الخراج.

(٤) المناقب، لابن شهرآشوب: ٣٦٥/٣، عن بحار الأنوار: ٤٧/ ١٣٨، والكافي: ١٠٦/٥، ح٤، والتهذيب: ٣٣١/٦، ح٤١، ووسائل الشيعة: ١٤٤/١٢، ح١.

قَالَ ومِنْ ذُرِّيَّتي قَالَ لايَنَالُ عَهْدِي الظالِمِينَ﴾[١]: إنّ الله عزّ وجل اتّخذ ابراهيم عبداً قبل أنْ يتّخذه نبّياً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أنْ يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أنْ يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أنْ يتّخذه إماماً، فلمّا جمع له الأشياء، قال: إنّي جاعلك للنّاس إماماً.

قال عليه السلام: فمن عِظَمِها – أي: الإمامة– في عين إبراهيم عليه السلام، قال: ومِن ذريّتي؟ قال: لاينال عهدي الظالمين، قال: لا يكون السّفيه إمام التقيّ.

ثالثاً: قام عليه السلام بدعم الحركات المسلّحة وتوجيهها الوجهة الصّحيحة؛ ليحافظ على الروح النهضويّة ضدّ الباطل، وليبقى الطغاة على وجل من عاقبة طغيانهم، من دون أنْ يتدخّل بشكل مباشر في هذا الحقل، كما لاحظنا ذلك في مواقفه من ثورتي زيد ويحيى.

---

(١) البقرة: ١٢٤.

خلاصة البحث

تنوّع النشاط الفكريّ للإمام الصّادق عليه السلام بين مواجهة التيّارات الإلحاديّة وغير الإلحاديّة ممّا كان منتشراً في عصره، فقد كان عصره عليه السلام عهد الانفراج النسبيّ لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ما أدّى إلى وجود نوع من الحرّيّة للحركة العلميّة، وقد ارتفعت نسبة طلّاب المعرفة الذين كانوا يقصدونَ الإمام للاغتراف من علومه، وقدْ توسّعت ـ أيضاً ـ موادّ وفروع العلوم التي أفاضها الإمام عليه السلام على طلّاب الحقيقة، وتنوّعت إلى المعارف العقليّة والشرعيّة والعلوم الطبيعيّة والعلوم الإنسانيّة.

كما حارب الإمام عليه السلام منهج الرأي الاستحسانيّ، وأكّد منهج الاجتهاد في فهم النصّ، ووضع الأسس العلميّة لاستخراج القواعد الأصوليّة والفقهيّة، وأُسِّست بذلك المدرسة الفلسفيّة والكلاميّة الإسلاميّة في الحواضر الإسلاميّة.

وأمّا النشاط السّياسيّ للإمام الصّادق عليه السلام، فقد تمثّل في نوعين من النشاط: الإيجابيّ والسّلبيّ حسب متطلّبات المرحلة.

اختبارات البحث

١. ما هي الانحرافات التي واجهها الإمام الصّادق عليه السلام في عصره؟

٢. تكلّم عن عوامل تأسيس جامعة الإمام الصّادق عليه السلام.

٣. أذكر أهمّ ملامح جامعة الإمام الصّادق عليه السلام باختصار.

٤. ما هي أهمّ خصائص المدرسة الفقهيّة للإمام الصّادق عليه السلام؟

٥. في مجال النشاط السّياسيّ للإمام الصّادق عليه السلام، استهدف الإمام عليه السلام لونين من الانحراف، أذكرهما، مع بيان مختصر لكلّ منهما.

البحث رقم (٢٦)

النظام العام للجماعة الصالحة (تكامل البناء والتأصيل)

أهداف البحث

١. بيان هويّة الجماعة الصّالحة ومشخّصاتها.

٢. وصف المرجعيّة الدينيّة للجماعة الصّالحة.

٣. توضيح نظام العلاقات في نظام الجماعة الصّالحة.

٤. وصف الاتجاه السّياسيّ للجماعة الصّالحة.

٥. التعريف بالنّظام الأمني والاقتصاديّ للجماعة الصّالحة.

مقدمة البحث

عرفنا أنّ أهمّ ما ركّز عليه أئمّة أهل البيت عليهم السلام لبناء المجتمع الصّالح بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو بناء الجماعة الصّالحة، التي تستطيع أنْ تقوم بمهمّة التغيير الحقيقيّ والتدريجيّ والعميق في أوساط المجتمع الإسلاميّ. ومن هنا، كان بناء الفرد الصّالح والجماعة الصّالحة التي تحتضن هذا الفرد وتهيّيء الأجواء اللازمة لتنميته وتطويره، هدفاً أساسيّاً للقيادة الربّانيّة التي تسهر على تحقيق أهداف الرّسالة، في مجتمع مليء بالتناقضات والقيم التي تحتاج إلى هدم وبناء مستمرّين.

وستتعرض في هذا البحث إلى النظام العام للجماعة الصّالحة في مرحلة تكامل البناء والتأصيل، المرحلة التي بذل الإمامان الصّادقان عليهما السلام الجهود الاستثنائيّة فيها، في سبيل بناء هذه الجماعة والمحافظة عليها، وتنميتها، وإغنائها.

المطلب الأول: هويّة الجماعة الصالحة ومشخّصاتها

الأوّل: الاسم

أطلق الإمامُ الباقر والصّادق عليهما السلام عدّة أسماء لتشخيص هويّة الجماعة الصّالحة وفرزها وتمييزها عن غيرها، ومنها: شيعة عليّ، شيعة فاطمة، شيعة آل محمّد، شيعة ولد فاطمة.

ولهذا الاسم (الشيعة) جذر تاريخيّ وقرآنيّ ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾[١].

وروى أبو بصير عن الإمام الصّادق عليه السلام قوله: «نحن أهل بيت الرّحمة، وبيت النّعمة، وبيت البركة، ونحن بنيان الأرض، وشيعتنا عُرى الإسلام...»[٢].

وأقرّ عليه السلام اسم الرّافضة على الجماعة الصّالحة بعد أنْ سمّاهم به أتباع السّلطان، فحينما شكا إليه بعض أصحابه عن هذه التّسمية، قال له: «وأنا من الرّافضة»، قالها ثلاثاً[٣].

وعن أبي بصير، قال: «قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: جُعلت فداك، اسمٌ سُمِّينا به، استحلّت به الولاة دماءنا وأموالنا وعذابنا، قال: وما هو؟ قال: الرّافضة، فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون، فأتوا موسى عليه السلام، فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أشدّ اجتهاداً ولا أشدّ حبّاً لهارون منهم، فسمّاهم قوم موسى: الرّافضة، فأوحى الله إلى موسى: أنْ ثبِّتْ لهم هذا الاسم في التوراة، فإنّي قد نحلتهم، وذلك اسم قد نحلكموه الله»[٤].

الثّاني: الصفات

أطلق أهل البيت عليهم السلام عدّة صفات قرآنيّة على شيعتهم، مثل: الصّالحون، وأولو الألباب، وأولياء الله، والمصلّون، وأصحاب اليمين، وخير البريّة.

فعن أبي بصير: قال الإمام الصّادق عليه السلام: «قد ذكركم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾[٥]، نحن الصّديقون والشّهداء، وأنتم

---

(١) الصّافات: ٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥/٦٥، ح ٧٥.

(٣) المحاسن: ١٥٧.

(٤) المصدر السّابق.

(٥) النّساء: ٦٩.

الصّالحونَ، أنتم والله شيعتنا»[١].

الثالث: الانتماء إلى الرسول ﷺ وأهل بيته ﵈

أكّد أهل البيت ﵈ انتماء شيعتهم إليهم وإلى رسول الله ﷺ، وأنّ هذا الانتماء الفكريّ والرّوحيّ والاتّباع العمليّ هو الذي يُعطيهم الرّفعة في الدّنيا والآخرة.

الرابع: منزلة الجماعة الصالحة

وأمّا المكانة السّامية لأتباع أهل البيت ﵈ في الدّنيا والآخرة، فقد ورد عن الإمام الباقر ﵇: «إنّ الله عزّ وجل أعطى للمؤمن ثلاث خصال: العزّ في الدنيا والدين، والفُلْج (النصر والفوز) في الآخرة، والمهابة في صدور العالَمين»[٢].

المطلب الثاني: المرجعية الدينية للجماعة الصالحة

إنّ الملاكات الأساسيّة التي جعلت الأنبياء والأئمّة ﵈ قادةً فكريّين وسياسيّين، وحاجة المجتمع البشريّ إلى القيادة الرّبّانيّة على طول خطّ المسيرة التكامليّة نحو الله سبحانه وتعالى، هي التي جعلتْ الأئمّة من أهل البيت ﵈ يخطّطون – على هدي الكتاب الإلهيّ– لنظام المرجعيّة الدينيّة لأتباعهم، وذلك بتنصيب المجتهد الجامع لشرائط الافتاء والقضاء والحكم مرجعاً فكريّاً وسياسيّاً، يحكم فيهم على أساس شريعة الله الخالدة وقيمها الرّبّانيّة، وعدّه امتداداً لإمامتهم ﵈ المشروعة.

وبدأوا ﵈ بالعمل على طرح الفكرة المتقدّمة وتطبيقها في حياتهم وحضورهم ليتركّز هذا النظام وتستقرّ دعائمه وتتّضح معالمه من خلال الممارسة والتطبيق في نطاق أتباعهم، وقد ورد عن الإمام الصّادق ﵇ في باب اختيار القاضي في المتخاصمين – بعد تحريم الرجوع إلى قضاة الحكومة الجائرة– أنّهما: «ينظران مَن كان منكم ممّن روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٧/ ١٢٤، و ٧٢، و ١٢٩، ح ١٤٣، والجزء ٦٥/ ٢٩، ح ٥٨، و ح ،٩٦ و ح٥٩.

(٢) المصدر السّابق: ١٦/٦٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨/ ١٩، ح١.

المطلب الثالث: العلاقات في نظام الجماعة الصالحة

للجماعة الصّالحة قاعدة وطليعة وقيادة. فالقيادة تتمثّل في الإمام المعصوم عليه السلام حين حضوره، أو في المرجع الدينيّ النائب عنه عند غيابه، والطليعة هي المجموعة المخلصة ذات البصيرة والوعي الكامل بشؤون القائد، وحلقة الوصل بين القاعدة والقيادة من جهة، وبين القيادة والقاعدة من جهة أُخرى.

وتقوم الطليعة (الوكلاء) بدور بيان الأحكام الشرعيّة والمواقف السّياسيّة والاجتماعيّة والتوجيهات والنصائح الأخلاقيّة، أو استلام الحقوق الشرعيّة ووضعها موضعها المناسب، أو فصل النزاعات، أو توليّ الأوقاف وغيرها من الأمور الحسبيّة[١].

وقد شخّص أهل البيت عليهم السلام مضمون العلاقة بين أفراد الجماعة الصّالحة، وبيّنوا حقوقها وشكلها، بعد بيان أُسسها وقواعدها وتفاصيل البناء الفوقيّ لها.

أمّا مضمون هذه العلاقة، فهو الحبّ في الله والبغض في الله تعالى[٢].

وأمّا حقوق هذه العلاقة، فهي التناصر والتكافل الاجتماعيّ بكلّ أبعاده ومستوياته، فقد ورد أنّ الصّادق عليه السلام قال لسدير: « لا تزال شيعتنا مرعيّينَ محفوظينَ مستورينَ معصومينَ ما أحسنوا النظر لأنفسهم في ما بينهم وبين خالقهم، وصحّت نيّاتهم لأئمّتهم، وبرّوا إخوانهم، فعطفوا على ضعيفهم، وتصدّقوا على ذوي الفاقة منهم...»[٣].

وأمّا شكل هذه العلاقة، فهي التزاور، وعقد الاجتماعات، والتحدّث في مختلف الشؤون، والتي منها إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام[٤]، فضلاً عن الاجتماعات الخاصّة، مثل: تشييع الجنائز، وقضاء حوائج الإخوان، والتحابب، والتواصل.

وقد فصّل أهل البيت عليهم السلام أيضاً نوع العلاقة في ما بين الجماعة الصّالحة وسائر

---

(١) يُنظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصّالحة، السيّد محمّد باقر الحكيم: ٢٥٦/١– ٢٥٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥٩/١– ٢٦١.

(٣) المحاسن: ١/ ٢٥٨، ح٤٩٢.

(٤) وسائل الشيعة: ١٢/ ٢٠، ح١.

المسلمين، وفي ما بينهم وبين غير المسلمين أيضاً، وهي علاقة التعايش مع الانفتاح، والبراءة من أعدائهم، مع التقيّة والمقاطعة مع الكفّار والظالمين وأهل البدع والضّلال[١].

المطلب الرابع: الاتجاه السياسيّ للجماعة الصّالحة

لا ريبَ في أنّ الإسلام نظام كامل للحياة، فهو يأخذ الواقع بكلّ أبعاده ليعالج مشكلاته في ضوء الهدي الإلهيّ، وذلك ليكون الإنسان في كلّ سيرته تحت رعاية ربّانيّة تتربّى من خلالها شخصيّته وتتّزن دون انفصام أو ازدواجيّة.

ومنهج أهل البيت عليهم السلام هو منهج الإسلام الكامل، فلا بدّ للأئمّة عليهم السلام من أنْ يرسموا لأتباعهم الاتجاه السّياسيّ الصّحيح، ويحدّدوا لهم المنطلقات السّياسيّة والخطوط العريضة في التحرّك على أرض الواقع.

ومن ذلك:

أ- الإيمان المطلق بولاية أهل البيت عليهم السلام، فالإمام منار للمهتدين، وولايته سبب للنجاة، وطاعته مفترضة في الحياة، وعُدّة بعد الممات...[٢].

وحبّ أهل البيت إيمان، وبغضهم كفر[٣].

ب- والتبرّؤ من أعدائهم - وهم أعداء الله- هو الأساس الآخر في التحرّك. ومن هنا، حُرِّمَ التعاون مع الأنظمة الظالمة، ووجبت مقاومتها.

ج- ولا بدّ من الموازنة بين المصالح والأولويات في الشريعة الإسلاميّة وتقديمها على المنافع والمصالح الخاصّة، وهذا هو أحد أبعاد (مبدأ التقيّة)، ومن هذه المصالح مصلحة الحفاظ على وحدة المجتمع الإسلاميّ وتلاحم أجزائه.

د- والأمّة لها الدور الكبير في عمليّة التغيير؛ إذْ لايغيّر الله ما بقوم حتّى يغيروّا ما بأنفسهم. ومن هنا، كان نشاط الأئمّة عليهم السلام باتّجاه تغيير الأمّة اتجاهاً واقعيّاً، فلم

---

(١) يُنظر: دور أهل البيت عليهم السلام: ١/ ٢٦٩- ٢٦٩، و ٤٩٥- ٥١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥/ ١٦٩- ١٧٠، ح ٣٨.

(٣) الكافي: ٢/ ١٨، ح٥.

يتحرّكوا لاستلام زمام الحكم بقدر ما كانوا يتحرّكون لتغيير فكر الأمّة وسلوكها وقيمها باتجاه الواقع المطلوب.

هـ- والالتزام بأحكام الإسلام الثابتة، وعدم تعدّيها، وجعلها ميزاناً في التحرّك، والتورّع عن محارم الله في كلّ حال أساس ثابت لا يمكن التنازل عنه بحال من الأحوال في منهج أهل البيت ﭺ لتغيير الواقع[١].

المطلب الخامس: النّظام الأمني للجماعة الصالحة

أولى الإمام ﭺ اهتماماً خاصّاً بالنّظام الأمنيّ للجماعة الصّالحة، حفاظاً على سلامة أفرادها وكيانها من التصدّع، وليبقى أفرادها أحراراً في حركتهم الإصلاحيّة.

والاحتياط والحذر الأمنيّ له آثار إيجابيّة على سلامة العقيدة وسلامة الشريعة وسلامة القيم الإسلاميّة، فإنّ أيّ خلل في الوضع الأمنيّ يؤدّي إلى سجن أو قتل أو تهجير مَنْ له تأثير إيجابيّ في الأمّة، وبالتالي، يكون خير فرصة للمنحرفين لنشر عقائدهم وخلق الاضطراب في العقول والقلوب والنفوس، بعد خلوّ الميدان من المصلحينَ.

وللنّظام الأمنيّ معالم ومظاهر منها: التّقيّة، وهي ظاهرة ذات آثار إيجابيّة على مسيرة الجماعة الصّالحة دون عرقلة أو تحجيم.

والضّرورة هي التي تحدّد استثمار التقيّة واستخدامها في كلّ اتجاه، حتى لا تتعرّض حركة الجماعة الصّالحة إلى الكشف فتكون عُرضة للأعداء، والهدف من التقيّة هو حقن الدّماء وعدم هدرها في مواقف ليست ضروريّة.

قال الباقر ﭺ: «إنّما جُعلتْ التقيّة ليُحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدّم، فلا تقيّة»[٢].

وقد استطاع الإمام ﭺ أنْ يوسّع قاعدته الشعبيّة ويرفد الجماعة الصّالحة بأفراد جدد، واستطاع أنْ ينشر علوم أهل البيت ﭺ، وأنْ يُشيع الفضائل والمكارم في المجتمع، دون أنْ يمنح للحكّام فرصة لاغتياله أو اعتقاله أو منعه من نشاطاته

---

(١) يُنظر: دور أهل البيت ﭺ في بناء الجماعة الصّالحة: ١/ ٢٧٣- ٢٩٥.

(٢) بحارالأنوار: ٧٢/ ٣٩٩.

العامّة في التّدريس واللّقاءات والزيارات.

كما أنّ من مظاهر النظام الأمنيّ التوازن في العلاقة مع الحكّام، فإنّ مقاطعة الحاكم الجائر هي إحدى مميّزات أئمّة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، وقد كانت إرشادات وأوامر الإمام ﴿عليه السلام﴾ إلى أفراد الجماعة الصّالحة تؤكّد المقاطعة في جميع صورها؛ لأنّ العمل مع الجائر يؤدّي إلى احتمالات واقعيّة:

الأوّل: تقويته وتشييد أركان دولته المنحرفة.

الثاني: ممارسة الأعمال المنحرفة التي يتطلّبها الواقع المنحرف.

الثالث: تأثّر العامل معه – في بعض الأحيان- بالإغراء المتنوّع بالأموال والمناصب والجاه، وقد يؤدّي هذا إلى التّخلّي عن الانتماء إلى الجماعة الصّالحة.

الرابع: تحوّل العامل إلى عدوّ في بعض الأحيان.

ولهذا كلّه، أمر ﴿عليه السلام﴾ بمقاطعة الحاكم الجائر[١].

المطلب السادس: النشاط الإقتصادي للجماعة الصالحة

ولحماية الجماعة الصّالحة من الأخطار الناشئة من الضغوط والآفات، نجد أهل البيت بشكل عام والإمام الصّادق ﴿عليه السلام﴾ بشكل خاصّ، قد اتجّهوا لتربية أتباعهم على الاجتهاد في طلب الرزق، والعمل والكدّ بدل الاتّكال على الآخرين أو الارتباط بالدّولة الظالمة، على أنّ مدرسة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ قد تميّزت بتشريعات اقتصاديّة خاصّة كالخمس في أرباح المكاسب، سوى التشريعات العامّة، مثل: الزكاة والخراج والأوقاف. ويمثّل الخمس أهمّ مصدر مالي للجماعة الصّالحة، وهو يمثّل نسبة مئويّة عالية من مجمل الثروة العامّة للمجتمع الإنسانيّ، وهو يجعل للإمام ﴿عليه السلام﴾ إمكانيّة ماليّة كبيرة يستطيع توظيفها لخدمة الإسلام والمسلمين[٢].

---

(١) يُنظر: كفاية الأثر: ٢٥١.

(٢) يُنظر: كفاية الأثر: ٤٠٢- ٤٢٠.

خلاصة البحث

الإسلام هو المحور الأساس للانتماء في الجماعة الصّالحة، وهو المنظّم لسير العمل والحركة داخل هذه الجماعة، وتكون المصلحة الإسلاميّة العليا هي الحاكمة على جميع المصالح الأُخَر: فالإسلام هو القاعدة للسّلوك والفكر والتصرّفات لأفراد تلك الجماعة الصّالحة؛ إذْ يعُدُّها جزءاً من المجتمع الإسلاميّ الكبير، وهي في الوقت نفسه مسؤولة عن الحفاظ على كيان ووحدة الأمّة من التصدّع والضّياع.

ومن هنا، أُسّستْ الجماعة الصّالحة، وكان لها هويّة ومرجعيّة دينيّة ونظاماً خاصّاً في العلاقات، والاتجاه السّياسيّ، والأمن، والنشاط الاقتصاديّ.

اختبارات البحث

١. أطلق الإمام الباقر والصّادق عليهما السلام عدّة أسماء لتشخيص هويّة الجماعة الصّالحة وفرزها وتمييزها عن غيرها، أذكرها مع بعض التوضيح.

٢. ما معنى «الرافضة» عند أهل البيت عليهم السلام؟

٣. ما هي صفات أفراد الجماعة الصّالحة؟

٤. تكلّم عن العلاقة في نظام الجماعة الصّالحة.

٥. ما هو الاتجاه السّياسيّ للجماعة الصّالحة؟ وما هي منطلقاته؟

البحث رقم (٢٧)

الإمام الصادق عليه السلام والمستجدات السياسيّة ونشأة الحكم العبّاسيّ

أهداف البحث

١. التعريف بالحركة العبّاسيّة من حيث النشأة والأساليب.
٢. بيان موقف الإمام الصّادق عليه السلام من الحكم العبّاسيّ.
٣. إستيعاب موقف الإمام الصّادق عليه السلام من ضرورة الثورة.
٤. توضيح نشاطات الإمام الصّادق عليه السلام في الكوفة.
٥. وصف موقف المنصور من الإمام الصّادق عليه السلام.

مقدمة البحث

استحكمت قناعة الأمّة، وآمنت بضرورة التخلّص من الطغيان الأمويّ، ولم يبق بعدُ شيء بيد وعّاظ السّلاطين ليرتشوا به لتوجيه الاستبداد الأمويّ، وليوظّفوا القرآن والحديث لصالح هذا الحكم الجائر؛ إذْ تراكمت في ذهن الأمّة وضميرها تلك المظالم التي ارتكبت بحقّ ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين، ولا سيّما سبط الرسول وريحانته وابناءه وأصحابه الميامين ومن حذا حذوهم طول العقود السّبعة بعد مقتل الإمام الحُسين بن عليّ عليه السلام.

ومن جانب آخر، اتّسع نفوذ أهل البيت عليهم السلام، وامتدّ خطّهم، وكثرت أنصاره، واستلهمت الأمّة ثقافته؛ إذْ إنّه قد أثّر في عقلها وقراراتها، حتّى أصبح له وجود في مختلف البلاد الإسلاميّة، وتألّق الإمام الصّادق عليه السلام، ودخل صيته في كلّ بيت، وكان مرجعاً روحيّاً تهوى إليه القلوب من كلّ مكان، وتلوذ به لحلّ مشكلاتها الفكريّة والعقائديّة والسّياسيّة بكلّ سهولة وارتياح.

المطلب الأول: الحركة العباسيّة: النشأة والأساليب

كان هشام بن عبد الملك يحذر وجود أبي هاشم – وهو من رجال بني هاشم البارزين – لوجود لياقات علميّة وسياسيّة عنده كانت تؤهّله للقيادة، فحاول هشام

اغتياله، ولمّا أحسّ أبو هاشم بالمكيدة ضدّه، احترز من ذلك، فأوصى إلى محمّد ابن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بإدارة أتباعه في مقاومة الأمويّين سنة (٩٩ هـ).

وكانت هذه الوصيّة بذرة الطمع التي حرّكت محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس، ممّا جعلته يشعر بأنّه القائد والخليفة مستقبلاً. وكانت الفرصة سانحة في ذلك الوقت بالتبليغ لشخصه؛ لذا، شرع في بثّ الدّعاة إلى خراسان سرّاً لهذا الغرض، واستّمر بدعوته إلى أنْ مات سنة (١٢٥هـ)، وترك من بعده أولاده، وهم: إبراهيم الإمام، والسّفّاح، والمنصور[١]، وإبراهيم الإمام هو الذي كان يخطّط لقيام دولة عبّاسيّة؛ لأنّه الأكثر دهاءً وحنكةً وتخطيطاً من أخويه.

نشط إبراهيم بالدعوة، وأخذ يتّحدث عن أهميّة الثورة وإنقاذ المنكوبين، وشارك البسطاء من النّاس آلامهم، وأخذ يعطف على المظلومين ويلعن الظالمين. وانتشر دعاة إبراهيم في بلاد خراسان، وكان لهم الأثر هناك، وقد تعرّض الدّعاة العبّاسيّون للقتل في سبيل دعوتهم، ومثّل ببعضهم، وحبس البعض الآخر[٢]، وكان في طليعة الدّعاة الأكثر نشاطاً وقوّةً ودهاءً أبو مسلم الخراسانيّ[٣].

وتضّمن المنهج السّياسيّ العبّاسيّ لكسب الأمّة عدّة أساليب كانت منسجمة مع الواقع ومقبولة عند عامة النّاس؛ ولذا، لقيت الدّعوة استجابة سريعة، وانضمّ المحرومون والمضطهدون إليها، ومن هذه الأساليب:

أولاً: ترويج الأفكار العاطفيّة؛ إذْ حاولوا إقناع النّاس بأنّ الهدف من دعوتهم هو الانتصار لأهل البيت ﷺ، الذين تّعرضوا للظلم والاضطهاد، وأُريقتْ دماؤهم في سبيل الحقّ، حاملينَ شعار (الرّضا لآل محمّد)، ووجدوا بهذا الشّعار ضالّتهم. الشّعار الذي حقّق نجاحاً باهراً، خصوصاً في البلاد التي كانت قد لاقت البؤس

---

(١) يُنظر: الآداب السّلطانيّة: ١٢٧.

(٢)يُنظر: تاريخ ابن السّاعي: ٣.

(٣)يُنظر: الدّينوريّ: ٣٦٠.

والحرمان، وكانت تترقّب ظهور الحقّ على يدي أهل بيت النبوّة عليهم السلام.

ثانياً: التركيز على إخفاء اسم الخليفة الذي يدعون إليه، والتكتّم على أمره، موجّهين ذلك بأنّ الخليفة لا يمكن إظهار اسمه إلاّ بعد زوال سلطان الأمويّين، وهناك يُعلن اسمُه الذي تعرفه القوّاد والنقباء[1].

ثالثاً: لبس السّواد، وكانوا يرمزونَ به إلى محاربة الظالمين وإظهار الحزن والتألّم لأهل البيت عليهم السلام والشّهداء الذين لحقوا بهم.

وهكذا، قامت الدعوة العبّاسيّة باسمهم للانتقام من الأمويّين، حتّى تمّ لهم الأمر.

المطلب الثاني: الإمام الصادق عليه السلام والحكم العباسي

التزم الإمام الصّادق عليه السلام موقف الحياد إزاء المستجدآت السّياسيّة في هذه المرحلة، لكنّه كان يواصل العمل على نهجه السّابق من جانب آخر، وأخذ يتحرّك بقوّة موسّعاً من دائرة الأفراد الصّالحين في المجتمع تحقيقاً لهدفه الّذي كان قد خطّط له قبل هذا الوقت.

ومن هذا المنطلق، أصدر جملة من التوصيات لشيعته، كان من شأنها أن تُجنِّبهم الدّخول في المعادلات السّياسيّة المتغيّرة التي تؤدّي بنتيجتها إلى استنزاف الوجود الشيعيّ في نظر الإمام عليه السلام، محذِّراً من أساليب العنف والمواجهة لهذه المرحلة.

فعن أبي بصير، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتقوا الله، وعليكم بالطاعة لأئـمّتكم، قولوا ما يقولون، واصمتوا عمّا صمتوا، فإنّكم في سلطان مَن قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[2]، يعني بذلك ولد العبّاس، فاتّقوا الله، فإنّكم في هدنة، صلّوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وأدوّا الأمانة اليهم»[3].

---

(١) يُنظر: الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة.

(٢) إبراهيم: ٤٦.

(٣) الكافي: ٢١٠/٨.

المطلب الثالث: الإمام الصادق عليه السلام وضرورة الثورة

لقد أسهمت الظروف السّياسيّة السّاخنة في إيجاد بعض التصوّرات والارهاصات عند أصحاب الإمام عليه السلام أُسوة بباقي النّاس، وقد لاحظ هؤلاء بأنّ الظرف مناسب لتفجير الوضع واستلام الحكم، لضخامة ما يشاهدونه من شعبيّة الإمام وكثرة النّاس الموالين له.

جاءت هذه التساؤلات عندما ورد إلى الإمام عليه السلام كتاب أبي مسلم الخراسانيّ، وهو من قادة الثورة على الحكم الأمويّ، فعن الفضل الكاتب، قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام، فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب، أُخرج عنّا، فجعلنا يُسارّ بعضنا بعضاً، فقال: أيّ شيء تسارُّون يا فضل؟ إنّ الله عزّ ذكره لايعجّل لعجلة العباد، ولَإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقضِ أجله، ثمّ قال: إنّ فلان بن فلان، حتى بلغ السّابع من ولد فلان، قلتُ: فما العلامة في ما بيننا وبينك جُعلتُ فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضل حتى يخرج السّفيانيّ، فإذا خرج السّفيانيّ، فأجيبوا إلينا - يقولها ثلاثاً- وهو من المحتوم»[١].

وروى المعلّى أنّه جاء إلى الإمام عليه السلام بكتب كثيرة من شيعته تطالبه بالنهوض[٢]، فما كان جواب الإمام عليه السلام إلا أنّ الكثرة المزعومة وذلك العدد الذي لايستهان به، لَهو أحوج ما يكون إلى الإخلاص ورسوخ العقيدة في النفوس، فلا يمكن للإمام عليه السلام أنْ يخوض المعركة بالطريقة التي يفكّر بها فضل الكاتب أو سهل الخراسانيّ وغيرهما؛ فإنّ المغامرة من هذا النوع، والدخول في اللُّعَب السّياسيّة استغلالاً للظرف، ستؤول إلى نتائج لم يُدركها هؤلاء؛ إذْ ستتكوّن تجربة عقيمة تعطّل المخطّط الإلهيّ الذي تكلّفه الإمام عليه السلام، حتّى في حالة نجاح الإمام العاجل وتسلّمه مقاليد الحكم لفترة وجيزة.

---

(١) الكافي: ٣٣١/٨، وبحار الأنوار: ٢٩٧/٤٨، ووسائل الشيعة: ١١/ ٣٧.

(٢) الكافي: ٢٧٤/٨.

المطلب الرابع: الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة

وكان حضور الإمام عليه السلام في الحيرة، المدينة القريبة من الكوفة، قد لفت أنظار الأمّة جميعاً، فاتّجهت النّاس حوله لتنهل من علومه وتستفيد من توصياته وتوجيهاته، حتى قال محمّد بن معروف الهلاليّ: مضيت إلى الحيرة إلى جعفر بن محمّد، فما كان لي من حيلة من كثرة النّاس، فلمّا كان اليوم الرابع، رآني، فأدناني....[1]

وهذا الحشد الجماهيريّ الكبير الذي يؤمن بأهليّة الإمام عليه السلام وأعلميّته، والتفافه المستمّر حول الإمام عليه السلام، قد دفع الحكومة العبّاسيّة الى أنْ تحدّ من هذه الظاهرة، لكنّ الإمام عليه السلام انطلاقاً من محافظته على مسيرة الأمّة ودفاعاً عن الإسلام، مارس مع السّفّاح أُسلوباً مرناً.

وهكذا، انطلق العبّاسيّون من هذه النقطة باتجاه تصفية الإمام عليه السلام وتجميد نشاطه؛ لأنّهم كانوا يرون فيه البديل القوي لهم لاستلام الحكم على المدى البعيد، بالرغم من عدم ممارسة أيّ نشاط سياسيّ ظاهر من قبل الإمام عليه السلام، وانشغاله بالفقه وعلوم الشريعة والتصدّي للتحدّيات الفكريّة الحضاريّة آنذاك.

لكنّ هذا النشاط بدوره ينتهي إلى المرجعيّة الفكريّة والعلميّة، وهي مصدر خطر للسّياسة؛ لأنّها ترشّح الفرد المرجع إلى مركز الحكم، فيكون قويّاً بفكره وبأنصاره، وهو تهديد حقيقيّ للحكم غير المشروع.

المطلب الخامس: موقف المنصور من الإمام الصادق عليه السلام

استولى أبو جعفر المنصور على الحكم بعد وفاة أخيه السّفّاح سنة (١٣٦هـ). «وعُرِف المنصور بأنّه كان خدّاعاً لا يتردّد في سفك الدّماء، وكان سادراً في بطشه، مستهتراً في فتكه»[2].

---

(١) فرحة الغري، للسيّد عبد الكريم بن طاووس: ٥٩.

(٢) تاريخ ابن الأثير: ٣٥٥/٤.

ووصفه ابن هبيرة ـ وهو أحد معاصريه ـ بقوله: «مارأيتُ رجلاً في حربٍ أوسلمٍ أمكر ولا أنكر ولا أشدّ تيقّظاً من المنصور»[١]؛ لذا، نجده يبادر إلى قتل أبي مسلم الخراسانيّ الّذي يبغضه بمجرد أنْ استلم زمام الحكم، مع أنّ أبا مسلم هو القائد الأوّل للانقلاب العبّاسيّ، وكان المنصور قد أعدّ له مكيدةً وأغراه بالمجيء إلى بغداد، بعد أنْ جرّده من كلّ مناصبه العسكريّة.

وبالرغم من كلّ تحفّظات الإمام الصّادق عليه السلام تجاه العبّاسيّين وعدم الدخول في أي شأن سياسيّ يختصّ بهم أو يمتّ إليهم بصلة، لم يتركه المنصور العبّاسيّ حرّاً في نشاطه، بل بدأ يخطّط للتآمر عليه عليه السلام ، فكان نشاطه ضمن ثلاث مراحل، وهي:

المرحلة الأولى: المرونة، والاستفادة من جهد الإمام عليه السلام لاحتوائه ضمن سياسة الخلافة العبّاسيّة، فقد كتب إليه: «لِمَ لا تغشانا كسائر النّاس؟!».

فأجابه الإمام عليه السلام: «ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوكَ له، ولا أنتَ في نعمةٍ فنهنّئك بها، ولا تراها نقمة فنعزّيك بها».

فكتب إليه المنصور: «تصحبنا لتنصحنا».

فأجابه الإمام عليه السلام: «من أراد الدّنيا لا ينصحك، ومَن أراد الآخرة لايصحبك».

قال: المنصور: «والله، لقد ميزّ عندي منازل النّاس، مَن يريد الدنيا ممّن يُريد الآخرة، وإنّه ممّن يريد الآخرة لا الدّنيا»[٢].

الثانية: مرحلة مراقبة حركة الإمام الصّادق عليه السلام ورصد نشاطاته للحصول على آخر المعلومات عنه، ليستطيع أنْ يتّخذ منها دليلاً ومستمسكاً للنيل منه عليه السلام،

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ: ٣٩٩/٢.

(٢) كشف الغمّة: ٢/ ٢٠٣ و ٢٠٨، وبحار الأنوار: ١٨٥/٤٧.

والتضييق على حركته التي كان يرى المنصور فيها خطراً حقيقيّاً على سلطانه.

ثورة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية

وبعد اختلاس العبّاسيّين للحكم، تألّم محمّد ذو النفس الزكيّة، فأخذ يدعو النّاس إلى نفسه، فاستجاب له النّاس، وبايعوه، فأعلن ثورته في المدينة، وانضمّ إليه أهالي اليمن ومكّة، وقام بهم خطيباً، ووضّح مظالم العبّاسيّين.

ولمّا علم المنصور بالثورة، وجّه جيشاً بأربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى، وبعد أنْ اندلعتْ الحرب وتفرّق جند محمّد، أُصيب بجراح أدّت إلى استشهاده.

موقف الإمام عليه السلام من الثورة

لقد حذّر الإمام الصّادق عليه السلام عبد الله بن الحسن من الترويج لابنه محمّد على أساس أنّه مهديّ هذه الأمّة، وأخبره بمستقبل الأحداث، ونبّهه بأنّها ستنتهي إلى استشهاد محمّد وأخيه إبراهيم، وأنّ الخلافة بعد أبي العبّاس السّفّاح ستكون للمنصور.

وحينما سئل عن محمّد بن عبد الله ودعوته - قبل أنْ يُعلن محمّد ثورته- أجاب عليه السلام: إنّ عندي كتابين فيهما اسم كلّ نبي وكلّ مِلك يملِك، لا والله ما محمّد بن عبد الله في أحدهما[1].

ولمّا ثار محمّد بن عبد الله (ذو النفس الزكيّة)، ترك الإمام الصّادق عليه السلام المدينة، وذهب إلى أرضٍ له بالفرع، فلم يزل هناك مقيماً حتى قتل محمّد، فلمّا قتل واطمأنّ النّاس وأمنوا، رجع إلى المدينة[2].

الثالثة: مرحلة الفتك بالإمام واغتياله، كما سنلاحظ في البحث اللاحق إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) بصائر الدرجات: ١٦٩، وبحار الأنوار: ١١٥/٢٦.

(٢) كشف الغمّة: ١٦٢/٢، وبحار الأنوار: ٥/٤٧.

خلاصة البحث

كان موقف الإمام الصّادق عليه السلام من الحكم العبّاسيّ موقف المحايد، ولم يتدخّل في شؤونهم من قريب ولا من بعيد، ولم يستجب لأيّ واحدٍ من العروض التي عُرضت عليه قبل الانتصار أو بعده.

كما حاول الإمام أنْ يُجيب على تساؤلات شيعته الذين كانوا يرون ظواهر الأمور وهي تسير باتجاه يستطيع الإمام وأصحابه من خلاله استلام زمام الحكم دون أضرار كبيرة، وكان جوابه عليه السلام عدم الاغترار بظواهر الحوادث الجارية وضرورة التسليم للإمام عليه السلام المفترض الطاعة، العالم بحقائق الأمور.

وقد استمرّ الإمام عليه السلام في نشاطه العلميّ بالرغم من بدء العبّاسيّين بسياسة التضييق عليه عليه السلام وهم في بدايات عهدهم الجديد.

بالرغم من عدم ممارسة الإمام عليه السلام لأيّ نشاط مثير ضدّ العبّاسيّين، إلا أنّ المنصور عبّر عن مكنون حقده على الإمام ضمن ثلاث مراحل: مرحلة المرونة، مرحلة المراقبة، ومرحلة الفتك بالإمام عليه السلام.

اختبارات البحث

١. تضمّن المنهج السّياسيّ العبّاسيّ لكسب الأمّة عدّة أساليب، أذكرها باختصار.

٢. ما هو الموقف الذي التزمه الإمام الصّادق عليه السلام إزاء المستجدّات السّياسيّة في مرحلة الحركة العبّاسيّة؟ ولماذا؟

٣. ماذا كان جواب الإمام عليه السلام عندما ورد إليه كتاب أبي مسلم الخراسانيّ وهو من قادة الثورة على الحكم الأمويّ؟

٤. ماهي إجابة الإمام عليه السلام على تساؤلات أصحابه حول ضرورة الثورة؟

٥. صِف موقف المنصور من الإمام الصّادق عليه السلام.

البحث رقم (٢٨)

العقد الأخير من حياة الإمام الصادق عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان نشاطات الإمام الصّادق عليه السلام للحفاظ على تماسك الشيعة ووحدتهم.
٢. وصف جهود الإمام عليه السلام في الحفاظ على سلامة مسيرة الجماعة الصّالحة.
٣. التعريف بالمبادىء والممارسات التي ركّز الإمام عليه السلام على إحيائها.
٤. وصف محاصرة الإمام الصّادق عليه السلام من قبل جلاوزة المنصور.
٥. وصف حادثة استشهاد الإمام الصّادق عليه السلام على يد المنصور.

مقدمة البحث

لقد كان العقد الأخير من حياة الإمام الصّادق عليه السلام في حكومة المنصور يمثّل مرحلة تكثيف التشدّد والمراقبة لحركة الإمام عليه السلام بحيث تخلّلتها عدّة محاولات لاغتيال الإمام عليه السلام.

وحينما علم الإمام عليه السلام أنّ المنصور قد صمّم على قتله، أخذ يمارس مجموعة من الأنشطة التي يهيّيء فيها الخطّ الشيعيّ لمواصلة الطريق من بعده، وسوف يكون الكلام في هذا البحث حول هذه الأنشطة، كما سنتناول مسألة استشهاده عليه السّلام أيضاً.

المطلب الأول: نشاطات الإمام عليه السلام لضمان مواصلة المسيرة

حينما علم الإمام عليه السلام أنّ المنصور قد صمّم على قتله، أخذ يُمارس مجموعة من الأنشطة التي يهيّيء فيها الخطّ الشيعيّ لمواصلة الطريق من بعده، وهذه الأنشطة يمكن إيجاز الكلام عنها في ما يأتي:

النشاط الأول: حاول الإمام الصّادق عليه السلام أنْ يجعل الصفّ الشيعيّ صفّاً متماسكاً في عمله ونشاطه، وركّز على الإمام الكاظم عليه السلام لقيادة الجماعة الصّالحة من بعده فيما لو تعرّض لعمليّة القتل من قبل المنصور، وقد قطع الطريق أمام المنتفعين والأدعياء الذين كانوا يتّربصون الفرص في تلك الظروف، لأنّ إسماعيل

(ابن الإمام المتوفّى في هذه الفترة) كان يصلح أن يكونَ عنصراً لتفتيت الصفّ الشيعيّ بوصفه الابن التقي للإمام عليه السلام، وقد التفت الإمام عليه السلام إلى هذه العقبة، وحاول أنْ يرفعها بأساليب شتّى.

ومن النشاطات التي بذلها الإمام لمعالجة هذه المشكلة: التأكيد على تحقّق موت ابنه إسماعيل ورفع الشّكوك المحتملة حول موته في كلّ فرصة كانت تسنح لذلك.

١- فقد جاء عن زرارة بن أعين أنّ الصّادق عليه السلام دعا داوود بن كثير الرقّي وحمران ابن أعين، وأبا بصير، ودخل عليه المفضّل بن عمر، وأتى بجماعة حتى صاروا ثلاثين رجلاً، فقال: يا داود، اكشف عن وجه إسماعيل، فكشف عن وجهه، فقال: تأمّله يا داوود، فانظره أحيّ هو أم ميّت؟ فقال: بل هو ميّت، فجعل يعرضه على رجل رجل حتى أتى على آخرهم، فقال: اللّهم اشهد، ثمّ أمر بغسله وتجهيزه.

ثمّ قال: يا مفضّل: أُحسر عن وجهه، فحسر عن وجهه، فقال: أحيّ هو أم ميّت؟ انظروه أجمعكم، فقال: بل هو - يا سيّدنا- ميّت، فقال: شهدتم بذلك وتحقّقتموه؟ قالوا: نعم، وقد تعجّبوا من فعله، فقال: اللّهم اشهد عليهم، ثمّ حُمل إلى قبره، فلمّا وُضع في لحده، قال: يامفضّل، اكشف عن وجهه، فكشف، فقال للجماعة: انظروا أحيٌّ هو أم ميّت؟ فقالوا: بل ميّت يا وليّ الله، فقال: اللّهم اشهد، فإنّه سيرتاب المبطلون، يريدونَ أنْ يُطفئوا نورَ الله - ثمّ أومأ إلى موسى عليه السلام وقال- والله متمّ نوره ولو كره الكافرون.

ثمّ حثوا عليه التراب، ثمّ أعاد علينا القول، فقال: الميّت المكفّن المدفون في هذا اللّحد مَن هو؟ قلنا: إسماعيل ولدك، فقال: اللّهم اشهد، ثمّ أخذ بيد موسى، فقال: هو حقّ، والحقّ معه، ومنه، إلى أنْ يرثَ الله الأرض ومَن عليها»[١].

النشاط الثاني: على الرّغم من الحرب الباردة بين المنصور والإمام الصّادق عليه السلام، إلا أنّه عليه السلام قد مارس بعض الأدوار مع السّلطة، لغرض الحفاظ على الأمّة،

(١) المناقب، لابن شهرآشوب: ٢٨٨/١، وبحار الأنوار: ٤٧/ ٢٥٣.

وسلامة مسيرتها، وإبْقاء روح الرفض قائمة في نفوسها، مخافة أنْ تسبّب جهود المنصور حالة من الانكسار للشيعة بسبب الاستجابة لمخطّطاته الخبيثة.

ومن بعض هذه الممارسات، ما ورد من أنّ أبا جعفر المنصور قال للإمام الصّادق عليه السلام: إنّي قد عزمتُ على أنْ أُخرّب المدينة، ولا أدع فيها نافخ ضرمة.

فقال: يا أمير المؤمنين، لا أجد بُدّاً من النصاحة لك، فاقبلها إنْ شئت أوْ لا.

ثمّ قال عليه السلام: إنّه قد مضى لك ثلاثة أسلاف: أيّوب عليه السلام، اُبتلي فصبر، وسليمان عليه السلام، أُعطي فشكر، ويوسف عليه السلام، قَدَرَ فغفر، فاقتدِ بأيّهم شئت، قال: قد عفوتُ..»[1].

النشاط الثالث: ركّز الإمام عليه السلام على مبادىء إسلاميّة وممارسات إصلاحيّة في نفوس شيعته، مثل: مبدأ التقيّة، وكتمان السِّرّ، والعلاقة الفكريّة والعاطفيّة بالثورة الحُسينيّة، لتقي هذه المباديء والممارسات الوجود الشيعيّ من المخطّطات الخارجية.

المطلب الثاني: محاصرة الإمام الصادق عليه السلام

ثمّ إنّ المنصور قد صعّد من تضييقه على الإمام الصّادق عليه السلام، ومّهد لقتله، فقد استدعاه عدّة مرات لقتله، إلا أنّ الله منعه عن ذلك[2].

ويصوّر لنا الإمام الصّادق عليه السلام عمق المأساة التي كان يعانيها في هذا الظرف بالذّات، والأذى الذّي كان يصبّه عليه المنصور، في كلامه الذي نقله لنا عنبسة؛ إذْ قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أشكو إلى الله وحدتي وتقلقلي من أهل المدينة حتى تقدِموا[3] وأراكم وأُسَرّ بكم، فليت هذا الطاغية أذن لي فاتّخذتُ قصراً في الطائف فسكنته وأسكنتكم معي، وأضمن له أنْ لايجيء من ناحيتنا مكروه أبداً»[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٦٦.

(٢) يُنظر: الكافي: ٢/ ٥٥٩، والخرائج والجرائح: ١٩٥/٢، ومهج الدّعوات: ١٧٥ و ١٨٤.

(٣) الموالون لأهل البيت عليهم السلام أو خاصّة الإمام عليه السلام.

(٤) رجال الكشّي: ٣٦٥، والكافي: ٨/ ٢١٥، وبحار الأنوار: ١٨٥/٤٧.

المطلب الثالث: استشهاد الإمام الصادق عليه السلام

مرّ أنّ المنصور العبّاسيّ قد تدرّج في مواجهته للإمام عليه السلام في ثلاث مراحل، كان آخرها مرحلة التصفية الجسديّة، وروى الفضل بن الربيع عن أبيه أنّه قال: دعاني المنصور، ثمّ قال: إنّ جعفر بن محمّد يُلحد في سلطاني، قتلني الله إنْ لم أقتله.

وقد صرّح بذلك مراراً وتكراراً مفصحاً عن نواياه الخبيثة لقتله عليه السلام، حتّى أقدم على الفتك به عليه السلام واغتياله سنة (١٤٨هـ) بدسّ السّمّ إليه على يد عامله في يثرب[(١)].

ولمّا علم الإمام أنّ أجله قد حان، أوصى بجميع وصاياه إلى ولده الإمام الكاظم عليه السلام، وكان منها تجهيزه وتكفينه والصّلاة عليه، كما أنّه كان قد نصبه إماماً من بعده، لكنّه عهد بأمره أمام النّاس إلى خمسة أشخاص حفاظاً على حياة الإمام الكاظم عليه السلام؛ إذْ إنّ المنصور كتب إلى والي المدينة: «إنْ كان قد أوصى إلى رجل بعينه، فقدّمه واضرب عنقه، قال: فرجع الجواب إليه: أنّه قد أوصى إلى خمسة: أحدهُم أبو جعفر المنصور، والباقون هم: محمّد بن سليمان، وعبد الله، وموسى، وحميدة، فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل»[(٢)].

وهكذا، انتهتْ حياة هذا الإمام العظيم، الذي عُرف به المذهب الجعفريّ وإليه يُنسب، ويدلّ على ذلك عظمة التراث الذي خلّفه لنا جعفر بن محمّد الصّادق؛ إذْ يشكّل أغنى تراث يتضمّن تفاصيل مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبجهوده أخذ الكيان الشيعيّ يتكامل ويتلألأ في الأفق يوماً بعد يوم، وقرناً بعد قرن، حتى يتوّج الله ذلك بقيام المهديّ من آل محمّد عليهم السلام، ويكلّل جهود آبائه الكرام بالنصر المبين، وصدق الله العظيم إذْ يقول: ﴿أَلا إنَّ أَوْلَياءَ الله لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولاَهُمْ يَحْزَنُونَ لَهُمْ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[(٣)].

---

(١) نور الأبصار: ١٣٣، وسبائك الذهب: ٧٢.

(٢)الكافي: ٣١٠/١، وبحار الأنوار: ٣/٤٧، عن الغيبة للشّيخ الطوسيّ.

(٣) يونس: ٦٢.

خلاصة البحث

كان العقد الأخير من حياة الإمام الصّادق (عليه السلام) في حكومة المنصور يمثّل مرحلة تكثيف التشدّد والمراقبة، بحيث تخلّلتها عدّة محاولات لاغتياله (عليه السلام).

حاول الإمام (عليه السلام) في العقد الأخير من حياته أنْ يزيد من تماسك الصّفّ الشّيعيّ من جهة، وأخذ يتحدّى الحاكمين من جهة أُخرى، لئلّا يستغلّ سكوته، ويجعله وسيلة لضرب مَن يصرخ بوجه الظلم والظالمين.

كما كثَّف الإمام (عليه السلام) من نشاطاته السِّرّيّة ليقي الوجود الشّيعيّ من الضربات المحتملة، إلى أنْ اشتدّتْ محاصرته واستمرّتْ حتّى أقدم المنصور على اغتياله (عليه السلام) عن طريق دسّ السّمّ إليه.

اختبارات البحث

١. لماذا أكّد الإمام الصّادق (عليه السلام) على موت ابنه إسماعيل؟

٢. ما هي ملامح العقد الأخير من حياة الإمام الصّادق (عليه السلام)؟

٣. ما هي الإجراءات التي اتّخذها الإمام (عليه السلام) حينما شعر بقرب أجله ومحاولة المنصور اغتياله؟

٤. على الرّغم من الحرب الباردة بين المنصور والإمام الصّادق (عليه السلام)، إلا أنّه (عليه السلام) مارس بعض الأدوار مع السّلطة لغرض الحفاظ على الأمّة وسلامة مسيرتها، تكلّم عن ذلك باختصار.

٥. ركّز الإمام الصّادق (عليه السلام) على مبادىء إسلاميّة وممارسات إصلاحيّة في نفوس شيعته، أذكر بعضها باختصار.

الفصل السادس

تاريخ الإمام الكاظم عليه السلام

البحث رقم (٢٩)

تاريخ الإمام الكاظم عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان ولادة الإمام الكاظم عليه السلام، ونسبه، وألقابه.
٢. توضيح النصّ على إمامته عليه السلام.
٣. وصف الارتباك العامّ الذي أصاب الشيعة بعد وفاة الإمام الصّادق عليه السلام.
٤. وصف تصدّي الإمام الكاظم عليه السلام لإثبات إمامته.
٥. توضيح تصدّيه عليه السلام لعوامل التهديد في زمانه.

مقدمة البحث

لم يغيّر المنصور من سياسته ضدّ العلويّين بعد قتله الإمام الصّادق عليه السلام. فاستمرّ بقتلهم واضطهادهم، كما كان جواسيسه يخلطون الحقائق بالأكاذيب إرضاءً لرغبته في قمعهم، بل إنّه سمح للتيّارات الإلحاديّة في أنْ تأخذ طريقها بين النّاس لإضلالهم، ولاستجلاء الوضع بعد الإمام الصّادق عليه السلام ينبغي أنْ نشير إلى عدّة نقاط نتناولها في هذا البحث -إنْ شاء الله تعالى- كما سنتناول بعض الخطوط العامّة من تاريخ الإمام الكاظم عليه السلام، وهو ما قضاه من حياته في عهد المنصور.

المطلب الأول: الولادة والنسب والألقاب

ولد الإمام موسى الكاظم عليه السلام في قرية يقال لها (الأبواء)، تقع بين مكّة والمدينة المنورة، يوم الأحد، في اليوم السّابع من شهر صفر المظفّر، من سنة ثمان وعشرين ومائة بعد الهجرة النبويّة الشريفة صلّى الله على مهاجرها وآله.

وأمّا نسبُه أباً وأمّاً، فهو موسى الكاظم، ابن جعفر الصّادق، ابن محمّد الباقر، ابن عليّ زين العابدينَ، ابن الحُسين الشّهيد، ابن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّا كنيته، فأبو الحسن. وأمّا ألقابه، فكثيرة، أشهرها: الكاظم، ثمّ الصّابر، والصّالح[1].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢/٩٣٥– ٩٣٧.

المطلب الثاني: النصّ على إمامته عليه السلام

تقدّم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد نصّ على جميع الأئمّة إماماً بعد إمام، مضافاً إلى ذلك، فقد نصّ الإمام الصّادق عليه السلام على إمامته وخلافته من بعده بأمر من النبيّ صلى الله عليه وآله، كما نُقل في الكافي عن عبد الأعلى بن الفيض بن المختار، قال : قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: خُذ بيدي من النار، مَنْ لنا بعدك؟ قال: فدخل أبو إبراهيم، وهو يومئذٍ غلام، فقال: هذا صاحبكم، فتمسّك به[1].

وروى (رض) عن الفضل بن عمر الجعفيّ (رحمه الله) تعالى، قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام، فدخل أبو إبراهيم موسى عليه السلام وهو غلام، فقال لي أبو عبد الله: إستوصِ به، وضَع أمره عند مَن تثق به من أصحابك[2].

المطلب الثالث: الارتباك العام وإمامة الكاظم عليه السلام

لكي يكون عندنا صورة واضحة عن الوضع بعد الإمام الصّادق عليه السلام، ينبغي أنْ نُشير إلى النقاط الآتية:

أولاً: شدّة الارتباك

يصّور لنا هشام بن سالم – أحد رموز الشّيعة– شدّة الارتباك عند الشّيعة، وشدّة الرّقابة عند السّلطة بعد وفاة الإمام الصّادق عليه السلام، فيقول:

«كُنَّا بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي عَبْدِ اللَّه ع أَنَا وصَاحِبُ الطَّاق، والنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى عَبْدِ اللَّه بْنِ جَعْفَرٍ (الأفطح) أَنَّه صَاحِبُ الأَمْرِ(الإمام) بَعْدَ أَبِيه، فَدَخَلْنَا عَلَيْه أَنَا وصَاحِبُ الطَّاقِ والنَّاسُ عِنْدَه، وذَلِكَ أَنَّهُمْ رَوَوْا عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّه ع أَنَّه قَالَ: إِنَّ الأَمْرَ فِي الْكَبِيرِ مَا لَمْ تَكُنْ به عَاهَةٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْه نَسْأَلُه عَمَّا كُنَّا نَسْأَلُ عَنْه أَبَاه، فَسَأَلْنَاه عَنِ الزَّكَاةِ فِي كَمْ تَجِبُ؟ فَقَالَ: فِي مِائَتَيْنِ خَمْسَةٌ، فَقُلْنَا: فَفِي مِائَةٍ؟ فَقَالَ

---

(١) يُنظر: الكافي: ٤٥٦/١، باب: الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح١.

(٢) يُنظر: المصدر السّابق، ح٤.

دِرْهَمَانِ ونصْفٌ[١]، فَقُلْنَا: واللَّه مَا تَقُولُ الْمُرْجِئَةُ هَذَا، قَالَ: فَرَفَعَ يَدَه إِلَى السَّمَاء، فَقَالَ: واللَّه مَا أَدْرِي مَا تَقُولُ الْمُرْجِئَةُ، قَالَ: فَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِه ضُلَّالاً لَا نَدْرِي إِلَى أَيْنَ نَتَوَجَّه أَنَا وأَبُو جَعْفَرٍ الأَحْوَلُ[٢]، فَقَعَدْنَا فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ الْمَدِينَةِ بَاكِينَ حَيَارَى لَا نَدْرِي إِلَى أَيْنَ نَتَوَجَّه ولَا مَنْ نَقْصِدُ، ونَقُولُ: إِلَى الْمُرْجِئَةِ، إِلَى الْقَدَرِيَّةِ، إِلَى الزَّيْدِيَّةِ، إِلَى الْمُعْتَزِلَةِ، إِلَى الْخَوَارِجِ.

فَنَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ رَأَيْتُ رَجُلاً شَيْخاً لَا أَعْرِفُه يُومِئُ إِلَيَّ بِيَدِه، فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَيْناً (جاسوساً) مِنْ عُيُونِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ، وذَلِكَ أَنَّه كَانَ لَه بِالْمَدِينَةِ جَوَاسِيسُ يَنْظُرُونَ إِلَى مَنِ اتَّفَقَتْ شِيعَةُ جَعْفَرٍ ع عَلَيْه فَيَضْرِبُونَ عُنُقَه، فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، فَقُلْتُ لِلأَحْوَلِ: تَنَحَّ؛ فَإِنِّي خَائِفٌ عَلَى نَفْسِي وعَلَيْكَ، وإِنَّمَا يُرِيدُنِي لَا يُرِيدُكَ، فَتَنَحَّ عَنِّي، لَا تَهْلِكْ وتُعِينَ عَلَى نَفْسِكَ، فَتَنَحَّى غَيْرَ بَعِيدٍ، وتَبِعْتُ الشَّيْخَ، وذَلِكَ أَنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْه، فَمَا زِلْتُ أَتْبَعُه وقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْمَوْتِ، حَتَّى وَرَدَ بِي عَلَى بَابِ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام، ثُمَّ خَلَّانِي ومَضَى، فَإِذَا خَادِمٌ بِالْبَابِ، فَقَالَ لِي: أدْخُلْ رَحِمَكَ اللَّه، فَدَخَلْتُ، فَإِذَا أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام، فَقَالَ لِيَ ابْتِدَاءً مِنْه: لَا إِلَى الْمُرْجِئَةِ ولَا إِلَى الْقَدَرِيَّةِ ولَا إِلَى الزَّيْدِيَّةِ ولَا إِلَى الْمُعْتَزِلَةِ ولَا إِلَى الْخَوَارِجِ، إِلَيَّ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، مَضَى أَبُوكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: مَضَى مَوْتاً؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَمَنْ لَنَا مِنْ بَعْدِه؟ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّه أَنْ يَهْدِيَكَ، هَدَاكَ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ يَزْعُمُ أَنَّه مِنْ بَعْدِ أَبِيه، قَالَ: يُرِيدُ عَبْدُ اللَّه أَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّه، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَمَنْ لَنَا مِنْ بَعْدِه؟ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّه أَنْ يَهْدِيَكَ هَدَاكَ، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَأَنْتَ هُوَ، قَالَ: لَا، مَا أَقُولُ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَمْ أُصِبْ

---

(١) من الثّابت عند المسلمين أنْ لا زكاة في أقلّ من مائتي درهم، ولكنّ الأفطح كان يجهل هذا الحكم.

(٢) مؤمن الطاق، وأبو جعفر، وصاحب الطاق، والأحول، كلّها ألقاب لرجل واحد.

طَرِيقَ الْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ قُلْتُ لَه: جُعِلْتُ فِدَاكَ، عَلَيْكَ إمَامٌ، قَالَ: لَا، فَدَاخَلَنِي شَيْءٌ لَا يَعْلَمُ إلَّا اللَّه عَزَّ وجَلَّ إعْظَاماً لَه وهَيْبَةً أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحُلُّ بي مِنْ أَبيه إذَا دَخَلْتُ عَلَيْه، ثُمَّ قُلْتُ لَه: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَسْأَلُكَ عَمَّا كُنْتُ أَسْأَلُ أَبَاكَ؟ فَقَالَ: سَلْ، تُخْبَرْ، ولَا تُذِعْ، فَإِنْ أَذَعْتَ، فَهُوَ الذَّبْحُ، فَسَأَلْتُه، فَإِذَا هُوَ بَحْرٌ لَا يُنْزَفُ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، شِيعَتُكَ وشِيعَةُ أَبيكَ ضُلَّالٌ فَأُلْقِي إلَيْهِمْ وأَدْعُوهُمْ إلَيْكَ وقَدْ أَخَذْتَ عَلَيَّ الْكِتْمَانَ؟ قَالَ: مَنْ آنَسْتَ مِنْه رُشْداً فَأَلْقِ إلَيْه وخُذْ عَلَيْه الْكِتْمَانَ، فَإِنْ أَذَاعُوا، فَهُوَ الذَّبْحُ، وأَشَارَ بيَدِه إلَى حَلْقِه...»(١).

ثانيا: المنصور وسياسته ضد العلويين

يدلّ حديث الخزانة الآتي على كيفيّة تعامل المنصور مع العلويّين بشكلٍ دقيقٍ، وإليك نصّه:

«لمّا عزم المنصور على الحجّ، دعا ريطة بنت أبي العبّاس (امرأة المهدي)، وكان المهديّ بالريّ قبل شخوص أبي جعفر، فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزائن، وأحلفها، ووكّد الأيمان أنْ لاتفتح بعض تلك الخزائن، ولاتُطلع عليها أحداً إلاّ المهديّ، ولا هي، إلاّ أنْ يصحّ عندها موته، فإذا صحّ ذلك، اجتمعتْ هي والمهديّ وليس معهما أحدٌ حتّى يفتحا الخزانة، فلمّا قدم المهديّ من الريّ إلى مدينة السّلام، دفعتْ إليه المفاتيح، وأخبرته أنّه أوصى إليها ألّا يفتحه، ولا يطلع عليه أحداً حتّى يصحّ عندها موته، فلمّا انتهى إلى المهديّ موت المنصور، وولي الخلافة، فتح الباب ومعه ريطة، فإذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيّين، وفي آذانهم رقاعٌ فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدّة كثيرة، فلمّا رأى ذلك المهديّ، ارتاع لما رأى، وأمر، فحُفرتْ لهم حفيرة فدفنوا فيها،

---

(١) الكافي: ١/ ٣٥٢، باب ما يُفصل به بين دعوى المحقّ والمبطل في أمر الإمامة، ح٧، ويُنظر: اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٥٦٥، ح ٥٠٢، وبحار الأنوار: ٥٠/٤٨.

وبنى فوقها دكّاناً»[١].

ثالثاً: عبد الله الأفطح ودعوى الإمامة

ومن المشاكل التي كانت تهدف لتمزيق الطائفة الشيعيّة وإثارة البلبلة والتخريب في صفوفها: التشكيك في مسألة القيادة بعد الإمام الصّادق عليه السلام، فقد ادّعى الإمامة عبد الله الأفطح، وهو أخو الإمام موسى عليه السلام الأكبر بعد إسماعيل، وهذا بطبيعة الحال يُضيف معاناة اُخرى للإمام، لأنّ أجهزة المنصور العدوانيّة كانت تعدُّ عليه الأنفاس، وتشكّ في أيّة حركة تصدر منه في مجال تصدّيه للإمامة[٢].

رابعا: التعتيم على مرجعية أهل البيت عليهم السلام

ومن الأساليب التي استخدمتها السّلطات العبّاسيّة التعتيم على مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام، وتضعيف دورهم العلميّ والفكريّ في المجتمع الإسلاميّ، من خلال سياسة خلق البدائل العلميّة وتقويتها بدعم السّلطة لها، لتغطّي الفراغ الحاصل من عزل أهل البيت، وتؤيّد السّياسة الحاكمة، فتوحي للأمّة بأنّه الخليفة على الخطّ الإسلاميّ وعلى نهج السّنّة النبويّة، فالمنصور وجد مالك بن أنس ممّن تجاوب مع سياسته، وهذا مادفع بالمنصور إلى أنْ يفرض (الموطّأ) – كتاب مالك– على النّاس بالسّيف، ثمّ جعل لمالك السّلطة في الحجاز على الولاة وجميع موظّفي الدّولة، فازدحم النّاس على بابه، وهابته الولاة والحكّام.

وحينما وفد الشّافعيّ عليه فشفع بالوالي لكي يُسهِّل له أمر الدخول عليه، قال له الوالي: «إنّي أمشي من المدينة إلى مكّة حافياً راجلاً أهون عليَّ مِن أنْ أمشي إلى باب مالك، ولستُ أرى الذلّ حتّى أقف على بابه»[٣].

---

(١) الطبريّ: ٣٢٠/٦.

(٢) يُنظر: الكافي: ١/ ٢٨٥، ح ٦، والإرشاد: ٨٥ واختيار معرفة الرّجال: ٥٢٤/٢، ح٤٧٢.

(٣) الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة: ١٨٠/٣– ١٨١.

خامسا: الفرق الضالّة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام

تنوّعتْ الفِرق الضّالة التي انتشرتْ واستفحلتْ في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، فبعضها كان يتحدّى الإسلام، كمبدأ الزنادقة، وبعضها كان ينتهي إلى مسخ العقيدة الإسلاميّة، كالغلوّ والإرجاء والجبر.

وقد وجدت هذه الفرق جوّاً مساعداً للنموّ والانتشار، وكلّها كانت تخدم الجهاز الحاكم بشكل وآخر، ومن هنا، كان الحكّام يسمحون لها بالتحرّك والنشاط.

المطلب الرابع: نشاطات الإمام عليه السلام بداية تصدّيه للإمامة

لقد قام الإمام الكاظم عليه السلام بمجموعة من النشاطات كانت تتطلّبها المرحلة الأولى من فترة تصدّيه للإمامة بعد أبيه الصّادق عليه السلام، ومن هذه النشاطات:

النشاط الأول: التصدّي لإثبات إمامته عليه السلام

وأوّل ما قام به الإمام عليه السلام أنّه تصدّى لإثبات إمامته، من خلال إبرازه للقدرات الغيبيّة التي زوّده الله بها، لأنّ الجوّ العامّ لم يساعد على تداول النصّ الخاصّ بالوصيّة إليه دون غيره، وبهذا، اخترق الإمام عليه السلام الواقع الموجود وتحدّاه بقدراته الربّانيّة...، حتّى أدّى ذلك إلى ضمور سائر الاتجاهات، وظهور إمامته بالتدريج، من دون وجود مضاعفات تستلزم تصفيته أو قتله، كما في إخبار الإمام لعامّة النّاس ببعض الأخبار الغيبيّة التي لايمكن للإنسان العادي أنْ يتوصّل إليها، وفي هذه الإخبارات شواهد ملموسة على ارتباطه بعالم الغيب، والتوجّه الربّانيّ الخاصّ إليه. والروايات من هذا القبيل كثيرة جدّاً نقل بعضاً منها:

عن إسحاق بن عمار قال: سمعت العبد الصّالح عليه السلام ينعى إلى رجل من شيعته نفسه، فقلتُ في نفسي: وإنّه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته؟! فالتفتَ إليَّ شبه المغضب، فقال عليه السلام: «يا إسحاق، قد كان رشيد الهجريّ يعلم علم المنايا والبلايا،

والإمام أولى بعلم ذلك»، ثمّ قال عليه السلام: «يا إسحاق، إصنع ما أنتَ صانع، فإنّ عمرك قد فنى، وقدْ بقي منه دون سنتين...»، فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلّا يسيراً حتّى مات[1].

ومِن قدرات الإمام الخارقة للعادة، التي كانتْ تميّزه عن غيره هي تكلّمه بلغات متعدّدة من غير أنْ يتعلّمها بالطرق الطبيعيّة للتعلّم، وإنّما بالإلهام الإلهيّ، وفي هذا المجال تُطالعنا مجموعة من الشّواهد، كما في حادثة تكلّمه بالفارسيّة مثلاً [2].

النشاط الثاني: التصدي لعوامل انشقاق الصّف الإسلامي والشيعي

ويمكن في هذا المجال الإشارة إلى النقاط الآتية:

١- تصديه لعبد الله الأفطح

نجد أنّ موقف الإمام موسى الكاظم عليه السلام من أخيه عبد الله (الأفطح) لم يكن موقفاً عدائيّاً سافراً على الرّغم من أنّه ادّعى الإمامة بعد أبيه، وكان هذا الادّعاء الخطير يؤثّر على الوجود الشّيعيّ ومستقبله، فلم يكرّس عليه السلام كامل جهده وطاقاته بحدود هذه المشكلة، ولم يسلك مساراً يضغط به من الخارج كي يفرض على الصفّ الشّيعيّ أنْ ينقسم على فريقين: أنصار، وخصوم.

وإنّه عليه السلام – أيضاً– لم يدخل الحرب النفسيّة ولا الكلاميّة، وإنّما عالج هذه المشكلة بأُسلوب هادیء كفيل بعلاج هذه الأزمة.

فقد استخدم الإمام عليه السلام أُسلوب المعجزة التي تميّزه عن عبد الله باعتباره إماماً مفترض الطاعة، فقام عليه السلام بإثبات إمامته أمام جمع من خواصّ الشيعة.

فقد روي عن المفضّل بن عمر أنّه قال: «لمّا قضى الصّادق عليه السلام، كانت وصيّته في الإمامة إلى موسى، فادّعاها أخوه عبد الله، وكان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك

---

(١) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٨/ ٦٨، جمعاً بين هذه الرواية ورواية إسحاق بن منصور.

(٢) يُنظر: قرب الإسناد: ١٤٦، وبحار الأنوار: ١٣٣/٢٥.

هو المعروف بالأفطح، فأمر موسى بجمع حطبٍ كثيرٍ في وسط داره، فأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أنْ يصير إليه، فلمّا صار عنده، ومع موسى جماعة من وجوه الإماميّة، وجلس إليه أخوه عبد الله، أمر موسى أنْ يجعل النّار في ذلك الحطب كلّه، فاحترق كلّه، ولايعلم النّاس السّبب فيه، حتّى صار الحطب كلّه جمراً، ثمّ قام موسى بثيابه في وسط النّار، وأقبل يحدّث النّاس ساعة، ثمّ قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: إنْ كنتَ تزعم أنّك الإمام بعد أبيك، فاجلس في ذلك المجلس، فقالوا: فرأينا عبد الله قد تغيّر لونه، فقام يجرّ رداءه حتّى خرج من دار موسى عليه السلام» [١].

والجدير بالذكر، أنّ الطائفة التي اتبعته قد رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه (موسى الكاظم) لمّا تبيّنوا ضعف دعواه وقوّة رأي أبي الحسن الكاظم ودلالة حقّه، وبراهين إمامته[٢].

٢- تصديه للمناهج والمرجعيات العلمية غير السديدة

فعن يونس بن عبد الرّحمن، قال: قلتُ لأبي الحسن الأوّل (الإمام الكاظم) عليه السلام: بما أوحِّدُ الله؟ فقال عليه السلام: «يا يونس، لاتكوننَّ مبتدعاً، مَن نظر برأيه، هلك، ومَن ترك أهلَ بيت نبيّه عليهم السلام، ضلّ، ومَن تركَ كتابَ الله وقول نبيّه صلى الله عليه وآله، كفر»[٣].

وقال الإمام الكاظم عليه السلام في موضع آخر: «مالكم والقياس! إنّما هلك مَن هلك من قبلكم بالقياس»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥١/٤٧، ح ٢٢، و ٤٨/ ٦٧، ح ٨٩، والخرائج الجرائح: ١٥٩، ومدينة المعاجز: ٤٥٩، ح ٩٣.

(٢) يُنظر: الإرشاد : ٢٨٩.

(٣) أصول الكافي: ١/ ٥٦- ٥٨، ط طهران.

(٤) وسائل الشيعة: ١٨/ ٢٣، و ٢٤/ ١٩، ط طهران.

٣- تصديه للقيادات السياسية المنحرفة

ويتّضح هذا النشاط من خلال ما يلي من النشاطات:

أ- إعطاء المقياس الواضح لتمييز الحق عن الباطل

أعطى الإمام عليه السلام مقياساً واضحاً تميّز به الأمّة الحقّ من الباطل، لتستطيع أنْ تطبّقه وتكتشف مدى صدق مَن يدّعي القيادة والخلافة، كي تعرف المحقّ من المبطل.

فعن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي عليه السلام، قال: «دخلتُ عليه، فقلتُ له: جُعلتُ فداك، بِمَ يُعرف الإمام؟ فقال عليه السلام: بخصال، أمّا أوّلهنّ، فشيء تقدَّم من أبيه فيه، وعرَّفه النّاس، ونصبه لهم علماً، حتّى يكونَ حجّة عليهم؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصب عليّاً عليه السلام علماً، وعرَّفه النّاس، وكذلك الأئمّة، يعرِّفونهم النّاس، وينصبونهم لهم، حتّى يعرفوه، ويُسأل فيجيب، ويُسكت عنه فيبتديء، ويُخبر النّاس بما في غدٍ، ويكلّم النّاس بكلِّ لسان...»[١].

ب- مقاطعة القيادات السياسية المنحرفة

كان الإمام عليه السلام حريصاً على مقاطعة القيادات السّياسيّة المنحرفة لعزلها عن القواعد التي تستغلّها لتحقيق مآربها، وكان يحاسب شيعته على التسامح في التعامل مع السّلطة الغاصبة، والتعاون معها بأيّ شكلٍ من الأشكال.

قال زياد بن أبي سلمة: «دخلتُ على أبي الحسن موسى عليه السلام، فقال لي: يا زياد، إنّك لتعمل عمل السّلطان. قال: قلتُ: أجل. قال عليه السلام لي: ولِمَ؟ قلتُ: أنا رجلٌ لي مروّة، وعليَّ عيال، وليس وراء ظهري شيء، فقال عليه السلام لي: يا زياد، لئنْ أسقط من على حالق (مكان شاهق)، فأقطّع قطعةً قطعةً، أحبّ إليّ مِن أنْ أتولّى لأحدٍ منهم عملاً، أو أطأ بساط رجلٍ منهم، إلّا، لماذا؟ قلتُ: لا أدري جُعلتُ فداك، قال عليه السلام: إلّا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فكّ أسره، أو قضاء دينه. يازياد، إنّ أهون ما يصنع الله بمَن تولّى لهم عملاً أنْ يضرب عليه سرادق من نار إلى أنْ يفرغ من حساب الخلائق»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨/ ٤٧، ح ٣٣.

(٢) الكافي: ٥/ ١٠٩ و ١١٠، والتهذيب: ٣٣٣/٦، ح ٤٥، عن محمّد بن يعقوب.

خلاصة البحث

كان هناك شدّة ارتباك عند الشّيعة بعد وفاة الإمام الصّادق ﷺ، فقد ادّعى عبد الله الأفطح الإمامة، وهو أخو الإمام موسى ﷺ الأكبر بعد إسماعيل، ما أضاف معاناة أُخرى للإمام الكاظم ﷺ.

من جملة الأساليب التي استخدمتها السّلطات العبّاسيّة التعتيم على مرجعيّة أهل البيت ﷺ وتضعيف دورهم، من خلال سياسة خلق البدائل العلميّة وتقويتها ودعم السّلطة لها؛ ولذا قام الإمام الكاظم ﷺ بمجموعة من النشاطات كانت تتطلّبها المرحلة الأولى من فترة تصدّيه للإمامة بعد أبيه الصّادق ﷺ، فقد تصدّى لإثبات إمامته من خلال إبرازه للقدرات الغيبيّة التي زوّده الله بها، كما أعطى ﷺ مقياساً واضحاً تميّز به الأمّة الحقّ من الباطل، كما كان الإمام ﷺ حريصاً على مقاطعة القيادات السّياسيّة المنحرفة لعزلها عن القواعد التي تستغلّها لتحقيق مآربها.

اختبارات البحث

١. ما هي أهمّ ملامح العقد الأوّل من عصر الإمام الكاظم ﷺ؟
٢. كيف تصوّر الارتباك العامّ في ما يخصّ معرفة الإمام بعد الصّادق ﷺ؟
٣. ما هو نوع العلاقة بين المنصور والإمام الكاظم ﷺ بعد استشهاد أبيه ﷺ؟
٤. أذكر بعض الأساليب التي استخدمتها السّلطات العبّاسيّة للتعتيم على مرجعيّة أهل البيت ﷺ.
٥. قام الإمام الكاظم ﷺ بمجموعة من النشاطات كانت تتطلّبها المرحلة الأولى من فترة تصدّيه للإمامة بعد أبيه الصّادق ﷺ، أذكرها باختصار.

البحث رقم (٣٠)

الإمام الكاظم عليه السلام في عهد المهدي والهادي العباسيين

أهداف البحث

١. بيان مميّزات المهدي العبّاسيّ.

٢. توضيح نشاطات الإمام عليه السلام واستثمار الانفتاح النسبيّ في عهد المهدي العبّاسيّ.

٣. وصف النشاط العامّ للإمام الكاظم عليه السلام مع الأمّة في عهد المهديّ العبّاسيّ.

٤. التعريف بنشاطات الإمام الكاظم عليه السلام زمان الهادي العبّاسيّ.

٥. توضيح سياسة الهادي الطاغوتيّة وثورة فخّ.

٦. وصف وقائع ما بعد ثورة فخ ودعاء الإمام الكاظم عليه السلام بموت الهادي.

مقدمة البحث

بدأنا في البحث السّابق بتاريخ الإمام الكاظم عليه السلام، فتعرّضنا الى الأوضاع التي سادت بداية تسلّمه منصب الإمامة، وذلك أيّام المنصور الظالم، وبعض ما قام به عليه السلام من نشاطات، لتثبيت إمامته من جهة، ولمواجهة التيّارات المنحرفة: العقائديّة والسّياسيّة من جهة أخرى.

وسنتناول في هذا البحث تاريخ الإمام الكاظم عليه السلام في عهد المهدي والهادي العبّاسيّين، العهدان اللّذان حفلا بنشاطات مكثّفة من قبل الإمام الكاظم عليه السلام.

المطلب الأول: الإمام الكاظم عليه السلام والمهدي العباسي

مات المنصور في ذي الحجّة سنة (١٥٨هـ) قبل أن يُتِمَ الحجّ، واستولى على منصب الخلافة والحكم ابنه محمّد المهدي، وبويع له في اليوم الذي مات فيه المنصور، أي: في الرابع من ذي الحجّة سنة (١٥٨هـ).

أولاً: مميزات المهدي العباسي

وقد تميّز المهدي العبّاسيّ بجملة من الأمور ميّزته عن أبيه المنصور، منها:

١- حاول المهدي أنْ يسلك أُسلوباً مرناً مع العلويّين في بداية حكمه، خلافاً

لسياسة أبيه؛ إذْ أصدر عفواً عامّاً عن جميع المسجونين، كما ردّ الأموال المنقولة وغير المنقولة التي صادرها أبوه ظلماً وعدواناً إلى أهلها، فردّ على الإمام موسى الكاظم عليه السلام ما كان قد صادره أبوه من أموال الإمام الصّادق عليه السلام.

٢- بعد أنْ نشط الإمام الكاظم عليه السلام وذاع صيته، استخدم المهدي سياسة التشدّد والتضييق على الإمام موسى عليه السلام، فاستدعاه إلى بغداد، وحبسه في أحد سجونها، ثمّ ردّه إلى المدينة[1]، كما خطّط لقتله عليه السلام.

٣- شاع في عهد المهدي اللّهو وانتشر المجون وسادت الميوعة والتحلّل، وبلغ المهدي حُسْن صوت إبراهيم الموصلي وجودة غنائه، فقرّبه إليه وأعلى من شأنه[2].

ولقد استغرق المهدي في المجون واللّهو، وظن النّاس به الظنون، واتّهموه بتهمٍ شتّى[3].

ثانيا: نشاطات الإمام عليه السلام واستثمار الانفتاح النسبي

استثمر الإمام الكاظم عليه السلام الانفتاح النسبيّ أوّل عهد المهدي ليقوم بنشاط عام على مستوى الأمّة وبنشاط خاصّ بالجماعة الصّالحة، التي أخذت تتعمّق جذورها وتتّسع في وجودها، ما جعلها تُصبح كياناً مؤثّراً في المستقبل القريب، فهي بحاجة إلى تحصينات كافية ضدّ التحدّيات التي سوف تواجهها في المستقبل القريب.

وكان العقد الثاني من عصر الإمام الكاظم عليه السلام -المنطبق على السّنوات العشر التي حكم فيها المهدي- يمثّل قمّة النشاط المكثّف له عليه السلام، بعد أنْ عُرِفَ الإمام في الأوساط الإسلاميّة بأنّه الممثّل الحقيقيّ لخطّ أهل البيت عليهم السلام، وتحدّى كلّ الفرق والقيادات الضالّة، واستطاع أنْ يبرز إماماً وقائداً روحيّاً وعلميّاً وسياسيّاً للأمّة.

---

(١) يُنظر: قرب الإسناد: ١٤٠، وبحار الأنوار: ٢٢٨/٤٨، ح ٣٢، وكشف الغمّة: ٢٣٨/٢.

(٢) يُنظر: الأغاني: ٥/٥ .

(٣) يُنظر: شذرات الذّهب: ٣٦٥/١، وحياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٤٣٨/١.

النقطة الأولى: النشاط العام للإمام ﷺ مع الأمّة

وأمّا بالنسبة إلى النشاط العام للإمام ﷺ مع الأمّة، فيمكن عرض الآتي:

١- المجال السياسي: تعميق الخطّ

أخذ الإمام ﷺ يوضّح موقفه للأُمّة من الخلافة والخلفاء، فقام بتعميق خطّه عبر عدّة مواقف، منها:

أ- ذكرنا أنّ المهدي أبدى سياسة مرنة مع العلويّين عند استيلائه على كرسيّ الخلافة بعد أبيه المنصور، أراد بها التضليل على الأفكار، وحاول أنْ ينسب المظالم العبّاسيّة للعهد البائد، ويوحي من جانب بقوّة الحكم القائم وشرعيّته وعدالته عندما أعلن عن إعادته للحقوق الضّائعة والمغصوبة، وهنا، وجد الإمام ﷺ الفرصة لاستغلال هذه البادرة، فطالب المهدي بإرجاع فدك إليه، وجعل هذه المطالبة منطلقاً للكشف عن الحقيقة الضّائعة تحت جبروت الحاكمين، فإنّ فدكاً كانت تحمل قيمة سياسيّة؛ بوصفها رمزاً للصّراع التاريخيّ بين خطّ السّقيفة وخطّ أهل البيت ﷺ، فتغيّر المهدي، وبدا الغضب على وجهه[(١)].

ب- موقف الإمام ﷺ من ثورة صاحب فخّ: على الرّغم من أنّ الإمام ﷺ لم يعمل في هذه المرحلة بصيغة المواجهة المسلّحة طول أيّام حياته، إلّا أنّه ﷺ مارس دور الإسناد والتأييد لثورة الحُسين بن علي (رض) -صاحب فخّ- من أجل تحريك ضمير الأمّة والإرادة الإسلاميّة ضدّ التنازل المطلق عن شخصيّتها وكرامتها للحكّام المنحرفين.

ولمّا سمع الإمام ﷺ بمقتل الحُسين (رض)، بكاه، وابنه بهذه، الكلمات: إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ، مضى - والله- مسلماً صالحاً، صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله[(٢)].

---

(١) يُنظر: الكافي: ٥٤٣/١، ح ٢، وبحار الأنوار: ١٥٦/٤٨، ح ٢٩.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ١٦٥/٤٨، ح ٦.

٢- المجال العلمي: إثبات المرجعية العلمية

أثبت الإمام ﷺ مرجعيّته العلميّة للجميع من خلال الكثير من المواقف، من ذلك ما جاء من أنّ أبا يوسف سأل المهدي –وعنده الإمام ﷺ- أنْ يأذن له أنْ يسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء، فقال له: نعم، فقال لموسى بن جعفر ﷺ أسألك؟ قال: نعم، قال: ما تقول في التظليل للمُحرِم؟ قال: لايصلح، قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال: نعم، قال: فما الفرق بين هذين؟ قال أبو الحسن ﷺ: «ماتقول في الطامث، أتقضي الصلاة؟» قال: لا، قال ﷺ: «فتقضي الصوم؟» قال: نعم، قال ﷺ: «ولِمَ؟» قال: هكذا جاء، قال أبو الحسن ﷺ: «وهكذا جاء هذا»، فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعتَ شيئاً! قال: رماني بحجر دامغ(١).

المطلب الثاني: الإمام الكاظم ﷺ والهادي العباسي

استولى موسى الهادي على كرسيّ الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي، لثمان بقين من المحرّم، سنة (١٦٩هـ)، وتوفّي بعد ثلاثة عشر شهراً، في ربيع الأوّل سنة (١٧٠هـ)، وكان عمره (٢٥) سنة(٢).

وبالرغم من قصر المدّة التي حكم فيها الهادي، إلاّ أنّها تركت أثاراً سيّئة على الشيعة، وتميّزت بحدث مهمّ في التاريخ الشيعيّ، وهو واقعة فخّ، التي قال عنها الإمام الجواد ﷺ: «لم يكن لنا بعد الطفّ مصرع أعظم من فخ»، فكانت سياسة هذا الخليفة تمتاز بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه، حتّى نقم عليه القريب والبعيد، وبغضه النّاس جميعاً، وقد حقدت عليه أمّه الخيزران، حتى بلغ بها الغيظ له أنْ أقدمت على قتله بواسطة بعض جواريها(٣).

---

(١) يُنظر: عيون أخبار الرّضا ﷺ: ١/ ٧٨.

(٢) يُنظر: خلاصة الذّهب المسبوك: ٧٥، وإعلام الورى: ٢٩٤.

(٣) يُنظر: الإمام موسى الكاظم، باقر شريف القرشي: ٢/ ٤٥٧- ٤٨٣.

أولاً: التنكيل بالعلويّين

وقد نكّل الهادي العبّاسيّ بالعلويّين، وأشاع الخوف والرعب في صفوفهم، وقطع ما أجراه لهم المهدي من الأرزاق والعطاءات، وكتب إلى جميع الآفاق في طلبهم وحملهم إلى بغداد(١).

ثانيا: ثورة فخّ

الذي فجّر الثورة على الحاكم العبّاسيّ هو الحُسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّا أهّم الأسباب التي أدّت إلى الثورة، فهي الاضطهاد والإذلال الذي مارسه الخلفاء العبّاسيّون ضدّ العلويّين، واستبداد الهادي بالخصوص، فقد عيّن ولاة قساة على المدينة، مثل: إسحاق بن عيسى بن عليّ، الذي استخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يُعرف بعبد العزيز.

وقد بالغ هذا الأثيم في إذلال العلويّين وظلمهم، فألزمهم بالمثول عنده كلّ يوم، وفرض عليهم الرقابة الشخصيّة، فجعل كلّ واحد منهم يكفل صاحبه بالحضور، وقبضت شرطته على كلٍّ من: الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن، ومسلم بن جندب، وعمر بن سلام، زعماً أنّها وجدتهم على شراب، فأمر بضربهم، وجعل في أعناقهم حبالاً، وأمر أنْ يُطاف بهم في الشّوارع ليفضحهم(٢).

وفي سنة (١٦٩هـ)، عزم الحُسين بن علي على الخروج، وأخبر الإمام موسى عليه السلام بالأمر، وطلب منه المبايعة، فقال له الإمام عليه السلام: «ياابن عمّ، لا تكلّفني ماكلّف ابن عمّك عمّك أبا عبد الله، فيخرج منّي ما لا أريد، كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يُريد»، فقال له الحُسين: إنّما عرضتُ عليك أمراً، فإنْ أردته، دخلتَ فيه، وإنْ كرهته، لم أحملك عليه، واللهُ المستعان، ثمّ ودّعه.

---

(١) يُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: ١٣٦/٣.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ١٦١/٤٨.

فجمع الحُسين أصحابه، مثل: يحيى وسليمان وإدريس بني عبد الله بن الحسن، وعبد الله بن الحسن الأفطس، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن عليّ بن الحسن المثلّث، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن المثنّى، وعبد الله بن جعفر الصّادق، ووجّهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستّة وعشرينَ رجلاً من ولد عليّ عليه السلام، وعشرة من الحاج، وجماعة من الموالي.

فلمّا أذّن المؤذّن الصّبح دخلوا المسجد ونادوا: أجد، أجد، وصعد الأفطس المنارة، وأجبر المؤذّن على قول حيّ على خير العمل، وصلّى الحُسين بالنّاس الصّبح، فخطب بعد الصّلاة، وبايعه النّاس، وبعد أنْ استولى على المدينة، توجّه نحو مكّة، وبعد أنْ وصل إلى (فخّ)، عسكر فيه، وكان معه (٣٠٠) مقاتل، ولحقته الجيوش العبّاسيّة، وبعد صراع رهيب، استُشهد الحُسين وأصحابه، وأرسلت رؤوس الأبرار إلى الطاغية، ومعهم الأسرى، وقد قيّدوا بالحبال والسّلاسل، ووضع في أيديهم وأرجلهم الحديد، وأمر الطاغية بقتلهم، فقتلوا صبراً، وصلبوا على باب الحبس[1].

ثالثا: وقائع ما بعد الثورة ودعاء الإمام عليه السلام بموت الهادي

وبعد أنْ انتهت الثورة باستشهاد الحُسين (رحمه الله) وصحبه، أخذ الهادي يتوعّد الأحياء منهم، وقد ذكر سيّدهم الإمام موسى، قائلاً: «والله، ماخرج حسين إلّا عن أمره، ولا اتّبع إلّا محبّته؛ لأنّه صاحب الوصيّة في أهل هذا البيت، قتلني الله إنْ أبقيتُ عليه»[2].

وكتب عليّ بن يقطين إلى الإمام موسى عليه السلام بصورة الأمر، وورد الكتاب، فلمّا أصبح عليه السلام، أحضر أهل بيته وشيعته، فأطلعهم على ما ورد عليه من الخبر، وقال: ماتشيرون في هذا؟ فقالوا: نشير عليك – أصلحك الله ونحن معك– أنْ تباعد

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ١٠/ ٢٩، وبحار الأنوار: ١٦١/٤٨ و ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ١٥٠/٤٨– ١٥٣.

شخصك عن هذا الجبّار، وتغيّب شخصك دونه.

فتبسّم موسى عليه السلام، ثمّ أقبل نحو القبلة، ودعا بدعاء الجوشن الصّغير المعروف الوارد عنه عليه السلام، ثمّ قال عليه السلام: «قد مات في يومه هذا والله، ﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[1]».

قال الراوي: ثمّ قمنا إلى الصّلاة، وتفرّق القوم، فما اجتمعوا إلّا لقراءة الكتاب الوارد بموت الهادي والبيعة للرّشيد[2].

---

(١) سورة الذّاريات: ٢٣.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ١٥٠/٤٨- ١٥٣ و ٢١٧، ح ١٧، وعيون أخبار الرّضا: ١/ ٧٩.

خلاصة البحث

استولى المهدي العبّاسيّ على منصب الخلافة بعد أبيه المنصور، وقد تميّز حكمه بمحاولته سلوك أُسلوب مرن مع العلويّين في بداية حكمه، الأمر الذي استثمره الإمام الكاظم عليه السلام في القيام بنشاط عامّ على مستوى الأمّة، وبنشاط خاصّ على مستوى الجماعة الصّالحة، فأخذ عليه السلام بتوضيح موقفه للأمّة من الخلافة والخلفاء، فقام بتعميق خطّه عبرعدّة مواقف.

وأمّا موسى الهادي الذي استولى على كرسيّ الخلافة بعد وفاة أبيه المهدي، فقد كان غاية في الشّدّة على الشّيعة والعلويّين، وواقعة فخّ خير شاهد على ذلك التاريخ الأسود.

اختبارات البحث

١. مُيِّز المهدي العبّاسيّ عن أبيه المنصور بجملة من الأمور، أذكر بعضها مع التوضيح.

٢. أخذ الإمام الكاظم عليه السلام بتوضيح موقفه للأمّة من الخلافة والخلفاء، فقام بتعميق خطّه عبرعدّة مواقف، تكلّم عن ذلك باختصار.

٣. عرِّف بسياسة الهادي العبّاسيّ مع العلويّين.

٤. تكلّم عن واقعة فخ وعن نتائجها باختصار.

٥. ما الذي وقع بعد ثورة فخ بالنسبة إلى الإمام الكاظم عليه السلام؟

البحث رقم (٣١)

الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد هارون العبّاسيّ

أهداف البحث

١. التعريف بملامح عهد هارون الرّشيد.
٢. وصف أساليب هارون مع الإمام الكاظم (عليه السلام).
٣. التعريف بنشاطات الإمام (عليه السلام) السّياسيّة في عهد هارون العبّاسيّ.
٤. توضيح نشاطات الإمام (عليه السلام) التربويّة في هارون العبّاسيّ.
٥. تحليل نشاطات الإمام (عليه السلام) الفكريّة في عهد هارون العبّاسيّ.

مقدمة البحث

تُعدّ السّنوات الأخيرة من عمر الإمام الكاظم (عليه السلام) من أعقد المراحل وأشدّها صعوبة وأذىً عليه بالقياس إلى المراحل الأُخَر التي سبقتها، وقد عاصر فيها هارون الرّشيد لمدة (١٤) سنة وأشهراً[١].

من هنا، كان الإمام (عليه السلام) قد انتهج أساليب أُخرى من العمل للمرحلة الجديدة، تتناسب ومتطلّبات هذه المرحلة، وهذا ما سنتعرّض له في هذا البحث.

المطلب الأول: ملامح عهد هارون العباسيّ

لعهد هارون العبّاسيّ جملة من الملامح، منها ما يأتي:

١- تقّمص هارون الخلافة وهو في عنفوان الشّباب، لم يذق محن الأيّام، ولم تصقله التجارب، وجاء إليه الملك بعد نجاح مؤامرة اغتيال الهادي، التي اشتركت في تدبيرها الخيزران (أمّه)، ورئيس وزرائه يحيى البرمكيّ[٢].

٢- واستوسقت له الأمور، ونال من دنياه كلّ ما اشتهى، وعمّ نفوذه ساحة كبيرة من المعمورة، حتّى أثر عنه خطابه للسّحاب: اذهبي إلى حيث شئتِ، يأتيني

---

(١) يُنظر: إعلام الورى: ٢٩٤.

(٢) يُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: ٢/ ٤٠٦.

خراجك[١].

٣- جُبي له الخراج من جميع الأقاليم الإسلاميّة، وأصبح بيت المال أضخم مستودع للمال في العالم، وأصبحت بغداد مستودع الثراء الفاحش، ومهوى النوابغ والفنّانين والتجّار والمطربين.

٤- أوكل تدبير أمور الرعيّة إلى يحيى البرمكيّ، وأسند إليه جميع السّلطات، واعتمد عليه اعتماداً مطلقاً أغناه عن السّهر والمتاعب الفكريّة، فانصرف إلى التلذّذ بجميع متع الحياة[٢].

٥- كان مولعاً بالغناء منذ حداثة سنّه، فقد نشأ بين أحضان المطربات، واجتمع في قصره عدد كبير منهنّ، حتّى جعل المغنّينَ طبقات[٣].

٦- اندفع إلى شرب الخمر والإدمان عليها[٤]، كما كان يلعب بالنرد والصّولجان[٥].

٧- سار اللّهو وعمّت الدّعارة وانتشر المجُون وتدهورت الأخلاق وأُقبِرَت الفضائل في عهد هارون[٦].

٨- ساس العلويّين بسياسة جدّه المنصور، وهي سياسة العنف والجور والاضطهاد، فقابلهم - منذ بداية حكمه- بكلّ قوّة وجفاء، حتى أقسم على استئصالهم، قائلاً: والله، لأقتلنّهم ولأقتلنّ شيعتهم[٧].

---

(١) يُنظر: صبح الأعشى: ٢٠٧/٣.

(٢) يُنظر: حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): ٣١/٢- ٣٥.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٦١/٢- ٦٢.

(٤) يُنظر: التاج الجامع للأصول، الشّيخ منصور علي ناصف: ٣٧.

(٥) يُنظر: الأغاني: ٥/ ٦٩-٧٠.

(٦) يُنظر: سيّدات البلاط العبّاسيّ: ٤٨.

(٧) يُنظر: الأغاني: ٢٢٥/٥.

وقد نفّذ قَسَمَه، فقتل طائفة كبيرة منهم، وأقدم على هدم الدور المجاورة لقبر أبي عبد الله الحُسين عليه السلام، وأمر بحرث أرض كربلاء ليمحو كلّ أثر للقبر الشريف[1].

٩- أصبح الاتهام بالزندقة وسيلة للقضاء على خصوم العبّاسيّينَ من هاشميّينَ وغيرهم، ممّن لايرضى بحكمهم، أو لا يرى جواز الصّلاة خلفهم.

المطلب الثاني: أساليب هارون العبّاسيّ مع الإمام الكاظم عليه السلام

تراوحت سياسة هارون العبّاسيّ العدوانيّة مع الإمام عليه السلام منذ أنْ بويع للخلافة بين السّجن والاتهام السياسيّ مرّة، وبين الإكرام والتعظيم نفاقاً وكذباً مرّة أخرى، وإليك هذه القصّة التي تصوّر سياسته على وجه الإجمال:

جاء عن الفضل أنّه قال: كنتُ أحجب للرشيد، فأقبل عليَّ يوماً غضباناً، وبيده سيف يقلّبه، فقال لي: يافضل، بقرابتي مِن رسول الله صلى الله عليه وآله، لئن لم تأتني بابن عمّي، لآخذنّ الذي فيه عيناك، فقلتُ: بمَن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازيّ.

قلتُ: وأيّ الحجازيّين؟ قال: موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحُسين ابن عليّ بن أبي طالب، قال الفضل: فخفتُ من الله عزّ وجلّ إنْ جئتُ به إليه.

ثمّ فكّرت في النقمة، فقلتُ له: أفعل، فقال: إئتني بسوطين وهصارين[2] وجلّادين، قال: فأتيته بذلك، ومضيتُ إلى منزل أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام، فأتيتُ إلى خربة فيها كُوخ من جرائد النّخل، فإذا أنا بغلام أسود، فقلتُ له: استأذن لي على مولاك يرحمك الله، فقال لي: لج[3]، ليس له حاجب ولا بوّاب، فولجتُ إليه، فإذا أنا بغلام أسود بيده مقصّ يأخذ اللّحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٩٨.

(٢) آلة العصر والكبس.

(٣) ولج البيت: دخل فيه.

سجوده، فقلتُ له: السّلام عليك يابن رسول الله، أجب الرّشيد.

فقال: ما للرشيد ومالي، أما تشغله نعمته عنّي؟ ثمّ قام مسرعاً، وهو يقول: لولا أنّي سمعتُ في خبر عن جدّي رسول الله ﷺ إنّ طاعة السّلطان للتقيّة واجبة، لما جئت...[1].

اتهامات سياسية

ومن أساليب الرّشيد التي كان يهدف منها تخويف الإمام عليه السلام، هو اتهامه بأعمال سياسيّة محظورة بنظر الخلافة، مثل: جباية الخراج، وعن هذا الاتهام يحدّثنا الإمام موسى عليه السلام نفسُه:

عن أبي أحمد هاني، قال الإمام موسى عليه السلام: «لمّا أُدخلتُ على الرّشيد، سلَّمت عليه، فردّ عليّ السلام، ثمّ قال: ياموسى بن جعفر، خليفتان يُجبى إليهما الخراج؟!

فقلتُ: يا أمير المؤمنين! أعيذكَ بالله أنْ تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمتَ أنّه قد كُذب علينا منذُ قبض رسول الله ﷺ بما عُلِمُ ذلك عندك، فإنْ رأيتَ بقرابتك من رسول الله ﷺ أنْ تأذن لي أُحدّثك بحديث أخبرني به أبي، عن آبائه، عن جدّي رسول الله ﷺ، فقال: قد أذنتُ لك، فقلتُ: أخبرني أبي عن آبائه عن جدّي رسول الله ﷺ، أنّه قال: إنّ الرَّحِمَ إذا مَسَّتِ الرَّحِمَ، تحرّكت واضطربت»[2].

ثمّ سأله هارون عن أفضليّة أهل البيت وتقدّمهم على بني العبّاس، فأجابه الإمام عليه السلام عن علّة ذلك، ثمّ أطلق سراحه.

---

(١) يُنظر: أمالي الصّدوق: ٢٧٧، ح ٢٠ .

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٨١/١، ح ٩ ، ووسائل الشيعة: ٢٧٥/١٤، ح٣.

المطلب الثالث: مواقف ونشاطات الإمام عليه السلام في عهد هارون العبّاسيّ

والحديث هنا ضمن عدّة مجالات:

أولاً: المجال السياسي

قام الإمام موسى الكاظم عليه السلام في هذا المجال بخطوات تربويّة تحصينيّة لشيعته، منها:

أ- تأكيد الانتماء السّياسيّ لخطّ أهل البيت عليهم السلام، فلقد تشدّد عليه السلام على محبّيه وشيعته، وحرّم عليهم التعاون مع السّلطات العبّاسيّة الظالمة، فإنّ الإمام عليه السلام عاب على صفوان الجمّال إكراءه جماله لهارون العبّاسيّ عند ذهابه إلى الحجّ؛ ولذا، باع صفوان جماله وترك هذا العمل[1].

ب- التأكيد على الالتزام بمبدأ التقيّة، فقد روى معمّر بن خلاّد، قال: سألتُ أبا الحسن موسى عليه السلام عن القيام للولاة، فقال عليه السلام: قال أبو جعفر عليه السلام: «التقيّة ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له»[2].

ج- نشط الإمام موسى عليه السلام عن طريق أصحابه، بالنفوذ والاندساس في الجهاز الحاكم، فقد تصدّر أصحاب الإمام عليه السلام مواقع سياسيّة مهمّة في الحكومة العبّاسيّة، وكان الإمام عليه السلام يُثني عليهم ويثمِّن عملهم، لكنّه كان يشترط عليهم قضاء حوائج المؤمنين.

من هؤلاء: عليّ بن يقطين؛ إذْ نشأ يقطين أبوه بالكوفة، وكان يبيع الأبزار، وكان يقول بالإمامة، وقد اتّصل بأبي العبّاس السّفّاح والمنصور والمهدي، ولمّا انتقل يقطين إلى دار الحقّ، قام ولده عليّ مقامه، فاتصل اتّصالاً وثيقاً بالعبّاسيّين، وتولّى المناصب المهّمة في الدّولة، وكان عوناً للمؤمنين، وقام بتزويج عدد منهم، وكان يُعيل عوائل قسم كبير منهم، كما تقلّد عليّ أزمّة الأزمّة في أيّام المهدي، ومن بعده

---

(١) يُنظر: الكشي: ٢٧٦، والنجاشيّ: ١٤٦.

(٢) وسائل الشيعة: كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عيّنه هارون وزيراً له[١]، وكان على اتصال سريّ ودائم مع الإمام عليه السلام.

ثانيا: المجال التربوي

كان الإمام الكاظم عليه السلام يعتني بشيعته تربوياً؛ إذْ كان يصدر توجيهاته إليهم باستمرار، ويرصد أوضاعهم، ويتابع أحوالهم الأخلاقيّة والسّلوكيّة، ويعمل على تنميتهم وإيصالهم إلى المستوى المطلوب.

ثالثا: المجال الفكري

لم يترك الإمام موسى الكاظم عليه السلام ذلك الزخم العظيم من علماء مدرسة الإمام الصّادق عليه السلام، ولم يترك تلك الثورة الفكريّة هملاً بلا ترشيد، وإنّما واصل عليه السلام دوره في التوجيه والتطوير، وأبقى صلته بهم وثيقة؛ إذْ نجد التفاف هؤلاء حول الإمام الكاظم عليه السلام بعد أبيه.

ويمكن أنْ نشير إلى ما يلي في هذا المجال:

١- حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم عليه السلام

تُعدُّ حركة التأليف ظاهرة متميّزة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام إذا ما قورنت بمثلها في عصور مَن سبقه من الأئمّة عليهم السلام. وقد أسهمت هذه الظاهرة في تطوير حركة الوعي والتثقيف انطلاقاً من الشعور بالمسؤوليّة في ردّ الشبهات والدفاع عن المعتقدات الإسلاميّة.

ولم ينحصر التأليف في حقل خاصّ من حقول المعرفة، وإنّما شمل السّياسة، والأدب، والتاريخ والحديث والتفسير وغيرها[٢].

---

(١) يُنظر: الكشي: ٢٧٠، والفهرست لابن النديم: ٣٢٨.

(٢) يُنظر: أسماء الكتب مع أسماء مؤلّفيها في (تاريخ التشريع الإسلاميّ)، للشّيخ عبد الهادي الفضليّ.

٢- ظاهرة المناظرات

من الأنشطة الفكريّة التي عُرفتْ في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، والتي كانت ذات تأثير فكريّ كبير، هي المناظرات العلميّة. الظاهرة التي بدأت بوضوح في عصر الإمام الصّادق عليه السلام، واستمرّت في عصر الإمام الكاظم عليه السلام.

وقد استثمرا عليهما السلام هذه الظاهرة، وأعدّا لها نخبة من العلماء المتخصّصين في هذا الميدان، من الذين تعهّدوا بالدّفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتعريفه للناس. فاستطاعوا على الرّغم من الحصار المضروب عليهم أنْ يُروِّجوا للمذهب، وقد حقّقوا انتصارات مشهودة وكبيرة، ونشطوا -أيضاً- في دحض الشبهات والاتهامات التي كانت تثار ضدّ الفكر الإسلاميّ العامّ، واستطاعوا أنْ يقفوا بوجه الموجات الانحرافيّة والحركات الإلحاديّة.

ويُعدّ هشام بن الحكم من أفذاذ الأمّة الإسلاميّة ومن كبّار علمائها في هذا المجال، ما جعله عُرضة للانتقام والتنكيل من قبل السّلطة[1].

---

(١) يُنظر: الفهرست لابن النديم: ٢٦٣.

خلاصة البحث

من ملامح عهد هارون العبّاسيّ: سعة نفوذه، والثراء الفاحش في عاصمته، وانهماكه بلذائذ الحياة ومحرمّاتها، والذي انعكس على الأمّة، وأفرز عدّة ظواهر سلبيّة، منها: التميّع الأخلاقيّ، والفقر والبؤس والحرمان لعامّة المسلمين والطبقات المستضعفة.

اضطهد هارون العلويّين، وأقسم على إبادتهم، وحارب خطّ أهل البيت عليهم السلام ومنهجهم. ولهذا، استخدم شتى الأساليب الدنيئة ضدّ الإمام الكاظم عليه السلام محاولاً إرغامه على الاعتراف بشرعيّة حكمه، وعلى الرّغم من ذلك، كان الإمام عليه السلام نشطاً في تربيته السّياسيّة والأخلاقيّة والعلميّة لأصحابه وأتباعه الذين يشكّلون أعمدة كيان الطائفة الموالية.

نشطت حركة التأليف في عصر الإمام الكاظم عليه السلام إلى جانب حركة المناظرة التي كان ثمنها باهضاً، ولكنّها كانت ضرورة من ضرورات المرحلة التي كان يقطعها الكيان الشيعيّ باتجاه إثبات حقّانيّته، وتميّز رموزه عن سائر الخطوط الفكريّة والسّياسيّة في الأمّة الإسلاميّة.

اختبارات البحث

١. عرِّف بملامح عهد هارون العبّاسيّ.
٢. صف أساليب هارون مع الإمام الكاظم عليه السلام.
٣. تكلّم عن نشاطات الإمام الكاظم عليه السلام السّياسيّة في عهد هارون.
٤. ما هي نشاطات الإمام الكاظم عليه السلام التربويّة في عهد هارون؟
٥. عدِّد نشاطات الإمام الكاظم عليه السلام الفكريّة في عهد هارون.

البحث رقم (٣٢)

اعتقالات الإمام الكاظم (عليه السلام)، واستشهاده

أهداف البحث

١. وصف الاعتقال الأوّل للإمام (عليه السلام) في سجن البصرة.

٢. التعريف بالاعتقال الثاني للإمام (عليه السلام) في سجن الفضل بن يحيى.

٣. وصف حال الإمام (عليه السلام) في سجن السّنديّ بن شاهك.

٤. تعداد نشاطات الإمام (عليه السلام) داخل السّجن.

٥. توضيح إيعاز هارون للسّنديّ بقتل الإمام الكاظم (عليه السلام).

مقدمة البحث

إنّ سلوك الإمام (عليه السلام) وتأثيره في الأمّة كان كافياً لدفع هارون العبّاسيّ لأن يخطّط لسجن الإمام(عليه السلام) ومن ثَمَّ اغتياله وقتله، هذا فضلاً عن كون هارون قد قطع على نفسه في بداية تسلّمه الحكم بأنْ يستأصل العلويّين. فإذا كان هذا شعاره وتعامله مع العلويّين، فكيف لايحقد على زعيم العلويّين وقائدهم؟!

نعم، هناك بعض الأسباب التي قد افتعلها هارون ليتمسّك بها كذريعة ليبرّر جريمته ضدّ الإمام الكاظم (عليه السلام) وهي توظيف الوشاة للإخبار عن نشاط الإمام والإيحاء إليهم بأنّه يزاحم ملك هارون.

المطلب الأول: اعتقالات الإمام الكاظم (عليه السلام)

لم يستطع هارون السّكوت على نشاط الإمام (عليه السلام) ووجوده، فضاق صدره، وأزعجه انتشار اسم الإمام؛ لأنّ النّاس غدت تتناقل مآثر الإمام وعلمه وأخلاقه، حتى كانت حادثة زيارة هارون لقبر الرسول (صلى الله عليه وآله) ولقاء الإمام به، وموقف الإمام منه؛ إذ غضب الرّشيد، وخاطب الرسول (صلى الله عليه وآله) قائلاً: «بأبي أنت وأُمّي، إنّي أعتذر إليك من أمر عزمتُ عليه، أنّي أريد أنْ آخذ موسى بن جعفر، فأحبسه، لأنّي قد خشيت أنْ يُلقي بين أمتّك حرباً يسفكُ بها دماءهم»(١)

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٧٣، ح ٣، الغيبة للطوسي: ٢٨، عن العيون في بحار الأنوار: ٢١٣/٤٨.

أولاً: الاعتقال الأول للإمام عليه السلام

بعد زيارة هارون لقبر الرسول صلى الله عليه وآله في سنة (١٧٩ هـ)، أمر باعتقال الإمام عليه السلام، فأُلقي القبض عليه عليه السلام وهو قائم يصلّي عند رأس جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يمهل لإتمامها، فحمل، وقيّد، وأرسل إلى سجن البصرة[١].

وكان المأمور بحراسة الإمام عليه السلام أثناء الطريق حسّان السّرويّ[٢]، وقبل أنْ يصل إلى البصرة، تشرّف بالمثول بين يديه عبد الله بن مرحوم الأزديّ، فدفع له عليه السلام كتباً، وأمره بإيصالها إلى وليّ عهده الإمام الرّضا عليه السلام، وعرّفه بأنّه الإمام من بعده[٣].

وفي البصرة، أخذ حسّان الإمام عليه السلام ودفعه إلى عيسى بن أبي جعفر، فحبسه في بيت من بيوت المحبس، وأقفل عليه أبواب السّجن، فكان لايفتحها إلّا في حالة خروجه للطهور، أو لإدخال الطعام إليه[٤]. وبقي في سجن البصرة سنة كاملة.

وأوعز هارون إلى عيسى يطلب منه القيام باغتيال الإمام عليه السلام فوراً، فثقل عليه الأمر، فكتب إليه رسالة يطلب فيها إعفاءه عن ذلك، فأمره بحمله إلى بغداد، ولمّا وصل عليه السلام بغداد، أمر هارون باعتقاله عند الفضل، فأخذه وحبسه في بيته. ولكن، بعد مدّة طويلة في الحبس، تمّ إطلاق سراحه، وبقي في بغداد لم يخرج منها إلى المدينة، وكان يدخل على هارون في كلّ أُسبوع مرّة يوم الخميس[٥].

ثانيا: الاعتقال الثاني للإمام عليه السلام

أ- الإمام عليه السلام في سجن الفضل بن يحيى

ولمّا شاع ذكر الإمام عليه السلام، وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد، ضاق الرّشيد من

---

(١) يُنظر: مناقب الشّيعة: ٢/ ٣٨٥.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٢١.

(٣) يُنظر: عيون أخبار الرضا: ٣٦/١.

(٤) يُنظر: منتخب التواريخ: ٥١٨.

(٥) يُنظر: عيون أخبار الرّضا: ٩٣/١، وأمالي الصّدوق: ٣٠٨، ح ٣، وأمالي الطوسي: ٣٦.

ذلك، وخاف منه، فاعتقله ثانية، فأودعه في بيت الفضل بن يحيى سنة (١٨٠ هـ).

ولمّا رأى الفضل عبادة الإمام عليه السلام وإقباله على الله، وانشغاله بذكره، أكبره، ولم يُضيّق عليه، وقد رأى عليه السلام من السّعة في سجن الفضل ما لم يره في بقيّة السّجون.

ولمّا أوعز هارون للفضل باغتيال الإمام عليه السلام، إمتنع، ولم يُجبه، وخاف من الله؛ لأنّه كان ممّن يذهب إلى الإمامة ويدينُ بها[1].

ب- الإمام عليه السلام في سجن السندي بن شاهك

أمر هارون بنقل الإمام عليه السلام إلى سجن السّنديّ بن شاهك، وأمره بالتضييق عليه، فاستجاب هذا الأثيم لذلك، فقابل الإمام عليه السلام بكلّ قسوة وجفاء، والإمام صابر محتسب إلى الله، فأمره الطاغية أنْ يقيّد الإمام عليه السلام بثلاثين رطلاً من الحديد، ويقفل الباب في وجهه، ولايدعه يخرج إلاّ للوضوء.

وامتثل السّنديّ ذلك، فقام بإرهاق الإمام عليه السلام، وبذل جميع جهوده للتضييق عليه، ووكّل به بشّاراً مولاه، وكان من أشدّ النّاس بغضاً لآل أبي طالب، ولكنّه لم يلبث أنْ تغيّر حاله، وثاب إلى طريق الحقّ؛ وذلك لِما رأى من كراماته عليه السلام ومعاجزه[2].

ج- نشاط الإمام عليه السلام داخل السجن

١- عبادته: أقبل الإمام عليه السلام على عبادة الله، فكان يصوم النهار ويقوم اللّيل ولا يفتر عن ذكر الله سبحانه، وهذه أُخت الجلّاد السّنديّ بن شاهك تحدّثنا عمّا رأته من إقبال الإمام عليه السلام وطاعته لله، ما أثّر في نفسها، وأصبحت في ما بعد من الصّالحات، فكانت تعطف على الإمام عليه السلام، وتقوم بخدمته، وإذا نظرت إليه، انحدرت دموعها، وهي تقول: «خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل»[3].

٢- اتصال العلماء به: اتصل جماعة من العلماء والرّواة بالإمام عليه السلام من طريق

---

(١) ينظر: مقاتل الطالبيين : ٥٠٣ – ٥٠٤ .

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ٢٤١/٤٨.

(٣) تاريخ بغداد: ٣١/١٣.

خفيّ، فانتهلوا من نمير علومه، فمنهم: موسى بن إبراهيم المروزيّ، وقد سمح له السّنديّ بذلك؛ لأنّه كان معلّماً لولده، وقد ألّف إبراهيم كتاباً ممّا سمعه منه عليه السلام[1].

٣- **الإجابة على الفتاوى المرسلة إليه:** كانت بعض الأقاليم الإسلاميّة التي تدين بالإمامة ترسل عنها في كلّ مرّة مبعوثاً خاصّاً للإمام عليه السلام حينما كان في سجن السّندي، فتزوّده بالفتاوى والرسائل، فكان عليه السلام يجيبهم عليها، وممّن جاءه عليّ بن سويد، فقد اتّصل بالإمام عليه السلام وسلَّم إليه الكتب والفتاوى، فأجابه عليه السلام عنها[2].

٤- **نصب الوكلاء:** عيّن الإمام عليه السلام جماعة من تلاميذه وأصحابه وكلاء له في بعض المناطق، وأرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الإسلاميّة منهم، كما وكّلهم في قبض الحقوق الشرعيّة، لصرفها على الفقراء والبائسين من الشيعة، وإنفاقها في وجوه البرّ والخير، فنصب المفضّل بن عمر وكيلاً له في قبض الحقوق، وأذن له في صرفها على مستحقّيها[3].

٥- **النص على الإمام من بعده:** نصّ الإمام الكاظم عليه السلام على الإمام من بعده، وهو عليّ الرّضا عليه السلام، فجعله علماً لشيعته ومرجعاً لأمّة جدّه.

قال الحُسين بن المختار: لمّا كان الإمام موسى عليه السلام في السّجن، خرجت لنا ألواح من عنده، وقد كتب فيها: «عهدي إلى أكبر ولدي»[4].

٦- **وصيّته:** وأوصى عليه السلام إلى ولده عليّ الرضا عليه السلام، وعهد إليه بالأمر من بعده، وعيّنه على صدقاته وشؤونه الخاصّة والعامّة، وأشهد على ذلك جماعة من المؤمنين.

٧- **صلابة الإمام** عليه السلام وشموخه أمام هارون: إذْ مكث الإمام عليه السلام زمناً طويلاً في سجن هارون، تكلّم معه جماعة من خواصّ شيعته، فطلبوا منه أنْ يتكلّم مع بعض

---

(١) يُنظر: النجاشيّ: ٣١٩.

(٢) يُنظر: حياة الإمام موسى الكاظم، باقر شريف القرشيّ: ٢/ ٤٩٢.

(٣) يُنظر: المصدر السّابق: ٤٩٣.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٣٠/١، ومسند الإمام الكاظم: ١٤٧/١، ح٣٦.

الشخصيّات المقرّبة عند هارون العبّاسيّ ليتوسّط في إطلاق سراحه، فامتنع عليه السلام، وترفَّع عن ذلك، وقال لهم: «حدّثني أبي عن آبائه: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى داوود عليه السلام، ياداوود، إنّه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفتُ ذلك منه، إلاّ قطعتُ عنه أسباب السّماء، وأسَختُ الأرض من تحته».

المطلب الثاني: شهادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام

أولاً: إيعاز هارون للسندي بقتل الإمام الكاظم عليه السلام

عانى الإمام عليه السلام أقسى ألوان التنكيل زمان هارون، من تكبيل بالقيود، وشدّة في التعامل معه، ومنع الاتصال مع النّاس، وأذى مرهق، وبعد كلّ هذه النكبات، أقدم على قتله غير مكترث بما سيتركه قتل الإمام عليه السلام من آثار سلبيّة عليه وعلى ملكه.

وذهب أكثر المؤرّخين والمترجمين إلى أنّ هارون أوعز إلى السّنديّ بن شاهك بقتله، فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك، فعمد إلى رطب، فوضع فيه سمّاً قاتلاً، وقدّمه للإمام عليه السلام، فأكل منه عشر رطبات، فقال له السّنديّ: زد على ذلك. فرمقه الإمام عليه السلام بطرفه، وقال له: «حسبُكَ، قد بلغتَ ما تحتاج إليه».

وتسمّم الإمام عليه السلام، وأخذ يعاني آلام السّمّ الشّديدة وأوجاعه القاسية، وقد حفّت به الشرطة القساة، ولازمه السّنديّ بن شاهك الخبيث، ليعجّل له النهاية.

والمشهور أنّ شهادة الإمام عليه السلام كانت سنة (١٨٣هـ)، لخمس بقين من شهر رجب[١]، وقيل سنة (١٨٦هـ)[٢]، وكانت وفاته في يوم الجمعة، وعمره الشريف يوم وفاته خمس وخمسون، أو أربع وخمسون سنةً[٣].

ثانيا: تنصل هارون من اغتيال الإمام عليه السلام

بعد قتل الإمام عليه السلام، حاول هارون أنْ يتخلّى عن مسؤوليّة قتله عليه السلام، ويُشيع بين النّاس أنّه عليه السلام مات حتف أنفه، وأنّ هارون وأجهزته لاعلاقة لهما بالحادث،

---

(١) يُنظر: ابن خلّكان: ١٧٣/٢، وتاريخ بغداد: ٣٢/١٣، والطبريّ: ٧٠/١٠.

(٢) يُنظر: مروج الذهب: ٢٧٣/٣.

(٣) يُنظر: الفصول المهمّة: ٢٥٥.

وذلك ضمن خطوتين:

الخطوة الاولى: قام السّنديّ بن شاهك بالخطوة الأولى من مسلسل التخلّي عن مسؤوليّة قتل الإمام عليه السلام، ليمهّد الأجواء لسيّده هارون في أنْ يتخلّى في ما بعد عن مسؤوليّة هذه الجريمة.

يحدّثنا عمر بن واقد عن تحرّك السّنديّ وكيفيّة تنصّله عن مسؤوليّة هذا الحادث الخطير؛ إذْ يقول: أرسل إليّ السّنديّ بن شاهك في بعض اللّيل وأنا ببغداد يستحضرني، فخشيتُ أن يكون ذلك لسوء يريده بي، فأوصيتُ عيالي بما احتجتُ إليه، وقلتُ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ثمّ ركبتُ إليه، فلمّا رآني مقبلاً، قال: يا أبا حفص، لعلّنا أرعبناك وأفزعناك؟

قلتُ: نعم، قال: فليس هناك إلّا خير، قلتُ: فرسول تبعثه إلى منزلي يخبرهم خبري، فقال: نعم، ثمّ قال: يا أبا حفص، أتدري لِم أرسلتُ إليك؟ فقلتُ: لا، فقال: أتعرف موسى بن جعفر؟ فقلتُ: إي والله، إنّي لأعرفه، وبيني وبينه صداقة منذ دهر، فقال: مَن ها هنا ببغداد يعرفه في من يقبل قوله؟ فسمّيتُ، وجاء بهم كما جاء بي، فقال لهم: هل تعرفون قوماً يعرفون موسى بن جعفر؟ فسمّوا له قوماً، فجاء بهم، فأصبحنا، فصرنا -ونحن في الدّار- نيّفاً وخمسينَ رجلاً ممّن يعرف موسى ابن جعفر عليه السلام، وقد صحبه.

قال: ثمّ قام، فدخل، وصلّينا، فأخرج كاتبه طوماراً، فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحلالنا، ثمّ دخل إلى السّنديّ.

قال: فخرج السّنديّ، فضرب يده إليّ، فقال: قم يا أبا حفص، فنهضتُ ونهض أصحابنا، ودخلنا، فقال لي: يا أبا حفص، اكشف الثوب عن وجه موسى بن جعفر، فكشفتُه، فرأيتُه ميّتاً، فبكيتُ، واسترجعتُ.

ثمّ قال للقوم: اُنظروا إليه، فدنوا واحداً بعد واحد فنظروا إليه، ثمّ قال: تشهدون كلّكم أنّ هذا موسى بن جعفر بن محمّد؟ فقلنا: نعم، نشهد أنّه موسى بن جعفر بن محمّد، ثمّ قال: ياغلام، اطرح على عورته منديلاً واكشفه، قال: ففعل، فقال: أترون به

أثراً تُنكرونه؟ فقلنا: لا، ما نرى شيئاً، ولانراهُ إلّا ميّتاً، ثمّ سجّل شهادتهم، وانصرفوا[١].

الخطوة الثانية: ثمّ قام هارون بنفسه ليُعلن أمام حشد من وجوه الشّيعة أنّه بريء من جريمة قتل الإمام (عليه السلام).

فعن محمّد بن صدقة العنبريّ، قال: لمّا توفي أبو إبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام)، جمع هارون الرّشيد شيوخ الطالبيّة وبني العبّاس وسائر أهل المملكة والحكّام، وأحضر أبا إبراهيم موسى بن جعفر (عليه السلام)، فقال: هذا موسى بن جعفر قد مات حتف أنفه، وما كان بيني وبينه ما أستغفر الله منه في أمره - يعني: في قتله- فانظروا إليه. فدخل عليه سبعون رجلاً من شيعته، فنظروا إلى موسى بن جعفر وليس به أثر جراحة ولا خنق، وكان في رجله أثر الحنّاء[٢].

ثالثا: تشييع جثمان الإمام (عليه السلام) ودفنه

وبعد الغسل، هرعت جماهير بغداد إلى تشييع الإمام (عليه السلام)، فكان يوماً مشهوداً لم يُرَ مثله في أيّامها، ثمّ دفن في مقابر قريش [٣].

ولمّا شاع خبر رحيل الإمام الكاظم (عليه السلام) في المدينة، اجتمع أتباع أهل البيت (عليهم السلام) على باب أمّ أحمد، واجتمعوا مع أحمد ابن الإمام الكاظم (عليهما السلام)، فذهب بهم إلى أخيه الإمام الرّضا (عليه السلام)، فبايعوه على الإمامة[٤].

---

(١) يُنظر: كمال الدين: ٣٧، وعيون أخبار الرّضا: ٩٧/١، ح ٣.

(٢) يُنظر: كمال الدين: ٣٩، ووسائل الشيعة: ٤٠٨/١، ح ٧.

(٣) يُنظر: كمال الدين: ٣٨، وعيون أخبار الرّضا: ٩٩/١، ح ٥.

(٤)يُنظر: المختار من تحفة العالم، الملحق ببحار الأنوار، للسيّد جعفر بحر العلوم: ٣٠٧/٤٨-٣٠٨.

خلاصة البحث

إنّ سلوك الإمام عليه السلام وتأثيره في الأمّة كان كافياً لدفع هارون لأن يخطّط لسجن الإمام عليه السلام ومن ثَمَّ اغتياله وقتله.

سجن الإمام عليه السلام في البصرة أوّلاً، ثمّ أُرسل إلى بغداد، وبعد أنْ طال سجنه، أُخْرِجَ من السّجن الخاصّ، وبقي في بغداد تحت الرّقابة، ثمّ أودع السّجن مرّة أُخرى، فأُودع عند الفضل بن يحيي، ثمّ أُودع في سجن السّنديّ بن شاهك، وكان من أشدّ السّجون عليه.

كان للإمام عليه السلام في السّجن عدّة نشاطات سوى العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، منها: تربية النفوس والأفراد الذين كانوا يوكَّلون بحراسة الإمام عليه السلام، ومنها: الإجابة على الأسئلة التي كانت ترد عليه، ومنها: تعليم شيعته ما كانوا يحتاجونه من تعاليم. كما نصّ في السّجن على ولده علي الرّضا عليه السلام، ولم تستطع محاولات هارون إخضاع الإمام عليه السلام لإرادته.

استشهد الإمام الكاظم عليه السلام بعد طول سجن وتعذيب بأمر من هارون وعلى يدي السّنديّ بن شاهك بسمّ قاتل، وحاول أنْ يتخلّص من تبعة هذا الاغتيال وذلك بإشهاد مجموعة من الشّهود بعد سمّه وقبل وفاته، كما أشهد على وفاته مجموعة بعدها.

اختبارات البحث

١. لماذا أقدم هارون على اعتقال الإمام الكاظم عليه السلام وخطّط لقتله؟
٢. ما هي النشاطات التي مارسها الإمام الكاظم عليه السلام في فترة السّجن؟
٣. هل أفلح هارون في إخضاع الإمام الكاظم عليه السلام؟ ولماذا؟
٤. كيف استشهد الإمام الكاظم عليه السلام؟ ومتى؟
٥. مَن الذي أمر بسمّ الإمام عليه السلام؟ ومَن الذي نفّذ ذلك؟ ولماذا؟

الفصل السابع

تاريخ الإمام الرضا عليه السلام

البحث رقم (٣٣)

تاريخ الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

الملامح العامة لعهد الإمام الرضا (عليه السلام) عند التصدي للإمامة

أهداف البحث

١. التعريف بولادة الإمام الرّضا (عليه السلام)، وكنيته، وألقابه، والنصّ على إمامته (عليه السلام).

٢. توضيح الانفراج النسبيّ والمراقبة الدّقيقة لتحرّكه (عليه السلام) في عهد هارون.

٣. بيان تصدّع الجبهة الداخليّة للخلافة العبّاسيّة.

٤. توضيح إعلان التصدّي للإمامة من قبل الإمام (عليه السلام) بعد أربع سنين.

٥. وصف مظاهر الانحراف في عصر الإمام الرّضا (عليه السلام).

مقدمة البحث

انتهينا - بحمده ومنّه- من تاريخ عَلَمٍ آخر من أعلام بيت النبوّة والوحي (عليهم السلام)، وهو الإمام الكاظم (عليه السلام)، ونبدأ هذا البحث بتاريخ الإمام من بعده، وهو الإمام الرّضا (عليه السلام)؛ إذْ نتناول الخطوط العامّة في تاريخه، بدءاً بإطلالة عامّة نلقي فيها نظرة على الملامح العامة لعصره حين تصدّيه (عليه السلام) للإمامة.

المطلب الأول: الولادة والكنية والألقاب

ولد عليّ بن موسى الرّضا (عليه السلام) في المدينة، سنة ثلاث وخمسين ومائة من الهجرة، وقيل: سنة ثمان وأربعين ومائة.

وأمّا نسبه أباً وأمّاً، فهو عليّ الرّضا، ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصّادق، ابن محمّد الباقر، ابن عليّ زين العابدين، ابن الحُسين الشّهيد، ابن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام).

وأمّا أمّه، فأمّ ولد يقال لها: أمّ البنين، وقيل: شقراء النوبيّة، وهو لقب لها.

وأمّا كنيته، فأبو الحسن.

وأمّا ألقابه: فالرّضا، والصّابر، والزكيّ، والولي، وأشهرها: الرّضا[1].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٩٦٩/٢- ٩٧١.

المطلب الثاني: النصّ على إمامته عليه السلام

كان الإمام القائم بعد الكاظم ولده الرّضا عليه السلام، لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه وإخوته، ووفور علمه، وغزير حلمه، وإجماع الخاصّة والعامّة على اجتماع ذلك فيه، والنصّ بالإمامة من أبيه، وإشارته إليه بذلك دون سائر أهل بيته وبنيه.

وعِلاوة على ما نقلناه من رواية عن النبيّ صلى الله عليه وآله تذكر الأئمّة إمام بعد إمام، فقد روى النصّ على إمامته من قبل أبيه الكاظم عليه السلام، فقد روى ذلك من أهل العلم والدين داود ابن كثير الرقّي، قال: قلتُ لأبي إبراهيم موسى الكاظم عليه السلام: جُعلتُ فداك، إنّي قد كبرت سنّي، فخُذ بيدي وأنقذني من النّار، مَن صاحبُنا بعدك؟ قال: فأشار إلى ابنه أبي الحسن الرّضا، فقال: هذا صاحبكم من بعدي[1]، وغير ذلك من الروايات.

المطلب الثالث: الانفراج النسبي للظروف في عهد هارون

كان هارون يتخوّف من تسرّب خبر اغتياله الإمامَ الكاظم عليه السلام؛ إذْ سمّه في سنة (١٨٣هـ) كما تقدّم في البحث الماضي؛ وذلك لمكانة الإمام عليه السلام في المجتمع الإسلاميّ، ووجود قاعدة شعبيّة واسعة موالية له ولاءً عقائديّاً وعاطفيّاً؛ لسموّ شخصيّته، ولانحداره من السّلالة النبويّة الطاهرة.

وبقيت الهواجس تنتاب هارون، وكان يتوقّع انفجار الأوضاع بحركة شعبيّة واسعة تهدّد سلطانه؛ لذا، لم يتّخذ أُسلوباً متشدّداً مع الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، بل خفّف من محاصرته ومضايقته؛ ليمتصّ النقمة الشعبيّة، ويخففّ ردود الأفعال السّلبية الناشئة من اضطهاد أهل البيت عليهم السلام.

المطلب الرابع: المراقبة الدقيقة لتحرّك الإمام عليه السلام

في المُدّة الواقعة بين سنة (١٨٣هـ) وسنة (١٨٧هـ)، لم يُعلن الإمام عليه السلام عن

---

(١) يُنظر: الإرشاد للشّيخ المفيد: ٢٤٨/٢ و٣٤٢، والكافي:١/ ٢٤٩،ح٣.

تصدّيه للإمامة، ولم يَظهَر له أيّ تحرّك علنيّ في المدينة، من خطب أو لقاءات عامّة، ولم يسجَّل عليه أيّ حضور في المحافل العامّة.

وقد أدرك هارون – من خلال أخبار عيونه وجواسيسه- أنّه كان بعيداً عن الأحداث، حتى أنّه كتب إليه صاحب الخبر أنّه ﴿عليه السلام﴾ دخل السّوق فاشترى كلباً وكبشاً وديكاً، فلمّا وصل إليه الخبر، قال: قد أمنّا جانبه[١].

المطلب الخامس: تصدّع الجبهة الداخلية للخلافة العباسية

وفي هذا العهد بدأت الجبهة الداخليّة للخلافة العبّاسيّة بالتصدّع؛ وذلك بسبب قيام المعارضين بحركات مسلّحة للإطاحة بالحكومة القائمة أو الاستقلال عنها. ومن جملة تلك الأحداث التي أدّت إلى ذلك التصدّع، ما يأتي:

أولا: خروج حمزة الشاري

ففي سنة (١٨٤هـ) خرج حمزة الشّاري على حكم هارون، واستمرّ خروجه المسلّح حتى سنة (١٨٥هـ)، ولم ينته إلاّ بمقتل عشرة آلاف من أنصاره والخارجين معه، ومقتل عدد كبير من جنود جيش هارون وقوّاده.

ثانيا: قتل أهل طبرستان والي هارون

وفي السّنة نفسها قتل أهل طبرستان والي هارون عليها، وخرج أبو الخصيب للمرّة الثانية، وسيطر على عدّة مدن: مثل: أبيورد، وطوس، ونيشابور، وزحف إلى مرو وسرخس، وقوي أمره، ولم تنته حركته إلاّ بمقتل الآلاف من الطرفين بعد قتال استمرّ أكثر من سنة.

وكانت هنالك تمرّدات وحركات عسكريّة أُخرى قد أُخمدت في مهدها.

ثالثا: قتل البرامكة

وأهمّ الأحداث التي كان لها دور ملحوظ في خلخلة الجبهة الداخليّة، هو قيام

---

(١) يُنظر: عيون أخبار الرّضا ﴿عليه السلام﴾: ٢٠٥/٢.

هارون بقتل البرامكة أواخر سنة (١٨٧هـ)، الذين كانوا من أركان الحكومة ومشيّدي صرحها، وكانت لهم تجربة واسعة في ملاحقة الخصوم والمعارضين والقضاء على تحرّكاتهم، كما كانت لهم علاقات واسعة مع قادة الجيش والولاة.

وبقتل البرامكة واعتقال بعضهم، خفّت حدّة الوشايات والتحريض على قتل الإمام الرّضا عليه السلام، بعد أنْ كانوا قد حرّضوا هارون على قتله عليه السلام من قبل. الظروف التي مهّدت الطريق للإمام عليه السلام كي يقوم بدوره العلنيّ في إمامة المسلمين.

المطلب السادس: إعلان التصدّي للإمامة بعد أربع سنين

أدرك الإمام موسى الكاظم عليه السلام نوع الظروف الموضوعيّة الحادثة بعد استشهاده من حيث طبيعة الحكم والحاكم وأجهزته الحكوميّة، وأساليبها في مواجهة الخصوم والمعارضين، وخصوصاً أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم؛ لذا، ركزّ في وصيّته للمقربين له أنْ يكون إعلان تصدّي الرّضا عليه السلام للإمامة بعد أربع سنين[1] من استشهاده، أي: في سنة (١٨٧هـ).

والتزم الإمام الرّضا عليه السلام بهذه الوصيّة، وكان يتابع الظروف والأحداث بدقّة، إلى أنْ جاء الظرف المناسب بعد مضي أربع سنين من استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام، وخصوصاً بعد القضاء على البرامكة، فأعلن عن تصدّيه للقيادة باتخاذه مواقف لا يتخذّها إلاّ مَن يتصدّى للإمامة.

وكان الإمام عليه السلام يُدرك طبيعة السّياسة القائمة، ويضع جميع الاحتمالات التي سيقوم بها هارون تجاه إعلان تصدّيه للإمامة، والتي منها عدم مقدرته على تصفية الإمام عليه السلام جسديّاً، وقد نصحه المقربّون له بعدم التصدّي للقيادة خوفاً من الاعتقال أو الاغتيال، فأجابهم قائلاً: «ليجهدنّ جهده، فلا سبيل له عليّ»[2].

---

(١) يُنظر: عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١/ ٢٦.

(٢) الفصول المهمّة: ٢٤٥.

وأجابهم في موقف آخر: إنْ خُدشتُ خدشاً من قبل هارون، فأنا كذّاب[١].

المطلب السابع: مظاهر الانحراف في عصر الإمام الرضا (عليه السلام)

انتشرت الأفكار و التيّارات المنحرفة في عهد العبّاسيّين، وكثر أتباعها وأنصارها، وانشغل النّاس بالجدل والمراء لِذلك.

أولا: الديانات والأفكار والدعوات المحرّفة

فعلى مستوى الدّيانات المحرّفة، كان لليهود والنصارى والمجوس والصّابئين مطلق الحرّيّة في الترويج لعقائدهم وأفكارهم، وكذا الحال بالنسبة للبراهمة والدهريّة وجميع أصناف الزنادقة، كما تعدّدت المذاهب الإسلاميّة بتعدّد أربابها.

وانتشرت الأفكار الفلسفيّة المحضة، ولا سيّما الفلسفات المثاليّة، وكثر الجدل في الجبر والتفويض والإرجاء، والتجسيم والتشبيه.

وانتشرت الدّعوات المنحرفة، كادّعاء النبوّة، ولولا تشجيع الحكومة ومنح الحرّيّة التامّة لأرباب الدّيانات والأفكار الهدّامة، لما انتشرت في أوساط المسلمين.

ومن أجل خلق الاضطراب في صفوف أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، أطلق الحكّام العنان لتيّارات الغلو والوقف، ولم يبادروا إلى تطويقها في بداية نشوئها، رغبة منهم في إطفاء نور أهل البيت (عليهم السلام)، وتفتيت كيان أتباعهم إلى كيانات متعدّدة.

ثانيا: التشجيع على ترويج الروايات الكاذبة

كما كان هارون يشجّع على ترويج الروايات والأحاديث الكاذبة المنسوبة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وخصوصاً روايات الخرافة وأحاديثها، ويعاقب كلّ مَن يُعارض الترويج لها.

ثالثا: إضفاء القدسية على نظام الحكم

كان هارون يشجّع الآراء التي تلبس حكمه لباساً مقدّساً، فقد أنشده أحد

---

(١) يُنظر: إثبات الوصيّة: ١٧٤.

الشّعراء أربعة أبيات لقبّه فيها بأمين الله، فأمر له بكلّ بيت ألف دينار، وقال: لو زدتنا، لزدناك[١].

وفي مقابل ذلك، قام هارون بمحاصرة الفقهاء التابعين لأهل البيت عليهم السلام؛ للحيلولة دون كشف القناع المزيّف الذي أضفى القدسيّة على الحكم الظالم.

رابعا: ترجمة الكتب الأجنبية إلى العربية

قام العبّاسيّون – وخصوصاً المأمون– بترجمة كتب الفلسفة من اليونانيّة إلى العربيّة[٢]، فأدّى ذلك إلى انتشار التفلسف والتشكيك والبلبلة في عقائد المسلمين، وانشغل المسلمون بها وبالتنازع فيها.

وانتشرت في تلك المُدّة مفاهيم خاطئة عن الزهد؛ لإبعاد المسلمين عن الواقع وما يجري فيه، من مواقف الحكّام وممارساتهم التي تستدعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامسا: الإفتاء بالرأي وتبرير الانحراف

كما انتشر الإفتاء بالرأي، وتفسير القرآن بالرأي، وراج القياس المذموم القائم على الظنون والأهواء، وأصبحت الفتاوى تابعة لأهواء الحكّام ورغباتهم، حتى قام أحد الفقهاء المعروفين بتحليل وطء هارون لجارية كان قد وطأها أبوه من قبل، وقال له: يا أمير المؤمنين، أوكلّما ادّعتْ أَمَة شيئاً ينبغي أنْ تصدّق؟ لا تصدّقها، فإنّها ليست بمأمونة، وحلّل له وطء جارية قبل الاستبراء، وقال له: «تهبها لبعض ولدك، ثمّ تتزوّجها»[٣].

---

(١) يُنظر: مروج الذهب: ٣٦٥/٣.

(٢) يُنظر: مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ٢٠٩/١.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٣٣.

خلاصة البحث

احتاط الإمام الرّضا عليه السلام في إعلان تصدّيه للإمامة والزعامة بعد استشهاد أبيه عليه السلام. ولكنّه باشر مهامّه بالتدريج.

وكان لتصفية البرامكة دور في إعلان الإمام عليه السلام عن تصدّيه للإمامة ومباشرته لوظائفه في التوجيه والإصلاح العامّ والخاصّ، فكان من جملة النشاطات الملفتة للنظر في هذه المرحلة إثبات إمامته من خلال إخباراته عن مستقبل الأوضاع، ولا سيّما في ما يخصّ عدم تصفيته واغتياله بيد هارون بالرّغم من الرقابة والتهديد.

من مظاهر الانحراف الفكريّ في عصر الإمام الرّضا عليه السلام: رواج الأحاديث والمرويّات الكاذبة، وفسح المجال لأهل الكتاب للتحرّك ونشر تعاليمهم، والإفتاء بالرأي وتبرير الانحراف، وإضفاء القدسيّة على نظام الحكم.

اختبارات البحث

١. ما هو الحدث المهمّ الذي أدّى إلى تصدّع الجبهة الداخليّة للحكم العبّاسيّ في عصر الإمام الرّضا عليه السلام؟

٢. في أيّ سنة أعلن الإمام الرّضا عليه السلام تصديّه للإمامة والقيادة؟ ولماذا التأخير الذي وقع في هذا المجال؟

٣. ما هي العوامل التي أدّت إلى انتشار الأفكار والتيّارات المنحرفة في عهد الإمام الرّضا عليه السلام؟

٤. لماذا شجّع هارون على ترويج الروايات الكاذبة والخرافيّة؟

٥. ما المقصود بالإفتاء بالرأي؟ وما هي العوامل المشجّعة على ذلك؟

البحث رقم (٣٤)

مظاهر الانحراف السياسي في عهد الإمام الرضا عليه السلام

أهداف البحث

١. التعريف بإرهاب هارون وطغيانه.
٢. توضيح الاستبداد الذي اتّصف به هارون.
٣. بيان الأَخطار الخارجيّة التي كانت تهدّد الدّولة الاسلاميّة زمان هارون.
٤. وصف الخلل الذي هدّد الجبهة الداخليّة زمان هارون.
٥. توضيح الأَوضاع السّياسيّة في عهد الأمين (محمّد بن هارون).

مقدمة البحث

تعرّضنا في البحث السّابق إلى بعض الخطوط العامّة من تاريخ الإمام الرّضا عليه السلام، فتناولنا بالكلام بعض مظاهر الانحراف الفكريّ والعقائديّ في المُدّة التي عاشها عليه السّلام مع هارون، ونواصل الكلام في تاريخ هذا الإمام فنتكلّم في مظاهر الانحراف السّياسيّ في هذا العهد، وعهد الأمين العبّاسيّ أيضاً.

المطلب الأول: الأَوضاع السياسية في عهد هارون

عاصر الإمام عليه السلام حكومة هارون عشر سنين (١٨٣هـ إلى ١٩٣هـ)، وكانت سياسة هارون لا تختلف عن سياسة مَن سبقه من الحكّام، ولا عن سياسته السّابقة في عهد الإمام الكاظم عليه السلام، فهي سياسة واحدة تجاه الأئمّة عليهم السلام وتجاه الأمّة؛ لأنّ هارون ومَن سبقه لم يصلوا إلى منصب الخلافة ورئاسة الدّولة الإسلاميّة عن طريق شرعيّ، فكانوا يشعرون بأنّ الأمّة لا تؤمن بمشروعيّة خلافتهم ورئاستهم، وعلى هذا، فمن الطبيعيّ أنْ يتّسم عهد هارون بما يأتي:

أولا: الإرهاب

إستخدم هارون أُسلوبي الإرهاب والإغراء لِتثبيت حكمه، فلم يسمح لأيّ معارضة وإنْ كانت سلميّة، ولم يستمع لأيّ نصح، أو أمر بمعروف، أو نهي عن

منكر، فكان الإرهاب أحد السّمات المميِّزة لسياسته.

ففي إحدى خطبه قام إليه رجل، فقال: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾[(١)]، فأمر بضربه مائة سوط[(٢)].

وفي سنة (١٨٨هـ) ضرب هارون أحد المقرّبين إلى أحمد بن عيسى العلويّ، ولم يتوقّف عن ضربه إلى أنْ مات، على الرّغم من تجاوزه التسعينَ من عمره، ولم يكن له أيّ ذنب سوى أنّه لم يخبره بمكان العلويّ[(٣)].

وطارد هارون يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثمّ آمنه، ولم يفِ له بالأمان، فقد سجنه بعد وصوله إليه، وبقي مسجوناً إلى أنْ مات، وقيل: إنّ الموكّل به منعه من الطعام أيّاماً فمات جوعاً[(٤)].

وبأمرٍ منه قَتَل حميدُ بن قحطبة الطائيّ ستّين علويّاً، ورماهم في بئر، فكان البئر مقبرة جماعيّة لهم[(٥)].

ثانيا: الاستبداد

أصبح الحكم في عهد هارون ومَن سبقه مُلكاً، يرثه الابناء عن الآباء دون أنْ يكون للأُمّة أيّ اختيار، ولم يشذّ هارون عن هذه القاعدة السّياسيّة، فقد استبدّ بالحكم وجعله لابنائه الثلاثة من بعده، فاختار محمّداً ابن زبيدة وقدّمه على إخوانه في ولاية العهد، إرضاءً لها، على الرّغم من إيمانه بعدم أهليّته لهذا المنصب؛ إذْ اعترف بذلك، قائلاً: وقد قدّمت محمّداً... وإنّي لأعلم أنّه منقاد إلى هواه، مبذّر لما حوته يداه، يشارك في رأيه الإماء والنساء، ولولا أمّ جعفر - يعني زبيدة - وميل

---

(١) الصّف: ٣.

(٢) يُنظر: العقد الفريد: ٥١/١.

(٣) يُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: ٤٢٣/٢.

(٤) يُنظر: المصدر السّابق: ٤٠٨/٢.

(٥) يُنظر: عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٠٩/١.

بني هاشم إليه، لقدّمت عبد الله عليه[1].

ومن مظاهر الاستبداد – أيضاً–: إسناد المناصب الحكوميّة والإداريّة والعسكريّة إلى أقربائه وخواصّه والمتملّقين إليه، دون النظر إلى مؤهّلاتهم الدينيّة والخلقيّة وكفاءاتهم في الإدارة والإشراف.

ثالثا: الأخطار الخارجية

كانت الدّولة والأمّة الإسلاميّة محاطة بمخاطر قوى خارجيّة تتربّص الدّوائر بالإسلام والمسلمين، ففي بداية عهد الإمام الرّضا عليه السلام، أوقع الخزر بالمسلمين وقعة شديدة الوطأة، قُتل فيها آلاف المسلمين، وأُسر فيها أكثر من مائة ألف من الرّجال والنساء، وكما قال المؤرّخون: جرى على الإسلام أمر عظيم لم يُسمع قبله بمثله أبداً[2].

كما كان الرّوم يتحيّنون الفرص للوثوب على المسلمين، وكانوا ينقضون الصّلح بين فترة وأُخرى، ولايرجعون إليه إلّا بمعارك طاحنة.

رابعا: خلل الجبهة الداخلية

أدّت السّياسة الخاطئة لهارون إلى ظهور خلل واضطراب في الجبهة الداخليّة، ففي سنة (١٨٤هـ) خرج أبو عمرو حمزة الشاري، واستمرّ إلى سنة (١٨٥هـ)، وخرج أبو الخصيب في السّنة نفسها، وسيطر على عدّة أمصار، ولم تنته هاتان الحركتان إلاّ بمقتل عشرات الألوف من الطرفين.

وتوسّع الخلل في الجبهة الداخليّة سنة (١٨٧هـ)، حينما أقدم هارون على مقتل البرامكة الذين يمثّلون أعمدة الحكم وأركانه.

وفي السّنة نفسها قُتل إبراهيم بن عثمان بن نهيك لطلبه بثأر البرامكة.

---

(١) يُنظر: تاريخ الخميس: ٣٣٤/٢.

(٢) يُنظر: تاريخ الإسلام، للذهبيّ: ١٢/ ١١ـ ١٢.

وسجن هارون عبد الملك بن صالح بن علي العبّاسيّ، لسعي ابنه به، وادّعائه أنّه يطلب الخلافة.

وفي سنة (١٨٩هـ) توجّه هارون إلى الرّي بعد ما وصلته الأَخبار بتمرّد والي خراسان عليه، وعاد بعد أربعة أشهر إلى بغداد دون أنْ يعزله.

وكان كثير العزل والإقصاء لقادة الأَجهزة الحسّاسة في الحكومة، فمنصب قائد الشّرطة قد تناوب عليه ثمانية أشخاص، يُعزل أحدهم ويستبدل بآخر[١].

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية في عهد الأمين (محمد بن هارون)

في بداية حكومة الأمين بدأ الخلاف بينه وبين أخيه المأمون (عبد الله)، وانقسمتْ الحكومة إلى قسمين، ولكلّ منهما أنصار وأتباع وأموال وسلاح.

وفي سنة (١٩٤هـ) تمرّد أهل حمص، فقام قائد جيش محمّد بن هارون بقتل الوجوه البارزة، وسجْن الأهالي، وإضرام النار في نواحي تلك البلاد، ولم ينته التمرّد إلاّ بمزيد من القتل والخراب الاقتصاديّ.

وفي السّنة نفسها أمر بالدّعاء على المنابر لابنه موسى بولاية العهد من بعده، وأمر أخاه عبد الله المأمون بالدّعاء له، ولكنّه رفض ذلك.

وفي سنة (١٩٥هـ) أرسل جيشاً إلى خراسان لقتال أخيه، فرجع الجيش مهزوماً، واستمرّ بإرسال الجيوش قرابة عامين، فلم تسيطر على خراسان، بل لاحقتها جيوش المأمون إلى أنْ حاصرت بغداد حصاراً شديداً دام سنة كاملة.

وفي سنة (١٩٨هـ) سيطرت جيوش المأمون على بغداد بعد قتال دامٍ ذهب ضحيّته عشرات الآلاف من الطرفين، قُتل فيه محمّد الأمين ومَن بقي من أصحابه.

---

(١) يُنظر: تاريخ بغداد: ١٢/١٤.

خلاصة البحث

عاصر الإمام الرّضا (عليه السلام) عشر سنوات من حكم هارون العبّاسيّ الذي كانت سياسته تتّصف بالتعسّف والاضطهاد للمناوئين له باستخدام السّبل كافّة للقضاء عليهم كما هو حال البرامكة. واتّسم عهده – أيضاً – بالإرهاب والاستبداد والأَخطار الخارجيّة والداخليّة التي عانت منها البلاد الإسلاميّة.

تقلّد الأمين مقاليد الأمور بعد أبيه هارون، وفي بداية حكومته بدأ الخلاف بينه وبين أخيه المأمون حتى تقاتلا، إلى أنْ سيطر المأمون على بغداد بعد قتالٍ دامٍ ذهب ضحيّته الآلاف من القتلى.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن ظاهرة الإرهاب والعنف التي استعملها هارون في عهده ضدّ أعدائه.

٢. بيِّن مظاهر الاستبداد التي كان هارون يعيشها في عهده.

٣. تكلّم – باختصار – عن الأَخطار الخارجيّة التي كانت الدّولة والأمّة الإسلاميّة محاطة بها في عهد هارون.

٤. صف الخلل الذي هدّد الجبهة الداخليّة زمان هارون.

٥. بيِّن كيف أدّت السّياسة الخاطئة لهارون إلى ظهور الاضطراب في الجبهة الداخليّة.

البحث رقم (٣٥)

نشاطات الإمام الرضا عليه السلام لمواجهة التدهور الاقتصادي والأخلاقي

أهداف البحث

١. التعريف بالتدهور الاقتصاديّ في عهد الإمام الرّضا عليه السلام.
٢. وصف مظاهر الانحراف الأخلاقيّ في عهد الإمام الرّضا عليه السلام.
٣. إستيعاب خطر الانحراف الاقتصاديّ والأخلاقيّ على الأمّة.
٤. وصف دور الإمام الرّضا عليه السلام في محاربة مظاهر التدهور الاقتصاديّ.
٥. توضيح دور الإمام الرّضا عليه السلام في محاربة مظاهر التدهور الأخلاقيّ.

مقدمة البحث

تعرّضنا في البحثين السّابقين إلى بعض الخطوط العامّة من تاريخ الإمام الرّضا عليه السلام، فتناولنا بالكلام بعض مظاهر الانحراف الفكريّ والعقائديّ في المُدّة التي عاشها عليه السّلام مع هارون، وواصلنا الكلام في تاريخ هذا الإمام في البحث السّابق فتكلّمنا في مظاهر الانحراف السّياسيّ في هذا العهد وعهد الأمين العبّاسيّ أيضاً، ووصلت النّوبة الآن إلى التعرّض إلى مظاهر التدهور الاقتصاديّ والأخلاقيّ في عهد الإمام الرّضا عليه السلام، ودوره عليه السلام خلال هذه المُدّة أيضاً.

المطلب الأول: التدهور الاقتصاديّ في عهد الإمام الرضا عليه السلام

شهد عصر الحكّام العبّاسيّينَ تدهوراً اقتصاديّاً شديداً، ومن مظاهر هذا التدهور ما يأتي:

أولاً: تلاعب الحكّام بأموال المسلمين

خالف الحكّام العبّاسيّون أسس وقواعد النظام الاقتصاديّ الإسلاميّ، التي تنصّ على أنّ الأموال إنّما هي وديعة عند الحاكم وليست ملكاً خاصّاً له، ومن واجباته الإنفاق على ضوء القيود الشرعيّة، فكان الحكّام يتصرّفون بالأموال حسب أهوائهم، وإشباعاً لرغباتهم وشهواتهم، وكانوا ينفقونها لشراء الذّمم من أجل تثبيت سلطانهم،

وكان البذخ والترف السّمة المرافقة لهم ولأنصارهم والمتملّقين لهم، وتمتّع المغنّونَ والجواري بقسط وافر من بيت المال؛ لدورهم الكبير في إدخال السّرور على قلب الخليفة والحاكم المتسلّط على رقاب المسلمين.

ومن الأمثلة على ذلك: جيء إلى هارون بخراج عظيم وأموال طائلة من الموصل، فأمر بصرفها إلى بعض جواريه، فاستعظم النّاس ذلك وتحدّثوا به، فقال أبو العتاهية: أيدفع هذا المال الجليل إلى امرأة، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه؟! ثمّ دخل على هارون، فأنشده ثلاثة أبيات، فأعطاه عشرينَ ألف درهم، وزاده الفضل ابن الربيع خمسة آلاف[(١)].

وأسمعه إبراهيم بن المهديّ أُغنيةً، فأمر له بألف ألف درهم[(٢)].

واشترى جارية بسبعينَ ألف درهم، واشترى لها جوهراً باثني عشر ألف دينار، ثمّ حلف ألّا تسأله يومه ذلك شيئاً إلّا أعطاها[(٣)].

وسار أولاده على نهجه في البذخ والترف والتلاعب بأموال المسلمين، فقد بنى محمّد الأمين قبّة اتّخذ لها فراشاً مبطناً بأنواع الحرير والدّيباج المنسوج بالذهب الأحمر وبالإبريسم[(٤)].

وصِيدت له سمكة صغيرة، فقرّطها حلقتين من ذهب فيهما حبّتا درّ، وقيل: ياقوت[(٥)].

وكان ينفق الأموال على لهوه وعلى جلسائه وعلى الخصيان المحيطين به[(٦)].

---

(١) يُنظر: الأغاني: ٦٧/٤.

(٢) يُنظر: الأغاني: ٩٩/١٠.

(٣) يُنظر: المصدر: ٣٤٢/١٦، ٣٤٣.

(٤) يُنظر: مروج الذهب: ٣٩٢/٣.

(٥) يُنظر: المصدر السّابق: ٣٩٤/٣.

(٦) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٢٩٤/٦.

وأنفق عبد الله المأمون أموالاً طائلة في زواجه، وأمر بإعطاء خراج فارس والأهواز إلى والد زوجته، يُجبى إليه لمدّة سنة[١].

ثانياً: تدهور المستوى المعيشي للمواطنين

نتيجة للتلاعب بأموال المسلمين من قبل الحكّام العبّاسيّين، وفقدان العدالة الاجتماعيّة في الإنفاق والتوزيع، وفقدان التواصي بالتكافل والتّراحم من قبل الحكّام وولاتهم وأجهزة الدّولة، وإثقال كاهل المواطنين بالضّرائب الإضافيّة، عاشت قطّاعات واسعة من المسلمين حياة الفقر والحرمان، وخصوصاً مَن ليس لهم علاقة بالحاكم ولا بأجهزة دولته، والحوار الذي دار بين رجلين من قريش وبين هارون يوضّح لنا مظهراً من مظاهر الفقر والحرمان، فقد خاطباه بالقول: أنهكتنا النوائب، وأجحفت بأموالنا المصائب[٢].

المطلب الثاني: مظاهر الانحراف الأخلاقي

إنّ الانحراف الأَخلاقيّ في عهد الحكّام العبّاسيّين يُعدّ نتيجة طبيعيّة من نتائج الابتعاد عن المنهج الإسلاميّ، وعدم تحكيمه في العقول والنفوس، وقد أسهمتْ أجواء الترف والرفاهية إسهاماً فعّالاً في انتشار الانحراف الأَخلاقيّ عند الحاكم ومؤسّساته، وعند الأمّة تبعاً لذلك. ومن مظاهر هذا الانحراف:

أولاً: اللّهو واللّعب

إنّ التصدّي للحكم مسؤوليّة عظيمة، وعلى الحاكم أنْ يقضي وقته للقيام بأداء دوره على أحسن وجه، بحيث لا يبقى له فراغ ينشغل فيه باللّهو واللّعب، ولكنّ الحكّام العبّاسيّين لم يكترثوا بهذا المفهوم الإسلاميّ، فكان هارون أوّل حاكم لعب

---

(١) يُنظر: مروج الذهب: ٤٤٣/٣.

(٢) يُنظر: الأغاني: ٢٦١/١٦.

بالصوالجة والكرة ورمي النشاب، وبالشطرنج[١].

وكان يُجري سباق الخيل، فجاء في أحد الأيّام فرسه سابقاً، فأمر الشعراء أنْ يقولوا فيه شعراً، وأجزل لهم في العطاء حينما أنشدوا شعراً في هذه المناسبة[٢].

وكان من حبّه للضّحك والفكاهة أنْ اختصّ بابن أبي مريم المدني، وكان لايصبر عن فراقه، ولايملّ من محادثته، وبلغ من اختصاصه به أنْ جعل له منزلاً في قصره، وخلطه بحريمه وبطانته ومواليه وغلمانه[٣].

ولمّا وصل ابنه محمّد الأمين إلى قمّة السّلطة، طلب الخصيان وأتباعهم، وغالى في أثمانهم، فصيّرهم لخلوته في ليله ونهاره، وفرض لهم فرضاً من بيت المال، وأمر ببناء مجالس لمتنزّهاته، ومواضع خلواته ولهوه ولعبه، وأنفق في بنائها أموالاً عظيمة.

وتابع المأمون أباه وأخاه في اللّهو واللّعب، ومن الطبيعيّ أنْ تستشري هذه الظاهرة المنحرفة في الأوساط المقربّة للبلاط الحاكم؛ لأنّ فساد المؤسّسات بفساد الحاكم المنحرف.

ثانيا: الولع بالغناء وبالجواري

على الرّغم من تعرّض الدّولة والأمّة إلى مخاطر ومؤامرات من قبل أعداء الإسلام، إلاّ أنّ الحكّام العبّاسيّين لم يكترثوا بذلك، ولم يكن من همّهم تحصين الإسلام من المخاطر المحدقة به، مادام المسلمون مشغولين بالغزوات والفتوحات، لا يتابعون ممارساتهم الانحرافيّة في الولع بالغناء وبالجواري والغلمان.

فكان هارون من المولعين بالغناء حتى جعل للمغنّين مراتب وطبقات[٤].

---

(١) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

(٢) يُنظر: الأغاني: ٤٣/٤.

(٣) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٤٩/٨، والكامل في التاريخ: ٢٩٣/٦، ٢٩٤.

(٤) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

وكان الأمين يأمر بفرش ساحة مفتوحة بأفخر الفراش، وتهيئة آنية من الذهب والفضّة والجواهر، ثمّ يأمر قيّمة جواريه بأن تهيّيء له مائة جارية، يصعدنَ إليه عشراً عشراً بأيديهنّ العيدان، يغنيّنَ بصوت واحد[1].

وقال إسحاق بن إبراهيم بن ميمون: وكان المأمون كثير الشّغف بالنساء، وأشدّ النّاس ميلاً إليهنَّ، واستهتاراً بهنَّ[2]، وكانت الجواري يغنّينَ عنده إلى السَّحَرَ[3].

ثالثاً: شرب الخمر

شرب الخمر من المحرّمات الثابتة في الشّريعة الإسلاميّة، فإذا استطاع الحكّام العبّاسيّون الحصول على فقهاء يبرّرون لهم سماع الغناء والولع بالجواري، فإنّهم لايستطيعون تبرير شرب الخمر من قبلهم، ولكنّهم خالفوا هذه الحرمة الثابتة في ممارساتهم العمليّة، فكان هارون مدمناً على شرب الخمر، وكان يتولّى بنفسه سقاية ندمائه[4].

وكان المأمون يشرب مع ندمائه، فيأخذ الشراب منهم مأخذاً [5]، وأُخرج من عدّة طرق أنّ المأمون كان يشرب النبيذ[6].

رابعاً: الممارسات المنحرفة في مجالس الحكّام

الانحراف الأَخلاقيّ ليس غريباً عند مَن يتوليّ الحكم دون سابقة علم وتقوى، ودون مؤهّلات فكريّة وخلقيّة، ومَن يتحدّى حدود الله تعالى الثابتة، فإنّه سيرتكب ما دونها، وليس غريباً أنْ تكثر الممارسات المنحرفة في مجالس الحكّام، فقد كان

---

(١) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٢٩٥/٦.

(٢) يُنظر: العقد الفريد: ١٥٦/٨.

(٣) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٢٦٠.

(٤) يُنظر: حياة الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، باقر شريف القرشيّ: ٢٢٤/٢.

(٥) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٤٣٧/٦.

(٦) يُنظر: تاريخ الخلفاء:٢٦٠.

هارون يستمع إلى ألفاظ الفحش، بل يضحك تشجيعاً لقائلها، وفي مجلسه كانت تمارَس أُمور مصحوبة بالألفاظ البذيئة وهو يضحك، ولم يكتفِ بذلك، وإنّما كان يهب لمرتكبيها مالاً، كما وهب لابن أبي مريم مائة ألف درهم[(١)].

أمّا ابنه الأمين، فهو – كما يصفه ابن الأثير –: لم نجد في سيرته ما يُستحسن ذكره، من حلم أو معدلة أو تجربة، حتّى نذكرها[(٢)].

وفي مجالس المأمون كان يكثر الغزل المباشر، ففي ليلة من اللّيالي، كان محمّد ابن حامد واقفاً على رأس المأمون وهو يشرب، فاندفعتْ جاريته (عريب)، فغنّت، فأنكر أنْ لا تكون ابتدأت بشيء، فأجابه ابن حامد: أنا يا سيّدي أومأت إليها بقُبلة[(٣)].

خامساً: الممارسات المنحرفة لأتباع الحكّام

كان أحد قضاة الأمين ثمّ المأمون مشهوراً بممارسة الشّذوذ الجنسيّ، فاشتكى النّاس عند المأمون، فأجابهم: لو طعنوا عليه في أحكامه قُبل ذلك منهم.

وبعد ازدياد الشّكاوى من النّاس عليه، عزله، ثمّ جعله نديماً له، ورخّص له في أُمور كثيرة[(٤)].

المطلب الثالث: دور الإمام الرضا عليه السلام خلال هذه المدُة

قام الإمام الرّضا عليه السلام بأعمال كثيرة للحدّ من أثر المظاهر السّلبيّة التي اجتاحت الأمّة الإسلاميّة، مستعيناً بأنصاره المخلصين الواعين، ونذكر من تلك النشاطات ما يلي من أمور مهمّة:

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٣٤٩/٨، ٣٥٠.

(٢) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٢٩٥/٦.

(٣) يُنظر: تاريخ الخفاء: ٢٦٠.

(٤) يُنظر: مروج الذهب: ٤٣٥/٣.

أولاً: نشر القواعد الأساسيّة للفكر السّياسيّ، وكان ضمن عدّة محاور:

١- تقديم المفاهيم السّياسيّة السّليمة، وإنّ كلّ أُمّة لا بدّ من أنْ يكون لها إمام يكون قدوتها، وهذا الإمام له علامات وخصائص، وقد حدّد ذلك الإمام الرّضا عليه السلام لكي تتمكّن الأمّة من تشخيص إمامها ومعرفته.

٢- بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الحياة، وأنّهم سفينة النجاة لمن ركبها، وأنّهم كالنّجوم أمان لأهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السّماء.

٣- تحديد هوية الشيعيّ وأنّه من أهل الورع والتقوى، والنموذج الأمثل في المجتمع.

٤- الحثّ على إقامة الشعائر الحُسينيّة بشكل ينسجم مع عمق الأهداف التي ضحّى من أجلها الإمام الحُسين عليه السلام؛ ليعمّق الولاء العاطفيّ والسّياسيّ للمنهج الثوريّ الذي انتهجه الإمام الحُسين عليه السلام.

ثانياً: التأكيد على إعطاء الخمس للإمام الحقّ؛ لأنّه حقّ للإمام عليه السلام، فرضه الله على الأمّة ليستعين به على أداء مسؤوليّته فيها.

ثالثاً: حثّ الأمّة على أداء الزكاة؛ لأنّها حقّ الفقراء والمساكين، وغيرهما من الأصناف التي ذكرتها الآية المباركة، وبدونها لا يتحقّق التوازن في الحياة الاجتماعيّة.

رابعاً: الدّعوة إلى التكافل الاجتماعيّ من خلال مساعدة المحتاجين والمعوزين، وكان الإمام عليه السلام الأوّل في هذا الميدان، فقد أنفق على الفقراء والمحتاجين بشكل ألفت نظر البعض، فقال الفضل بن سهل: إنّ هذا لمغرم، فقال عليه السلام: «بل هو المغنم، لا تعُدّنّ مغرماً ما ابتغيت به أجراً وكرماً»[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣٩٠/٤.

خامساً: محاربة المفاهيم الخاطئة في الزهد والتصوّف، اللّذين انتشرا بوصفهما ردَّ فعلٍ لما أصاب بعض طبقات الأمّة من الترف والانغماس في الشهوات، وبالأخصّ طبقة الحكّام والأمراء ومَن خالفهم.

وما كان من الإمام عليه السلام إلّا أنْ أوضح المفهوم الحقيقيّ للزهد الذي ينسجم مع المفاهيم القرآنيّة الحقّة.

سادساً: الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وقد تمّ ذلك ضمن محاور عديدة:

١- من خلال نشر أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله التي ترسم للمسلمين المنهج السّلوكيّ السّليم.

٢- من خلال ضرب الأمثال بالقصص وغيرها، ليبقى المفهوم الأخلاقيّ شاخصاً في النفوس، ومن ذلك قوله عليه السلام: « إِنَّ رَجُلاً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللَّه أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ قَرَّبَ قُرْبَاناً فَلَمْ يُقْبَلْ مِنْه، فَقَالَ لِنَفْسِه: مَا أُتِيتُ إِلَّا مِنْكِ، ومَا الذَّنْبُ إِلَّا لَكِ، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّه تَبَارَكَ وتَعَالَى إِلَيْه: ذَمُّكَ لِنَفْسِكَ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَتِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً»(١).

سابعاً: استعمال الشّعر كوسيلة للإصلاح الأخلاقيّ، وكأُسلوب للتربية، وأراد أنْ يلفت النظر إلى أنّ الشّعر لو وظّف بشكله الصّحيح، لكان من الوسائل الناجحة لذلك.

ثامناً: مواظبة الإمام عليه السلام على تكميل ما قام به الأئمّة السّابقون عليهم السلام، من بناء الجماعة الصّالحة بما يتناسب والمرحلة التي تمرّ بها الأمّة الإسلاميّة، وبالفعل، فقد تنوّعت أساليب البناء، واتّسعت الجماعة الصّالحة، حتّى شغلت مناصب حسّاسة في الدّولة، كأبي الصّلت الهرويّ مستشار المأمون العبّاسيّ.

---

(١)قرب الاسناد : ٣٩٢، الكافي: ٧٣/٢.

خلاصة البحث

شهد عصر الحكّام العبّاسيّين تدهوراً اقتصاديّاً شديداً، فتلاعب الحكّام بأموال المسلمين، وأولعوا بالغناء وبالجواري، فتدهور المستوى المعيشيّ للمواطنين، وانتشر الانحراف الأخلاقيّ وبلغ أشدّه.

تمثّل دور الإمام الرّضا عليه السلام خلال هذه المُدّة بعدّة أمور منها:

الأوّل: نشر القواعد الأساسيّة للفكر السّياسيّ، وكان ضمن عدّة محاور.

الثاني: التأكيد على إعطاء الخمس للإمام الحقّ.

الثالث: حثّ الأمّة على أداء الزكاة.

الرابع: محاربة المفاهيم الخاطئة في الزهد والتصوّف، وغير ذلك.

اختبارات البحث

١. عرِّف بالتدهور الاقتصاديّ في عهد الإمام الرّضا عليه السلام.

٢. صف مظاهر الانحراف الأخلاقيّ في عهد الإمام الرّضا عليه السلام.

٣. ما هو خطر الانحراف الاقتصاديّ والأخلاقيّ على الأمّة؟

٤. ماذا كان دور الإمام الرّضا عليه السلام في محاربة مظاهر التدهور الاقتصاديّ؟

٥. تكلّم عن دور الإمام الرّضا عليه السلام في محاربة مظاهر التدهور الأخلاقيّ.

البحث رقم (٣٦)

الإمام الرضا ﷺ والمأمون العباسي

أهداف البحث

١. بيان ملامح اضطراب الوضع العامّ في عهد المأمون.
٢. توضيح محاولات المأمون لمواجهة الأوضاع المضطربة.
٣. وصف إكراه الإمام الرّضا ﷺ على القبول بولاية العهد
٤. إدراك دوافع المأمون من تولية الإمام الرّضا ﷺ ولاية العهد.
٥. إستيعاب أسباب قبول الإمام الرّضا ﷺ بولاية العهد.

مقدمة البحث

استلم المأمون زمام الحكم سنة (١٩٨هـ) بعد حرب دامية ضدّ أَخيه الأمين استمرّت خمس سنوات، قُتل فيها الآَف القادة والجنود التابعين للجيشين، وحدث تفتّت في التحالف العبّاسيّ، وانقسم البيت العبّاسيّ إلى مؤيّد ومعارض لحكم المأمون، الوضع الذي أدّى إلى اضطراب الوضع العامّ أيضاً. وهذا ما نريد التحدّث عنه في هذا البحث، فنتعرّض إلى أهمّ ملامح عصر المأمون العبّاسيّ حتى استشهاد الإمام الرّضا ﷺ، ومن ذلك مسألة ولاية العهد.

المطلب الأول: ملامح اضطراب الوضع العام عهد المأمون

بالنسبة إلى ملامح الاضطراب الذي وقع في الوضع العامّ عهد المأمون، يمكن الإشارة إلى ما يلي في هذا المجال:

أولاً: ظهور الحركات المسلّحة

في أوّل سنة من حكم المأمون وهي سنة (١٩٨هـ)، أظهر نصر بن شيث العقيليّ الخلاف في حلب، وتغلّب على ما جاورها من البلدان، ولم يقض عليه إلّا في سنة (١٩٩هـ).

وفي السّنة نفسها حدثت فتنة الموصل بين اليمانيّة والنزاريّة، وقتل فيها نحو ستة آلاف من النزاريّة.

وفي سنة (١٩٩هـ)، انفجرت المعارك بين بني ثعلبة وبني أُسامة. كما كانت هذه السّنة فاتحة لثورة عظيمة وحركة تمرّد واسعة قادها العلويّون؛ إذْ خرج أبو السّرايا السّري بن منصور الشيبانيّ بالعراق ومعه محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنيّ، فضرب الدّراهم بالكوفة بغير سكّة العبّاسيّين، وسيّر جيوشه إلى البصرة وواسط ونواحيها، وتوزّعت الثورة على عدّة جبهات: كجببهة البصرة ومكّة واليمن و....

واستمرّت هذه الثورات أكثر من سنة إلى أنْ قضي عليها، وفي سنة (٢٠٠هـ)، خرج محمّد بن جعفر الصّادق عليه السلام، ولكنّه لم يستمرّ في خروجه، فاستسلم، وأُرسل إلى المأمون.

وكان لهذه الثورات أثر كبير في خلخلة الأوضاع الداخليّة وإرباك المواقف العسكريّة والسّياسيّة، وبالأخصّ قيام أبي السّرايا، فقد نظر في الدواوين، فوجد من قُتل مِن أصحاب السّلطان مائتي ألف رجل[١].

ثانياً: تدهور الوضع العام بعد إخماد الثورات

وفي سنة (٢٠١هـ)، أصاب بغداد بلاء عظيم، وجلا كثير من ساكنيها بسبب النهب والسّلب والغلاء وخراب الدور[٢].

وتدارك المأمون موقفه من الثوّار، فأعلن العفو عن قادة الثورات، وخصوصاً العلوييّن، وهذا العفو لم يمنعه من استخدام الإرهاب لإخماد أصوات المعارضين.

المطلب الثاني: الإمام الرضا عليه السلام وولاية العهد

أولاً: إكراه الإمام عليه السلام على القبول بولاية العهد

في سنة (٢٠٠هـ)، وبعد عامين من سيطرة المأمون على زمام السّلطة، كتب إلى الإمام الرّضا عليه السلام يدعوه للقدوم إلى خراسان، فاعتلّ الإمام عليه السلام بعلل كثيرة، واستمرّ المأمون بمكاتبته ومراسلته، حتّى علم عليه السلام أنّه لايكفّ عنه، فاستجاب له.

---

(١) يُنظر: مقاتل الطالبيّين:٥٥٠ .

(٢) يُنظر: العبر في خبر مَن غبر: ٢٦٣/١.

وأمر المأمون الشّخص الموكّل بالإمام الرّضا عليه السلام بأنْ لا يسير به عن طريق الكوفة وقم، وعند وصوله إلى مرو، عرض عليه أنْ يتقلّد الخلافة، فأبى عليه السلام، وجرت بينهما مخاطبات كثيرة دامتْ نحواً من شهرين، والإمام عليه السلام يأبى الموافقة، وحينما يئس المأمون، عرض عليه ولاية العهد، فأجابه الإمام عليه السلام بعد الإلحاح الشّديد والتلويح بالقتل، وشرط عليه شروطاً، منها: إنّي أدخل في ولاية العهد على أنْ لا آمر، ولا أنهى، ولا أقضي، ولا أُغيّر شيئاً ممّا هو قائم، وتعفيني من ذلك كلّه[1]. فقبل منه المأمون ما شرطه عليه السلام، وتمّت ولاية العهد في الخامس من رمضان سنة (٢٠١هـ).

ثانياً: دوافع المأمون من تولية الإمام عليه السلام

لم تكن دوافع المأمون من جعل الإمام عليه السلام وليّاً لعهده نابعة من ولائه لأهل البيت عليهم السلام، بل كان ميله لهم مصطنعاً؛ إذْ لا يُعقل أنْ يُضحّي بالحكم الذي قتل من أجله أخاه والآلاف من الجنود والقادة، فيسلّمه بكلّ سهولة إلى غيره.

ويمكن تحديد دوافع المأمون في هذا المجال في النقاط الآتية:

١- تهدئة الأوضاع المضطربة

اضطربت أوضاع الحكم بسبب القتال الدّامي بين الأَخوين: الأمين والمأمون، إضافة إلى قيام الثورات والحركات المسلّحة كما تقدّم قبل قليل، وازدياد عدد المعارضين لحكم المأمون.

فأراد المأمون من تقريب الإمام عليه السلام استقطاب أعوانه وأنصاره، وإيقاف حركاتهم المسلّحة، ليتفرّغ إلى بقيّة الثائرين والمتمرّدين الذين لا يُعتدّ بهم قياساً للثوّار العلويّين.

كما أراد كسب ودّ الأَغلبيّة العظمى من المسلمين؛ لارتباطهم العاطفيّ والروحيّ بالإمام عليه السلام، وخصوصاً أهل خراسان الذين أعانوه على احتلال بغداد، والشّاهد

---

(١) يُنظر: عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٤٩/٢، ١٥٠.

على ذلك استقبال الإمام عليه السلام من قبل عشرين ألف عالم وفقيه وصاحب حديث في نيسابور[1].

٢- إضفاء الشرعية على الحكم القائم

فإنّ ماقام به المأمون من تولية الإمام عليه السلام يمكن أنْ يحقّق له ما يصبو إليه من إضفاء الشرعيّة على حكمه، مستفيداً من الولاء الفكريّ والعاطفيّ للإمام عليه السلام في نفوس المسلمين، ورضاه الظاهريّ، يعني: رضاه عن الحكم الواقع ولِعدم معارضته له، وهذا ما تستنتجه الأمّة حسب مشاهدتها للظواهر.

٣- منع الإمام عليه السلام من الدعوة لنفسه

الإمام عليه السلام مسؤول عن دعوة الأمّة للارتباط بالإمام الحقّ والمنهج الحقّ، والمتعارف عليه أنّ وليَّ العهد يدعو للحاكم الفعليّ ثمّ لنفسه، ومن هنا، كان تفكير المأمون منصبّاً على منع الإمام من ذلك، وقد صرّح بهذه الحقيقة، بقوله: «قد كان هذا الرجل مستتراً عنّا، يدعو إلى نفسه دوننا، فأردنا أنْ نجعله وليّ عهدنا؛ ليكون دعاؤه إلينا»[2].

٤- إبعاد الإمام عن قواعده

إنّ وجود الإمام عليه السلام في العاصمة يعني انفصاله عن قواعدة الشعبيّة، وتحجيم الفرص المتاحة للاجتماع بوكلائه ونوّابه المنتشرين في شرق الأَرض وغربها، وكثّف المأمون من مراقبة الإمام عليه السلام، وقام بتقريب هشام بن إبراهيم الراشديّ - أحد خواصّ الإمام - وولّاه حجابة الإمام عليه السلام، فكان ينقل الأَخبار إليه، ويمنعُ من اتصال كثير من مواليه به، وكان لا يتكلّم في شيء إلّا أورده على المأمون[3].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة: ٢٥١، ونور الأبصار: ١٧٠.

(٢) فرائد السّمطين: ٢/٢١٤.

(٣) يُنظر: بحار الأنوار: ٤٩/١٣٩.

٥- تشويه سمعة الإمام

أجاب الإمام ﴿عليه السلام﴾ المأمونَ موضّحاً دوافعه، بقوله: «تريد بذلك أنْ يقول النّاس: إنّ عليّ بن موسى الرّضا لم يزهد في الدّنيا بل زهدت الدّنيا فيه، ألا ترونَ كيف قبل ولاية العهد طمعاً بالخلافة؟!»[١].

ثالثاً: أسباب قبول الإمام ﴿عليه السلام﴾ بولاية العهد

١- التهديد بالقتل

قال المأمون للإمام ﴿عليه السلام﴾: «يا ابن رسول الله، قد عرفتُ فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال الإمام ﴿عليه السلام﴾: بالعبوديّة لله عزّ وجل أفتخر، وبالزّهد في الدّنيا أرجو النجاة من شرّ الدّنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالغنائم، وبالتواضع في الدّنيا أرجو الرفعة عند الله تعالى.

فقال المأمون: إنّي قد رأيتُ أنْ أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك!

قال الإمام ﴿عليه السلام﴾: إنْ كانت هذه الخلافة لك، وجعلها اللهُ لك، فلا يجوز لك أنْ تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإنْ كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أنْ تجعل لي ما ليس لك.

فقال المأمون: يا ابن رسول الله، لا بدّ من قبول هذا الأمر، قال الإمام ﴿عليه السلام﴾: لستُ أفعل ذلك طايعاً أبداً».

فما زال يجهد به أيّاماً، فلمّا يئس من قبوله، عرض عليه ولاية العهد، ثمّ جرى بينهما كلام أوضح فيه الإمام ﴿عليه السلام﴾ دوافع المأمون من ذلك، فغضب المأمون، ثمّ قال: «إنّك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنتَ سطوتي، فبالله أقسم، لئن قبلتَ ولاية العهد، وإلّا، أجبرتك على ذلك، فإنْ فعلتَ، وإلّا، ضربتُ عنقك.

فقال الإمام ﴿عليه السلام﴾: قد نهاني الله عزّ وجلّ أنْ أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإنْ كان

---

(١) علل الشرائع: ١/ ٢٣٣.

الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك، على أنْ لا أُولّيَ أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقضنَّ رسماً ولاسنّة، وأكون في الأمر بعيداً مشيراً»، فرضى منه بذلك، وجعله وليّ عهده والإمام عليه السلام كارهٌ لذلك[١].

وفي رواية أُخرى: أنّ المأمون قال له: «إنّ عمر بن الخطّاب جعل الشّورى في ستّة، أحدهم جدّك أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وشرط في مَن خالف منهم أنْ يضرب عنقه، ولا بدّ من قبولك ما أريده منك، فإنّي لا أجد محيصاً منه»[٢].

وقد صرّح الإمام عليه السلام باضطراره للقبول، وكانَ يقول: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلمّا خيّرت بين قبول ذلك وبين القتل، اخترتُ القبول على القتل»[٣].

وقيل له: يا ابن رسول الله، ماحملك على الدّخول في ولاية العهد؟ فقال عليه السلام: «ما حمل جدّي أميرَ المؤمنين على الدّخول في الشّورى»[٤].

٢- إستثمار الظروف لإقامة الدين وإحياء السنّة

إنّ الحرّيّة النسبيّة الممنوحة للإمام عليه السلام ولأهل بيته وأنصاره، تُعدّ فرصة مناسبة لتبيان معالم الدّين وإحياء السّنّة النبويّة ونشر منهج أهل البيت عليهم السلام في مختلف الأوساط الاجتماعيّة والسّياسيّة، وخصوصاً في البلاط الحاكم، عن طريق الالتقاء بالوزراء والخواصّ والخدم والحرّاس، وغيرهم.

وقد سمحت الظروف للإمام عليه السلام لتبيان المنهج السّليم أمام الوزراء والقضاة والفقهاء وأهل الدّيانات الذين جمعهم المأمون لمناظرة الإمام عليه السلام، فضلاً عن قيامه بتوجيه المأمون إلى اتّخاذ الرأي الأصوب مهما أمكن.

---

(١) يُنظر: علل الشرائع: ١/ ٢٣٣.

(٢) الإرشاد: ٢١٠.

(٣) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٣٩/٢.

(٤) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٤١/٢.

خلاصة البحث

اتّسم عهد المأمون بالاضطراب السّياسيّ وكثرة الثورات والخروج ضدّ الدّولة.

كان المأمون يكاتب الإمام الرّضا عليه السلام ويراسله ويضغط عليه من أجل قبول الخلافة أو ولاية العهد، وكان الإمام عليه السلام يمانع، حتّى استجاب للمأمون تحت ضغط التهديد بالقتل، فقبل عليه السلام ولاية العهد بشروط.

وقد كان المأمون يهدف من تولية الإمام عليه السلام ولاية العهد أهدافاً متعدّدة، أهمّها تهدئة الأوضاع المضطربة، ومحاولة إضفاء الشرعيّة على حكمه وسلطته.

ومع كلّ ذلك، فقد عمل الإمام عليه السلام على إفشال ماخطّط له المأمون، وهو ما سيأتي بالتفصيل في البحث القادم.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن الثورات المسلّحة التي ظهرت أوّل سنة من حكم المأمون، وعن الآثار التي خلّفتها تلك الثورات.

٢. ما هي الأسباب الكامنة وراء رفض الإمام الرّضا عليه السلام قبول الخلافة؟

٣. لماذا لم يوافق الإمام الرّضا عليه السلام على قبول ولاية العهد باختياره؟

٤. لماذا لم يستسلم الإمام الرّضا عليه السلام إلى القتل رافضاً القبول بولاية العهد؟

٥. كيف يستطيع المأمون تشويه سمعة الإمام الرّضا عليه السلام عند قبوله بولاية العهد؟

البحث رقم (٣٧)

مكتسبات القبول بولاية العهد

أهداف البحث

١. التعريف بخطبة الإمام الرّضا عليه السلام في مراسم توليه العقد.

٢. وصف اعتراف المأمون بأحقّيّة أهل البيت عليهم السلام.

٣. وصف توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام عليه السلام.

٤. بيان مكتسب نشر مفاهيم وفضائل أهل البيت عليهم السلام.

٥. توضيح حادثة استشهاد الإمام الرّضا عليه السلام.

مقدمة البحث

تكلّمنا في البحث السّابق عن أهمّ ملامح عصر المأمون العبّاسيّ حتى استشهاد الإمام الرّضا عليه السلام، وكان من ضمن ذلك مسألة ولاية العهد التي أجبر المأمون عليها الإمام الرّضا عليه السلام، ونريد أنْ نواصل في هذا البحث الكلام عن هذا الموضوع، فنتعرّض إلى مكتسبات القبول بولاية العهد من قبله عليه السلام، كما سنتعرّض آخر البحث الى قضيّة استشهاده عليه السلام.

المطلب الأول: مكتسبات القبول بولاية العهد

أولاً: خطبة الإمام الرضا عليه السلام والمأمون في مراسم التولية

جمع المأمون الخطباء والشّعراء بعد انعقاد ولاية العهد، فأخذوا يعدّدون فضائل ومآثر وكرامات الإمام الرّضا عليه السلام.

وطلب المأمون من الإمام عليه السلام أنْ يخطب النّاس، فخطب موضّحاً الحقوق المتبادلة بينه وبين النّاس، قائلاً: «أيها النّاس، إنّ لنا عليكم حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله، ولكم علينا حقّ به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك، وجب لكم علينا الحكم، والسّلام»[1].

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٥٥، ٢٥٦.

ثمّ خطب المأمون، وقال: «أيها النّاس، جاءتكم بيعة عليّ بن موسى بن جعفر ابن محمّد بن عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب ﴿عليهم السلام﴾، والله، لو قرأتُ هذه الأسماء على الصّمّ البكم، لبرئوا بإذن الله عزّ وجلّ»[١].

ووضّح الإمام ﴿عليه السلام﴾ المنهج السّياسيّ للحاكم الإسلاميّ، ودوره في تطبيق أحكام الشريعة، والأسباب التي تؤدّي إلى شرعيّة الاستمرار في الحكم، جاء ذلك في وثيقة العهد التي كتبها ﴿عليه السلام﴾ بخطّه: «... جعلتُ لله على نفسي عهداً إنْ استرعاني أمر المسلمين، وقلّدني خلافة العمل فيهم...، أنْ أعمل فيهم بطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾، ولا أسفك دماً حراماً، ولا أبيح فرجاً ولا مالاً إلّا ماسفكته حدودُه، وأباحته فرائضُه، وأنْ أتخيّر الكفاة جهدي وطاقتي...، وإنْ أحدثتُ أو غيّرتُ أو بدّلتُ، كنتُ للعزل مستحقّاً، وللنكال متعرّضاً...»[٢].

ثانياً: المكتسبات المختلفة للقبول بولاية العهد

واستطاع الإمام ﴿عليه السلام﴾ بالقبول بالولاية أنْ يحقّق جملة من المكتسبات، منها:

١- اعتراف المأمون بأحقّيّة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾

كتب المأمون كتاباً للعبّاسيّين المعترضين على تولية الإمام ﴿عليه السلام﴾، جاء فيه: «...فلم يقم مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ أحد من المهاجرين كقيام عليّ بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾، فإنّه آزره، ووقاه بنفسه...، وهو صاحب الولاية في حديث غدير خم، وصاحب قوله: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي...، وكان أحبّ الخلق إلى الله تعالى وإلى رسوله، وصاحب الباب، فتح له وسدّ أبواب المسجد، وهو صاحب الراية يوم خيبر، وصاحب عمرو بن عبد ودّ في المبارزة، وأخو رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ حين آخى بين المسلمين».

---

(١) عيون أخبار الرّضا ﴿عليه السلام﴾: ١٤٧/٢.

(٢) الفصول المهمّة: ٢٥٨، ٢٥٩.

ثمّ وضحّ في الكتاب نفسه ظلم العبّاسييّن لأهل البيت ﰂ، فقال: «...ثمّ نحن وهم يد واحدة كما زعمتم، حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخفاهم، وضيّقنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قَتْلِ بني أميّة إيّاهم»(١).

وفي موضع آخر احتجّ المأمون على الفقهاء بفضائل الإمام عليّ ﰃ وأحقّيّته بالخلافة، فأيّده الفقهاء، وقالوا: «كلنّا نقول بقول أمير المؤمنين أعزّه الله»(٢).

واعترف بأحقِّيّة الإمام الرّضا ﰃ بالخلافة، وأخبر خواصّه بأنّه نظر في ولد العبّاس وولد عليّ رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحداً أفضل ولا أحقّ بالأمر من عليّ بن موسى الرّضا(٣).

واعتراف المأمون يستلزم تشجيع أتباعه وأتباع الإمام ﰃ على ذكر مناقب وفضائل أهل البيت ﰂ، وهذا ما يزيد في توسّع القاعدة الشعبيّة الموالية لأهل البيت فكراً وعاطفةً وسلوكاً.

٢- توظيف وسائل الإعلام لصالح الإمام ﰃ

وظّف المأمون وسائل الإعلام الرسميّة لصالح الإمام ﰃ، فالولاة والأُمراء وأئمّة الجمعة يدعون له مِنْ على المنابر في كلّ يوم، وكلّ جمعة، وكلّ مناسبة، إضافة إلى طبع اسمه على الدّراهم والدّنانير المعمول بها في جميع الأَمصار.

وكثرت الخطب والأَشعار المادحة للإمام ﰃ، والذاكرة لفضائله وفضائل أهل البيت ﰂ، وانتشرت في جميع الأَمصار، دون حاجة إلى بثّ الدّعاة من قبل الإمام ﰃ.

وقد أثمر هذا الإعلام في ما بعد، ففي سنة (٢١١هـ)، أمر المأمون أنْ يُنادى:

(١) بحار الأنوار: ٢١٠/٤٩، عن كتاب: نديم الفريد، لابن مسكويه.

(٢) العقد الفريد: ٣٥٨/٥، ٣٥٩.

(٣) يُنظر: مروج الذهب: ٤٤١/٣.

برئت الذمّة ممّن يذكر معاوية بخير، وأنّ أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب[١].

٣- حرّيّة الإمام عليه السلام في المناظرة

أمر المأمون الفضل بن سهل بأنْ يجمع للإمام عليه السلام أصحاب المقالات، ومنهم: الجاثليق، وهو رئيس الأساقفة، ورأس الجالوت عالم اليهود، ورؤساء الصّابئين، وعظماء الهنود من ابناء المجوس، وأصحاب زرادشت، وعلماء الروم، والمتكلّمون.

وفي جلسات المناظرة احتجَّ الإمام عليه السلام بالكتب المعتبرة عندهم، وفنَّد مناهجهم ومتبنياتهم الفكريّة والعقائديّة، فاعترف الجميع بأعلميّته، واعترفوا بصحّة أفكاره وآرائه، وأذعنوا إليها.

قال الجاثليق: القول قولك، ولا إله إلّا الله.

وأسلم عمران الصّابي، وقال: «أشهد أنّ الله تعالى على ما وصفتَ ووحّدتَ، وأشهد أنّ محمّداً عبدُهُ المبعوث بالهدى ودين الحقّ»، ثمّ خرّ ساجداً نحو القبلة.

ولمّا نظر المتكلّمون إلى كلام عمران الصّابي، ـ وكان جَدِلاًـ لم يقطعه عن حجّته أحد منهم قطّ، لم يدنُ من الإمام عليه السلام أحد منهم، ولم يسألوه عن شيء[٢].

وفي مجلس آخر، بعث المأمون على الإمام عليه السلام ليناظر متكلّم خراسان سليمان المروزيّ، فتناظرا في البداء، وصفات الله تعالى، والفرق بين صفات الذّات وصفات الفعل، وكان الإمام عليه السلام يجيب على جميع أسئلته، ويقطعه في الحجج، إلى أنْ سكتَ لا يستطيع الجواب، فقال المأمون: ياسليمان، هذا أعلم هاشميّ[٣].

وفي مجلس آخر، جمع المأمون عدداً من علماء الأديان وأهل المقالات، فلم

---

(١) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٢٤٧.

(٢) يُنظر: عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٦١/١، ١٧٧.

(٣) يُنظر: المصدر السّابق ١٧٩– ١٩١.

يتكلّم أحد إلّا وقد ألزمه الإمام عليه السلام حجّته.

وقام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم، وأثار الشّبهات حول عصمة الأنبياء استناداً إلى الآيات المتشابهة الواردة في القرآن الكريم، وكذا أثار الشّبهات حول عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأثبت له عليه السلام العصمة بالعقل والنقل، فبكى ابن الجهم، وقال: «يابن رسول الله، أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ من أنْ أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي هذا إلّا بما ذكرته»[1].

وكان هدف المأمون - كما يرى الشّيخ الصدوق- هو الحرص على انقطاع الإمام عليه السلام عن الحجّة مع واحد من هؤلاء، حسداً منه له، ولمنزلته من العلم.

واستطاع الإمام عليه السلام من خلال حرّية المناظرة أنْ يردّ على جميع الشّبهات المثارة من قبل أصحاب الأديان وأصحاب المذاهب، واستثمر الحرّية المتاحة في تفنيد آراء الغلاة والواقفة، وتثبيت الآراء السّليمة المنسجمة مع نهج أهل البيت عليهم السلام، بكلّ موضوعيّة.

٤- نشر مفاهيم وفضائل أهل البيت عليهم السلام

استثمر الإمام عليه السلام الفرصة المتاحة له لنشر مفاهيم وفضائل أهل البيت عليهم السلام ودورهم الرياديّ في الأمّة، وخصوصاً بين الوزراء وقادة الجيش والفقهاء والقضاة، ومَن يرتبط بالبلاط الحاكم بصلة. وإليك صوراً من هذا النشاط:

أ- فضائل ومقامات الإمام علي عليه السلام

نشر الإمام عليه السلام أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي تتعلّق بإمامة عليّ عليه السلام وفضائله ومقاماته السّامية، بعد أنْ طمست في عهد الأمويّين والعبّاسيّين الذين سبقوا المأمون في الحكم، ومنها:

(١) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١/١٩١- ١٩٥.

قول رسول الله ﷺ: «عليّ إمام كلّ مؤمن بعدي»(١).

وقوله ﷺ: «ياعليّ، أنتَ حجّة الله، وأنتَ باب الله، وأنتَ الطريق إلى الله، وأنتَ النبأ العظيم، وأنتَ الصّراط المستقيم، وأنتَ المثل الأعلى. ياعليّ، أنتَ إمام المسلمينَ، وأمير المؤمنينَ، وخير الوصيّينَ، وسيّد الصّدّيقينَ. ياعليّ، أنتَ الفاروق الأعظم، وأنتَ الصّديق الأكبر...، إنّ حزبك حزبي، وحزبي حزب الله، وإنّ حزب أعدائك حزب الشّيطان»(٢).

ب- فضائل ومقامات العترة الطاهرة

وفي مجلس عقده المأمون لجماعة من علماء العراق وخراسان، سأل عن معنى الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٣).

فأجابه العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمّة كلّها.

فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟

فقال الإمام عليه السلام: «لا أقول كما قالوا، ولكنّي أقول: أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة»، ثمّ ذكر اثنتي عشرة آيةً قرآنيّة تدلّ على أفضليّة العترة الطاهرة ودورها الرياديّ في إمامة المسلمين، فقال المأمون ومنْ معه: «جزاكم الله أهل بيت نبيّكم عن هذه الأمّة خيراً، فما نجد الشرح والبيان في ما اشتبه علينا إلّا عندكم»(٤).

ج- كتاب الإمام في محض الإسلام

سأل المأمون الإمام عليه السلام أنْ يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز والاختصار، فكتب إليه أُصول العقائد ومنها الإمامة، وجمعها في كتاب جاء فيه:

«وإنّ الدّليل بعده – أي: بعد رسول الله ﷺ – والحجّة على المؤمنين، والقائم

---

(١) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٢٨١/١.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٦/٢.

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٢٢٨/١– ٢٤٠.

بأمور المسلمين، والناطق عن القرآن، والعالم بأحكامه، أخوه، وخليفته، ووصيّه، ووليّه، والذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، علي بن أبي طالب عليه السلام، أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيّين، ووارث علم النبيّين والمرسلين، وبعده الحسن والحُسين سيّدا شباب أهل الجنّة».

ثمّ بيّن عليه السلام في كتابه أسماء الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام، وقال عليه السلام: «ومَن مات ولم يعرفهم، مات ميتةً جاهليّةً، وأنّ من دينهم الورع والعفّة والصّدق والصّلاح والاستقامة والاجتهاد وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر...»[1].

د- خصائص إمام المسلمين وواجباته

وضّح الإمام عليه السلام في لقاءاته وفي أجوبته ومناظراته مايتعلّق بإمام المسلمين من خصائص وشروط وواجبات وحقوق، لكي تطّلع الأمّة على المفاهيم السّليمة حول الإمام عليه السلام، وتقارن بينها وبين المتصدّي لمنصب الإمامة في خصوص الجانب التطبيقيّ، وهو الحكم.

ومن أقواله عليه السلام: «إنّ الإمامة أسّ الإسلام النّامي، وفرعه السّامي، بالإمام تمام الصّلاة والزكاة والصّيام والحجّ والجهاد، وتوفير الفيء والصّدقات، وإمضاء الحدود والأَحكام، ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحلّل حلال الله، ويحرّم حرام الله، ويُقيم حدود الله، ويذبّ عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة»[2].

وبيّن عليه السلام خصائص الإمام الذي يقوم بدور القدوة والحجّة، والإشراف على تطبيق أحكام الإسلام، ومنها: أنْ يكون الأفضل في العلم والتقوى، والكفاءة في الإدارة والسّياسة.

---

(١) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٢٢/٢.

(٢) عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ٢١٨/١، ونحوه في تحف العقول.

هـ- حقن الدّماء

من مكتسبات قبول ولاية العهد من قبل الإمام (عليه السلام) هو حقن دماء المسلمين من أتباع أهل البيت (عليهم السلام) ومن أتباع النظام الحاكم، فأعلن المأمون العفو العامّ عن قادة الثورات، ومنهم: زيد وإبراهيم أخوة الإمام (عليه السلام)، ومحمّد بن جعفر، وتوقّفت الثورات المسلّحة، وتوجّه قادتها وكوادرها إلى إصلاح الأوضاع بصورة سلميّة هادئة، وبناء قواعدهم الشعبيّة، والاستفادة من الظروف المتاحة لتطوير الحركة الرّساليّة، وتبيان الحقائق للمسلمين لكي لا يزجّهم الحاكم في ما بعد لقمع المعارضين لحكمه من أهل البيت (عليهم السلام) أو من غيرهم، وكان لتعيين أُخوة الإمام (عليه السلام) في بعض المناصب الحكوميّة دور كبير في إرشاد وتوجيه المسلمين لاتخاذ الموقف السّليم في التعامل في ما بينهم، والتعامل مع الحكومة القائمة.

وقد جاء قبول الإمام (عليه السلام) بولاية العهد في وقت كان أتباعه في أمسّ الحاجة إلى قسط من التفرّغ للعمل الرساليّ بعيداً عن حمل السّلاح الذي يكلّفهم كثيراً من الطاقات والإمكانات المادّيّة والبشريّة.

المطلب الثاني: استشهاد الإمام الرّضا (عليه السلام)

بعد تنامي القاعدة الشعبيّة للإمام (عليه السلام) حتى تأثّر به الوزراء والقوّاد والفقهاء والمقرّبون للبلاط، وبعد فشل المأمون في تحقيق ما أراد من تثبيت سلطانه بسبب تمرّد العبّاسيّين عليه، وبعد فشله في الحطّ من شأن الإمام أمام الملأ، مضافاً إلى معارضة الإمام (عليه السلام) للمأمون في جملة من مواقفه وممارساته، بعد كلّ هذا وغيره، أقدم المأمون على قتل الإمام (عليه السلام) بدسّ السّمّ إليه كما هو ظاهر أغلب الرّوايات[1].

---

(١) يُنظر: الوافي بالوفيات: ٢٥١/٢٢، ومرآة الجنان: ٢/ ١٢، وتاريخ اليعقوبيّ: ٤٥٣/٢.

خلاصة البحث

وضّح الإمام عليه السلام المنهج السّياسيّ للحاكم الإسلاميّ، ودوره في تطبيق أحكام الشريعة، والأسباب التي تؤدّي إلى شرعيّة الاستمرار في الحكم في وثيقة العهد التي كتبها عليه السلام بخطّه، بعد أنْ اضطرّ إلى قبول ولاية العهد تحت التهديد والضّغط.

وعلى الرّغم من اضطرار الإمام الى القبول بولاية العهد، لكنّه أحرز عدّة مكتسبات بقبوله بها، من قبيل: المساعدة على نشر وإيضاح مكانة الإمام الرّضا عليه السلام، وعظيم فضله، وعلمه، عِلاوة على فضائل أهل البيت عليهم السلام.

كما منحت ولاية العهد الحرّيّة النسبيّة للإمام عليه السلام وجماعته الصّالحة في نشر مباديء أهل البيت عليهم السلام بشكل بعيد عن التقيّة، وأكّد الإمام عليه السلام - أيضاً- ببركة الولاية على صفات الإمام ودوره في حفظ الشريعة وإقامة العدل، موضّحاً بذلك انحراف الخليفة العبّاسيّ.

اختبارات البحث

١. ماذا جاء في وثيقة العهد التي كتبها الإمام الرّضا عليه السلام بخطّه بعد أنْ اضطرّ إلى قبول ولاية العهد تحت التهديد والضّغط؟

٢. على الرّغم من اضطرار الإمام الرّضا عليه السلام إلى القبول بولاية العهد، لكنّه أحرز عدّة مكتسبات بقبوله بها، أُذكر بعض تلك المكتسبات.

٣. ساعد الجوّ العامّ الذي حصلت به البيعة على نشر وإيضاح مكانة الإمام الرّضا عليه السلام وعظيم فضله وعلمه، تكلّم عن ذلك باختصار.

٤. تمكّن الإمام الرّضا عليه السلام بعد البيعة بولاية العهد من نشر مباديء أهل البيت عليهم السلام، فكيف تمّ له ذلك؟

٥. أكّد الإمام الرّضا عليه السلام على صفات الإمام ودوره في حفظ الشّريعة وإقامة العدل، تكلّم عن تأثير ذلك في هدم حكومة الظالمينَ.

الفصل الثامن

تاريخ الإمام الجواد عليه السلام

البحث رقم (٣٨)

تاريخ الإمام محمّد الجواد عليه السلام

الملامح العامّة لعهد الإمام محمّد الجواد عليه السلام

أهداف البحث

١. التعريف بولادة الإمام الجواد عليه السلام، ونسبه، وكناه، وألقابه.

٢. وصف النصّ على إمامة الإمام الجواد عليه السلام.

٣. توضيح إدراك المأمون لجلالة الإمام الجواد عليه السلام ومكانته.

٤. التعريف بأهداف سياسة حسن التعامل مع الإمام عليه السلام.

٥. وصف مواقف المعتصم من الإمام الجواد عليه السلام.

مقدمة البحث

انتهينا ـ بحمده ومنِّه ـ من تاريخ عَلَم آخر من أعلام بيت النبوّة والحي، وهو الإمام الرّضا عليه السلام، ونبدأ هذا البحث بتاريخ الإمام من بعده، وهو الإمام الجواد عليه السلام؛ إذْ نتناول الخطوط العامّة في تاريخه عليه السلام، بدءاً بإطلالة عامّة نلقي فيها نظرة على الملامح العامّة لعصره حين تصدّيه للإمامة.

المطلب الأول: الولادة، والنسب، والكنى، والألقاب

ولد عليه السلام بالمدينة، تاسع عشر من شهر رمضان المعظّم، سنة (١٩٥) من الهجرة.

وأمّا نسبه أباً وأمّاً، فهو: محمّد الجواد، ابن عليّ الرّضا، ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصّادق، ابن محمّد الباقر، ابن عليّ زين العابدينَ، ابن الحُسين الشّهيد، ابن عليّ أمير المؤمنينَ، ابن أبي طالب عليهم السلام.

وأمّا أمّه، فأمّ ولد يُقال لها: سبيكة النوبيّة، وقيل: المريسيّة.

وأمّا كنيته: فأبو جعفر، كنية جدّه محمّد الباقر عليه السلام.

وأمّا ألقابه: فالجواد، والقانع، والمرتضى، وأشهرها: الجواد[1].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢، هامش ص ١٠٣٥– ١٠٣٦.

المطلب الثاني: النصّ على إمامته عليه السلام

القائم بالإمامة بعد عليّ بن موسى الرّضا ولده أبو جعفر محمّد الجواد عليهما السلام؛ للنصّ عليه والإشارة إليه بها من أبيه بعد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، كما أخبر بذلك جماعة من الثّقات العدول(١).

فعن صفوان بن يحيى، قال: قلتُ للرّضا: قد كنّا نسألك قبل أنْ يهب الله لك أبا جعفر مَن القائم بعدك؟ فتقول: يهب الله لي غلاماً، وقد وهبه الله لك وقرّ عيوننا به، فإنْ كان كون ولا أرانا الله لك يومك، فإلى مَن؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، وعمره إذْ ذاك ثلاث سنين، فقلتُ: وهذا ابن ثلاث، فقال: وما يضر من ذلك؟ فقد قام عيسى بالحجّة وهو ابن أقلّ من ثلاث سنين(٢).

المطلب الثالث: مواقف المأمون إزاء الإمام الجواد عليه السلام

أولاً: تزويج المأمون ابنته من الإمام الجواد عليه السلام

بسبب إدراك المأمون جيّداً أنّ الإمام الجواد عليه السلام هو الوارث الحقيقيّ لأبيه، وهو القائد الشرعيّ لأمّة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد تعامل في تخطيطه السّياسيّ معه تعاملاً جادّاً، لما يمثّله من قائد مطاعٍ من قبل الطليعة الواعية في الأمّة.

وقد أعلن المأمون تصوّره هذا أمام العبّاسيّين عندما قالوا له: «يا أمير المؤمنين، أتزوِّجُ ابنتك وقرّة عينك صبيّاً لم يتفقّه في دين الله، ولا يعرف حلاله من حرامه، ولافرضاً من سُنّة؟! – ولأبي جعفر عليه السلام إذْ ذاك تسع سنين– فلو صبرتَ له حتى يتأدّب ويقرأ القرآن ويعرف الحلال من الحرام».(٣)

فأجاب المأمون بأنّه لأفقه منكم، وأعلم بالله ورسوله وسنّته وأحكامه، وأقرأ لكتاب الله منكم، وأعلم بمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وخاصّه وعامّه، وتنزيله وتأويله منكم.

---

(١) يُنظر مثلاً: الكافي: ٣١٣/١، ح ١٤ و ١٦، وإعلام الورى: ٣١٧ و ٣٢٠.

(٢) يُنظر: الكافي: ٣٢٠/١، ح١٠، وكفاية الأثر، للخزّاز : ٢٧٩، وإثبات الوصيّة: ٨٥.

(٣) بحار الأنوار : ٥٠ / ٧٤ ـ ٧٩.

ولذلك، نرى أنّ تعامل المأمون مع الإمام الجواد (عليه السلام) كان مخطّطاً له بعناية وحنكة. الأمر الذي يفسّر البعد الضّخم الذي أخذه زواج الإمام الجواد (عليه السلام) من بنت المأمون، وكيف اهتمّ القوّاد والحجّاب والخاصّة والعمّال به.

ثانياً: أهداف سياسة حسن التعامل مع الإمام (عليه السلام)

على أساس النقطة السّابقة، فقد تظاهر المأمون بحبّه وتقديره للإمام الجواد (عليه السلام) مستهدفاً ما يأتي:

أ- كسب الجماهير المسلمة المحبّة لأهل البيت (عليهم السلام).

ب- التغطية على جريمة قتله للإمام الرّضا (عليه السلام).

وأمّا الحقيقة، فهي أنّ علاقة المأمون بالإمام الجواد (عليه السلام) كانت كعلاقته السّابقة مع أبيه الإمام الرّضا (عليه السلام)، تستبطن أغراضاً سياسيّة، ظاهرها جميل وباطنها ماكر مخادع.

لقد كاد المأمون للإمام الجواد (عليه السلام)، ولكنّه لم يستطع تحقيق أغراضه في الانتقاص منه وإسقاطه، فكانت آخر محاولة له تزويجه من ابنته.

أمّا توجّهات قاضي القضاة ابن أكثم في التصدّي لإحراج الإمام بالأسئلة الصّعبة، فما كانت إلّا بدفع من المأمون؛ إذْ قال له: اطرح على أبي جعفر محمّد بن الرّضا (عليهما السّلام) مسألة تقطعه فيها، فقال: يا أبا جعفر، ما تقول في رجل نكح امرأة على زنا، أيحلّ أنْ يتزوّجها؟

فقال (عليه السلام): «يدعها حتى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره؛ إذْ لا يؤمَن منها أنْ تكون قد أحدثتْ مع غيره حدثاً كما أحدثتْ معه، ثمّ يتزوّج بها إنْ أراد، فإنّما مثلُها مثلُ نخلة أكلَ رجل منها حراماً، ثمّ اشتراها، فأكلَ منها حلالاً، فانقطع يحيى»[1].

ولكنّ دهاء المأمون وحنكته السّياسيّة كانا يجعلانه يُظهر الفرح عندما يُجيب الإمام الجواد (عليه السلام) على المشكلات من المسائل، فتظهر توجّهات ابن أكثم وكأنّها توجّهات فرديّة.

---

(١) تحف العقول: ما أثر عن الإمام الجواد (عليه السلام).

ثالثاً: الرقابة الصارمة على تحركّات الإمام الجواد ﵇

إنّ إصرار المأمون على تزويج ابنته للإمام الجواد ﵇، إضافة لما سيحقّقه هذا الزواج من دعاية في الأوساط العامّة للمأمون؛ لما سوف يُظهره من كونه محبّاً لأهل البيت ﵈، فإنّ له سبباً آخر لا نستبعده، وهو وضع الجاسوس والرقيب الدائم على الإمام ﵇ في بيته، ليُحصي عليه سكناته وحركاته، ويرفعها إلى الجهة التي زرعته، وهكذا، كانت أُمّ الفضل مع الإمام الجواد ﵇.

رابعاً: استغلال موقف العبّاسيّين من الإمام الجواد ﵇

اتّسم موقف العبّاسيّين بالحقد والتعصّب والسّذاجة، فقد استاؤوا ممّا رأوه من تساهل المأمون مع الإمام ﵇ في الظاهر كثيراً من دون إدراك البعد الحقيقيّ الذي كان يستهدفه المأمون من هذا التقارب والتمازج.

وقد استفاد المأمون من موقفهم العدائيّ ليظهر وكأنّه موالٍ حقيقيٌّ لأهل البيت ﵈.

خامساً: موقف الإمام ﵇ من ابن أكثم

لقد تصدّى الإمام ﵇ للردّ على ابن أكثم، ففضحه أمام النّاس، للأسباب الآتية:

١- إثبات إمامته وعلمه أمام النّاس، في وقت راحت تَشنّ الجهات المعادية حملة إعلاميّة شديدة على الإمام، بزعمها أنّه ﵇ لايفقه من الدّين شيئاً، لصِغر سنّه.

٢- إفحامه لابن أكثم يُعدّ تفنيداً وإفحاماً للنظام الحاكم؛ بوصفه عالم البلاط.

٣- كشف الحقيقة بإظهار العلم الصّحيح لهم من خلال الإجابه على أسئلته.

المطلب الرابع: الإمام الجواد ﵇ والمعتصم

أولاً: التعريف بشخصيّة المعتصم

المعتصم العبّاسيّ هو أبو إسحاق، محمّد بن الرّشيد، ولد سنة ثمانين ومائة، وكان فاسد الأخلاق، له غلام يقال له «عجيب»، وكان مشغوفاً به.

كان المعتصم محدود التفكير، ميّالاً للقسوة في تعامله مع خصومه السّياسيّين

وغيرهم، وكان يفتقد كثيراً من مقوّمات الحنكة السّياسيّة في إدارة شؤون الدّولة، وقد تعرّض حكمه لكثير من الاضطرابات السّياسيّة في أقاليم عديدة من الدّولة العبّاسيّة، وقد هيمن الجيش على الحكم في عصره، بعد أنْ مال المعتصم إلى أخواله الأتراك، وكوّن منهم جيشاً خاصّاً به، وأغدق عليهم الأموال الطائلة، ما أثار حفيظة العسكريّين العرب، وكرّس الروح القوميّة في المجتمع.

وتُعدّ سياسة المتعصم هذه أخطر ما واجهته الدّولة العبّاسيّة في مسيرتها، فيما ساءت الأحوال بعد المعتصم، واستشرى خطر العسكريّينَ في الدّولة، وباشروا الانقلابات العسكريّة على الخلفاء الذين حاولوا تقليص سلطاتهم.

ثانياً: مواقف المعتصم من الإمام الجواد عليه السلام

١- استشهاد الإمام الجواد عليه السلام على يد المعتصم

لم تكن المدّة التي قضاها الإمام الجواد عليه السلام في خلافة المعتصم طويلة، فهي لم تتجاوز السّنتين، كان ختامها استشهاد الإمام الجواد عليه السلام على يد هذا الحاكم العبّاسيّ المنحرف، وذلك عبر خطوتين:

الخطوة الأولى: استقدام الإمام عليه السلام إلى بغداد

لقد خشي المعتصم من بقاء الإمام الجواد عليه السلام بعيداً عنه في المدينة؛ لذلك، قرّر استدعاءه إلى بغداد، حتى يكون على مقربة منه يُحصي عليه أنفاسه ويراقب حركاته، وكان سبب وروده إليها إشخاص المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من المحرّم سنة عشرينَ ومائتين، وتوفّي بها في ذي القعدة من هذه السّنة.

لقد كان هذا الاستقدام بمثابة الإقامة الجبريّة، لتتبعه عمليّة أكبر هي التصفية.

الخطوة الثانية: إغتيال الإمام الجواد عليه السلام

كان وجود الإمام الجواد عليه السلام يمثّل خطراً حقيقيّاً على النظام الحاكم؛ لما يملكه هذا الوجود من دور فاعل وقيادي للأمّة؛ لذلك، قرّرتْ السّلطة أنْ تتخلّص منه، مع عدم استبعادها وجود العلاقة بين الإمام القائد والتحرّكات النهضويّة في الأمّة. فقد روى المؤرّخون عن زرقان (صاحب ابن أبي داود قاضي المعتصم)، قوله:

«رجع ابن أبي داود ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ، فقلتُ له في ذلك، فقال: وددتُ اليوم أنّي قد متُّ منذ عشرينَ سنة، قال: قلتُ له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود، أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى اليوم بين يدي أمير المؤمنين، قال: قلتُ له: وكيف كان ذلك؟ قال: إنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسّرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر محمّد بن عليّ، فسألنا عن القطع في أيّ موضع يجب أنْ يقطع؟ قال: فقلتُ: من الكرسوع.

قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قلتُ: لأنّ اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع، لقول اللّه في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾، واتّفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدّليل على ذلك؟ قالوا: لأنّ اللّه لمّا قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، في الغسل، دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق.

قال: فالتفتَ إلى محمّد بن عليّ، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلّم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعني ممّا تكلّموا به! أيّ شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين، قال: أقسمتُ عليك باللّه لمّا أخبرتَ بما عندك فيه.

فقال: أمّا إذا أقسمتَ عليّ باللّه، إنّي أقولُ إنّهم أخطأوا فيه السّنّة، فإنّ القطع يجب أنْ يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ، قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول رسول اللّه: السّجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والرّكبتين والرّجلين، فإذا قُطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، يعني به هذه الأعضاء السّبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾، وما كان للّه لم يقطع.

قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السّارق من مفصل الأصابع دون الكفّ.

قال ابن أبي داود: قامتْ قيامتي، وتمنّيتُ أنّي لم أكُ حيّاً، قال زرقان: قال ابن أبي داود: صرتُ إلى المعتصم بعد ثالثة، فقلتُ: إنّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة، وأنا أكلّمه بما أعلم أنّي أدخل به النّار، قال: وما هو؟ قلتُ: إذا جمع أمير

المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيّته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدّين، فسألهم عن الحكم فيه، فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك، وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه، وقد تسامع النّاس بذلك من وراء بابه، ثمّ يترك أقاويلهم كلّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمّة بإمامته، ويدّعونَ أنّه أولى منه بمقامه، ثمّ يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء؟

قال: فتغيّر لونه، وانتبه لما نبّهته له، وقال: جزاك اللّه عن نصيحتك خيراً، قال: فأمر اليوم الرابع فلاناً من وزرائه بأنْ يدعوه (أي: الجواد عليه السّلام) إلى منزله، فدعاه، فأبى أنْ يجيبه، وقال: قد علمتَ أنّي لا أحضر مجالسكم، فقال: إنّي إنّما أدعوك إلى الطعام، وأحبّ أنْ تطأ ثيابي، وتدخل منزلي، فأتبرّك بذلك، فقد أحبّ فلان ابن فلان من وزراء الخليفة لقاءك، فصار إليه، فلمّا طعم منها، أحسّ السّمّ، فدعا بدابّته فسأله ربّ المنزل أنْ يقيم، قال: خروجي مِن دارك خير لك، فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفة، حتى قُبِض عليه السلام[1].

لقد كان الإمام الجواد (عليه السلام) يتوقّع مقتله بعد هذا الاستدعاء، فقد روي عن إسماعيل بن مهران، قوله: «فلمّا استُدعي به إلى المعتصم، صرتُ إليه، فقلتُ له: جُعلتُ فداك، أنتَ خارجٌ، فإلى مَن هذا الامرُ مِن بعدك؟ فبكى، حتّى اخضلّت لحيته ،ثمّ التفتَ اليّ، فقال: عند هذه يُخاف عليّ، الأمرُ مِن بعدي إلى ابني عليّ»[2].

٢- الاعتداءات الظاهريّة على الإمام (عليه السلام)

ولم تخلُ هذه المُدّة من الاعتداءات الظاهريّة على الإمام (عليه السلام) من طرف أذناب السّلطة، ومن ذلك: ما فعله عمر بن فرج الرفجيّ، الرجل المعادي لأهل البيت (عليهم السلام)، والعامل عند السّلطة العبّاسيّة[3].

---

(١) الإرشاد: ٣٦٩.

(٢) يُنظر: تفسير العيّاشي: ٣١٩/١.

(٣) للاطلاع، يُنظر: أصول الكافي (كتاب الحجّة): ٤١٥.

خلاصة البحث

إنّ اهتمام المأمون بالإمام الجواد عليه السلام يعكس أُموراً، أهمّها:

١- إدراك المأمون أنّ الإمام عليه السلام الوارث الحقيقيّ والامتداد الواقعيّ لخطّ الإمامة.

٢- إضفاء نوع من الشرعيّة على حكم المأمون.

٣- تحجيم دور الإمام عليه السلام.

ومن هنا نجد أنّ المأمون قدْ أسرع في استدعاء الإمام الجواد عليه السلام وتزويجه من ابنته (أمّ الفضل).

لم يكن المعتصم مختلفاً في سياسته عن أخيه المأمون، فضلاً عن اعتماده على الأتراك في قيادة الدّولة والجند، فلم يشهد الإمام الجواد عليه السلام سوى سنتين من حكم المعتصم؛ إذْ تمّ اغتياله بالسّمّ على يد عمّال هذا الطاغية.

اختبارات البحث

١. رأينا أنّ تعامل المأمون مع الإمام الجواد عليه السلام كان مخطّطاً له بعناية وحنكة، فما هو السِّرّ في ذلك؟

٢. أذكر هدفين من أهداف سياسة حسن التعامل مع الإمام عليه السلام من قبل السّلطة.

٣. لماذا زوّج المأمون الإمام الجواد عليه السلام من ابنته أمّ الفضل؟

٤. ما هي صفات المعتصم؟ وكيف كان يتعامل مع مناوئيه؟

٥. لماذا استقدم المعتصم الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد؟

البحث رقم (٣٩)

نشاطات الإمام محمّد الجواد عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان نشاطات الإمام الجواد عليه السلام في مجال البناء الفكريّ للجماعة الصّالحة.

٢. وصف مدرسة الإمام الجواد عليه السلام.

٣. بيان نشاطات الإمام الجواد عليه السلام في مجال تبلور نظام الوكلاء.

٤. توضيح نشاطات الإمام الجواد عليه السلام في مجال التربية الاجتماعيّة.

٥. وصف نشاطات الإمام الجواد عليه السلام في مجال التربية الروحيّة.

مقدمة البحث

بدأنا في البحث السّابق بالحديث عن تاريخ الإمام الجواد عليه السلام؛ إذْ تناولنا بعض الخطوط العامّة في تاريخه عليه السّلام، فبدأنا بإطلالة عامّة ألقينا فيها نظرة على الملامح العامّة لعصره حين تصدّيه للإمامة.

ونلتقي اليوم للحديث عن خطوط عامّة أخرى من هذا التاريخ، فنتكلّم عن أبرز نشاطات الإمام الجواد عليه السلام في مواجهة الانحرافات التي ابتُلي بها المجتمع الإسلاميّ في عصره عليه السلام.

المطلب الأول: الإمام عليه السلام والبناء الفكريّ والعلميّ للجماعة الصّالحة

كان اهتمام الإمام الجواد عليه السلام في بناء الجانب العقائديّ في شخصيّة الإنسان المسلم واضحاً للناظر في تراثه، فممّا يرتبط بالعقيدة في هذا التراث نلاحظ مايأتي:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد الخالص

التوحيد هو أساس العقيدة الإسلاميّة، وسلامة تصوّرات المسلم عن الله تعالى تعدّ الركيزة التي تستند عليها باقي المفردات العقيديّة، ومن هنا، كان الإمام عليه السلام يعتني عناية شديدة بإيضاح هذا الأساس وتجليته.

قال داود بن قاسم الجعفريّ: قلتُ لأبي جعفر الثاني عليه السلام: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، ما معنى «الأحد»؟

قال عليه السلام: «المجمع عليه بالوحدانيّة، أما سمعتَه يقول: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[١]، ثمّ يقولون بعد ذلك: له شريك وصاحبة»، فقلتُ: قوله: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ﴾، قال عليه السلام: «يا أبا هاشم، أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنتَ قد تُدْرِكُ بوهمِكَ السّند والهند والبلدان التي لم تدخلها، ولم تُدْرك ببصرك ذلك، فأوهام القلوب لا تُدركه، فكيف تُدركه الأبصار؟!»[٢].

وسئل عليه السلام: أيجوز أنْ يُقال لله: إنّه شيء؟

فقال عليه السلام: «نعم، تُخرجه من الحدّين: حدّ التعطيل، وحدّ التشبيه».[٣]

وغير ذلك من المحاورات والمناظرات في هذا المجال.

ثانياً: الردّ على الشبهات

استغلّ بعض النّاس صغر سنّ الإمام الجواد عليه السلام للردّ على عقيدة إمامة أهل البيت عليهم السلام، فراحوا يبثوّن الدعايات المضادّة حولها.

قال صاحب الملل والنحل:

«فاعلم: أنّ من الشيعة مَن قال بإمامة: أحمد بن موسى بن جعفر دون أخيه عليّ الرّضا عليه السلام، ومَن قال بعليٍّ: شكّ أوّلاً في محمّد بن عليّ؛ إذْ مات أبوه وهو صغير غير مستحقّ للإمامة، ولا علم عنده بمناهجها، وثبت قوم على إمامته»[٤].

ورداً على مثل هذه الشبهات، تصدّى الإمام الجواد عليه السلام إلى إثبات إمامته من

---

(١) العنكبوت:٦١.

(٢) الاحتجاج: ٢٣٨/٢.

(٣) مستدرك عوالم العلوم : ٢٣ / ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٤) الملل والنحل: ١٦٩/١.

خلال كثير من المواقف العمليّة والفكريّة.

قال علي بن أسباط: «رأيتُ أبا جعفر عليه السلام وقد خرج عليّ، فأخذتُ بالنظر إليه، وجعلتُ أنظر إلى رأسه ورجليه، لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينا أنا كذلك، حتّى قعد، فقال: ياعليّ، إنّ الله احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ في النبوّة، فقال: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1]».

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾[2]، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[3]، فقد يجوز أنْ يؤتى الحكمة وهو صبيّ، ويجوز أنْ يؤتاها وهو ابن أربعينَ سنة»[4].

ثالثاً: التمهيد لإمامة الإمام المهدي عجل الله فرجه وغيبته

تُعدّ قضيّة الإمام المهديّ عجل الله فرجه من القضايا الأساسيّة في الثقافة الإسلاميّة، والمتتبّع لآثار الرّسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من بعده، يجد التأكيد واضحاً جدّاً عليها.

وعلى هذا المنهج سار الإمام الجواد عليه السلام، فطرح قضيّة الإمام المهدي عجل الله فرجه للأمّة، قاصداً تركيز هذا المفهوم في الأذهان، وإعدادها لاستقبال عصر إمامته وظهوره. ومن نماذج هذه الدّعوة:

ما جاء عن عبد العظيم بن عبد الله الحسن (رضي الله عنه)، قال: «قلتُ لمحمّد ابن عليّ بن موسى عليه السلام: يا مولاي، إنّي لأرجو أنْ تكون القائم من أهل بيت محمّد، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقال عليه السلام: ما منّا إلا قائم بأمر الله، وهاد إلى دين الله، ولكنّ القائم الذي يطهّر الله به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملؤها قسطاً وعدلاً، هو الذي يخفى على النّاس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليه تسميته، وهو سميّ رسول الله وكنيّه، وهو الذي تُطوى

---

(١) مريم: من الآية١٢.

(٢) يوسف: من الآية٢٢.

(٣) الأحقاف: من الآية١٥.

(٤) الكافي: ٤١٣/١، كتاب الحجّة.

له الأرض، ويُذلّ له كلّ صعب، يجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: (ثلاثمائة وثلاثة عشر) رجلاً من أقاصي الأرض، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فإذا اجتمعتْ له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد، وهو (عشرة آلاف) رجل، خرج بإذن الله تعالى، فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عزّ وجلّ.

قال عبد العظيم: فقلتُ له: ياسيّدي، وكيف يعلمُ أنّ الله تعالى قد رضي؟

قال عليه السلام: يُلْقي في قلبه الرّحمة، فإذا دخل المدينة، أخرج اللّات والعزّى، فأحرقهما»[2].

رابعاً: النصّ على إمامة الهادي عليه السلام ومَن يليه

قال الصّقر بن أبي دلف: «سمعتُ أبا جعفر، محمّد بن عليّ الرّضا عليه السلام، يقول: إنّ الإمام بعدي ابني عليّ، أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمام بعده ابنه الحسن، أمره أمر أبيه، وقوله قول أبيه، وطاعته طاعة أبيه، ثمّ سكت، فقلتُ له: يا ابن رسول الله، فمَن الإمام بعد الحسن؟ فبكى عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ قال: إنّ من بعد الحسن ابنه القائم بالحقّ المنتظر، فقلتُ له: يا ابن رسول الله، لم سمّي القائم؟ قال: لأنّه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلينَ بإمامته، فقلتُ له: ولم سمّي المنتظر؟ قال عليه السلام: «لأنّ له غيبة يكثر أيّامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصونَ، ويُنكره المرتابونَ، ويستهزيء بذكره الجاحدونَ، ويكذّب بها الوقّاتونَ، ويهلك فيها المستعجلونَ، وينجو فيها المسلّمونَ»[3].

---

(١) البقرة: من الآية ١٤٨.

(٢) الاحتجاج: ٢/٢٥٠.

(٣) كمال الدّين: ٣٨٧.

خامساً: تصحيح المفاهيم الخاطئة

كان للغلوّ ألوانٌ شتّى في عهد الإمام عليه السلام، منها: الغلوّ بالصّحابة، ونجد في حوار للإمام الجواد عليه السلام مع يحيى بن أكثم أمام جماعة كبيرة من النّاس أنّه قد فنّد فيه التوجّهات المغالية بالصّحابة:

قال له يحيى بن أكثم: ما تقول يابن رسول الله في الخبر الذي روي: أنّه «نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يامحمّد، إنّ الله عزّ وجلّ يقرؤك السّلام، ويقول لك: سل أبا بكر: هل هو عنّي راض، فإنّي عنه راض»؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: «لستُ بمنكر فضل أبي بكر، ولكن، يجب على صاحب هذا الخبر أنْ يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع: «قد كثُرت عليّ الكذّابة، وستكثر بعدي، فمَن كذب عليّ متعمّداً، فليتبوّأ مقعده من النّار، فإذا أتاكم الحديث عنّي، فاعرضوه على كتاب الله عزّ وجلّ وسنّتي، فما وافق كتاب الله وسنّتي، فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنّتي، فلا تأخذوا به»، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1]، فالله عزّ وجلّ خفي عليه رضاء أبي بكر من سخطه حتّى يسأل عن مكنون سرّه؟! هذا مستحيل في العقول».

ثمّ قال يحيى بن أكثم: وقد روي: «إنّ مَثَلَ أبي بكر وعمر في الأرض كمَثَل جبرئيل وميكائيل في السّماء»، فقال عليه السلام: وهذا أيضاً يجب أنْ يُنظر فيه؛ لأنّ جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقرّبان لم يعصيا الله قطّ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد أشركا بالله عزّ وجلّ وإنْ أسلما بعد الشّرك، فكان أكثر أيّامهما الشّرك بالله، فمحال أنْ يشبّههما بهما».

إلى أنْ قال يحيى: روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «لو نزل العذاب، لما نجا منه إلّا

---

(١) ق: ١٦.

عمر». فقال (عليه السلام): «وهذا محالٌ أيضاً، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[1]، فأخبر سبحانه أنّه لا يعذِّب أحداً مادام فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما داموا يستغفرونَ الله»[2].

وهكذا، طرح الإمام (عليه السلام) منهج أهل البيت (عليهم السلام) في مرجعيّة القرآن الكريم، وكيفيّة الاستضاءة به للردّ على التحريف الذي خيّم على الحديث النبويّ والتاريخ الإسلاميّ خلال عصور الخلفاء والحكّام الأمويّينَ والعبّاسيّينَ.

المطلب الثاني: مدرسة الإمام محمّد الجواد (عليه السلام)

لم يتجاوز عُمر الإمام الجواد (عليه السلام) منذ ولادته وحتى استشهاده العقدين ونصف العقد، وهو أقلّ من متوسّط عمر سائر الأئمّة (عليهم السلام) الذينَ سبقوه حين استلامهم للقيادة وتصدّيهم لمنصب الإمامة.

وقد قضى ما يقلّ عن العقد الواحد في ظلّ أبيه الرّضا (عليه السلام)، وكانت مدّة مباشرته لمهام الإمامة ثماني عشرة سنة، وإذا لاحظنا الظروف الخاصّة التي اكتنفت حياته من حيث الرقابة المشدّدة على نشاطه، ولا سيّما في ما يرتبط بعلاقاته مع شيعته وأتباعه في عهد المأمون، الذي شغل خمسة عشر عاماً من عمر الإمام الجواد (عليه السلام)، ولاحظنا أيضاً حجم التراث الذي وصلنا عنه (عليه السلام) وحجم الرّواة عنه، البالغين (٢٧٦) راوياً وراوية[3]، لعرفنا مستوى نشاط مدرسة الإمام الجواد (عليه السلام) العلميّة، ومدى نجاحه في المهمّة التعليميّة والبناء التثقيفيّ للجماعة الصّالحة في عهده القصير جدّاً، فيما إذا قورن إلى عهود غيره من الأئمّة الذين سبقوه (عليهم السلام).

---

(١) الأنفال:٣٣.

(٢) الاحتجاج: ٢/٢٤٥– ٢٤٩.

(٣) يُنظر: الإمام الجواد (عليه السلام) من المهد إلى اللّحد: ٩٥ – ٣٧٦.

المطلب الثالث: الإمام محمّد الجواد عليه السلام وتبلور نظام الوكلاء

إنّ نظام الوكلاء الذي يعتمد الوعي والإخلاص من أتباع الأئمّة وأصحابهم، كان من الطبيعيّ أنْ يبدأ تأسيسه منذ عهد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وبدأت تظهر آثاره وتتّضح معالمه ورموزه بشكل واضح في عهد الإمام الصّادق عليه السلام؛ إذْ أخذ التشيّع بالانتشار، وبدأت الشّيعة تشعر بضرورة الارتباط الدّائم بالإمام المعصوم عليه السلام عبر أصحابه وتلامذته.

وكلّما كانت الرقابة تشتدّ ضدّ الأئمّة عليهم السلام ونشاطهم، كلّما كانت الحاجة إلى ازدياد عدد الوكلاء، واتّساع مجال تحرّكهم ونشاطهم تشتدّ.

من هنا، كان الخطّ البيانيّ لهذا النظام تصاعديّاً خلال عهود الأئمّة الثلاثة: الكاظم والرّضا والجواد عليهم السلام.

وبعد الرقابة المشدّدة التي أُعمِلت في داخل بيت الإمام الجواد عليه السلام من خلال ابنة الحاكم العبّاسيّ، التي كانت تُحصي على الإمام عليه السلام أنفاسه، بداية عهد جديد لتوسيع رقعة هذا النظام (نظام الوكالة) وتعميقه في داخل المجتمع الإسلاميّ والخطّ الشيعيّ؛ باعتبار الحاجات المستجدّة للجماعة الصّالحة، التي سوف تحرّم بالتدريج من الارتباط المستمر بالإمام المعصوم من جهة، وضرورة استقلال الكيان الشيعيّ والحفاظ على قدرته للصّمود أمام التيّارات المنحرفة في المجتمع الإسلامي، وقدرته على الاستمرار في إيجاد التغيير الاجتماعيّ داخل المجتمع الإسلاميّ، من جهة أُخرى.

وسوف نلاحظ تلك المستجدّات في عهود الأئمّة اللّاحقين، وهم: الهادي والعسكريّ والمهديّ عليهم السلام.

وهكذا، تبلورت ظاهرة الوكالة في عهد الإمام الجواد عليه السلام، وعُدّت بداية عصر

جديد للجماعة الصّالحة، من حيث ضرورة تدريبها وتعويدها على الاستقرار والاستقلال في أيّامها المقبلة، حين تنقطع عن الإمام المعصوم، وتضطرّها الظروف السّياسيّة القائمة لقطع العلاقة المباشرة وغير المباشرة بالإمام؛ إذْ يضطرّ الإمام (عليه السلام) إلى الغيبة عن الأنظار، ويكون ارتباطه من جهة واحدة، ويكتفي بالتوجيه والإرشاد من دون أنْ يعرفه النّاس بشخصه، وكان الأئمّة (عليهم السلام) منذ عهد الإمام عليّ (عليه السلام) يمهّدونَ الأمر لهذه الظروف العصيبة، التي كانوا يُخبرونَ شيعتهم بها، ويتنبّأون بها استعداداً لعصر الغيبة.

المطلب الرابع: الإمام محمّد الجواد (عليه السلام) والتربية الاجتماعيّة

يُعدّ توثيق أواصر الكيان الاجتماعيّ لأتباع أهل البيت (عليهم السلام) ضرورة فعليّة ومستقبليّة تعينهم على الصّمود أمام التحدّيات التي كانت تزداد أمامهم يوماً بعد يوم.

من هنا، نلاحظ توجّهاً خاصّاً للإمام الجواد (عليه السلام) نحو هذا المجال، وهو ما نلحظه في كلمات متعدّدة عنه (عليه السلام)، منها:

١- إنّ لله عباداً يخصّهم بالنّعم، ويُقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها، نزعها عنهم، وحوّلها الى غيرهم.

٢- ما عظمت نعمة الله على عبده إلّا عظمت عليه مؤونة النّاس، فمَن لم يحتمل المؤونة فقد عرّض النّعمة للزوال.

٣- أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذِكره، فمهما اصطنع الرّجل من معروف فإنّما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبنّ شكر ما صنع إلى نفسه من غيره.

المطلب الخامس: الإمام محمّد الجواد عليه السلام والتربية الروحيّة

اعتنى أئمّة أهل البيت عليهم السلام ببناء الإنسان داخليّاً قبل أيّ بناء، واهتمّوا ببناء الرّوح أشدّ الاهتمام؛ لأنّ الإنسان المتعالي بروحه هو الذي يستطيع أنْ يتسلّق سلّم الكمال، ويسمو بقوّة الروح على المصائب والمشاكل، فلا يهتزّ مهما قويت الأعاصير.

فالتوبة والاستغفار والتوجّه إلى الله تعالى في كلّ صغير وكبير من الأمور، والدّعاء بنصوص صادرة عن المعصومين، تُعدّ من أُولى خطوط التربية النفسيّة والروحيّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وقد أُثرت عن الإمام الجواد عليه السلام مجموعة من الأدعية عُرفت بالمناجاة أو الوسائل إلى المسائل، وقد جعلها الإمام عليه السلام مهراً لزوجته حينما زوّجه المأمون ابنته، فكتب عليه السلام للمأمون: «إنّ لكلّ زوجة صداقاً من مال زوجها، وقد جعل الله أموالنا في الآخرة مؤجّلة مذخورة هناك، كما جعل أموالكم معجّلة في الدّنيا، وقد أمهرتك ابنتك (الوسائل إلى المسائل)، وهي مناجاة رفعها إليّ أبي...، ثمّ عرّفها بأنّها كنوز الدّنيا والآخرة، وقال: فلا تؤثرها في حوائج الدّنيا، فتبخسن بها الحظّ من آخرتك...»[1].

---

(١) مهج الدّعوات: ٢٥٨- ٢٦٥.

خلاصة البحث

كانت مسيرة الإمام الجواد عليه السلام إكمالاً وإتماماً لمسيرة آبائه عليهم السلام وإنْ اختلفت الوسائل والخطط في مواجة التحدّيات التي تحتّمها الظروف التي يعيشها الإمام عليه السلام.

لهذا، نجد أنّ مواقف الإمام عليه السلام كانت تنصبّ في جملة من القضايا والأمور المهمّة التي تتلخّص في:

أ- موقف الإمام عليه السلام تجاه البناء الفكريّ والعقائديّ.

ب- الموقف ضدّ الغلوّ والمغالين في أهل البيت عليهم السلام والصّحابة.

ج- التركيز على البناء التربويّ للجماعة الصّالحة.

د- ردّ الشّبهات التي كانت تثار من قبل المعاندين وناصبي العداء لأهل البيت عليهم السلام ووعّاظ السّلاطين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة.

هـ- التأكيد على غيبة الإمام المهديّ عليه السلام، وأنّه آخر الأئمّة عليهم السلام، وأنّه سيظهر ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً.

كما طوّر الإمام عليه السلام نظام الوكلاء؛ لأنّ المرحلة تقتضي ذلك.

اختبارات البحث

١. ما هي مظاهر اهتمام الإمام الجواد عليه السلام بالبناء الفكريّ والعلميّ للجماعة الصّالحة؟

٢. ما هو موقف الإمام الجواد عليه السلام من القضايا الفكريّة؟

٣. تكلّم عن موقف الإمام الجواد عليه السلام من شبهات المعاندينَ حول الإمامة.

٤. كيف تردّ على مَنْ جعل صغر السِّن مانعاً من تولّي الإمامة؟

٥. كيف مهّد الإمام عليه السلام لإمامة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه وغيبته؟

الفصل التاسع

تاريخ الإمام الهادي عليه السلام

البحث رقم (٤٠)

تاريخ الإمام علي الهادي عليه السلام

أهداف البحث

١. التعريف بولادة الإمام علي الهادي عليه السلام وكنيته ولقبه.
٢. وصف النصّ على إمامة الإمام الهادي عليه السلام
٣. تحليل الوضع السّياسيّ في عصر الإمام الهادي عليه السلام.
٤. توضيح الوضع الاقتصاديّ في عصر الإمام الهادي عليه السلام.
٥. وصف الوضع الدّينيّ في عصر الإمام الهادي عليه السلام.
٦. التعريف بتاريخ الإمام الهادي عليه السلام زمن المعتصم والواثق العبّاسيّين.

مقدمة البحث

انتهينا ـ بحمده ومنِّه ـ من تاريخ عَلَم آخر من أعلام بيت النبوّة والوحي، وهو الإمام الجواد عليه السلام، ونبدأ هذا البحث بتاريخ الإمام من بعده، وهو الإمام الهادي عليه السلام؛ إذْ نتناول الخطوط العامّة في تاريخه عليه السلام، بدءاً بإطلالة عامّة نُلقي فيها نظرة على الملامح العامّة لعصره حين تصدّيه عليه السلام للإمامة.

المطلب الأوّل: الولادة والكنية والألقاب

ولد أبو الحسن عليّ العسكريّ في رجب، سنة اثنتي عشرة ومائتين من الهجرة.

وأمّا نسبه أباً وأمّاً، فهو عليّ الهادي، ابن محمّد الجواد، ابن عليّ الرّضا، ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصّادق، ابن محمّد الباقر، ابن عليّ زين العابدينَ، ابن الحُسين الشّهيد، ابن عليّ أمير المؤمنين، ابن أبي طالب عليه السلام.

وأمّا أمّه، فأمّ ولد يقال لها: سمانة المغربيّة، وقيل غير ذلك.

وأمّا كنيته، فأبو الحسن لا غير.

وأمّا ألقابه، فالهادي، والمتوكّل، والنّاصح، والمتّقي، والمرتضى، والفقيه، والأمين، والطيّب، وأشهرها: الهادي والمتوكّل، وكان يأمر أصحابه أنْ يُعرضوا عن تلقيبه بالمتوكّل؛ لكونه يومئذ لقباً للحاكم العبّاسيّ جعفر المتوكّل ابن المعتصم[1].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة:١٠٦٣/٢– ١٠٦٤.

المطلب الثاني: النصّ على إمامة الإمام الهادي عليه السلام

تصدى الإمام لمنصب الإمامة الكبرى في ذي الحجّة من سنة (٢٢٠هـ)؛ إذْ استشهد والده الجواد عليه السلام بأمر من المعتصم العبّاسيّ بعد أنْ نصّ على إمامة ابنه الهادي عليه السلام(١) وأتّم الحجّة على شيعته، وبهذا، يكون عمره الشّريف حين تصدّيه لإمامة المسلمين الربّانيّة ما لا يزيد على ثمان سنوات، كما تصدّى من قبل أبوه الجواد عليه السلام لهذا المنصب الإلهيّ الخطير وهو في عمر لا يزيد على الثمان سنوات أيضاً.

إذن، فإمامة الهادي عليه السلام هي المصداق الثاني للإمامة المبكّرة التي ظهرت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وعلى هذا، فمن الطبيعيّ أنْ يكون خضوع علماء الطائفة ووجهائها لإمامته على أساس النصّ المعتبر أو الإحساس المباشر بقابليّات الإمام عليه السلام وقدراته الربّانيّة، التي تعتقد الطائفة لزوم توافرها في الإمام المعصوم؛ لأنّ الإمامة الربّانيّة هي إمامة العقول والقلوب والدّين، فلا بدّ للإمام المعصوم من أنْ يكون كفءً لهذا المنصب، ولا يضرّ بذلك الصّغر في السّنّ أبداً؛ لأنّ علمه ليس مستمدّاً من التجارب أو الاكتساب العادي.

وعاصر عليه السلام بعد استشهاد أبيه خلال أربع وثلاثينَ سنة – وهي سنيّ إمامته– ستّة من الحكّام العبّاسيّينَ، وهم: المعتصم، والواثق، والمتوكّل، والمستنصر، والمستعين، والمعتز. الذي استشهد في عهده سنة (٢٥٤هـ).

---

(١) يُنظر في ذلك: الكافي: ٣٢٣/١، وما بعدها، وكفاية الأثر: ٢٧٩، وما بعدها.

المطلب الثالث: ملامح عصر الإمام الهادي عليه السلام

أولاً: الحالة السياسيّة

إتّسم عصر الإمام الهادي عليه السلام بانتشار الفوضى وفقدان الأمن؛ لأنّ السّلطة العبّاسيّة كانت قد فقدت هيمنتها وقدرتها التي كانت تتمتّع بها أيّام هارون والمأمون.

ويعود السّبب في تلك الفوضى إلى عدّة أمور، منها: تسلّط الأتراك على زمام الحكم، حتّى لم يعد للخليفة أيّ نفوذ وسلطان؛ إذْ كانوا هم الذين يولّونَ مَن شاءوا ويعزلونَ مَن أرادوا من الخلفاء، فضلاً عن الوزراء وسائر عمّال الدّولة[1].

وكان الولاة يشترونَ وظائفهم من الوزراء، وجهد أغلبهم على ظلم النّاس وعلى الاستبداد، فزجّوا الأبرياء في ظلمات السّجون.

وتعرّض العلويّون – ولا سيّما في أيّام المتوكّل– إلى الاعتقال والاضطهاد، لا لذنب سوى مطالبتهم بحقوق الأمّة المهدورة، فتوارى جمعٌ من كبار العلويّين وفضلائهم، وهربوا إلى الأرياف متنكّرين؛ خوفاً من السّلطة العبّاسيّة الغاشمة.

وأقدم المتوكّل على هدم قبر الإمام الحُسين بن عليّ عليه السلام؛ إذْ كان يتحرّق غيظاً ممّا يسمعه من تهافت النّاس على زيارة هذا القبر الشّريف. وهدم – أيضاً– كلّ بناء حول القبر، وكَرَبَ ما حوله، وأجرى الماء عليه، إلّا أنّ الماء دار حول القبر ولم يصل إليه، ومن ثمّ سُمِّي بـ(الحائر)، وقد خرجت من القبر الشّريف رائحة طيّبة لم يشمّ النّاس عطراً مثلها[2].

ومنع المتوكّل رسميّاً المسلمين من زيارة قبر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة؛ إذْ أقام المراصد، وبثّ العيون لملاحقة الزائرين وإنزال أقسى العقوبة بهم، متمثّلةً في القتل والصّلب وقطع الأيدي. لكنّ المسلمين كانوا

---

(١) يُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: عهد المعتصم والمعتمد والمعتز.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٦٥٨ و ٥٩٨، وأخبار الدّول، لابن سنان القرمانيّ: ٣٥٩.

يزدحمونَ على زيارة هذا القبر الشّريف على الرُّغم من كلّ هذا الاضطهاد والتنكيل، حتّى ثار أهل السّواد، واضطرّ المتوكّل للكفّ عن هذا الحظر(١).

ثانياً: الحياة الاقتصاديّة

إنّ الفوضى السّياسيّة التي أُشير إليها في النقطة السّابقة كانت ترافقها فوضى اقتصاديّة، تتمثّل في السّلب والنّهب وعدم التوزيع الصّحيح للثروة، فضلاً عن احتكار الأموال الطائلة في خزانات المتنفّذينَ، وانتشار البؤس والفقر بين الأكثريّة السّاحقة من ابناء الأمّة، إلى جانب البذخ والإسراف الذي كان يطغى على سلوك الخلفاء، فكانت هباتهم للمغنّين وجواري القصور واللاهين والشّعراء الذين كانوا ينتقصون أهل البيت ﭺ، هذا فضلاً عن الاحتفالات والدّعوات التي كانت تقام لأدنى مناسبة، ويتفنّن فيها بما لا يخطر على فكر بشر من أنواع البذخ والإسراف(٢).

ثالثا: الحالة الدينية

أثارت القوى الحاقدة على الإسلام - في العصر الذي لاحظنا عليه الاضطراب السّياسيّ والانهيار الاقتصاديّ- شكوكاً كثيرة حول العقيدة الإسلاميّة بشكل عامّ. كما اندسّت زمرة خبيثة من الملاحدة في صفوف الشيعة المعارضين للحكم القائم، لتشويه معالم الخطّ المعارض الذي ينتسب أصحابه إلى آل الرسول ﷺ، من العلويّينَ وأتباعهم المؤمنينَ بخطّ أهل البيت ﭺ.

وتمثّلتْ هذه البدع بالغلوّ بأهل البيت ﭺ من جانب، والتهتّك بترك الفرائض والسّنن وإسقاطها والتشجيع على اقتراف المآثم من جانب آخر.

وأُشيع -أيضاً- القول بالتناسخ، إلى جانب إنكار ضروريّات الشّريعة الإسلاميّة، وحاول البعض - كذلك- تأويل الفرائض وتفسيرها بتفسيرات بعيدة عن منهج الإسلام وخطّه.

---

(١) يُنظر: حياة الإمام علي الهادي: ٣٠٣- ٣٠٤.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٣٠٥- ٣٠٨.

المطلب الرابع: الإمام الهادي عليه السلام والخلفاء العبّاسيّين

أولاً: الإمام الهادي عليه السلام والمعتصم العبّاسيّ

بعد اغتيال الإمام الجواد عليه السلام بأمر المعتصم، عهد المعتصم إلى عمر بن الفرج أنْ يشخَص إلى المدينة ليختار معلّماً لأبي الحسن الهادي عليه السلام، البالغ من العمر آنذاك ثمان سنين على أكبر تقدير، وقد عهد إليه أنْ يكون المعلّم معروفاً بالنّصب والانحراف عن أهل البيت عليهم السلام؛ ليغذّيه ببغضهم، ولمّا انتهى عمر إلى المدينة، التقى بالوالي وعرّفه بمهمّته، فأُرشِدَ إلى الجُنيدي، وكان شديد البغض للعلويّين، فأرسل خلفه، وعرّفه بالأمر، فاستجاب له، وعيّن له راتباً شهريّاً، وعهد إليه أنْ يمنع الشّيعة من زيارته والاتّصال به، وباشر الجُنيدي مهمّته، إلّا أنّه قد دُهشَ لما كان يراه من الإمام عليه السلام، حتّى قال:

«إنّي والله لأذكر الحرف في الأدب، وأظنّ أنّي قد بالغتُ، ثمّ إنّه يُملي أبواباً أستفيده منه، فيظنّ النّاس أنّي أعلّمه، وأنا -والله- أتعلّم منه».

وقال -أيضاً-: «والله تعالى، لَهو خير أهل الأرض، وأفضل مَن برأه الله تعالى، وإنّه لربّما همَّ بدخول الحجرة، فأقول له: حتّى تقرأ سورة، فيقول أيّ سورة تريدُ أنْ أقرأها؟ فأذكر له السّور الطّوال، فيُسرع بقراءتها بما لم أسمع أصحّ منها، وكان يقرؤها بصوت أطيب من مزامير داود، إنّه حافظ القرآن من أوّله إلى آخره، ويعلم تأويله وتنزيله، وأضاف قائلاً: هذا الصبيّ صغير، نشأ بالمدينة بين الجدران السّود، فمن أينَ عَلمَ هذا العلم الكبير؟! يا سبحان الله».

ثمّ نزع عن نفسه النّصب لأهل البيت عليهم السلام، ودان بالولاء لهم، واعتقدَ بالإمامة[1].

---

(١) مآثر الكبراء في تاريخ سامرّاء:٣/٩٥-٩١، ويُنظر: حياة الإمام الهادي عليه السلام، للشّيخ باقر شريف القرشي: ٢٦.

ثانياً: الإمام الهادي عليه السلام والواثق العبّاسيّ

كان الواثق كأسلافه الحاكمين في إسرافه في اللّهو والمفاسد، وقد قيل عنه: إنّه كان وافر الأدب، مليح الشّعر، وكان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً يُجيد ضرب العود، وكان راويةً للأشعار والأخبار(١)، محبّاً للغلمان.

وكان الإمام الهادي عليه السلام يتابع التطوّرات السّياسيّة، ويرصد الأحداث بدقّة. فعن خيران الخادم، قال: « قَدِمْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام الْمَدِينَةَ، فَقَالَ لِي: مَا خَبَرُ الْوَاثِقِ عِنْدَكَ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، خَلَّفْتُه فِي عَافِيَةٍ، أَنَا مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ عَهْداً به، عَهْدِي به مُنْذُ عَشَرَةِ أَيَّام، قَالَ: فَقَالَ لِي: إِنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَقُولُونَ: إِنَّه مَاتَ، فَلَمَّا أَنْ قَالَ لِيَ النَّاسَ عَلِمْتُ أَنَّه هُوَ، ثُمَّ قَالَ لِي: مَا فَعَلَ جَعْفَرٌ؟ قُلْتُ: تَرَكْتُه أَسْوَأَ النَّاسِ حَالاً فِي السِّجْنِ، قَالَ: فَقَالَ: أَمَا إِنَّه صَاحِبُ الأَمْرِ، مَا فَعَلَ ابن الزَّيَّاتِ؟ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، النَّاسُ مَعَه، والأَمْرُ أَمْرُه، قَالَ: فَقَالَ: أَمَا إِنَّه شُؤْمٌ عَلَيْه، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ وقَالَ لِي: لَا بُدَّ أَنْ تَجْرِيَ مَقَادِيرُ اللَّه تَعَالَى وأَحْكَامُه، يَا خَيْرَانُ، مَاتَ الْوَاثِقُ، وقَدْ قَعَدَ الْمُتَوَكِّلُ جَعْفَرٌ، وقَدْ قُتِلَ ابن الزَّيَّاتِ، فَقُلْتُ مَتَى جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ بَعْدَ خُرُوجِكَ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ»(٢).

وهذه الرواية تظهر لنا – بدون أدنى شكّ– حدّة الصّراع والتنافس على السّلطة داخل الأُسرة العبّاسيّة الحاكمة.

---

(١) يُنظر: تاريخ الخلفاء، للسّيوطيّ: ٣٤٣.

(٢) أصول الكافي: ٣٨١/١.

خلاصة البحث

تولّى الإمام الهادي﵇ قيادة الجماعة الصّالحة بعد استشهاد والده ﵇، ومارس دوره في بناء الجماعة الصّالحة وحفظ الرسالة، وتخلّلت هذه الحقبة أحداث كثيرة، وفيها كان منعطف الدّولة الكبيرَ بعد قوّتها ومنعتها؛ إذْ دبَّ إليها الضّعف والوهن؛ إذْ استولى الأتراك على مقاليد الدّولة وقيادة الجيش. فتدهور الوضع الاقتصاديّ والسّياسيّ والدّينيّ للمجتمع الإسلاميّ خلال هذه المُدّة.

حاول المعتصم أنْ يحتوي تحرّك الإمام ﵇ من خلال تكليف مَن يقوم بتعليمه، وليحطّ من مقام الإمام ﵇، ولكنّه باء بالفشل.

وقد عاصر الإمام ﵇ عدداً من خلفاء العصر العبّاسيّ الثّاني، وكانت له ﵇ مواقف إزاء الأحداث والقضايا التي اكتنفت هذه المدّة من التاريخ الإسلاميّ.

اختبارات البحث

١. حدّد المدّة الزمنيّة التي تولّى فيها الإمام الهادي ﵇ منصب الإمامة وقيادة الجماعة الصّالحة.

٢. وضّح مظاهر ومميّزات الحياة السّياسيّة في عصر الإمام الهادي ﵇.

٣. ما هو موقف المتوكّل من العلويّين؟ وضّح ذلك.

٤. عرّف بالحالة الثقافيّة والوضع الاقتصاديّ في عصر الإمام الهادي ﵇.

٥. علّل اختيار المعتصم معلّماً للإمام الهادى ﵇؟

البحث رقم (٤١)

الإمام الهادي عليه السلام والخلفاء العبّاسيّين

أهداف البحث

١. التعريف بتاريخ الإمام الهادي عليه السلام في عهد المتوكّل العبّاسيّ.

٢. وصف بتاريخ الإمام الهادي عليه السلام في عهد المنتصر.

٣. بيان تاريخ الإمام الهادي عليه السلام في عهد المستعين.

٤. التعريف بتاريخ الإمام الهادي عليه السلام في عهد المعتزّ.

٥. توضيح أهمّ سياسات السّلطات الغاشمة إزاء المذهب الحقّ.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق الخطوط العامّة في تاريخ الإمام الهادي عليه السلام؛ إذْ شرعنا بإطلالة عامّة ألقينا فيها نظرة على الملامح العامّة لعصره حين تصدّيه للإمامة، من الوضع الدّينيّ والاقتصاديّ والسّياسيّ.

وهذا ما نريد أنْ نواصله في هذا البحث أيضاً؛ إذْ نتعرّض لتاريخه عليه السلام في عصر المتوكّل العبّاسيّ وغيره ممّن تولّى الحكم من بعده، وسياسات هؤلاء إزاء الإمام عليه السلام وقواعده.

المطلب الأول: الإمام الهادي عليه السلام في عهد المتوكّل العبّاسيّ

عُرف المتوكّل ببغضه لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بشكل خاصّ ولآل البيت عليهم السلام بشكل عامّ، وكان شديداً على الشّيعة، فعمد إلى هدم قبر الإمام أبي عبد الله الحُسين بن عليّ عليه السلام، ومنع الشّيعة من زيارته، وأخذ يعاقبهم عليها، ويضطهدهم لِذلك.

أولاً: إشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء

أشخص المتوكّل الإمام الهادي عليه السلام إلى محلّ حكومته في سامرّاء.

ويمكن أنْ نذكر النقاط التالية بوصفها أسباباً لذلك:

١- قوّة تأثير الإمام الهادي (عليه السلام)، وانشداد النّاس إليه، وتعلّقهم به؛ لكثرة إحسانه إليهم.

٢- خشية السّلطة العبّاسيّة من تعاظم أمر الإمام (عليه السلام)؛ لسهولة اتّصال الجماعة الصّالحة به، فكان في إشخاصه إلى سامرّاء إبعاداً له عنهم، فضلاً عن وضعه تحت المراقبة الشّديدة، وتحديد حركته وارتباطاته، أو كشفها لإبادتها.

٣- عزل الإمام (عليه السلام) عن شيعته ومحبّيه، فسامرّاء مدينة أسّسها العبّاسيّون أنفسهم، وكانت تسكنها غالبيّة تركيّة (قوّاد جيش وجنود) - ولم يكونوا ليعبأوا بالدّين وقِيَمِهِ بقدر اهتمامهم بالسّيطرة وإحكام السّلطة.

٤- وهناك -أيضاً- احتمال وشاية بعض عمّال السّلطة العبّاسيّة الذين كانوا يرونَ الإمام (عليه السلام) منافساً لهم.

وممّا يؤكّد ما ذكرنا من الأسباب، ما كتبه بريحة العبّاسيّ - صاحب الصّلاة بالحرمين- إلى المتوكّل: إنْ كان لك في الحرمين حاجة، فأخرِج عليّ بن محمّد منهما؛ فإنّه قد دعا إلى نفسه، واتّبعه خلق كثير، وتابع بريحة الكتب في هذا المعنى، فوجّه المتوكّل يحيى بن هرثمة، وكتب معه إلى أبي الحسن(عليه السلام) كتاباً جميلاً يعرّفه أنّه قد اشتاق له، وأنّه يسأله القدوم عليه[1].

ثانياً: إقتحام دار الإمام الهادي (عليه السلام) واعتقاله

لم تحقّق وسائل السّلطة في التضييق على الإمام ومراقبته شيئاً من أهدافها في ضبط بعض القضايا التي تؤكّد صحّة الوشايات بالإمام (عليه السلام)، فكثيراً ما سعى بعض المتزلّفين للخليفة بالإمام (عليه السلام)، أو أوغروا صدره ضدّ الإمام (عليه السلام)، وأخبروا الخليفة - كذباً- بأنّ لديه (عليه السلام) السّلاح، وأنّه تُجبى إليه الأموال من الأقاليم، ما أدّى بالخليفة إلى إرسال بعض أُمراء جنده إلى دار الإمام (عليه السلام) وتفتيشها، ثمّ استدعائه (عليه السلام) إلى البلاط.

وأمر الطّاغية المتوكّل باعتقال الإمام وزجّه في السّجن، فبقي فيه أيّاماً.

---

(١) يُنظر: إثبات الوصيّة، للمسعوديّ: ١٩٦- ١٩٧.

ثالثا المتوكّل ومحاولة اغتيال الإمام الهادي عليه السلام

وقد دبّرت السّلطة الحاكمة آنذاك مؤامرة لقتل الإمام الهادي عليه السلام، ولكنّها لم تنجح، فقد حدّث أبو العبّاس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب عن أبيه، قال: كنّا مع المنتصر وأبي كاتبه، فدخلنا والمتوكّل على سريره، فسلّم المنتصر، ووقف، ووقفتُ خلفه، وكان إذا دخل، رحّب به وأجلسه، فأطال القيام، وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى، وهو لا يأذن له في القعود، ورأيتُ وجهه يتغيّر ساعة بعد ساعة، ويقول للفتح بن خاقان: هذا الذي يقول فيه ماتقول؟ يردّ عليه القول والفتح يسكته، ويقول: هو مكذوب عليه، وهو يتلظّى ويستشيط، ويقول:

«والله، لأقتلنّ هذا المرائي الزّنديق، وهو يدّعي الكذب، ويطعن في دولتي، ثمّ طلب أربعة من الخزر أجلافاً، ودفع إليهم أسيافاً، وأمرهم أنْ يقتلوا أبا الحسن عليه السلام إذا دخل، وقال: والله، لأحرقنّه بعد قتله، وأنا قائم خلف المنتصر من وراء السّتر، فدخل أبو الحسن وشفتاه تتحرّكان، وهو غير مكترث ولا جازع، فلمّا رآه المتوكّل، رمى بنفسه عن السّرير إليه، وأنكبّ عليه يقبّل بين عينيه ويديه، واحتمل شقّه بيده، وهو يقول:

ياسيّدي، يابن رسول الله، ياخير خلق الله، يابن عمّي، يا مولاي، يا أبا الحسن، وأبو الحسن عليه السلام يقول: «أعيذك يا أمير المؤمنين من هذا»، فقال: ما جاء بك ياسيّدي في هذا الوقت؟ قال: «جاءني رسولك»، قال: كذب ابن الفاعلة، ارجع ياسيّدي، يافتح، يا عبيد الله، يامنتصر، شيّعوا سيّدكم وسيّدي»، فلمّا بصر به الخزر، خرّوا سجّداً، فدعاهم المتوكّل، وقال: لِمَ لم تفعلوا ما أمرتكم به؟

قالوا: «شدّة هيبته، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أنْ نتأمّلهم، وامتلأت قلوبنا من ذلك رُعباً، فقال: يا فتح، هذا صاحبك» وضحك في وجهه، وقال: الحمدُ لله الذي بيّض وجهه، وأنار حجّته [1].

---

(١) الخرائج والجرائح : ٤١٧/١ ـ ٤١٩ ح ١ ب ١١، وعنه في كشف الغمة: ١٨٥/٣.

رابعا: هلاك المتوكّل إثر دعاء الإمام عليه السلام

واستجاب الله دعاء وليّه الإمام الهادي عليه السلام، فقصم ظهر عدّوه، وانتقم منه كأشدّ ما يكون الانتقام، فلم يلبث المتوكّل بعد هذا الدّعاء سوى ثلاثة أيّام، حتّى أودى الله بحياته، وجعله أثراً بعد حين.

وتمّ ذلك باتّفاق المنتصر ابن المتوكل مع مجموعة من الأتراك؛ إذْ هجم الأتراك على المتوكّل ليلة الأربعاء، لأربع خلون من شوّال (٢٤٧ هـ)، يتقدّمهم باغر التركيّ، وقد شهروا سيوفهم، وكان المتوكّل ثملاً سكران، وذعر الفتح بن خاقان، فصاح بهم: «ويلكم، أمير المؤمنين». فلم يعتنوا به، ورمى بنفسه عليه ليكون كبش الفداء له، إلاّ أنّه لم يُغنِ عن نفسه ولا عنه شيئاً، وأسرعوا إليهما، فقطّعوهما إرباً إرباً، بحيث لم يعرف لحم أحدهما من الآخر كما يقول بعض المورّخين، ودُفنا معاً.

وبذلك، انطوت أيّام المتوكّل الذي كان من أعدى النّاس لأهل البيت عليهم السلام.

وخرج الأتراك، وكان المنتصر بانتظارهم، فسلّموا عليه بالخلافة، وأشاع المنتصر أنّ الفتح بن خاقان قد قتل أباه، وأنّه أخذ بثأره فقتله، ثمّ أخذ البيعة لنفسه من ابناء الأسرة العبّاسيّة وسائر قطعات الجيش.

وقد استقبل العلويّون وشيعتهم النّبأ بهلاك المتوكّل بمزيد من الابتهاج والأفراح؛ فقد هلك الطاغية الذي صيّر حياتهم مآسي لاتطاق[١].

المطلب الثاني: الإمام الهادي عليه السلام في عهد المنتصر

أولاً: المنتصر والعلويّون

من الأمور المعروفة عند حدوث الانقلابات السّياسيّة، إحسان السّلطة الجديدة للقوى المظلومة في العهد السّابق، وهكذا كان المنتصر مع العلويّين المظلومين في

(١) يُنظر: الكامل في التاريخ: ١٠/ ٣٤٩.

عهد أبيه، فعطف المنتصر عليهم، ووجّه بمال فرّقه عليهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله، ومضادّة مذهبه، طعناً عليه، ونصرة لفعله[1]. فقد كان محسناً إلى العلويّين ومواليا لهم، أزال عن آل أبي طالب عليه السلام ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من قبل المتوكّل من زيارة قبر الحُسين عليه السلام، وردّ على آل الحُسين عليه السلام فدكاً.

ثانياً: موت المنتصر

ولمّا ولي المنتصر، صار يسبّ الأتراك ويقول: هؤلاء قَتَلَة الخلفاء، فعملوا عليه، وهمّوا به، فعجزوا عنه؛ لأنّه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرّزاً، فتحيّلوا إلى أنْ دسّوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثينَ ألف دينار في مرضه، فأشار بفصده، ثمّ فصده بريشة مسمومة، فمات، وقيل: بل سُمّ في كمّثراة، وقيل: مات بالخوانيق[2]، ثمّ بويع للمستعين بالخلافة.

المطلب الثالث: الإمام الهادي عليه السلام في عهد المستعين

أولاً: الوضع العامّ

وكان المستعين ضعيفاً أمام الأتراك، ولكنّه أراد أنْ يتخلّص من هذه الحالة، فقتل كبارهم، فتنكّر له الأتراك لمّا قتل وصيفاً وبغا، ونفى باغر التركيّ، الذي فتك بالمتوكّل، ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر.

ولما تنكّر له الأتراك، خاف، وانحدر من سامرّاء إلى بغداد[3]، فخلعه الأتراك وبايعوا أخاه المعتزّ بدلاً عنه، وتبعوه حتّى قتلوه.

وقد حصل الكثير من الثورات في عصره في عدّة أماكن.

---

(١) يُنظر: مقاتل الطّالبيّين: ٣٩٦.

(٢) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٣٥٧.

(٣) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٣٥٨.

ثانياً: عزل المستعين وقتله

خلع المستعين في أوّل سنة (٢٥٢هـ)، وأُشهد عليه القضاة وغيرهم، ثمّ بويع للمعتز بالخلافة، وأرسَلَ المعتزّ إلى أحمد بن طولون أنْ يذهب إلى المستعين فيقتله، فقال: والله، لاأقتل أولاد الخلفاء، فندب له سعيد الحاجب، فذبحه في ثالث شوّال من السّنة نفسها، وله إحدى وثلاثونَ سنة(١).

المطلب الرابع: الإمام الهادي عليه السلام في عهد المعتزّ

أولاً: الوضع العامّ

كان المعتزّ مستضعَفاً من قبل الأتراك، وأُلعوبة بأيديهم، وأوّل سنة تولّى الحكم فيها، مات أشناس الذي كان الواثق قد استخلفه على السّلطة، وخلّف خمسمائة ألف دينار، فأخذها المعتزّ وخلع خلعة الملك على محمّد بن عبد الله بن ظاهر، وقلّده سيفين، ثمّ عزله وخلع خلعة الملك على أخيه - يعني: أخا المعتز أبا أحمد- وتوّجه بتاج من ذهب، وقلنسوة مجوهرة، ووشاحين مجوهرين، وقلّده سيفين، ثمّ عزله من عامه، ونفاه إلى واسط، وخلع على بغا الشّرابيّ، وألبسه تاج الملك، فخرج على المعتزّ بعد سنة، فقتل، وجيء إليه برأسه.

ثانياً: اضطهاد الشيعة

وذكر المؤرّخونَ موقف المعتزّ الاستبداديّ ضدّ آل محمّد صلى الله عليه وآله واضطهادهم واضطهاد شيعتهم(٢).

---

(١) يُنظر: تاريخ الخلفاء، للسّيوطيّ: ٣٥٩.

(٢) يُنظر: مقاتل الطالبيّين: ٤٣٤.

خلاصة البحث

كان المتوكّل معروفاً ببغضه لأمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام، وكان شديداً على القواعد الشّيعيّة الموالية لهم، فعمد إلى إشخاص الإمام عليه السلام من المدينة إلى سامرّاء، العمل الذي يمكن إرجاعه إلى أسباب متعدّدة، أهمّها عزل الإمام وتحجيم عمله وعمل قواعده، حتى بواسطة اعتقاله ومحاولة اغتياله.

تولّى المنتصر الخلافة بعد هلاك المتوكّل، وحصل شيء من تحوّل في سياسة الدّولة تجاه الإمام عليه السلام وشيعته والعلويّين؛ إذْ بدأت تتحسّن معاملة السّلطة لهم، صاحب ذلك تدهّور الحالة العامّة والأوضاع السّياسيّة؛ إذْ استشرى أمر التّرك وعتوا كثيراً.

ثمّ جاء المستعين، وكان ضعيفاً أمام الأتراك، وقد قتل منهم جماعة، ولكنّهم قتلوه وبايعوا المعتزّ مكانه، وكان المعتزّ شديداً قاسياً مع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وعُرف بالاستبداد والظلم.

اختبارات البحث

١. بمَ عُرف المتوكّل العبّاسيّ إزاء أهل البيت عليهم السلام ومواليهم؟
٢. لماذا أمر المتوكّل بإشخاص الإمام الهادي عليه السلام إلى سامرّاء؟
٣. ما هي أهمّ إجراءات السّلطة العبّاسيّة لِتحديد نشاط الإمام الهادي عليه السلام ومنع تأثيره في مواليه وشيعته؟
٤. كيف قُتل المتوكّل العبّاسيّ؟ وعلى أيدي مَن؟
٥. ما هو موقف المنتصر من العلويّين؟

البحث رقم (٤٢)

المنهج التربوي والتنظيمي عند الإمام الهادي عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان نشاطات الإمام الهادي عليه السلام في مجال بناء الذّات وتزكية النفس.

٢. بيان نشاطات الإمام الهادي عليه السلام في مجال بناء كيان الجماعة الصّالحة

٣. إدراك أهمّيّة ظاهرة الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام.

٤. وصف الجانب التنظيميّ في نشاط الإمام الهادي عليه السلام.

٥. توضيح وجه اهتمام الإمام الهادي عليه السلام بقواعده والسّؤال عن أحوالهم.

مقدمة البحث

إنّ المتتبّع لسيرة الإمام الهادي عليه السلام، وماروي عنه من أحاديث، تبرز أمامه ملامح المنهج الذي اتّخذه هذا الإمام عليه السلام في تكامل بناء الجماعة الصّالحة، وصيانتها من الانهيار، وإحكام تماسكها، وتأمين عطائها الرّساليّ، بحفظ ما تحمله من مفاهيم معبّرة عن رسالتها تجاه الواقع بأبعاده الاجتماعيّة والسّياسيّة والفكريّة؛ لذا، فإنّا نجد اتجاهين واضحين في منهج الإمام عليه السلام في البناء.

وإنّه عليه السلام - أيضاً- لم يُهمل بناء الفرد، بل خصّ هذا الجانب بالكثير من التوجيهات، تركيزاً على بناء الذات.

ومضافاً إلى الجانب التربويّ في بناء الفرد وبناء الجماعة، فقد اهتمّ عليه السلام بالجانب التنظيميّ للعمل الإسلاميّ.

هذا كلّه ما سوف نتعرّض له في هذا البحث إنْ شاء الله تعالى.

المطلب الأول: منهج الإمام الهادي عليه السلام في البناء

في ما يرجع إلى منهج الإمام الهادي عليه السلام في البناء، فإنّنا نجد اتّجاهين واضحين في هذا المجال، وهما:

أولاً: بناء الذات وتزكية النفس

لقدْ كان الإمام عليه السلام يعمد إلى تركيز مفهوم التقوى وطاعة الله سبحانه في كلّ مناسبة وفرصة، بشكلٍ مباشر أو من خلال رسائله إلى شيعته ومواليه، فقد أوصى فتح بن يزيد الجرجانيّ حين ضمّه وإيّاه الطريق من مكّة إلى خراسان، قائلاً له: «مَن اتّقى الله، يُتّقى، ومَن أطاع الله، يُطاع»(١).

ثانياً: بناء كيان الجماعة الصّالحة

وذلك بتوضيح مواقف الجماعة الصّالحة إزاء الوقائع والأحداث والظروف التي تكتنفها، وما يتعلّق بالجانب التنظيميّ لها، لتتجاوز الصّعاب التي تضعها السّلطة أمامها، ولتقوم بنشر الوعي الرساليّ بما يتناسب مع الظروف التي تكتنفها.

أولاً: نشاط الإمام الهادي عليه السلام ومنهجه في بناء الذات

أمّا في ما يرجع إلى بناء الذّات، فنقول: لدينا وصايا وأحاديث عن الإمام الهادي عليه السلام تركّز على جوانب وميادين متعدّدة تتعلّق بالبناء الذّاتي للفرد، كما أنّها ناظرة في الوقت نفسه إلى تقوية أواصر العلاقة في ما بين أفراد الجماعة الصّالحة ذاتها، والسّير بهم نحو الكمال من خلال الاتصال بالله سبحانه وتعالى، فلو راجعنا أمثال النّصوص التالية، يتّضح ما قلناه.

فعنه عليه السلام أنّه قال لأحد مواليه: كاتِب فلاناً، وقُل له: «إنّ اللهَ إذا أراد بعبد خيراً، إذا عُوتِب، قَبِل»(٢).

وقال عليه السلام: «ومَن أطاع الخالق، لم يبال سخط المخلوقين، ومَن أسخط الخالق، فليُيقنْ أنْ يحلّ به سخط المخلوقين»(٣).

---

(١) كشف الغمّة: ٣٨٦/٢.

(٢) تحف العقول: ٣٦٠.

(٣) تحف العقول: ٣٦١.

ثانياً: وسائل الإمام عليه السلام في البناء الفكري والثقافي

تعدّدت الأساليب والوسائل التي اتّبعها الإمام عليه السلام في تنمية وبناء الجانب الفكريّ والثقافيّ للجماعة الصّالحة وقواعده الشعبيّة، وكان من هذه الوسائل: الرسائل المكتوبة إلى أصحابه ومواليه، وهى عديدة تجدها مبثوثة في كتاب الاحتجاج وأمثال ذلك[1].

ظاهرة الزيارة في تراث الإمام الهادي عليه السلام وسيلة إيصال المفاهيم

تُعدّ ظاهرة زيارة الإئمّة عليهم السلام إحدى وسائل الإمام الهادي عليه السلام في إيصال المفاهيم الفكريّة والروحيّة لشيعته ومواليه، من أجل تركيز هذه المفاهيم السّليمة، وتنمية الجانب الروحيّ والفكريّ لدى الجماعة الصّالحة، وهذه الوسيلة لا تُثير الشكّ والرّيب، مع سهولتها في الانتشار، وظهور أثرها في الأمّة والجماعة الصّالحة.

وما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام وحَفِظَه لنا التاريخ من الوثائق المهمّة في هذا المضمار، ما يأتي:

١- الزيارة الجامعة.

٢- زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير.

٣- زيارات متعدّدة للأئمّة عليهم السلام.

أهميّة الزيارة الجامعة

وبهذه المناسبة، نشير إلى أهميّة الزيارة الجامعة، فهي من أشهر زيارات الأئمّة الطاهرين عليهم السلام، وأعلاها شأناً، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها، وزيارة الأئمّة عليهم السلام بها خصوصاً في يوم الجمعة، ونتحدّث ـ باختصار ـ عنها.

---

(١) يُنظر: الاحتجاج: ٤٥/٢، ٤٩، ٥٠، وسيرة الأئمّة الاثني عشر: ٤٧٤/٢.

١. سند زيارة الجامعة

أمّا سند الزيارة الجامعة، فقد حاز درجة القطع من الصّحّة؛ إذْ رواها شيخ الطائفة في التهذيب، ورئيس المحدّثين الصّدوق في (الفقيه) و(العيون)، وغيرهما. وقال المجلسيّ: إنّ هذه الزيارة من أصحّ الزيارات سنداً، وأعمقها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنى، وأعلاها شأناً[1].

٢. خصائص الزيارة الجامعة

وتفيض زيارة الجامعة بالأدب الرائع، فقد رُصّعت بأرقّ الألفاظ، كما تحلّت بجواهر الفصاحة والبلاغة، وبداعة الدّيباجة، وجمال التعّبير، ودقّة المعاني، الأمر الذي يدلّ على صدورها عن الإمام عليه السلام، فقد عدَّ العلماءُ أنّ آية الخبر الصّحيح هو ما إذا كان في أرقى مراتب البلاغة، فإنّ الأئمّة الطاهرينَ هم معدن البلاغة والفصاحة، وهم الذين أسّسوا قواعد الكلم البليغ، فكان كلامهم في أعلى مراتب الكلام الفصيح.

واهتمّ العلماء اهتماماً بالغاً بشرح الزيارة الجامعة، لما فيها من المطالب العالية، والأسرار المنيعة، والأمور البديعة.

٣. محتويات الزيارة الجامعة

وأمّا محتويات زيارة الجامعة، فمنها: بيان المكانة السّامية لأهل البيت عليهم السلام، ومنزلتهم التي حباهم الله تعالى بها، ومنها: الدّعوة إلى التشيّع، والاتّباع الكامل لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) يُنظر: حياة الإمام عليّ الهادي عليه السلام، باقر شريف القرشيّ: ١٣٨.

المطلب الثاني: الجانب التنظيمي في نشاط الإمام الهادي عليه السلام

لقد مارس الإمام الهادي عليه السلام وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه، والراعي لمصالحهم، بالرّغم من الظروف الصّعبة التي كانت تمرّ به عليه السلام وبشيعته، من تتّبع السّلطة لهم، ومطاردتهم، وفرض الإقامة الجبريّة على الإمام بعد إشخاصه من المدينة إلى سامرّاء[1]، ليكون قريباً من السّلطان وتحت رقابته المباشرة. وتتجلّى لنا مواقف الإمام عليه السلام في الجانب التنظيمي في اتّجاهين:

الأوّل: في ما يتعلّق بإثبات الحقّ أو نقد الباطل على المستويات المختلفة، سواء اتّجاه الدّولة أو المخالفين، أو سواهما، وقد سبقت الإشارة لمواقف الإمام عليه السلام مع المتوكّل وبعض مقرّبيه.

الثاني: وهو ما يتعلّق بالمحافظة التامّة على شيعته، ورعاية مصالحهم، وقضاء حوائجهم، وتحذيرهم ممّا تحوكه السّلطة ضدّهم، وما يجب أنْ يتخذوه من حيطة وكتمان في نشاطهم واتصالاتهم، حتّى لا يقعوا في حبائل السّلطة الغاشمة التي كانت تتربّص بهم وبالإمام عليه السلام الدوائر.

لذا، فإنّ وصايا الإمام عليه السلام كانت تُظهر مدى اهتمامه ومدى قربه من الأحداث العامّة والخاصّة، وكانت إجراءاته وأوامره تصل الجماعة الصّالحة سابقة للأحداث لتتمكّن تلك الجماعة من تجاوز مايُحاك ضدّها، وإنّ إجراءات الإمام عليه السلام وأساليبه كانت مظهراً لعمل حركي وتنظيمي على درجة عالية من الدّقة والتخطيط، وهذا ما تُظهره لنا خطابات الإمام عليه السلام إلى شيعته، والتي تحمل بين طيّاتها أدوات ووسائل مختلفة ومتعدّدة لمواجهة الظروف التي تحيط بهم، وإليك شيئاً منها:

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ ج٧، أحداث عام ٢٣٤هـ

١. الحذر من تدوين الأمور

كان الإمام (عليه السلام) يحذّر أصحابه من تدوين وكتابة بعض الأمور، وخصوصاً تلك التي تتعلّق بعلاقات الجماعة الصّالحة ووضعها ومواقفها.

٢. إستعمال ما يسمى بالأسماء الحركية

كان الإمام (عليه السلام) يذكّر في توقيعاته إلى بعض أصحابه وينسبهم إلى عبيد بن زرارة، وكانوا قد عرفوا ببني الجهم، وهم من أكابر بيوت الشّيعة وأصحاب الأئمّة (عليهم السلام)، فعن الزراريّ (أحدهم)، قال: إنّ ذلك تورية وستر من قبل الإمام (عليه السلام)، ثمّ اتّسع ذلك، وسمّينا به، وكان (عليه السلام) يكاتبه في أمور له بالكوفة وبغداد(١).

٣. تنويع الوسائل المستعملة ضدّ الأعداء

اختلفت وتعدّدت الوسائل التي أوصى الإمام (عليه السلام) شيعته ومواليه باتّخاذها ضدّ أعدائهم، وذلك بحسب حجم الخطورة التي يواجهونها، وما تسمح به الظروف السّياسيّة والاجتماعيّة آنذاك، فنجده يوصي بأنْ يضرب ويخدش أحد المغالين والمدّعين لِولاء الإمام (عليه السلام) تارة، كما في حالة عليّ بن حسكة(٢)، بينما نجده (عليه السلام) يأمر باغتيال فارس بن حاتم؛ لِما كان يشكّله من خطر على الجماعة الصّالحة(٣).

٤. تحريم العمل مع الظّالمين

بعد أنْ لم تكن للدّولة العبّاسيّة والسّلطات الحاكمة أيّ شرعيّة إسلاميّة، كان العمل معهم غير مشروع، إلا أنْ يكون فيه خدمة للموالين والمستضعفين.

---

(١) يُنظر: تاريخ الكوفة، السيّد البراقيّ: ٣٩٣.

(٢) يُنظر: رجال الكشيّ: ٤٣٧.

(٣) يُنظر: رجال الكشيّ: ٤٤٤.

٥. إحترام أهل الكفاءة والقابلية

روي أنّه وصل لأبي الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام: أنّ رجلاً من فقهاء شيعته كلّم بعض النواصب فأفحمه بحجّته، حتّى أبان عن فضيحته، فدخل إلى عليّ بن محمّد عليه السلام، وفي صدر مجلسه دست عظيم منصوب، وهو قاعد خارج الدّست، وبحضرته خلق من العلويّين وبني هاشم، فما زال يرفعه حتّى أجلسه في ذلك الدّست، وأقبل عليه...»[(١)].

(١) الاحتجاج: ٢٥٩- ٢٦٠.

خلاصة البحث

هناك اتّجاهان واضحان في منهج الإمام الهادى عليه السلام، يرجع أولهما إلى بناء الفرد، فيما يرجع الآخر إلى بناء الجماعة ومواقفها إزاء الأحداث. وقد تعدّدت وسائل الإمام عليه السلام في العمل في كلا المنهجين.

اتّخذ الإمام الهادي عليه السلام الزيارة وسيلة لإيصال المفاهيم الفكريّة والروحيّة لشيعته، وكان أعظمها الزيارة الجامعة المعروفة.

وأمّا في الجانب التنظيميّ، فقد سعى الإمام عليه السلام إلى تجنيب الجماعة الصّالحة ما تحوكه السّلطة ضدّها من خطط ومؤامرات من أجل النيل منها وإضعافها.

ويمكن تحديد منهج الإمام عليه السلام هذا بالنقطتين الآتيتين:

١. ما يتعلّق بإثبات الحقّ ونقد الباطل على المستويات المختلفة.

٢. ما يتعلّق بالحفاظ على قواعده ورعاية مصالحهم.

اختبارات البحث

١. أُذكر الاتّجاهين البارزين في منهج الإمام الهادي عليه السلام في البناء؟

٢. ما فائدة الزّيارات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام؟

٣. للزّيارة الجامعة أهمّيّة خاصّة عند الشّيعة، تكلّم عن ذلك.

٤. ما الذي اتّصفت به مواقف الإمام الهادي عليه السلام في مجال حفظ كيان الجماعة الصّالحة؟

٥. ما هي أساليب الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة الظروف والملابسات التي تخصّ حفظ الجماعة الصّالحة؟

البحث رقم (٤٣)

نشاطات الإمام الهادي عليه السلام

أهداف البحث

١. بيان نشاط الإمام عليه السلام في مجال العقائد المنحرفة.
٢. توضيح مواقف الإمام الهادي عليه السلام من ثورات عصره.
٣. توضيح دور أصحاب الإمام الهادي عليه السلام الفاعل.
٤. وصف العلاقة بين الإمام الهادي عليه السلام والأتراك.
٥. توضيح تمهيد الإمام الهادي لإمامة المهدي المنتظر عجّل الله فرجه.
٦. توضيح النصّ على إمامة أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام.
٧. وصف استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام ودفنه.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق الخطوط العامّة في تاريخ الإمام الهادي عليه السّلام؛ إذْ ألقينا فيها نظرة على متطلّبات عصره عليه السلام، فتكلّمنا في المنهج التربويّ والتنظيميّ عنده، ونواصل الكلام في سائر نشاطاته عليه السّلام الأُخر، في الجانب السّياسيّ وغيره.

المطلب الأول: نشاط الإمام عليه السلام في مجال العقائد المنحرفة

اتّصف موقف الإمام الهادي عليه السلام من الغلاة وتحرّكهم بالشدّة والحزم والتنوّع بحسب خطورة التحرّك، أو باعتبار ما لصاحبه من منزلة ومكانة في المجتمع؛ لذا، اختلفت مواقف الإمام عليه السلام إزاء هؤلاء، كما تعدّدت وصاياه في هذا الاتّجاه لشيعته، موضّحاً ما يجب أنْ يتّخذوه تجاه الغلاة والمنحرفين، فربّما كان يكتفي بالاستخفاف والهجران، وربّما أمر بالضّرب لبعضهم، كما ربّما تطلّب الأمر أنْ يقتل زعيم أو رأس تلك العصابة المغالية أو المنحرفة.

عن أحمد بن محمّد بن عيسى، قال: كتبت إليه – أي: الإمام الهادي عليه السلام– في

قوم يتكلّمون ويقرؤون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك، فيها ما تشمئزّ منها القلوب، وأشياء من الفرائض والسّنن والمعاصي، فأوّلوها، وصيّروها ...، فإنْ رأيتَ أنْ تبيّن لنا، وأنْ تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيّرهم إلى المعطب والهلاك، والذين ادّعوا هذه الأشياء ادّعوا أنّهم أولياء، ودعوا إلى طاعتهم، منهم: عليّ بن حسكة، والقاسم اليقطينيّ، فما تقول في القول منهم جميعاً؟

فكتب عليه السلام «ليس هذا ديننا، فاعتزله»[(١)].

وعن محمّد بن عيسى، قال: «كتب إليّ أبو الحسن عليه السلام ابتداء مِنه: لعن الله القاسم اليقطينيّ، ولعن الله عليّ بن حسكة القمّيّ، إنّ شيطاناً يتراءى للقاسم فيرمي إليه زخرف القول غروراً»[(٢)].

وقد تضمّنت بعض النّصوص الشّريفة الصّادرة عنه عليه السلام جملة من الأمور المهمّة، نشير إلى بعضها:

١- تأكيده على مقام الألوهيّة، وأنّ الحجّة لله سبحانه على جميع خلقه، وأنّ الطّاعة لله سبحانه هي الأساس في رضاه تعالى.

٢- إنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والأنبياء (سلام الله عليهم) دعوا إلى الحنيفيّة والعبادات المفروضة.

٣- إنّ الأئمّة عليهم السلام هم أوصياء الرسول محمّد صلى الله عليه وآله، لا يُشركونَ بالله شيئاً.

٤- تأكيد الإمام عليه السلام على البراءة من هؤلاء الغلاة والمنحرفينَ ولعنهم، كما حرّض عليه السلام مواليه على هجرانهم وإيقاع الأذى فيهم.

ووفقاً لهذا، نجد الإمام الهادي عليه السلام - كما هو شأن آبائه عليهم السلام - يسعى جاهداً

---

(١) رجال الكشيّ: ٤٣.

(٢) رجال الكشيّ: ٣٢١ و ٣٢٢.

للحفاظ على سلامة الشريعة الإسلاميّة، وقد عمل كثيراً من أجل صيانة الأمّة من الانحراف، بيد أنّا نجد الكثير من المسلمين - ومع الأسف- قد اتّخذ منهج المستشرقين في رمي الشّيعة الإماميّة بما هم بُرآء منه، مثل هذه الافتراءات التي ذكرت أعلاه وسواها، ممّا ورد عن الأئمّة عليهم السلام أنفسهم ردّها، ولعن أصحابها، ومنع شيعتهم من الاختلاط بهم؛ وضرورة الابتعاد عنهم، فقد كان الأئمّة عليهم السلام يراقبون هذه الأمور بدقّة، وتصدر عنهم الوصايا إلى شيعتهم أوّلاً بأوّل، وحسب الظروف وأهمّيّة تلك المطالب.

المطلب الثاني: الإمام الهادي عليه السلام وثورات عصره

إنّ أهمّ ما يميّز عصر الإمام الهادي عليه السلام هو ضعف الخلافة العبّاسيّة وسقوط هيبتها؛ لاستيلاء الأتراك على العاصمة، والعمّال والأمراء على الأطراف، ونتيجة لذلك، كان الخليفة مسلوب الإرادة، يُحرَّك من قبل قوّاده الّذين كان بأيديهم زمام السّلطة[(١)].

واتّسم الوضع بعدم الاستقرار، وازدياد الاضطرابات، وكثرة الخارجين على السّلطة، وكثرة الوثبات في الأمصار، فكان للخوارج نشاط ملحوظ قويّ ومدعم بالمال والسّلاح، كما نجد أنّ مجموعة من الأقاليم قد حدثت فيها انتفاضات ضدّ السّلطة، كما حصل في الأردن بقيادة رجل من لخم، وكانت في حمص وثبة أخرى ضدّ عاملها كيدر الأشروبينيّ، وكذا وثبة الجند في سامرّاء، فضلاً عن حدوث ثورات أُخَر، منها: ثورة يحيى بن عمر بن الحُسين بن زيد بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، التي انطلقت من كربلاء باتّجاه الكوفة، وكان شعارها الدّعوة إلى «الرّضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله» وعُرف يحيى بحسن السّيرة، وأظهر العدل حتّى قُتل[(٢)].

---

(١) يُنظر: الكامل، لابن الاثير: ٧٣/٦.

(٢) يُنظر: مقاتل الطّالبيّين: ٤٢٠.

وأمّا موقف الإمام الهادي عليه السلام تُجاه هذه الثورة وسواها من الأحداث، فإنّه أمر يصعب الوقوف عليه؛ لعدم وجود نصّ صريح عنه عليه السلام، بيد أنّه يمكن أنْ يُستفاد من خروج بعض المخلصين من أصحابه مع العلويّين موقفه غير العلنيّ، ويعلّل عدم إبدائه أيّ رأي تجاه الثورة أو الحدث؛ بالظروف الحرجة التي كان يعيشها، من مراقبة مشدّدة، واضطهاد لشيعته ومواليه، فليس من السّهل أنْ يعطي رأياً صريحاً بثورة، سواء كانت تتّفق وخطّه، أم لا تتّفق، فإنّ الفساد والظلم قد استشريا في هذا العصر الذي ازداد سوءاً باستيلاء الأتراك على مقاليد الأمور، فهم الذين كانوا ينصبونَ الخليفة أو يعزلونَه، وقد لاقتْ منهم الأمّة الأمرّين[١].

المطلب الثالث: أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ودورهم الفاعل

كان لأصحاب الأئمّة عليهم السلام – الذين تُميزّهم الرعاية الخاصّة– الدّور البارز في نقل تراث الأئمّة عليهم السلام ومواقفهم إزاء الظروف الاجتماعيّة، فكان هؤلاء الأصحاب يمثّلون الخطّ الرّساليّ، ويجسّدونَ أعلى درجات الوعي والالتزام بخطّ الأئمّة عليهم السلام على امتداد وجودهم المبارك، على الرّغم من اشتداد الظروف وقساوتها تجاههم.

والذي يدعو إلى الاعتزاز والفخر بجهاد هؤلاء الرّواة، هو أنّهم اتّصلوا بالأئمّة عليهم السلام ودوّنوا عنهم، في وقت كان من أعسر الأوقات حراجة، وأكثرها ضيقاً وضغطاً، وقد أمعنت السّلطات الأمويّة والعبّاسيّة في ظلم العلويّين وشيعتهم، ومنعت الأوساط الشعبيّة من الاتّصال بهم، وأخذت تطارد كلّ مَن ينشر فضائل أهل البيت عليهم السلام، أو يتحدّث عن مناقبهم ومآثرهم، أو يروي أحاديثهم[٢].

وقد بلغ عدد الرّواة عن الإمام الهادي عليه السلام وأصحابه (١٨٢) راويةً[٣]، وهي نسبة كبيرة قياساً إلى الرّواة عن الأئمّة عليهم السلام.

---

(١) يُنظر: الكامل لابن الاثير: ٥/٦ ، أحداث السّنين (٢٤٧– ٢٥٥هـ).

(٢) يُنظر: حياة الإمام الهادي عليه السلام، باقر شريف القرشيّ: ١٦٩– ١٧٠.

(٣) يُنظر: تاريخ التشريع الإسلاميّ، عبدالهادي الفضليّ: ٢٠٥.

المطلب الرابع: الإمام الهادي عليه السلام والأتراك

لم يكن الإمام عليه السلام ليوافق على تصرّفات الأتراك التي لم تكن قائمة على شيء من تعاليم الدّين والعدل الإسلاميّ، وبخاصّة أنّه يعلم موقفهم ضدّه وضدّ مواليه، حتّى كان الخليفة يستخدمهم في اقتحام دار الإمام وحبسه، ومن هنا ينبثق موقفه عليه السلام؛ إذْ كان موقفاً حكيماً جدّاً، مراعياً فيه ظروفهم وموقعهم السّياسيّ والاجتماعيّ.

إنّ جهود الإمام عليه السلام في هذا الإتّجاه قد أثمرت بعض الشّيء في تقريب بعضهم إليه وإيمانهم بفضله، وربّما بإمامته، وكانت جهوده عليه السلام متواصلة في ذلك.

فمن ذلك موقفه عليه السلام تجاه (بغا الكبير)، والذي يُعَدّ أحد القوّاد البارزينَ في عصر الإمام عليه السلام، والذي يصفه المسعوديّ بقوله: «كان بغا الكبير كثير التعطّف والبرّ على الطالبيّينَ»، ثم، ينقل عنه تعاطفه مع أحد شيعة الإمام عليه السلام؛ إذْ حاول قتل عامل المعتصم على الكوفة، فأمر المعتصم بغا بأنْ يلقيه إلى السّباع، فلم يُلقه، إلّا أنّه أمره بأنْ يجهد في أنْ لا يظهر في أيّام المعتصم[1]، فالتعاطف هذا يُعَدّ مظهراً من مظاهر تأثير الإمام عليه السلام في هذا القائد التركيّ.

المطلب الخامس: التمهيد لإمامة المهدي المنتظر عجل الله فرجه

تُعَدّ البشارة بالمهدي عجل الله فرجه وظهوره لإقامة العدل في الأرض بعدما تملأ ظلماً وجوراً ممّا قد نقله المسلمونَ كافّة عن الرسول صلى الله عليه وآله، ثمّ إنّ الأئمّة قد تتابعوا في ذكر ذلك وروايته، حتّى كانت إمامة الهادي عليه السلام، وعندما قرُب استشهاده، أبلغ شيعته ومواليه إمامة الخلف من بعده، وأخبرهم عمّا سيكون من غيبة حفيده وهو بين أظهرهم، ولا يستطيعونَ الوصول إليه، وسيخفى عنهم ويحجب ولا يحقّ لهم ذكر اسمه؛ خوفاً من طلب السّلطان ومتابعته له.

---

(١) يُنظر: مروج الذهب: ٧٦/٤.

عن أبي جعفر محمّد بن أحمد العلويّ، عن أبي هاشم الجعفريّ، قال: «سمعتُ أبا الحسن عليه السلام يقول: «الخَلَف بعدي ابني الحسن، فكيف بالخَلَف بعد الخَلَف؟» فقلتُ: ولِمَ جعلني الله فداك؟ قال: إنّكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، قلتُ: فكيف نذكره؟ فقال: قولوا: الحجّة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله[1].

المطلب السادس: النصّ على إمامة أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السلام

توالت ظاهرة النّص والإشارة إلى الإمام عليه السلام في كلّ عصر من قبل الإمام السّابق له منذ عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فالإمام الهادي عليه السلام قد نصّ على إمامة أبي محمّد الحسن العسكريّ لمّا اعتلّ، فضلاً عن النصوص الواردة عن النبّي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام حول إمامته عليه السلام، وممّا ورد عن الإمام الهادي عليه السلام نصّاً على إمامة الحسن العسكريّ عليه السلام مايأتي:

١- عن عليّ بن محمّد، عن محمّد بن أحمد النهديّ، عن يحيى بن يسار القنبريّ، قال: «أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي»[2].

٢- وعن عليّ بن عمر النوفليّ، قال: «كنتُ مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمرّ محمّد ابنه، فقلتُ له: جُعلتُ فداك! هذا صاحبنا بعدَك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي الحسن»[3].

---

(١) يُنظر: إثبات الوصيّة، للمسعوديّ: ٢٠٨.

(٢)الكافي: ١/ ٣١٣.

(٣)المصدر المتقدم/ ٣٢٦.

المطلب السابع: استشهاد الإمام علي الهادي (عليه السلام)

استشهد وليّ الله عليّ بن محمّد (عليه السلام) في آخر ملك المعتزّ، ودفن (عليه السلام) في داره بسرّ من رأى[١]، وكان عمره الشّريف يوم وفاته أربعينَ سنةً.

يقول المسعوديّ[٢]: لمّا اعتلّ (عليه السلام)، دعا ولده أبا محمّد (عليه السلام)، وسلّم له المواريث – وهي ما ورثه عن آبائه (عليهم السلام)– وسلاح الإمامة، وأوصى إليه أنّه مات مسموماً[٣].

وروى المسعوديّ: أنّه اجتمع في دار الإمام الهادي (عليه السلام) حين التحق بالرّفيق الأعلى جملة من بني هاشم من الطالبيّينَ والعبّاسيّينَ، واجتمع خلق من الشّيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمّد (عليه السلام) – أي: الإمام الحسن العسكريّ– ولاعرف خبره إلّا الثّقات الذين نصّ أبو الحسن عندهم عليه، فحكوا أنّهم كانوا في مصيبة وحيْرة، ففيما هم فيه؛ إذْ خرج من الدّار الدّاخلة خادم، وصاح بخادم آخر: «يا رباش، خُذْ هذه الرّقعة وامضِ بها إلى دار أمير المؤمنين – أي: الخليفة المعتزّ– وادفعها إلى فلان، وقُل له: هذه رَقعة الحسن بن عليّ، فاستشرف النّاس لذلك، ثمّ فتح من صدر الرّواق باب، وخرج خادم أسود، ثمّ خرج بعده أبو محمّد (عليه السلام) حاسراً، مكشوف الرأس، مشقوق الثياب، وعليه مبطنة بيضاء، وكان وجهه وجه أبيه (عليه السلام) لا يخطيء منه شيئاً، وكان في الدّار أولاد المتوكّل، وبعضهم ولاة العهود، فلم يبق أحد إلّا قام...، ثمّ دفن في دار من دوره[٤]، وكان ذلك في سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة، يوم الاثنين، لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة[٥].

---

(١) يُنظر: إعلام الورى: ١٠٩/٢– ١١٠.

(٢) يُنظر: إثبات الوصيّة: ٢٠٥.

(٣) يُنظر: الفصول المهمّة: ٢٧٩.

(٤) يُنظر: إثبات الوصيّة: ٢٠٥– ٢٠٦.

(٥) يُنظر: كشف الغمّة: ١٧٤/٢.

خلاصة البحث

تعاظم تيّار الغلاة، وحدثت عدّة ثورات في عصر الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾، وكانت تصدر التعليمات والوصايا من الإمام ﴿عليه السلام﴾ إلى قواعده الموالية لتكون على بيّنة من أمرها في التعامل مع تلك الأحداث والظواهر. ولتجنيبها مزالق الانحراف، فتارة نجد أنّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ يأمر باعتزال أهل الغلوّ والانحراف، وأخرى يوصي بتأديبهم بالضّرب أو الزّجر، فإذا لم تُجدِ هذه الوسائل، نجده ﴿عليه السلام﴾ يأمر بقتل أشخاص لخطرهم وتأثيرهم في المجتمع الإسلاميّ.

أهمّ مايميّز الدّولة العبّاسيّة في عصره ﴿عليه السلام﴾ الضّعف وسقوط الهيبة؛ لاستيلاء الأتراك على مقاليد الأمور، ما يفسِّر عدم تأييد الإمام ﴿عليه السلام﴾ مواقف وتصرّفات هؤلاء وكان يحذّر منهم.

وقد ركّز الإمام ﴿عليه السلام﴾ على أمرين مهمّين: أحدهما: في ما يخصّ الإمام ﴿عليه السلام﴾ بعده وتعيينه، والثاني: الإمام المنتظر وغيبته، وحاول تثبيت هذين الأمرين بين خاصّته وقواعده.

استشهد الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ آخر ملك المعتزّ، ودفن في داره بسرّ من رأى، وكان عمره الشّريف يوم وفاته أربعينَ سنةً.

اختبارات البحث

١. بيِّن نشاط الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ في مجال مواجهة العقائد المنحرفة.

٢. عرِّف بمواقف الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ من ثورات عصره.

٣. تكلّم عن دور أصحاب الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ الفاعل.

٤. كيف مهّد الإمام الهادي ﴿عليه السلام﴾ لإمامة المهدي المنتظر ﴿عجل الله فرجه﴾؟

٥. تكلّم عن النصّ العامّ والخاصّ على إمامة الحسن العسكريّ ﴿عليه السلام﴾.

الفصل العاشر

تاريخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام

البحث رقم (٤٤)

تاريخ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام

أهداف البحث

١. التعريف بولادة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، ونسبه، وكناه، وألقابه.
٢. وصف النصّ على إمامته عليه السلام.
٣. بيان الملامح السّياسيّة لما يُسمّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٤. التعريف الملامح الاجتماعيّة لما يُسمّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٥. تحليل الملامح الثقافيّة لما يُسمّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٦. توجيه الملامح الاقتصاديّة لما يُسمّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٧. وصف تاريخ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وحكّام عصره.

مقدمة البحث

انتهينا - بحمده ومنِّه- من تاريخ عَلَم آخر من أعلام بيت النبوّة والوحي، وهو الإمام الهادي عليه السلام، ونبدأ هذا البحث بتاريخ الإمام من بعده، وهو الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام؛ إذْ نتناول الخطوط العامّة في تاريخه عليه السّلام، بدءاً بإطلالة عامّة نُلقي فيها نظرة على الملامح العامّة لعصره حين تصدّيه للإمامة.

المطلب الأول: الولادة، والنسب، والكنى، والألقاب

ولد أبو محمّد الحسن بالمدينة، لثمان خلون من ربيع الآخر، سنة اثنين وثلاثينَ ومائتين من الهجرة.

أمّا نسبه أباً وأمّاً، فهو الحسن الخالص، ابن عليّ الهادي، ابن محمّد الجواد، ابن عليّ الرّضا، ابن موسى الكاظم، ابن جعفر الصّادق، ابن محمّد الباقر، ابن عليّ زين العابدينَ، ابن الحُسين الشّهيد، ابن عليّ أمير المؤمنينَ، ابن أبي طالب، صلوات الله عليهم أجمعين.

وأمّا أمّه، فأمّ ولد يُقال لها: حديث، وقيل: سوسن.

وأمّا كنيتُه، فأبو محمّد.

وأمّا لقبه، فالخالص، والسّراج، والعسكريّ، وكان هو وأبوه وجدّه كلّ واحدٍ منهم يُعرف في زمانه بابن الرِّضا[(١)].

المطلب الثاني: النصّ على إمامته عليه السلام

تقدّم بعض ما يرتبط بالمقام في البحث السّابق وغيره، فليُراجع.

المطلب الثالث: العصر العبّاسيّ الثاني وملامحه العامّة

أطلق مؤرّخو التاريخ الإسلاميّ على المدّة الزمنيّة التي تبدأ بخلافة المتوكّل (٢٣٢هـ) اسم العصر العبّاسيّ الثاني؛ لما لهذه المدّة من خصائص امتازت بها عن خصائص العصر العبّاسيّ الأوّل، الذي بدأ بسقوط الدّولة الأُمويّة سنة (١٣٢هـ)، وقيام دولة بني العبّاس فيها.

عاصر الإمام عليه السلام أعواماً عصيبة في العصر العبّاسيّ الثاني مع خلفاء مستبدّين اعتلوا عرش الدّولة، منذ أنْ قدم سامرّاء مع أبيه الإمام الهادي عليه السلام أيّام المتوكّل عام (٢٣٤هـ)، واستمرّ قاطناً فيها حتى استشهد عام (٢٦٠هـ)، في خلافة المعتمد.

أولاً: الملامح السياسيّة لهذا العصر

ويمكن إجمال أهمّ مظاهر هذا العصر في ما يأتي:

١- تدهور الوضع السّياسيّ للدّولة العبّاسيّة: إذْ تمّ استيلاء الموالي الذين كان أغلبهم من الأتراك، على مقاليد السّلطة في العاصمة والأمصار؛ فأسهموا في خلع المتوكّل وقتله سنة (٢٤٧هـ)، والمهتدي سنة (٢٥٦هـ)، ونصب غيرهما[(٢)].

٢- اللّهو والمجون وحياة الترف التي كان يحياها الخليفة وأتباعه[(٣)].

---

(١) يُنظر: الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة:١٠٧٩/٢- ١٠٨٠.

(٢) يُنظر: الكامل في التاريخ: ج٤، أحداث السّنين (٢٤٧- ٢٥٦هـ)، وتاريخ المسعوديّ: ٦٠/٤، ومابعدها.

(٣) يُنظر: تاريخ المسعوديّ: ١١/٤.

٣- حوادث الشّغب والفتن التي حدثت في بغداد[١].

٤- الحركات الانفصاليّة في أطراف الدّولة، التي يعود سببها إلى ضعف سلطان الخليفة، ومن أوضح تلك الموارد، بلاد الأندلس التي كانت مستقلّة تحت حكم عبد الرّحمن، الخليفة الأمويّ.

ثمّ ازداد الأمر بعد ذلك سوءاً، ففقدت الدّولة سيادتها على أطراف كثيرة، وولدت دول الطوائف والأمراء في الأمصار بعد أنْ كانت دولة واحدة تخضع لحكومة مركزيّة في بغداد أو سامرّاء[٢]، حتى أطلق المؤرّخونَ على هذا العصر: عصر (إمرة الأمراء)[٣]، ثمّ عصر الدّول المستقلّة، كما هو الحال بالنسبة لإمارة المداينين والبويهيّن، والدّولة الصّفاريّة (٢٥٤هـ)، والدّولة السّامانيّة (٢٦١- ٣٨٩هـ).

ثانياً: الملامح الاجتماعيّة لهذا العصر

أدّى التفكّك الاجتماعيّ في هذا العصر إلى ظهور الطبقيّة التي تتنافى وروح الإسلام، ويمكن ملاحظته من خلال طبقات المجتمع فيه:

١- طبقة الرقيق: فقد جُلب كثير من الزّنج لفلاحة الأرض وحراسة الدّور، وهم الذين قاموا بثورة الزّنج سنة (٢٥٥)[٤].

٢- أهل الذّمة: وهم اليهود والنصارى، وكانوا محميّين من قبل الدّولة[٥].

٣- رجال البلاط والملّاك وغيرهم، ممّن لهم نفوذ كبير في سياسة الدّولة.

٤- عامّة النّاس، وهم الذين أجهدتهم الضّرائب والحروب والنزاعات.

٥- الرقيق وغيرهم، من المغنّيات اللّائي كنّ يُحيينَ ليالي اللّهو للخلفاء،

---

(١) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٣٩٠/٤.

(٢) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٧ : حوادث السّنين (٢٣٤-٢٦٠هـ).

(٣) يُنظر: تاريخ الإسلام السّياسيّ، د. حسن إبراهيم حسن: ٣/ ٢٦، و ما بعدها.

(٤) يُنظر: تاريخ الطبريّ: ٧، أحداث السّنين (٢٢٥-٢٧٠هـ).

(٥)الحضارة الإسلاميّة: ١٥ و ٢٦٨، عن تاريخ الإسلام: ٤٢٤.

وغيرهم، وقد ارتفعت أسعارهنّ بشكل ملفت للنظر[١].

ثالثاً: الملامح الثقافية لهذا العصر

انتشرت في هذا العصر ظاهرة ترجمة الكتب غير الإسلاميّة، من يونانيّة وفارسيّة، وهنديّة، ونحو ذلك. وقد أدّت هذه الظاهرة إلى دخول كمٍّ هائل من الكتب إلى المسلمين، ومن دون الاستعداد لذلك، ما أدّى بدوره إلى انتشار الشّبهات والنظريّات والآراء المختلفة والخطرة، ما أوجب أنْ يتصدّى العلماء والصُّلحاء لهذا الوضع، وعلى رأسهم أئمّة أهل البيت عليهم السلام للردّ على الشُّبهات، وتصحيح الآراء، ولبيان الحقّ في المسألة.

رابعاً: الملامح الاقتصاديّة لهذا العصر

كانت الزراعة أهمّ منبع للثروة، وأهمّ مورد لميزانيّة الدّولة؛ ولذا، اعتنى العبّاسيّون بالزراعة وفلاحة البساتين؛ وذلك عن طريق نشر المدارس الزراعيّة، وتنظيم أساليب الرّي في أغلب المناطق الإسلاميّة، وإنشاء السّدود وصيانتها من قبل جماعة أُطلق عليهم بالمهندسين، مهمّتهم الحفاظ عليها[٢].

المطلب الرابع: الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وحكّام عصره

عاصر الإمام العسكريّ عليه السلام ثلاثة من خلفاء الدّولة العبّاسيّة، وهم كالآتي:

أولاً: المعتزّ العبّاسيّ

ازداد نفوذ الأتراك بعد قتلهم المتوكّل عام (٢٤٧هـ) وتنصيب ابنه المنتصر بعده، حتّى أنّ الخليفة العبّاسيّ أصبح مسلوب السّلطة ضعيف الإرادة.

عاصر الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام أواخر خلافة المعتزّ، الذي كان استشهاد الإمام الهادي عليه السلام على يديه بدسّ السّمّ إليه؛ إذْ كانت سياسة المعتزّ امتداداً لسياسة المتوكّل في محاربة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام والشّيعة، بل ربّما

---

(١) يُنظر: تاريخ الإسلام السّياسيّ: ٤٣٥/٣.

(٢) يُنظر: تجارب الأمم: ٢/ ٢٩٦– ٢٩٧.

ازدادت ظروف القهر في هذه المدّة، حتى أنّ المعتزّ نفسه أمر بتسفير الإمام الحسن العسكريّ ﷺ إلى الكوفة، لمّا تنبّه إلى خطر وجود الإمام ﷺ، واتّساع دائرة تأثيره وكثرة أصحابه.

ثمّ خلع الأتراك المعتزّ؛ لأنّه منعهم أرزاقهم، ولم يكن لديه من المال ما يعطيهم إيّاه، وقد تنازلوا له إلى خمسينَ ألف دينار، فأرسل إلى أمّه يسألها أنْ تعطيه مالاً، فأرسلت إليه: «ماعندي شيء»، فتآمروا عليه وقتلوه، ما يُعدُّ خير موشّر على ضعف السّلطة العبّاسيّة وخروج الأمر من يد الخليفة، فالكتّاب المسؤولونَ على الأموال يتصرّفونَ بها كيف مايشاؤونَ، ولايطيعونَ الخليفة، فكانت تلك النهاية المخزية للمعتزّ على أيدي أعوانه وحرّاسه من الأتراك.

ثانياً: المهتدي العبّاسيّ

١. التعريف بالمهتدي

هو محمّد بن الواثق بن المعتصم، ولي الخلافة بعد مقتل أخيه المعتزّ سنة (٢٥٥هـ)، وما قبل أحد ببيعته، حتّى جيء بالمعتزّ واعترف أمام شهود أنّه عاجز عن الخلافة، ومدّ يده فبايع المهتدي، فارتفع حينئذ إلى صدر المجلس[١]، وبويع بالخلافة.

ولقد تصنّع الزهد والتقشّف محتذياً سيرة عمر بن عبد العزيز، إغراء للعامّة، ومحاولة لتغيير انطباعهم عن الخلفاء العبّاسيّين، الذين عُرفوا بالمجون والترف والإسراف على الملذّات والخمر ومجالس اللّهو.

٢. سياسة المهتدي تجاه معارضيه

يمكن الوقوف على سياسة المهتدي من معارضيه من المواقف الآتية:

أ. الخليفة وأمراء الجند:

كانت سياسة المهتدي تجاه الأتراك تتمثّل بالحذر والحيطة والخشية من انقلابهم عليه كما فعلوا بالمتوكّل والمعتزّ؛ لذا، أمر بقتل موسى ومفلح من أُمراء

---

(١) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٣٦١.

جنده الأتراك، الذين كانوا يتمتّعونَ بنفوذ كبير وتأثير فاعل في مجريات الأحداث، فأجمعوا على قتل المهتدي، فقُتل في عام (٢٥٦هـ)[١].

ب. سجن الإمام الحسن العسكري عليه السلام

وأمّا الشّيعة والإمام الحسن العسكريّ عليه السلام في عهد المهتدي، فقد عانوا الكثير من الظلم والتعسّف. ولمّا رأى المهتدي أنّ وسائل النفي والإبعاد والمصادرة لم تكن لتحدّ من نشاط الإمام عليه السلام وشيعته واتّساع حركته، لما كان لتعليمات الإمام عليه السلام ورقابته لشيعته من أثر في إفشال محاولات السّلطة العبّاسيّة، لم تجد السّلطة بُدّاً من اعتقاله عليه السلام والتضييق عليه في السّجن[٢].

ثالثاً: المعتمد

١. التعريف بالمعتمد

المعتمد هو أحد ابناء المتوكّل العبّاسيّ، وكان منهمكاً في اللّهو والملذّات، واشتغل عن الرعيّة، فكرهه النّاس وأحبّوا أخاه طلحة[٣].

كان ضعيفاً قد وقع تحت تأثير الأتراك الذين يُديرونَ أمور الحكم، ويقومونَ بتغيير الخلفاء والأمراء.

٢. أهمّ الأحداث في عصر المعتمد

وكان من أهمّ الأحداث في عصر المعتمد ما يأتي:

أ. ثورة الزنج: كانت ثورة الزّنج حدثاً مهمّاً؛ لما نتج عنها من آثار سيّئة، فقد صحب حركة الزّنج هذه، قتل، ونهب، وسلب، وإحراق، ما أدّى إلى اضطراب الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في عدّة أمصار سيطر عليها صاحب الزّنج، فبدأت ثورتهم في البصرة، وامتدّت إلى الأهواز وعبّادان، وغيرهما.

---

(١) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٣٦٢- ٣٦٣.

(٢) يُنظر: كشف الغمّة: ٤١٤/٢.

(٣) يُنظر: تاريخ الخلفاء: ٣٦٣.

وقد كلّف القضاء على هذه الحركة الدّولةَ كثيراً من الأموال والجند، الذين هزمهم صاحب الزّنج في أكثر من واقعة، حتّى تمكّنت الدّولة من القضاء عليهم[١].

وقد ادّعى صاحب الزّنج عليّ بن محمّد أنّه ينتسب إلى الإمام عليّ عليه السلام، ولكنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام كذّب هذا الادّعاء[٢].

وفي هذا التكذيب دلالة على عدم شرعيّة هذه الثورة، وعدم ارتباطها بخطّ أهل البيت عليهم السلام، وبعدها عن مباديء الإسلام.

ب. ثورة عليّ بن زيد في الكوفة

كانت حركة عليّ بن زيد في الكوفة سنة (٢٥٦هـ)، واستولى عليها، وأزال عنها نائب الخليفة، واستقرّ بها، وسَيَّر إليه المعتمد الشّاه ابن مكيال في جيش كثيف، فالتقوا واقتتلوا وانهزم الشّاه وقُتل جماعة كثيرة من أصحابه، ثمّ وجّه المعتمد كيجور التركيّ لمحاربته، وقد أرسل كيجور إلى عليّ بن زيد يدعوه إلى الطّاعة وبذل له الأمان، وطلب عليّ بن زيد أُموراً لم يُجبه كيجور إليها، فخرج عليّ بن زيد من الكوفة، وعسكر في القادسيّة، فبلغ خبره كيجور، فاشتبكا، وانهزم عليّ بن زيد، وقُتل جماعة من أصحابه[٣].

وحصلت حوادث أُخر في عهد المعتمد[٤].

وقد استمرّت هذه الحركات التي كانت ضدّ الدّولة العبّاسيّة الجائرة حتّى سقوط بغداد على يد التتار عام (٦٥٦هـ).

---

(١) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٤/٤٣٠-٤٤٥.

(٢) يُنظر: كشف الغمّة: ٢/٤٢٤.

(٣) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٤/٤٤٧.

(٤) يُنظر: المصدر المتقدم/ ٤٣٩.

خلاصة البحث

يُعدّ عهد المتوكّل بداية لانحلال الدّولة العبّاسيّة وضعفها، وقد سُمِّي العصر الذي بدأ به المتوكّل بالعصر العبّاسيّ الثاني، وقدْ تمكّن الأتراك فيه من السّيطرة على مقاليد الأمور وزمام السّلطة، وامتاز هذا العصر- أيضاً- بازدياد الشّغب والحركات الانفصاليّة ضدّ الدّولة، مع اطّراد ظاهرة اللّهو والمجون لدى السّلاطين العبّاسيّين وقادة الجند والطبقة المقرّبة من البلاط العبّاسيّ.

عاصر الإمام العسكريّ عليه السلام عدداً من السّلاطين، منهم: المعتزّ والمهتدي والمعتمد، وقد عاصر الإمام عليه السلام من حكمه خمس سنوات، حتّى استشهاده عليه السلام، وكانت السّلطة تطارد الشّيعة، وتضطهدهم، وتضيّق عليهم.

اختبارات البحث

١. بيِّن الملامح السّياسيّة لما يُسمَّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٢. عرِّف بالملامح الاجتماعيّة لما يُسمَّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٣. تكلّم عن الملامح الثقافيّة لما يُسمَّى بالعصر العبّاسيّ الثاني.
٤. ما هي الملامح الاقتصاديّة لما يُسمَّى بالعصر العبّاسيّ الثاني؟
٥. تكلّم عن أهمّ الأحداث في عصر المعتمد.

البحث رقم (٤٥)

الإمام العسكري عليه السلام والتمهيد لعصر الغيبة

أهداف البحث

١. التعريف بالبعدين المهمّين لنشاطات الإمام العسكريّ عليه السلام.

٢. توضيح دور مدرسة الفقهاء وقيادتها في التمهيد لعصر الغيبة الصّغرى.

٣. وصف خطوات الإمام الهادي والعسكريّ عليهما السلام في مجال التمهيد لقيادة العلماء.

٤. التعريف بمبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإماميّة.

٥. وصف استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام والصّلاة عليه.

مقدّمة البحث

لم يترك الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وظيفته الشرعيّة في القيام بما يتطلّبه زمانه من مواقف مختلفة متنوّعة، إلّا أنّ همّه عليه السلام الأكبر، كان إعداد الشّيعة للمرحلة الخطيرة الحسّاسة القادمة، وهي مرحلة الغيبة، المرحلة التي تتطلّب إعداداً ومنهجاً خاصّين مناسبين لظروفها وملابساتها وما سيمرّ فيها من محن وأخطار وتهديدات متنوّعة لمختلف القطاعات. هذا هو ما سيكون محور حديثنا في هذا البحث.

المطلب الأول: نشاطات الإمام العسكري عليه السلام في بعدَي: الإحاطة والاستكمال

لم يترك الإمام وظيفته الشّرعيّة في القيام بما يتطلّبه زمانه من مواقف خاصّة، وكانت تشتمل على بُعدين:

الأوّل: بُعد الإحاطة بمتطلّبات عصره، من الردّ على أصحاب الفرق والمذاهب والمقالات المنحرفة.

الثاني: بعد استكمال المنظومة المعرفيّة في مجالات الإنسان كافّة: الفكريّة والفقهيّة والعقائديّة والأخلاقيّة، ونحو ذلك، التي قدّمها أهل البيت عليهم السلام للأمّة

الإسلاميّة، وبالأخصّ الموالين لهم؛ إذْ سيأتي زمان غيبة الإمام الحجّة عن النّاس، والذي فيه سيكون الدّور في قيادة الأمّة – وبالذات القواعد المواليه لأئمّة أهل البيت عليهم السلام– إلى الفقهاء الذين يقومونَ بالنيابة العامّة عن الإمام، والذين سوف يكونونَ في أمسّ الحاجة إلى منظومة معرفيّة متكاملة، حتّى تستوعب متطلّبات عصر الغيبة بكامله، بلا حاجة إلى الالتجاء إلى مبانٍ غير صحيحة، كالاستحسان والمصالح المرسلة والقياس، وأمثال ذلك، والتي احتاج إليها بعض فقهاء المذاهب الإسلاميّة بسبب نقصان المنظومة المعرفيّة عندهم؛ بعد تركهم الأخذ من معين أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

المطلب الثاني: مدرسة الفقهاء، والتمهيد لعصر الغيبة الصغرى

لَقد اتّسم عهد الأئمّة من ابناء الرّضا عليه السلام (الجواد والهادي والعسكريّ عليهم السلام) باتّساع رقعة انتشار التشيّع، وكثرة العلماء والدّعاة إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، واكتمال معالم مدرستهم الفقهيّة وأبعادها في المنهج والمادّة معاً.

ويتلخّص المنهج الذي سارت عليه مدرسة الفقهاء الرّواة عن أهل البيت عليهم السلام في نقاط جوهريّة وأساسيّة تميزّها عمّا سواها من المدارس الفقهيّة حينذاك، ومن جملة هذه النقاط:

١– اعتماد الكتاب والسّنّة فقط مصدراً للتشريع الإسلاميّ.

٢– الرجوع في تعلّم العلوم الشرعيّة وأخذ الفتوى إلى الإمام المعصوم –إنْ أمكن–.

٣– الرّجوع إلى الفقهاء الثّقات؛ إذْ لا يمكن الرّجوع إلى الإمام المعصوم، أو يتعسّر الرجوع إليه.

٤– الإفتاء بنصّ الرواية، أو بتطبيق القاعدة المستخلصة من الرواية[1].

---

(١) يُنظر: تاريخ التشريع الإسلاميّ: ٢٠٢– ٢١١.

وبذلك، يكون قد أعطى للمدرسة الفقهيّة تركيزاً واهتماماً يُشير الى أنّ الخطّ الفقهائيّ هو الخطّ المستقبليّ الذي يجب على القاعدة الشيعيّة أنْ تسير عليه[1].

وقد أيّد الإمام العسكريّ عليه السلام جملة من الكتب الفقهيّة والأصول الروائيّة التي جمعت في عصره أو قبل عصره، وأيّد أصحابها، وشكر لهم مساعيهم.

وقد أحصيت أسماء أصحاب الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام ورواة حديثه فبلغوا (٢١٣) شخصاً[2]، ومع ملاحظة حراجة الظروف المحيطة بالإمام العسكريّ عليه السلام وقصر المُدّة التي عاشها إماماً ومرجعاً للأمّة والشيعة، فإنّ هذه النسبة من الرّواة تشكّل رقماً قياسيّاً مهمّاً طبعاً.

وكان لمحمّد بن الحسن بن فروخ الصفّار المتوفّي سنة (٢٩٠هـ) مجموعة من المؤلّفات تقارب الأربعين مؤلّفاً[3]، تضمّنت مختلف أبواب الأحكام.

ومن ثقات الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام: عليّ بن جعفر الهمانيّ، وأبو هاشم، داود بن القاسم الجعفريّ، وداود بن أبي يزيد النيسابوريّ، وغيرهم.

ومن أصحابه عليه السلام: محمّد بن الحسن الصّفّار، وعبدوس العطّار، وعمري بن سلامة النيشابوريّ، وأبو طالب، الحسن بن جعفر، وأبو البختريّ، والحُسين بن روح النوبختيّ (رضي الله عنه).

المطلب الثالث: الغيبة وقيادة العلماء

أولاً: الصّيغة التشريعيّة للقيادة

تُعدُّ مرجعيّة العلماء وقيادتهم للشّيعة بعد الغيبة الكبرى التي ابتدأت سنة (٣٢٩هـ) بوفاة الوكيل الرابع[4] للإمام المهدي عجل الله فرجه، تأسيساً حيويّاً من قبل الأئمّة

---

(١) يُنظر: حياة الإمام العسكريّ، الشّيخ محمّد جواد الطبسيّ: ٣٢٥.

(٢)المصدر السّابق: الفصل العاشر.

(٣)الفهرست، للشّيخ الطوسيّ: ١٧٤.

(٤) هو عليّ بن محمّد السّمريّ، يُنظر: كشف الغمّة: ٢٠٧/٣.

المعصومين ﻉ، وبأمر من الله ورسوله، فهم الذين أمروا الشيعة بالرجوع إلى العلماء والفقهاء الذين تربّوا في مدرستهم الرساليّة لأخذ معالم دينهم عنهم، وهذا المفهوم قد أعطاه الإمام الصّادق ﻉ صيغته التشريعيّة بقوله ﻉ: « يُنظر مَن كان منكم ممّن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يُقبل منه، فإنّما استخفّ بحكم الله، وعلينا ردّ، والرادّ علينا رادّ على الله، وهو على حدّ الشّرك بالله»[١].

ثانياً: خطوات الإمام الهادي ﻉ في هذا المجال

وقد كان للخطوات التي اتّخذها الإمام الهادي ﻉ الدّور البارز في إعطاء الصّيغة الاجتماعيّة الكاملة لمرجعيّة العلماء، فقد قال ﻉ: لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمكم ﻉ من العلماء الدّاعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النّواصب، لما بقي أحد إلّا ارتدّ عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكونَ أزمّة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يُمسك صاحب السّفينة سكّانها، أُولئك هم الأفضلونَ عند الله عزّ وجل[٢].

إنّ الأساس والمرتكز الذي تقوم عليه فكرة إرجاع الشّيعة إلى الفقهاء العدول هو: أنّ الأجيال المسلمة تحتاج باستمرار إلى المرشد والموجّه والمفكّر المُدبِّر، كي يعطيهم تعاليم دينهم، ويرتفع بهم إلى المستوى المطلوب في إيمانهم وعقيدتهم، ويشرح لهم إسلامهم، ويوجّههم في سلوكهم إلى العدل والصّلاح ورضا الله عزّوجل[٣].

---

(١) وسائل الشيعة، الحرّ العامليّ، كتاب القضاء: ٤٢٤/٣.

(٢) يُنظر: الاحتجاج: ٢٦٠/٢.

(٣) يُنظر: الغيبة الصّغرى: ٢١٩.

ثالثاً: خطوات الإمام العسكريّ عليه السلام في هذا المجال

ثمّ نجد أنّ الإمام العسكريّ عليه السلام كان يوجّه القواعد الشّعبيّة للرجوع إلى الفقهاء وتقليدهم وأخذ معالم الدّين عنهم، بعد أنْ يذكر الصّفات التي يجب أنْ يكونوا عليها بقوله عليه السلام: «فأمّا مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أنْ يقلّدوه»[١].

وبهذه الخطوات أكمل الإمام العسكريّ عليه السلام الدّور الموكَّل إليه في هذه المرحلة المهمّة من تاريخ الرّسالة الإسلاميّة؛ فقد أنشأ مدرسة علميّة لها الدّور الأكبر في حفظ تراث أهل البيت عليهم السلام ومبادىء الإسلام أوّلاً، ومن ثمّ كان لها الأثر الكبير في نشر فكرة الغيبة وتهيئة الذهنيّة العامّة لتتقبّلها ثانياً، كما كان لها إسهاماً فعّالاً في توجيه شيعة الإمام عليه السلام بالرّجوع إلى الفقهاء الّذين هم حصن الإسلام الواقي للمسلمين من الأعداء ثالثاً.

وبعد الغيبة الكبرى ظهرت الآثار الإيجابيّة لمدرسة الإمام العسكريّ عليه السلام وتعاليمه ووصاياه، في التزام الشّيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام بخطّ المرجعيّة الرّشيدة.

رابعاً: مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإماميّة

ويُعدّ مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإماميّة مظهراً لواقعيّة هذا المذهب في قدرته على الحفاظ على روح التشريع والرسالة الإسلاميّة بعد غيبة الإمام المعصوم عليه السلام، وإلى اليوم الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت جوراً وظلماً.

---

(١) تفسير الإمام العسكريّ: ١٤١.

المطلب الرابع: استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام والصّلاة عليه

أولاً: الشّهادة

وبعد أن أدّى الإمام العسكريّ عليه السلام مسؤوليّته بشكل كامل تجاه دينه وأمّة جدّه صلى الله عليه وآله وولده عليه السلام، نعى نفسه قبل سنة ستّين ومائتين، وأخذ يُهدّيء روع والدته، قائلاً لها: لا بدَّ من وقوع أمر الله، لا تجزعي...، ونزلتْ الحادثة كما قال، والتحق بالرفيق الأعلى بعد أنْ اعتلّ عليه السلام في أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل من ذلك العام(١).

ولم تزل العلّة تأخذ منه، والمرض يثقل عليه، حتّى توفي في الثامن من ذلك الشّهر، وروي ـ أيضاً ـ أنّه قد اغتيل بالسّمّ من قبل السّلطة؛ إذْ دسّ السُّمَّ له المعتمد العبّاسيّ، الذي كان قد أزعجه تعظيم الأمّة للإمام العسكريّ، وتقديمها له على جميع الهاشميّين من علويّين وعبّاسيّين، فجمع رأيه على القتل، ولم يخلّف غير ولده أبي القاسم محمّد (الحجّة)، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين؛ إذْ آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب(٢).

ودفن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام إلى جانب أبيه الإمام الهادي عليه السلام(٣). في سامرّاء، وقد ذكر أغلب المؤرّخينَ أنّ سنة وفاته كانت (٢٦٠هـ)، وأشاروا إلى مكان دفنه، من دون إشارة إلى سبب وفاته(٤)، بالرّغم من أنّه كان صحيحاً سالماً في عمر الشّباب؛ إذْ لم يتعدَّ عمره الثّامنة والعشرينَ.

ثانياً: الصّلاة على الإمام العسكريّ عليه السلام

وكان لاستشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام صدى كبير في سامرّاء؛ إذْ عطّلت

---

(١) يُنظر: الإرشاد: ٣٣٥، ومهج الدّعوات: ٢٧٤.

(٢) يُنظر: الصّواعق المحرقة، ابن حجر الهيثميّ: ٣١٤، عن وفياة الأعيان لابن خلّكان.

(٣) يُنظر: المنتظم، عبدالرّحمن بن عليّ الجوزيّ: ١٢٦/٧.

(٤) يُنظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٤٥٤/٤، والطبريّ: ج٧ ، حوادث سنة (٢٦٠هـ).

الأسواق، وسارع العامّة والخاصّة مهرعين إلى بيت الإمام عليه السلام، ويروي أحمد بن عبيد واصفاً ذلك اليوم العظيم، قائلاً: «ولما رُفع خبر وفاته، ارتجّت سرّ مَن رأى، وقامت ضجّة واحدة: «مات ابن الرِّضا»[١]، وعطّلت الأسواق، وغلّقت أبواب الدّكاكين، وركب بنو هاشم والكتّاب والقوّاد والقضاة والمعدّلون وساير النّاس إلى أنْ حضروا جنازته، فكانت سرّ من رأى شبيهة بالقيامة[٢].

وبعدما جُهِّز الإمام العسكريّ عليه السلام، خرج (عقيد) خادمه، فنادى جعفر بن عليّ، فقال: ياسيّدي، قد كُفِّن أخوك، فقم وصَلِّ عليه، فدخل جعفر بن عليّ والشّيعة من حوله، يتقدّمهم عثمان بن سعيد العمريّ، وهو أحد وكلائه عليه السلام، ولمّا دخلوا الدّار، فإذا بالحسن بن عليّ صلوات الله عليه على نعشه مكفّناً، فتقدّم جعفر بن عليّ ليصلّي عليه، فلمّا همّ بالتكبير، خرج صبيّ بوجهه سمرة، وبشعره قطط، وبأسنانه تفليج، فجذب رداء جعفر، وقال عليه السلام: «ياعمّ، أنا أحقّ بالصّلاة على أبي»، فتأخّر جعفر وقد أربدّ وجهه واصفرّ، فتقدّم الصّبيّ فصلّى على أبيه عليه السلام[٣].

ولمّا أُخرج نعش الإمام العسكريّ عليه السلام، صلّى عليه أبو عيسى ابن المتوكّل[٤] بأمر الخليفة المعتمد العبّاسيّ، تمويهاً على الرأي العامّ، وتغطية على استشهاد الإمام عليه السلام، وكأنّ السّلطة ليس لها في ذلك يد، بل على العكس، فقد أظهرتْ اهتماماً كبيراً أيّام مرض الإمام عليه السلام، حتّى خرج كبار رجال البلاط العبّاسيّ مشيّعين، ولكنّ مثل هذه الأمور لا يمكن أنْ تنطلي على شيعة الإمام ومواليه، وهكذا غالبيّة المسلمين الذين عاصروا الأحداث المؤلمة التي واجهها الإمام عليه السلام من قبل السّلطة، من سجن وتضييق.

---

(١) كمال الدّين: ٤٣/١.

(٢) يُنظر: الفصول المهمّة: ٢٧١.

(٣) يُنظر: كمال الدّين: ٤٧٥/٢.

(٤) يُنظر: بحار الأنوار: ٣٢٨/٥٠.

خلاصة البحث

كان همّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام الأكبر إعداد الشّيعة للمرحلة القادمة، وهي مرحلة الغيبة وما تتطلّبه من إعداد ومنهج خاصّين.

إنّ أحد أهمّ الأهداف الأساسيّة في منهج أهل البيت عليهم السلام هو إنشاء جماعة صالحة تمثّل خطّهم الفكريّ والعقائديّ والأخلاقيّ، فكان الإمام العسكريّ عليه السلام امتداداً لآبائه وأجداده عليهم السلام في هذا النّشاط والتحرّك، فقد أعدّ جماعةً من الثّقات ليكونوا رواة وفقهاء، تمثّلت فيهم مدرسة علميّة واصلت مسيرة الإمام عليه السلام بعد رحيله، ممهِّدة وعاملة على إحياء مدرسة ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

تبلور هذا التحرّك الشّريف في قيادة الفقهاء للأمّة في عصر الغيبة الكبرى؛ إذْ أرجع الإمام المهديّ عليه السلام في أحد التواقيع المباركة له الجماعة الصّالحة إلى الفقهاء الذين يمثّلون خطّه وخطّ آبائه عليهم السلام.

توفّي الإمام عليه السلام في الثّامن من شهر ربيع الأوّل، وروي – أيضاً– أنّه قد اغتيل بالسُّمّ من قبل السّلطة؛ إذْ دسَّ له المعتمد العبّاسيّ السُّمّ.

اختبارات البحث

١. عرِّف بالبعدين المهمّين لنشاطات الإمام العسكريّ عليه السلام.
٢. وضِّح دور مدرسة الفقهاء وقيادتها في التمهيد لعصر الغيبة الصّغرى.
٣. صف خطوات الإمام الهادي والعسكريّ عليهما السلام في مجال التمهيد لقيادة العلماء.
٤. تكلّم عن مبدأ الاجتهاد والتقليد عند الإماميّة.
٥. صف حادثة استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام والصّلاة عليه.

الفصل الحادي عشر

تاريخ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

البحث رقم (٤٦)

تاريخ الإمام المهدي عجّل الله فرجه: الولادة المباركة

أهداف البحث

١. التعريف بأمّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه.
٢. وصف ميلاد الإمام المهدي عجّل الله فرجه والظروف المحيطة به.
٣. توضيح الرّوايات التي تحدّثت عن كيفيّة ولادته عجّل الله فرجه.
٤. بيان سرّ إخفاء ولادة الإمام عجّل الله فرجه.
٥. وصف تجهيز الإمام العسكريّ عليه السلام وتشييعه ودفنه.

مقدمة البحث

انتهينا من تاريخ عَلَم آخر من أعلام بيت النبوّة والوحي، وهو الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، ونبدأ هذا البحث بتاريخ الإمام من بعده، وهو الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام؛ إذْ نتناول الخطوط العامّة في تاريخه عليه السّلام، بدءاً بإطلالة عامّة نلقي فيها نظرة على ولادته عليه السّلام؛ إذْ وقع فيها الكثير من الكلام والتشكيك من قبل البعض.

المطلب الأوّل: أمّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه

ذكرت الرّوايات المختلفة أنّ أُمّ الإمام المهدي عجّل الله فرجه روميّة الأصل، وكانت من سبايا الروم، جُلِبت بواسطة الفتح الإسلاميّ، ثمّ اشتراها الإمام الهادي عليه السلام.

ويرجع نسبها من حيث الأب إلى ملك الرّوم قيصر، ووالدها هو (يشوع)، كما أنّ أمها تنتهي بنسبها إلى شمعون وصيّ السيّد المسيح عليه السلام.

وكانت سيّدة زكيّة من سيّدات نساء المسلمينَ في تقواها وورعها وإيمانها وطهارة نفسها، ويكفيها فخراً أنّها كانت وعاءً للإمام الحجّة بن الحسن عليه السلام، الذي سوف يصلح الله به الدّنيا، ويملأها عدلاً وقسطاً بعدما تملأ ظلماً وجوراً.

وقد نقل الرّواة أسماء كثيرة لهذه السيّدة الزكيّة الكريمة، وإنْ اشتهرت

بـ(نرجس)[١]، فقدْ كانت تُدعى بـ (صيقل)، و(سوسن)، و(مليكة)، و(ريحانة)، وغيرها[٢].

المطلب الثاني: ميلاد الإمام المهدي عجل الله فرجه والظروف المحيطة به

ولد الإمام المهديّ عجل الله فرجه عند الفجر في النصف من شعبان.

أمّا سنة ولادته، فالمشهور إنّها سنة (٢٥٥هـ)[٣]، والموافق (٨٦٩ م)، وورد في بعض المصادر أنّها كانت سنة (٢٥٦)[٤]، وفي حالة وقوع تنافٍ في الروايات، فإنّه ينبغي الأخذ بالمشهور[٥]، أي: أنّ ولادته عجل الله فرجه هي سنة (٢٥٥هـ).

وبذا، تكون ولادته عجل الله فرجه بعد وفاة جدّه الإمام الهادي عليه السلام بحدود عامٍ واحدٍ، وبعد تولّي المهتدي العبّاسيّ سدّة الحكم بأقلّ من شهر؛ إذْ استخلف المهتدي لليلة بقيت من رجب، وولادة الإمام عجل الله فرجه في النصف من شعبان، وبقي المهتدي في الحكم سنة واحدة، فقدْ نحّاه الأتراك وبايعوا المعتمد سنة (٢٥٦هـ)، الذي بقي في الحكم ثلاثاً وعشرينَ سنة حتّى عام (٢٧٩هـ)[٦].

المطلب الثالث: النصّ على إمامة الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه

تقدّم ما يكفي في هذا المجال في البحوث المتقدّمة، وسيأتي ـ أيضاً ـ ما له علاقة بالمطلب في هذا البحث.

المطلب الرابع: نشاط الإمام عجل الله فرجه في ظلال أبيه عليه السلام

عاصر الإمام المهديّ عجل الله فرجه خمس سنوات من حياة أبيه؛ إذْ كان استشهاد الإمام

---

(١) يُنظر: كمال الدّين: ٤٢٤/٢، وما بعدها.

(٢) يُنظر: الغيبة: ١٢٤– ١٢٨، ومناقب ابن شهر آشوب: ٥٣٤/٣.

(٣) يُنظر: الكافي: ٥١٤/١، وكمال الدّين: ٢ (ميلاد الإمام المهديّ عجل الله فرجه).

(٤) يُنظر: كمال الدّين، للشّيخ الصّدوق: ٤٣٠/٢.

(٥) يُنظر: الغيبة الصّغرى، محمّد الصّدر: ٢٦١.

(٦) يُنظر: تاريخ الأمم والملوك، أحداث السنين (٢٥٥ ـ ٢٧٩ هـ).

العسكريّ عليه السلام سنة (٢٦٠هـ)، كما ذكرنا سابقاً.

أمّا بالنسبة لنشاط الإمام عجّل الله فرجه خلال هذه المُدّة التي عاشها في ظلال أبيه عليه السلام، فقد انصبّ باتّجاهين بارزين من خلال تتبّع أحداث التاريخ لتلك الحقبة من حياته:

الاتجاه الأوّل: الحذر التامّ تجاه تحرّكات السّلطة العبّاسيّة.

الاتجاه الثاني: التعرّف على خواصّ أبيه عليه السلام، مع إخفاء ولادته إلّا عن هؤلاء.

المطلب الخامس: الروايات التي تحدّثت عن كيفيّة ولادته عجّل الله فرجه

ويتعزّز لدينا ذلك – أي: نشاط الإمام عجّل الله فرجه– من خلال الرّوايات التي تحدّثت عن كيفيّة ولادته عجّل الله فرجه.

ففي أحد الأيّام زارت السيّدة حكيمة عمّة الإمام العسكريّ عليه السلام بيت الإمام عليه السلام، وصادفت زيارتها اللّيلة التي ولد فيها الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، وطلب الإمام العسكريّ من عمّته أنْ تبقى، بعد أنْ أخبرها بأنّه سيولد في هذه اللّيلة المولود الكريم على الله عزّ وجلّ وعليهم، حجّة الله في أرضه، فتسأله العمّة: ومَنْ أُمُّه عجّل الله فرجه؟ فيقول لها الإمام عليه السلام: نرجس، فتنفي العمّة أنْ يكون بنرجس أثر للحمل، فيؤكّد لها الإمام ذلك قائلاً: هو ما أقول لك، فتفحصها العمّة جيّداً، فلا تجد أثر الحمل، فتعود فتخبره تارة أخرى.

فيتبسّم الإمام العسكريّ عليه السلام ويعطيها الحجّة الوافية والمبرّر الإلهيّ الصّحيح، قائلاً: «إذا كان وقت الفجر، يظهر لك الحبل...؛ لأنّ مثَلَها كمَثَلِ أُمّ موسى عليه السلام؛ إذْ لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحدٌ إلى وقت الولادة؛ لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحوامل في طلب موسى عليه السلام، وهذا نظير موسى عليه السلام»[1].

كما أنّ المعتمد العبّاسيّ كان قد أرسل قوابل لفحص نساء الإمام عليه السلام، ولم يتعرّفنَ عليها.

إنّ تحديد الإمام العسكريّ عليه السلام وقت ولادة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه بالفجر لعمّته،

---

(١) الغيبة: ١٢٠.

ربّما يستشفّ منه زيادة الحذر والخفاء؛ إذْ إنّ مثل هذا الوقت تكون القوابل وعيون السّلطان وجلاوزته غاطّة فيه في نوم عميق، فضلاً عن قلّة النشاط والحركة.

وبعد أنْ سمعت السيّدة حكيمة تأكيد الإمام عليه السلام، عادت إلى السيّدة نرجس فأخبرتها بما قال أبو محمّد عليه السلام، وسألتها عن حالها، فأجابت نرجس: يامولاتي، ما أرى بي شيئاً من هذا.

ثمّ إنّ نرجس نامتْ، وقامت حكيمة بصلاة اللّيل، وجلست للدّعاء عقيبها، وهي في كلّ ذلك ترقب حالة نرجس فلا ترى عليها إلّا النوم الهادئ، لا تقلب جنباً عن جنب، حتّى إذا كان الفجر، وَثَبَت نرجس من نومها فزعةً، فضمَّتها حكيمة إلى صدرها، وقالت لها: هل تحسّين بشيء؟ قالت: نعم يا عمّة.

وهنا، يأمر الإمام العسكريّ عليه السلام عمّته أنْ تقرأ سورة الدّخان، والتي تبدأ بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

وفي قراءة هذه الآيات المباركات يتّضح لنا ما كان يهدف إليه الإمام العسكريّ عليه السلام من بيان المناسبة ومقتضى الحال، وهي ولادة المصلح والمنقذ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، الذي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما ورد في أحاديث كثيرة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، نقلها أصحاب الصّحاح والسّنن، فضلاً عمّا رواه محدّثو الإماميّة.

وحينما حان وقت الميلاد الميمون، حدث أمرٌ بين السيّدتين بحيث لم تطّلعْ عمّةُ الإمام عليه السلام على نرجس وحالها. وقد عُبّر عن ذلك في بعض الرّوايات بـ(الفترة)، وهي نوع من الغفلة أو النعاس أصابتهما معاً، وصوَّرت السيّدة حكيمة هذه الحالة في رواية أُخرى بقولها: حتى غُيِّبتْ عنّي نرجس فلم أرها، كأنّه ضُرب بيني وبينها حجاب، وتنتبه السيّدة حكيمة، فتجد الإمام المهديّ عليه السلام ساجداً لله على الأرض، وهو يردّد الآية المباركة ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي

الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أكثر الرّوايات[٢] تشير إلى أنّ ولادة الإمام عجل الله فرجه تمّت ولم يكن في وقتها غير السيّدة حكيمة قريبة من أُمّ الإمام عجل الله فرجه، وأنّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام كان منشغلاً بالصّلاة والدّعاء وهو ينتظر المولود الكريم، بَيْدَ أنّ هناك رواية تصرّح باستقدام قابلة كانت تسكن بجوار منزل الإمام العسكريّ عليه السلام بشكل محاط بالكتمان، للقيام بشأن أُمّ الإمام عجل الله فرجه حال ولادتها، وليس في هذا ما ينافي الرّوايات القائلة بإخفاء ولادته[٣].

المطلب السّادس: إخفاء ولادة الإمام عجل الله فرجه

أوّلاً: الأخبار الدالّة على إخفاء ولادة الإمام عجل الله فرجه

لقد وردت أخبار كثيرة تشير إلى غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وقد تناقلها المسلمونَ جيلاً بعد جيل، وهناك أحاديث أُخرى تضمّنت الإخبار عن خفاء مولده عجل الله فرجه. ومن هذه الرّوايات والأخبار:

١- ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ القائم منّا إذا قام لم يكن لأحدٍ في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته، ويغيب شخصُه»[٤].

٢- وما عن الإمام عليّ بن الحُسين سيّد العابدينَ عليه السلام أنّه قال: «القائمُ منّا تخفى ولادته على النّاس، حتّى يقولوا: لم يُولَد بعدُ»[٥].

٣- وما عن عبد الله بن عطاء؛ إذْ قال: قلتُ لأبي جعفر - أي: محمّد الباقر

---

(١) القصص: ٥ .

(٢) يُنظر: كمال الدّين، باب: ميلاد الإمام المهديّ عجل الله فرجه، والغيبة: ١٢١.

(٣) يُنظر: الغيبة الصّغرى: ٢٦٨.

(٤) كمال الدّين، للشّيخ الصّدوق: ٣٠٣/١.

(٥) كمال الدّين: ٣٢٣/١.

عليه السلام- إنّ شيعتك بالعراق كثيرونَ، فوالله ما في أهل بيتك مثلك، فكيف لا تخرج؟ فقال عليه السلام: «يا عبد الله بن عطاء، قد أمكنت الحشو من أذنيك، والله ما أنا بصاحبكم»، قلتُ: فمَن صاحبنا؟ قال عليه السلام: «أُنظروا مَن تخفى على النّاس ولادتُه، فهو صاحبكم»[١].

ثانياً: علّة إخفاء ولادته عجل الله فرجه

إنّ قضيّة الإمام المهديّ عجل الله فرجه بكلّ أبعادها ومظاهرها قضيّة تتعلّق بإرادة الله سبحانه وحكمته، فهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهي من القضايا العامّة التي اهتمّت الدّيانات بها، وبشّر الأنبياء بظهور المصلح المنتظر، الذي يُزيل الظلم ويُقيم دولة الحقّ، فهي ليست قضيّة إسلاميّة خاصّة، ولا هي من معتقدات الشّيعة الإماميّة فحسب، فالتوراة تضمّنت البشارة به، وكذا الأناجيل الأربعة، بيد أنّ وضوح الرؤية حول هذه العقيدة تجلّت بكلّ أبعادها – فيما عدا التوقيت بظهور الإمام عجل الله فرجه- بما تناقله المسلمونَ على امتداد التاريخ الإسلاميّ منذ البعثة حتّى يومنا هذا.

ثالثاً: ما أُثر عن أهل البيت عليهم السلام في علّة إخفاء ولادته عجل الله فرجه

أمّا بخصوص العلّة في إخفاء ولادته، فقد أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومينَ عليهم السلام ما يوضّح السّبب والعلّة في ذلك، ومنه:

١- عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام، قال: «صاحبُ هذا الأمر تعمى ولادته على هذا الخلق؛ لئلّا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج»[٢].

٢- عن الإمام الرِّضا عليه السلام أنّه قال: «كأنّي بالشّيعة عند فقدهم الثالث من ولدي – أي: الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام- كالنَّعَم، يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلتُ له: ولِمَ ذاك يابن رسول الله؟ قال: لأنّ إمامهم يُغيّب عنهم، فقلتُ: ولِمَ؟ قال: لئلّا يكون

---

(١) كمال الدّين: ٣٢٥/١.

(٢) كمال الدّين: ٤٧٩/١- ٤٨٠.

لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسّيف»[١].

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ للقائم غيبة يطول أمدها، فقلتُ له: يابن رسول الله، ولِمَ ذلك؟ قال: لأنّ الله أبى إلّا أنّ تجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وإنّه لا بدّ له ياسدير من استيفاء مُدد غيباتهم، قال الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[٢] أي: سنن مَن كان قبلكم»[٣].

٤- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ للقائم غيبة قبل أنْ يقوم، قال: قلتُ: ولِمَ؟ قال: يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه-، قال زرارة: يعني القتل»[٤].

إنّ هذه الأحاديث الشّريفة كلّها، تُفيد أنّ علّة إخفاء الولادة وأنّ سبب الغيبة يرجع إلى أمرين:

الأوّل: أنْ لا تكون في عنقه بيعة لطاغية زمانه.

الثاني: الخوف من القتل.

رابعاً: الإمام العسكريّ عليه السلام وضرورة الإعلان عن الولادة

على الرّغم ممّا أُحيط بالميلاد المبارك من كتمان وسريّة وخفاء، نجد أنّ الإمام العسكريّ عليه السلام لا يكتم ذلك عن خاصّته من ثقاته، فهو يأمر أبا عمر عثمان بن سعيد، وهو من أخصّ أصحابه، بأنْ يعقّ عن المولود الجديد عدداً من الشّياه، وأنْ يشتري عشرة آلاف رطل من الخبز، وعشرة آلاف رطل لحماً، فيوزّعه على الفقراء، وقدْ أرسل الإمام العسكريّ عليه السلام ـ أيضاًـ شاة مذبوحة إلى محمّد بن إبراهيم

---

(١) كمال الدّين: ٤٨٠/٢ .

(٢) الانشقاق: ١٩.

(٣) كمال الدّين: ٤٨١/٢.

(٤) كمال الدّين: المورد نفسه.

الكوفيّ، وهي عقيقة عن المولود الجديد[١].

ويتباشر أصحاب الإمام العسكريّ بميلاد الإمام المهديّ ﴿عليه السلام﴾، ويأتونَ الإمام مهنّئينَ بالمولود، ويتواصونَ فيما بينهم بكتمان الأمر، ويسأل أحدهم عن اسمه ﴿عليه السلام﴾، فيقال له: سُمِّي: «محمّد»، وكنّي: «بأبي جعفر».

المطلب السّابع: تجهيز الإمام العسكريّ ﴿عليه السلام﴾ وتشييعه ودفنه

تمكّن الإمام العسكريّ ﴿عليه السلام﴾ من إخفاء ما يتعلّق بولده ﴿عليه السلام﴾ عن أعين السّلطة، ولم يحسّوا بشيء، على الرّغم من أنّ السّلطة بعثت الكثيرينَ ليكونوا إلى جانب الإمام ﴿عليه السلام﴾ في أيّامه الأخيرة بعناوين مختلفة، وخاصّة كأطباء[٢]، فلم يكن مع الإمام ﴿عليه السلام﴾ في مرضه سوى زوجته وعقيد الخادم، وقد أدّى صلاة الفجر والتحق بالرفيق الأعلى، مودّعاً ولده، وموكلاً أمره للرعاية الإلهيّة[٣].

ضجّت سامرّاء بنبأ استشهاد الإمام ﴿عليه السلام﴾، فإنّ الجميع كانوا يقرّونَ بزهده ﴿عليه السلام﴾ وورعه، وعبادته، وبشرف نسبه، ولا يختلفونَ في ذلك على مختلف مستوياتهم الخاصّة والعامّة، فتعطّلت الأسواق، واجتمع النّاس لتشييع جثمان الإمام ﴿عليه السلام﴾.

وقبل تشييعه، صلّى عليه ولده المهدي ﴿عجل الله فرجه﴾ مع جمع من أصحابه ومواليه بعيداً عن المستوى الرسميّ الذي أعدّته السّلطة.

وقبل صلاة الإمام المهديّ ﴿عجل الله فرجه﴾ على أبيه، خرج عقيد الخادم، ودعا (جعفر بن عليّ) أخا الإمام العسكريّ وعمّ الإمام المهديّ ﴿عليه السلام﴾، وكان جعفر يرى أنّ الإمام العسكريّ ليس له خلف، ما دفعه للصّلاة والوقوف أمام النّاس بقبول التعزية بأخيه،

---

(١) يُنظر: كمال الدّين: ٤٣٢/٢، وما بعدها.

(٢) يُنظر: إعلام الورى، الطبرسيّ: ٣٦٠.

(٣) يُنظر: كمال الدّين: ٤٣٧/٢.

والتهنئة بالإمامة، غير أنّ تخطيطه لم يُفلح؛ إذْ تصدّى الإمام عجل الله فرجه له عند دخوله للصّلاة على أبيه عليه السلام، وتنحيته عن جنازة أبيه، وشاهد المجتمعونَ داخل البيت صبيّاً يخرج وبوجهه سمرة، وبشعره قطط، وبأسنانه تفليج، يجذب رداء عمّه جعفر، ويتقدّم للصّلاة على أبيه عليه السلام[1].

وبعد أنْ أدّى الإمام عجل الله فرجه الصّلاة، أُخرج جثمان الإمام العسكريّ عليه السلام للجمهور، ثمّ تمَّ تشييعه وحمله إلى مثواه الأخير، وقد دُفن إلى جنب أبيه الهادي عليه السلام[2].

---

(١) يُنظر: كمال الدّين: ٤٧٣. ويُنظر أيضاً: ص ٤٧٦، ويُنظر للمزيد: الغيبة، الطوسيّ: ١٥٥.

(٢) يُنظر: بحار الأنوار: ٣٣٥/٥٠.

خلاصة البحث

كانت ولادة الإمام عجل الله فرجه في النصف من شعبان سنة (٢٥٥هـ)، بدرجة عالية من الكتمان، ووردت الأخبار عن الرّسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام عن غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، وجاءت نصوص أُخَر تُخبر عن خفاء ولادته عن الأمّة، لتوضح مسيرة حياة الإمام عليه السلام وموقف القواعد الشعبيّة المولية والأمّة، من حيث الإيمان به، حتّى إذا جاء وقت الولادة والغيبة لا تشكّ الأمّة ولا ترتاب في وجوده عجل الله فرجه؛ نظراً إلى الإعداد اللّازم لذلك.

أوضحت بعضُ الأحاديث علّةَ خفاء ولادته عليه السلام، ويمكن حصر ما ورد فيها في علّتين:

الأولى: لكي لا تكون بيعة في عنق الإمام عجل الله فرجه لطاغية زمانه.

الثانية: مخافة القتل على نفسه، فيما لو انكشف أمره للنّاس.

وعلى الرّغم ممّا أُحيط به الميلاد المبارك من كتمان وسريّة وخفاء، نجد أنّ الإمام العسكريّ عليه السلام لا يكتم ذلك عن خاصّته من ثقاته.

اختبارات البحث

١. صف الظروف التي أحاطت بميلاد الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

٢. أذكر بعض الرّوايات التي تحدّثت عن كيفيّة ولادة الإمام المهديّ عجل الله فرجه.

٣. ما هو السرّ في إخفاء ولادة الإمام المهديّ عجل الله فرجه؟

٤. صف تجهيز الإمام العسكريّ عليه السلام وتشييعه ودفنه.

٥. أوضحت بعضُ الأحاديث علّة خفاء ولادته عليه السلام، ويمكن حصر ما ورد فيها في علّتين، أذكرهما مع بعض التوضيح.

البحث رقم (٤٧)

الإمام المهدي عجل الله فرجه يتسلّم زمام الأمر

أهداف البحث

١. بيان عمره عجل الله فرجه حين تسلّمه مهامّ الإمامة.
٢. وصف معنى الغيبة الصّغرى وتاريخ شروعها.
٣. تعداد وكلاء الإمام عجل الله فرجه الخاصّين.
٤. بيان الملامح العامّة لعصر الغيبة الصّغرى.
٥. توجيه ندرة الثّورات العلويّة في الغيبة الصّغرى.

مقدمة البحث

تناولنا بعض الخطوط العامّة في تاريخ الإمام المهديّ عجل الله فرجه؛ إذْ قمنا بإطلالة عامّة ألقينا فيها نظرة على ولادته عليه السلام، فقد وقع فيها الكثير من الكلام والتشكيك من قبل البعض. ونواصل المسيرة اليوم لنتكلّم عن مسألة تسلّمه عجل الله فرجه زمام الأمور.

المطلب الأوّل: عمره عجل الله فرجه حين تسلّمه مهامّ الإمامة

كانت ولادة الإمام المهديّ عليه السلام سنة (٢٥٥هـ أو ٢٥٦هـ)[١]، وعاش في ظلال أبيه الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام خمس سنوات؛ إذْ استشهد أبوه عام (٢٦٠هـ)[٢]، فيكون عمره الشّريف حين تسلّمه مهام الإمامة خمس سنوات.

المطلب الثاني: بدء الغيبة الصّغرى ومميّزاتها

أوّلاً: بدء الغيبة الصّغرى

يُؤرَّخ لبدء الغيبة الصّغرى بوفاة الإمام العسكريّ عليه السلام، فهي مقترنة بتولّي الإمام المهديّ عجل الله فرجه مهامّ الإمامة، وقد بدأها الإمام عليه السلام بتنصيب وكيله الأوّل عثمان ابن سعيد العمريّ عندما قابله وفد القمّيّينَ، وسُمِّيت هذه الفترة بالغيبة الصّغرى

---

(١) يُنظر: إعلام الورى: ٢/٢١٤.

(٢) يُنظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٧/١٢٦.

لعدم احتجاب الإمام كلّيّاً؛ إذْ كان يتّصل بقواعده عن طريق وكلائه ونوّابه.

ثانياً: مميّزات فترة الغيبة الصّغرى

ويمكن أنْ نُجمل مميّزات الغيبة الصّغرى بالنقاط الآتية:

١- بدأت بتولّي الإمام المهديّ ﷺ للمنصب الإلهيّ الكبير في إمامة المسلمين بعد ارتحال أبيه ﷺ، لكي يتولّى مسؤوليّته الكبرى في قيادة قواعده الشعبيّة خاصّة والبشريّة كلّها عامّة إلى شاطئ الأمن والعدل.

٢- كان الإمام ﷺ يتّصل في هذه المُدّة بعدد من ثقاته وخاصّته، ولم يكن احتجابه مطلقاً؛ إذْ يبدأ استتاره بعد نهاية هذه المُدّة، أي: سنة (٣٢٩هـ) بعد وفاة النائب الرابع عليّ بن محمّد السّمريّ.

٣- وجود السّفراء الأربعة الموكَّلين بتبليغ تعاليم الإمام المهديّ ﷺ إلى قواعده الشّعبيّة، بحسب الوكالة الخاصّة المنصوص عليها من قبله نفسه، أو من قبل آبائه ﷺ. فكان كلّ ما يصدر عن الإمام ﷺ ويرد عليه من قواعده يتمّ بتوسّط السّفراء.

ثالثاً: الملامح العامّة لعصر الغيبة الصّغرى

ويُقصد بالملامح العامّة أبرز الحوادث والظواهر التي تميّز بها هذا العصر على المستوى الخاصّ (الكيان الشيعيّ) بقيادة الإمام المهديّ ﷺ وسفرائه، وعلى المستوى العامّ الذي يشمل حالة الدّولة بطبقاتها المختلفة وأوضاعها الاجتماعيّة والاقتصاديّة، واستتباب الأمن أو الاضطرابات والانتفاضات، ويشمل الأمّة أيضاً ووضعها وموقفها من الدّولة والأحداث التي مرّت بها خلال هذه المُدّة، التي امتدّت من وفاة العسكريّ ﷺ سنة (٢٦٠هـ)، وحتّى وفاة السّفير الرابع عام (٣٢٩هـ)[1].

وأمّا أهمّ الملامح هنا، فهي:

١. تعيّن الوكالة الخاصّة (السّفارة)

فقد تعيّنت الوكالة الخاصّة عن الإمام المهدي ﷺ في أربعة من خيار خلق

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ، أحداث السّنوات (٢٦٠ هـ- ٣٢٩ هـ).

الله وخاصّته، وهم:

أ- عثمان بن سعيد العمريّ (لم تعرف سنة وفاته ببغداد).

ب- محمّد بن عثمان العمريّ، المتوفّى سنة (٣٠٤ هـ أو ٣٠٥ هـ) ببغداد.

ج- الحُسين بن روح النوبختيّ، المتوفّى سنة (٣٢٠ هـ) ببغداد.

د- عليّ بن محمّد السّمريّ، المتوفّى سنة (٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ) ببغداد.

٢. كثرة الخلفاء

تولّى الخلافة خلال هذه المُدّة ستّة من خلفاء بني العبّاس، أوّلهم: المعتمد، الذي عاصر وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام ومبدأ الغيبة الصّغرى، حتّى عام (٢٧٩هـ)؛ إذْ آلت الخلافة إلى المعتضد حتّى سنة (٢٨٩هـ)، واستخلف المكتفي إلى سنة (٢٩٥هـ)، وبعده المقتدر إلى سنة (٣٢٠ هـ)، ثمّ القاهر بالله حتّى سنة (٣٢٢ هـ)[١]، ثمّ الرّاضي حتّى عام (٣٢٩هـ)، وهو عام وفاة النائب الرابع عليّ بن محمّد السّمريّ (رضي الله عنه).

٣. ضعف الخلافة العبّاسيّة

فقدْ سيطر الموالي والأتراك على دفّة الحكم ومقاليد الأمور، وكان بيدهم نصب الخليفة وعزله، فكانوا عاملاً مهمّاً في ضعف الدّولة وانحلالها.

٤. قتل الخلفاء

فالمعتضد مات مسموماً من قبل إحدى جواريه[٢]. والمقتدر مات بشرٍّ قتلة من قبل المغاربة والبربر[٣]. والقاهر تولّى الحكم يومين ليعود أخوه المقتدر للحكم[٤].

---

(١) يُنظر: تاريخ الطبريّ، أحداث السّنوات (٢٦٠هـ ـ ٣٢٩هـ).

(٢) يُنظر: مروج الذهب: ١٨٤/٤.

(٣) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٢٢١/٦.

(٤) يُنظر: المصدر السّابق: ٢٠٢.

٥. كثرة الحروب والاضطرابات الداخليّة

وهي التي كان يقوم بها المعارضون للدّولة، من الأكراد والخوارج والأعراب وغيرهم، وكذا من الخارجين عليها، الطّامعين في المُلك والسّيطرة، حتّى أنّ بعض الأقاليم استقلّت عن السّلطة المركزيّة للدّولة، فهذا مرداويج يخرج في فارس ويملك طول البلاد وعرضها، وتقدم الكلام عن الزنج وثورتهم.

٦. انتقال الخلافة من سامرّاء إلى بغداد

بويع للمعتضد أبي العبّاس بن الموفّق في بغداد سنة (٢٧٩هـ)، وفقدتْ سامرّاء مركزها التاريخيّ الذي بدأ بخلافة المعتصم.

٧. ظهور مدعي المهدويّة

فقد ظهر شخص في شمال إفريقيا يدّعي أنـّه هو المهديّ، وأنّه من ذرّيّة إسماعيل بن جعفر بن محمّد الصّادق ﷺ، وقد استولى على أراضٍ واسعة الأرجاء سنة (٢٩٦هـ) [١]،وملك ما يقابل ليبيا وتونس والجزائر من الدّول المعاصرة[٢]. وتوفّي سنة (٣٣٣ هـ) بعد أنْ قاتل أبا يزيد الخارجيّ[٣].

٨. ظهور القرامطة

وهم فرقة من الإسماعيليّة تزعم أنّ محمّد بن إسماعيل هو خاتم النبيّين، وهم من الباطنيّة، استحلّوا أعراض النّاس بالسّيف والقتل، وسلبوا الأموال خلال هجومهم على قوافل الحجّاج، وقلعوا الحجر الأسود[٤].

٩. قيام الدّولة البويهيّة

وذلك سنة (٣٢١ هـ)، وقد اتّسعتْ قيادة وسيطرة عماد الدّولة عليّ بن بويه في

---

(١)يُنظر: الكامل في التاريخ: ١١١/٦.

(٢) يُنظر: المصدر السّابق: ١٣٤، ٣٣٣، ٣٣٨.

(٣) يُنظر: المصدر السّابق.

(٤) يُنظر: للاطلاع على عقيدة هؤلاء: المصدر السّابق : ٧٠.

فارس، وتوسّع ملك الدّولة البويهيّة نتيجة لذلك[١].

١٠ . ندرة الثورات العلويّة وسبب ذلك

كان لوجود الأئمّة عليهم السلام وحضورهم وتوجيههم المباشر وغير المباشر أثرٌ واضح لانفجار الثورات الدّاعية إلى الرّضا من آل محمّد صلى الله عليه وآله، بنحو استطاع الأئمّة عليهم السلام أنْ يخفوه عن السّلطات الجائرة في المُدّة السّابقة لعصر الغيبة، ففي خلال أقلّ من نصف قرن، ثار عشرون شخصاً، بينما نرى أنّ السّبعين سنة التالية لحضورهم تكاد تكون خالية من هذه الثورات[٢].

ويعود السّبب في ندرة الثورات العلويّة في هذه المُدّة إلى ثلاثة أمور:

الأوّل: كثرة الحركات المضادّة للدّولة

والتي كانت تختلف في عقيدتها وأهدافها مع ثورات الرِّضا من آل محمّد عليهم السلام.

الثاني: انتهاء زمن حضور الأئمّة عليهم السلام

وذلك بعد وفاة الإمام العسكريّ عليه السلام وابتداء الغيبة الصّغرى.

الثالث: عدم الفائدة

فإنّ هدف الثورات العلويّة غالباً لم يكن إسقاط النظام القائم، بل لإشغال السّلطة وإبعادها عن الضّغط على إمام العصر، ليتمكّن من أداء رسالته بإعداد قواعده والحفاظ على الشّريعة. أمّا الوكلاء الأربعة، فكانوا حلقة الوصل بين الإمام المهديّ عجل الله فرجه وقواعده، وكانوا يهيّئونَ الأمّة إلى مرحلة تطول ولا يعلم نهايتها إلّا الله سبحانه، فلا بدّ من إعدادهم وتنميتهم الفكريّة والروحيّة والبلوغ بهم مرحلة الاستقلال الفكريّ في مرحلة الوكالة العامّة، وهي مرحلة الغيبة الكبرى؛ إذْ لا اتّصال للأمّة بالإمام عجل الله فرجه.

---

(١) يُنظر: الكامل في التاريخ: ٢٣٠/٦.

(٢) يُنظر: الغيبة الصّغرى: ٣٦٢.

خلاصة البحث

تسلّم الإمام المهديّ ﷺ مهامّ الإمامة سنة (٢٦٠هـ)، وكان عمره الشّريف خمس سنوات؛ إذْ ابتدأت الغيبة الصّغرى وكان نائب الإمام ﷺ الأوّل ووكيله عثمان بن سعيد العمريّ هو الواسطة فيما بينه وبين قواعده.

وسمّيت المُدّة الممتدّة بين (٢٦٠ و ٣٢٩ هـ)؛ بعد وفاة آخر وكلائه ﷺ بـ(الغيبة الصّغرى)؛ لعدم احتجاب الإمام كلّيّاً عن قواعده؛ إذْ كان الاتّصال يتمّ عن طريق الوكلاء.

وكان لفترة الغيبة الصّغرى ملامح امتازت بها، منها: وجود الوكلاء، وضعف الخلافة، والصّراع على السّلطة، وكثرة الخروج عليها من قبل المعارضين، وقلّة الحركات الداعية إلى الرِّضا من آل محمّد ﷺ.

اختبارات البحث

١. ما الفرق بين الغيبة الصّغرى والكبرى؟
٢. تكلّم عن معنى الغيبة الصّغرى وتاريخ شروعها.
٣. عدِّد وكلاء الإمام ﷺ الخاصّين.
٤. ما هي الملامح العامّة لعصر الغيبة الصّغرى؟
٥. كيف تفسِّر ندرة الثّورات العلويّة في الغيبة الصّغرى؟

البحث رقم (٤٨)

حياة الإمام المهدي عجّل الله فرجه في الغيبة الصّغرى

أهداف البحث

١. بيان صفة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه في الغيبة الصّغرى.
٢. وصف مكانه وتنقّلاته عجّل الله فرجه في الغيبة الصّغرى
٣. توضيح عمره الشّريف عجّل الله فرجه في الفترات المختلفة.
٤. توجيه عدم تغيّر شكله عجّل الله فرجه في زمان ظهوره.
٥. وصف نشاطات الإمام عجّل الله فرجه المختلفة في الغيبة الصّغرى.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق بعض الخطوط العامّة في تاريخ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه؛ إذْ ألقينا فيها نظرة عليه وهو يتسلّم زمام الأمور في مجال الإمامة والقيادة، وتعرّضنا – أيضاً– لفترة سمَّيناها بالغيبة الصّغرى، فشخّصناها، وذكرنا جملة من مميّزاتها وأهمّ ملامحها، إلا أنّنا لم نتعرّض لحياة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه وصفاته ونشاطاته التي كان يقوم بها في هذه المُدّة، وهو ما نريد إلقاء الضّوء عليه في هذا البحث.

المطلب الأوّل: صفته عجّل الله فرجه في الغيبة الصّغرى

كان عليه السلام يوم وفاة أبيه، حين رآه النّاس يصلّي عليه: صبيّاً بوجههِ سمرةٌ، بشعرهِ قطط، و بأسنانه تفليج.

ثمّ وصفه مَن رآه بعد ذلك خلال غيبته الصّغرى، بأنّه شابٌّ حسن الوجه، طيّب الرائحة، هيوب، ومع هيبته فإنّه متقرّب إلى النّاس، قال الرّاوي: فتكلّم، فلم أرَ أحسن من كلامه، ولا أعذب من منطقه في حسن جلوسه.

وفي رواية أُخرى: إنّه شابٌّ أسمر لم أرَ [أحداً] قطّ في حسن صورته واعتدال قامته[1].

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ١٥٢، ١٥٣.

وفي رواية ثالثة: فتى حسن الوجه، طيّب الرائحة، يتبختر في مشيته[١].

وفي رواية رابعة: إنّه ليس بالطويل الشّامخ، ولا بالقصير اللّازق، بل مربوع القامة، مدوّر الهامة، صَلْت الجبين، أزجُّ الحاجبين، أقنى الأنف، سهل الخدين، على خدّه الأيمن خال[٢].

إلى غير ذلك من الرّوايات[٣].

ونسمع من سفيره محمّد بن عثمان (رحمه الله)، حين سُئل عن رؤيته للمهديّ عجل الله فرجه واصفاً عنقه في حسنه وغلظه، فيشير بيده، ويقول: وعنقه هكذا[٤]، أو قال: ورقبته مثل هذا[٥].

وإنّما أكّد على صفة عنقه ليدلّ على صفة الرّجولة فيه، وإنّه لم يبقَ كما عهده النّاس في حياة أبيه صبيّاً صغيراً، أو غلاماً عشاريّاً عليه رداء تقنّع به[٦].

وفي زمان العمريّ السّفير الثاني، حاول شخص أنْ يقابل المهديّ عجل الله فرجه، فوفّر له العمريّ فرصة المقابلة، فرآه شابّاً من أحسن النّاس وجهاً، وأطيبهم رائحة[٧].

---

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ١٥٩.

(٢) يُنظر: المصدر السابق: ١٦١.

(٣) يُنظر: المصدر السابق: ١٥٦ و١٦٣ و١٨٢.

(٤) يُنظر: المصدر السابق: ٢١٥.

(٥) يُنظر: المصدر السابق: ٢١٩.

(٦) يُنظر: المصدر السابق: ١٥٥.

(٧) يُنظر: المصدر السابق: ١٦٤، والاحتجاج: ٢٩٨/٢، ووسائل الشّيعة: ١٤٧/٣.

المطلب الثاني: مكانه وتنقّلاته في الغيبة الصّغرى [1]

أوّلاً: في سامرّاء

كان حال حياة أبيه عليه السلام في سامرّاء، دلّت على ذلك جميع الرّوايات الناقلة لمشاهدته في تلك المُدّة. ومن الطبيعيّ أنْ يبقى في سامرّاء يوم وفاة أبيه؛ إذْ يصلّي عليه، ويقابل وفد القمّيّين، ليحوّلهم على بغداد، ليعيّن لهم سفيراً.

ويبقى في سامرّاء ردحاً من السّنين بعد ذلك، كما تدلّ عليه حوادث تحويل السّفيرين الأوّلين أموال الوفود إلى سامرّاء[2]. ويدلّ عليه – أيضاً– بعض مقابلاته هناك، ويدلّ عليه – أيضاً– ما قامتْ به السّلطات من المطاردة له والكبس على داره في سامرّاء من قبل المعتمد والمعتضد؛ إذْ يكون عليه السلام موجوداً هناك، ولكنّه كان يستطيع التخلّص.

إذن، فهو إلى زمان خلافة المعتضد التي تولّاها عام (٢٧٩هـ) كان ساكناً في دار أبيه في سامرّاء، فلو فُرض – كما هو المظنون– أنّ الكبس الذي أمر به المعتضد كان في أوّل سنة من خلافته، فمعنى ذلك أنّ المهديّ ﷺ بقي هناك تسعة عشر سنة بعد وفاة أبيه عليه السلام.

وقد أبعد المهديّ ﷺ عن نفسه كلّ الآثار، وكلّ ما يلفت النظر ويثير الشّكّ، حتّى وكلاؤه أصبحوا بعيدينَ عنه، لكي لا يوجّهوا الأنظار إليه أوّلاً، ولكي يعيشوا في قلب الحوادث الاجتماعيّة، شأن كلّ مَن يريد أداء الخدمة الصّالحة لمجتمعه وأُمّته ثانياً، ولكي يبعُدُوا هم بدورهم عن مراقبة الدّولة وعاصمة الملك حال كونها في سامرّاء خلال هذه التسعة عشر سنة ثالثاً.

والمتتبّع لخروج التوقيعات والبيانات عن الإمام المهديّ ﷺ خلال المُدّة

---

(١) يُنظر لهذا المطلب: الغيبة: ٢٥٣، وما بعدها.

(٢) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٤١٦– ٤١٧.

الأولى من غيبته، يرى بوضوح قلّتها وندرتها. إلى حدّ لا يكاد ينقل عن السّفير الأوّل، بل السّفير الثاني في أوّل سفارته توقيع ذو أهمّيّة، إلّا في حدود قليلة، وعند الحاجة الكبيرة، وما ذلك إلّا لأنّ الحاجة إلى الحذر في هذه المُدّة ألزم، والبعد بين المهديّ ﷺ وسفرائه من حيث المكان أكثر.

ثانياً: فرصة جديدة في الخروج والتجوّل

وحين تنتهي هذه المُدّة الحرجة، ولا يزال محمّد بن عثمان سفيراً في ذلك الحين، تنفتح له ﷺ، فرصة جديدة في الخروج والتجوّل بنحو لا يمكن أنْ يعرفه النّاس، ولا أنْ يُشار إليه بحقيقته. فإنّ أكثر النّاس لم يروه في حياة أبيه، ومن رآه منهم كان قد رآه طفلاً أو صبيّاً، والآن قد أصبحَ شابّاً وسيماً، فلا تكاد ملامحه محفوظة معروفة بعد مرور هذه المُدّة الطويلة. على أنّ جيلاً من النّاس قد مات وجيلاً واجه الحياة من جديد، وهو لا يعرف من شكل المهديّ ﷺ شيئاً، وكلّما طالت المدّة، إبتعدت صورته عن الأذهان.

ومن هنا، انفسحت للمهديّ ﷺ فرصة جديدة لأن يدخل بغداد، لنراه تارة بزيِّ التجّار[١]، وأُخرى آمراً محمّد بن عليّ بن بلال بأنْ يدفع ما لديه من الأموال إلى سفيره العمريّ[٢]. وأصبح يحضر موسم الحجّ في كلّ عام ماشياً[٣]. بل أصبح يخالط الحجّاج من خواصّه، ويحدّثهم[٤]، ويعلّمهم الأدعية، ويعطيهم التعليمات[٥]. بل إنّه ليكشف حقيقته أمام البعض إذا اقتضتْ المصلحة، ولم يكن في ذلك

---

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ١٦٤.

(٢) يُنظر: المصدر السابق: ٢٤٦.

(٣) يُنظر: المصدر السابق: ٢٥٨.

(٤) يُنظر: المصدر السابق: ١٥٢.

(٥) يُنظر: المصدر السابق: ١٥٦.

خطر[١]. وكان يسكن خلال فترة الحجّ في تلك الدّيار المقدّسة. ومن هنا، سنرى أنّ جملة من مقابلاته تمّت هناك من قبل الباحثين عنه، المريدين للتشرّف بلقائه.

وكما يذهب إلى الحجّ، فانّه يذهب إلى كربلاء لزيارة جدّه سيّد الشهداء أبي عبد الله الحُسين ﷺ يوم عرفة، فيوصل إلى أحدهم مالاً[٢].

بل إنّه يصل إلى مصر، على ما يظهر من بعض الرّوايات، وينزل الإسكندريّة في خان ينزله الغرباء، يصلّي في مسجده بأهل ذلك الخان، ثمّ يسافر مع أحدهم، ويأخذ طريق البحر[٣].

ثمّ إنّه يعود من هذه الأسفار إلى بغداد ليباشر الاتصال بسفرائه، وإدارة مصالح المجتمع والوقوف في وجه المنحرفين، عن طريق التوقيعات والبيانات.

هذا، ونسمع قول المهديّ ﷺ - في رواية عليّ بن إبراهيم بن مهزيار - يابن المازيار، أبي محمّد عهد إليّ أنْ لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، ولهم الخزي في الدّنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم، وأمرني أنْ لا أسكن من الجبال إلّا وعرها، ومن البلاد إلّا عقرها، والله، مولاكم أظهر التقيّة، فوكّلها بي، فأنا في التقيّة إلى يوم يُؤذَن لي فأخرج[٤].

المطلب الثالث: عمره الشريف

ولد ﷺ في النصف من شعبان عام (٢٥٥ هـ)، فيكون عمره حين وفاة أبيه في شهر ربيع الأوّل من عام (٢٦٠ م) أربع سنوات وحدود ستّة أشهر، وفي هذا العمر تولّى منصب الإمامة وقيادة الأمّة، وآتاه الله الحكم صبيّاً.

---

(١) يُنظر: الغيبة: ١٥٢.

(٢) يُنظر: المصدر السابق: ١٨١.

(٣) يُنظر: المصدر السابق: ١٨٣.

(٤)المصدر السابق: ١٦١.

ولم يكن شكله يوم وفاة أبيه موافقاً مع هذا العمر، بل كان صبيّاً يافعاً، حتّى قال مَن رآه: إنّه ابن ثمان أو عشر سنين، وحين شوهد في الحجّ سنة (٢٩٣هـ)، فقد شوهد شابّاً أسمر، قال الرّاوي: لم أرَ مثله قطّ في حسن صورته واعتدال قامته، ثمان وثلاثون عاماً، ويكون عمره عند وفاة سفيره الثاني في جمادى الأولى سنة (٣٠٥هـ) خمسين عاماً غير ثلاثة أشهر، وعند وفاة سفيره الثالث الحُسين بن روح (رحمه الله) سنة (٣٢٦هـ) واحداً وسبعين سنةً، ويكون عمره عند وفاة سفيره الرابع الشّيخ السّمريّ، سنة (٣٢٩هـ) وانتهاء فترة الغيبة الصّغرى، أربعاً وسبعين سنةً، قضى منها أربع سنين ونصفاً في حياة أبيه ﴿عليه السلام﴾، وتسعة وستّين عاماً ونصفاً وخمسة عشر يوماً في الغيبة الصّغرى، ثمّ بدأت الغيبة الكبرى؛ إذْ لا ظهور إلّا أنْ يأذنَ الله تعالى بالفرج، لكي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1].

هذا بحسب عدد السّنين. وأمّا بحسب شكله، فكان ﴿عجل الله فرجه﴾ لايزال شابّاً، يقدّره الناظر بحوالي العشرينَ عاماً على ما يستفاد من مجموع أوصافه[2]. وهذا أمر ممكن بل ضروريّ الثبوت، باعتبارين:

أحدهما: وهو الأمر الأساس، وهو الإيمان بقدرة الله تعالى الذي خلقنا أوّل مرّة، والذي يحيي العظام وهي رميم، وبيده ملكوت كلّ شيء، وهو على كلّ شيء قدير.

فإذا عرفنا المصلحة الكبرى المتوقّفة على وجود الإمام المهديّ ﴿عجل الله فرجه﴾، والمسؤوليّة الكبرى المناطة به، وأنّها من الأهمّيّة في الإسلام إلى حدّ تقتضي أنْ يُعمِل الله عزّوجلّ إرادته الخاصّة في تنفيذها، عرفنا كيف يمكن أنْ يحفظ الله تعالى الإمام المهديّ ﴿عجل الله فرجه﴾ من أجل ذلك الهدف الكبير، ولا مانع من ذلك عقلاً ونقلاً، كما ورد في القرآن الكريم عن أصحاب الكهف وعزير.

---

(١) ينظر لأحوال السّفراء: الغيبة: ٣٥٣، وما بعدها.

(٢) كما تقدّم.

ثانيهما: نموّه البطيء في غيبته الكبرى، بنحو يقدّر له من العمر حين ظهوره أربعينَ عاماً، كما ورد في مجموعة من الأحاديث(١).

ومن طريف ما ورد في هذا الصّدد، ما في عقد الدُّرر عن أبي عبد الله الحُسين عليه السلام، قال: «لو قام المهديّ، لأنكره النّاس؛ لأنّه يرجع إليهم شابّاً موفّقاً، وأنّ من أعظم البليّة أنْ يخرج إليهم صاحبهم شابّاً، وهم يظنّونه شيخاً كبيراً»(٢). والمراد من قوله عليه السلام: «يرجع إليهم»: إنّه يظهر لهم بعد غياب، لا أنّه يكون شيخاً ثمّ يتحوّل شابّاً بطريق إعجازيّ.

هذا كلّه بحسب المصالح الإلهيّة الكبرى المذخورة ليومه الموعود.

---

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٢٥٨.

(٢) يُنظر: تاريخ الغيبة الصّغرى: ٥٤٩ .

خلاصة البحث

أتاحتْ صلاة الإمام المهديّ ﷻ على أبيه ﷺ فرصة رؤيته، وكان صبيّاً بوجهه الكريم سمرة، بشعره قطط، وبأسنانه تفليج كما ورد عن الرسول ﷺ والأئمّة ﷺ في صفاته ﷻ.

وصفه سفيره الثاني لمواليه عندما سألوه عنه ﷻ، وسكن في سامرّاء فترة ليست بالقصيرة، وتنقّل بينها وبين الأمصار التي يسكنها مواليه، وذهب إلى زيارة الإمام الحُسين ﷺ في كربلاء، وشوهد وهو يؤدّي مراسم الحجّ، كما ذهب إلى مصر.

كان عمره الشّريف حين وفاة والده ﷺ أقلّ من خمس سنوات، وعمره حين وفاة السّفير الرابع عام (٣٢٩هـ) أربعة وسبعين عاماً، وكلّ من رآه في ذلك الوقت يقول عنه إنّه شابّ ابن ثلاثينَ سنة أو تزيد قليلاً.

اختبارات البحث

١. تكلّم عن صفة الإمام المهديّ ﷻ في الغيبة الصّغرى.
٢. صف مكانه وتنقّلاته ﷻ في الغيبة الصّغرى.
٣. تكلّم عن عمر الإمام المهديّ ﷻ في الفترات المختلفة.
٤. كيف تفسِّر عدم تغيّر شكل الإمام المهديّ ﷻ في زمان ظهوره؟
٥. ما هي نشاطات الإمام ﷻ المختلفة التي يقوم بها في الغيبة الصّغرى؟

البحث رقم (٤٩)

نشاطات الإمام المهديّ عجل الله فرجه في الغيبة الصّغرى

أهداف البحث

١. وصف تعريف الإمام المهديّ عجل الله فرجه بوجوده وإمامته.

٢. توضيح دور الإمام عجل الله فرجه في مجال صيانة تراث أهل البيت عليهم السلام.

٣. وصف دوره عجل الله فرجه في إكمال وإرساء نظام النيابة الخاصّة.

٤. التعريف بدوره عجل الله فرجه في حفظ الكيان الشيعيّ وقضاء حوائج المؤمنين.

٥. توضيح دوره عجل الله فرجه في كشف الانحرافات العقائديّة.

٦. وصف لقاء الإمام الحجّة عجل الله فرجه ببعض المؤمنين.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق بعض الخطوط العامّة في تاريخ الإمام المهديّ عجل الله فرجه؛ إذْ ألقينا فيها نظرة عليه في الغيبة الصّغرى، من صفاته ومكانه وتنقّلاته وغير ذلك من الأمور.

ونتعرّض في هذا البحث إلى أهمّ نشاطاته عليه السّلام في هذه المُدّة المسمّاة بالغيبة الصّغرى.

المطلب الأوّل: أهمّ نشاطات الإمام عجل الله فرجه العامّة

أوّلاً: وجوده وإمامته(١)

إنّ التحاق الإمام العسكريّ عليه السلام بالرّفيق الأعلى، وما رافق ولادة ولده الإمام المهديّ عجل الله فرجه من كتمان وتحفّظ، كلّها عوامل تدفع الإمام عجل الله فرجه إلى تعريف مواليه وسواهم بوجوده، وإظهار ما يلزم لبيان تولّيه الإمامة بعد أبيه عليه السلام.

وكانت صَلاته على أبيه وإبعادُه لعمّه جعفر أوّل حدث يخرج به الإمام عليه السلام،

---

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ١٦١.

ويكشف به عن نفسه أمام ملأ من النّاس بمختلف المستويات؛ إذْ تجمّعوا لتشييع الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، وقد حضر من القواعد الشعبيّة ما يقارب الأربعينَ شخصاً مع السّفير الأوّل عثمان بن سعيد[١].

ثانياً: صيانة تراث أهل البيت عليهم السلام

وأمّا النشاط العامّ الثاني البارز للإمام عجّل الله فرجه في فترة الغيبة الصّغرى، فهو الحفاظ على تراث آبائه عليهم السلام، وتنمية الناحية العلميّة والفكريّة لقواعده الشعبيّة، والحفاظ على مسار الأمّة بقدر ما يمكن عن الانحراف.

وقد تضمّن هذا التراث تحديد وتوضيح قواعد وأصول استنباط الأحكام الشرعيّة والمعارف الإسلاميّة، كما يتّضح ذلك من خلال نشاطات السّفراء وتوجيهات الإمام عجّل الله فرجه لهم[٢].

وقدْ دُوّنت – أيضاً– في عصر الغيبة الصّغرى الأصول الأربعمائة، والتي ضمّت ما ورد عن الأئمّة عليهم السلام، وحُفظت فيها السنّة النبويّة الواردة عن طريق أهل البيت عليهم السلام[٣]. ومن ثَمَّ، حفظ المسيرة الثقافيّة والتكامليّة للأمّة الإسلاميّة.

ثالثاً: إكمال وإرساء نظام النيابة الخاصة

وإنّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه هو الذي أكمل وأرسى مرتكزات النيابة بوصفها نظاماً، وقد سبقه الأئمّة عليهم السلام في الاعتماد على الثّقات والخواصّ من أهل التقوى وممّن عرفوا بوفرة العلم والاجتهاد كما تقدّم في البحوث المختلفة السّابقة، فقد لاحظنا أنّ الإمام الهادي عليه السلام يمهّد للوكالة ويوثّق لقواعده وكيل الإمام المهديّ الأوّل بقوله: «هذا أبو عمرو، الثّقة الأمين، ثقة الماضي، وثقتي في المحيا والممات، فما

(١) تقدّمت المصادر.

(٢) يُنظر لأحوال السّفراء: الغيبة للطوسي: ٣٥٣، وما بعدها.

(٣) يُنظر: منع تدوين الحديث، السيّد عليّ الشهرستانيّ: ٣٩٧– ٤٦٥ .

قاله لكم، فعنّي يقوله، وما أدّى إليكم، فعنّي يؤدّيه»(١).

وقد أحصى الشّيخ الصّدوق أسماء اثني عشر شخصاً من وكلاء ونوّاب الإمام المهديّ ﷺ في الغيبة الصّغرى، وأضاف السيّد محمّد الصّدر إليهم أسماء ستّة آخرينَ استناداً إلى ما ورد في المصادر التاريخيّة وكتب الرّجال(٢).

وكان الإمام ﷺ يعيّنهم مباشرة، ويصدر بيانات وتوثيقات حول ذلك، مع نفي الوكالة عمّن كان يدّعيها غيرهم ولم يكن منهم (٣).

وربّما يقال بأنّه لم تكن حاجة في زمن الأئمّة الذين سبقوا الإمام المهديّ ﷺ إلى الوكلاء الخاصّين الّذين يقومونَ بأعمال السّفراء الأربعة نفسها؛ لأنّ الإمام عليه السلام كان موجوداً وظاهراً، وكان بالإمكان لكلّ أحد أنْ يتّصل به، ولئن مرَّ بعض الأئمّة عليهم السلام في بعض الظروف بوضع استثنائيّ يصعب الوصول المباشر إليه، خصوصاً بعد واقعة الطفّ، وامتداداً مع وجودهم حتّى تاريخ الغيبة الصّغرى؛ فإنّ ذلك لا يُقاس بعصر غيبة الإمام ﷺ وعدم إمكان الارتباط به.

وممّا لا شك فيه أنّ الأوضاع السّياسيّة والظروف الخاصّة بالكيان الشّيعيّ عقيب استشهاد الإمام العسكريّ عليه السلام وبدء مرحلة الغيبة الصّغرى، لم تكن تسمح بأنْ يكون عمل السّفراء علنيّاً؛ لذا، كان الشّرط الأوّل في الوكلاء، وخاصّة السّفراء، أنْ يكونوا على مرتبة عالية من الالتزام بالسّرّيّة والكتمان وعدم الكشف عن المهام المناطة بهم خلال هذه المرحلة.

كما وضع الإمام ﷺ الإطار العام والشّروط الواجب توافرها في النائب العامّ في مرحلة الغيبة الكبرى، إتماماً لما ورد من الصّفات اللّازمة عن آبائه عليهم السلام.

---

(١) الغيبة: ٢١٥.

(٢) يُنظر: الغيبة للطوسي: ١٧٢، وما بعدها.

(٣) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٣٥٣، وما بعدها.

رابعاً: الكيان الشيعيّ

يُستفاد من الرّوايات الواردة بشأن سيرة الإمام عجّل الله فرجه خلال فترة الغيبة الصّغرى أنّ جهوده ورعايته لم تقتصر على سفرائه، بل كان الإمام يسعى لحفظ سائر المؤمنين من الاضطهاد والظلم العبّاسيّ، متّخذاً سبيل آبائه عليهم السلام.

فقد روى الشّيخ الكلينيّ (رضي الله عنه) في الكافي «عن عليّ بن محمّد، قال: خرج نهي عن زيارة مقابر قريش – الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام– والحيرة – لقبر الإمام الحُسين عليه السلام– فلمّا كان بعد أشهر، دعا الوزير الباقطائيّ، فقال له: «ألق بين الفرات والبرسيين، وقُلْ لهم لا يزوروا مقابر قريش؛ فقد أمر الخليفة أنْ يتفقّد كلّ مَن زار، فيقبض عليه»[١].

وكذلك فقدْ مَنَعَ الإمام عجّل الله فرجه وكلاءه من استلام الأموال من قواعده عندما أمر الخليفة بأنْ تُرسل إليهم أموال بيد أشخاص لا يعرفونهم، كي يقبضوا على الذين يستلمونَ المال، لمّا بلغه وجود الإمام، وأنّه تُجبى إليه الأموال عن طريق وزير الخليفة عبد الله بن سليمان[٢].

خامساً: قضاء حوائج المؤمنينَ

وقدْ شملت هذه الرّعاية قضاء حوائج المؤمنينَ الشّخصيّة والاجتماعيّة، والإصلاح بينهم، وحلّ مشاكلهم المختلفة، الفكريّة وغيرها، ممّا نقلته لنا المصادر التاريخيّة في هذه المُدّة[٣].

سادساً: كشف الانحرافات العقائديّة

عِلاوة على نشاطاته عجّل الله فرجه المتقدّمة، فقد كانت له مواقف مهمّة في كشف

---

(١) الكافي: ٤٤١/١.

(٢) يُنظر: الكافي: ٤٤٠/٢.

(٣) يُنظر: الغيبة الصّغرى للاطلاع على تفصيل ذلك: ٣٦٧، وما بعدها.

الانحرافات العقائديّة، وإفشال انتحال السّفارة؛ إذْ ابتليت السّفارة عن الإمام المهديّ ﷺ وابتُلي السّفراء - أيضاً- بعد أعوام قلائل من أوّل عهدهم بدعاوى السّفارة كذباً وزوراً، طمعاً في ابتزاز الأموال وتزعّم قيادة النّاس.

فبدأ التزوير - على ما يدلّ عليه تاريخنا الخاصّ- خلال المُدّة الطويلة التي قضاها السّفير الثاني في سفارته، لقد ادّعى السّفارة زوراً عن الإمام المهديّ ﷺ في زمان أبى جعفر محمّد بن عثمان العمريّ (رحمه الله) عدّة أشخاص، أوّلهم: أبو محمّد الشّريعيّ[١]، ثمّ محمّد بن بصير النُّميريّ، ادّعى ذلك بعد الشّريعيّ[٢]، ابن هلال الكرخيّ[٣]، وأبو طاهر محمّد بن عليّ بن بلال البلاليّ، وأبو بكر محمّد ابن أحمد بن عثمان، المعروف بالبغداديّ، ابن أخ أبي جعفر العمريّ، وإسحاق الأحمر[٤]، ورجل يعرف بالباقطانيّ[٥].

وقد جابههم العمريّ (رحمه الله) بكلّ قوّة وانتصر عليهم، وخرجتْ من الإمام المهديّ ﷺ التوقيعات والبيانات بلعنهم والبراءة منهم، والتأكيد على كذب سفارتهم، وسوء سريرتهم[٦].

وأمّا في فترة سفارة الشّيخ الحُسين بن روح، فقد أُبتلي بأشدّهم تأثيراً، وهو محمّد بن عليّ الشّلمغانيّ العزاقريّ[٧]، وكان في مبدأ أمره وكيلاً لابن روح، ثمّ

---

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٢٤١.

(٢) يُنظر: المصدر السابق: ٢٤٤.

(٣) يُنظر: المصدر السابق: ٢٤٥.

(٤) يُنظر: بحارالأنوار: ٧٩.

(٥) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٢٤٥.

(٦) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٢٨٥، وما بعدها، و ٣٩٧ ، وما بعدها.

(٧) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٢٤٨.

ظهر انحرافه وسقم عقيدته.

وآخرهم في دعوى السّفارة الكاذبة – على ما يظهر من عبارة الشّيخ الطوسيّ– هو: أبو دلف الكاتب؛ إذْ كان على ذلك إلى ما بعد وفاة السّمريّ السّفير الرابع[١].

وقدْ تصدّى الإمام المهديّ ﷻ بكلّ قوّة لهؤلاء وخرج من ناحيته الشّريفة التوقيعات بلعنهم وكذبهم حتى تمّ – بحمد الله– فضحهم وإبطال دعاواهم.

المطلب الثاني: لقاء الإمام الحجّة ﷻ بالمؤمنين

اشتملت المصادر الرّوائيّة المعتبرة على الكثير من الرّوايات التي تحكي عن التقاء الإمام ﷻ بالمؤمنينَ خلال الغيبة الصّغرى، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المصنّفة في تاريخ الأئمّة أو الإمام المهديّ ﵇ خاصّة من ذكر مثل هذه الرّوايات، فالشّيخ الصّدوق (رضي الله عنه) قد روى عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ إصابته حول من التقى بالإمام ﷻ من مختلف أرجاء العالم الإسلاميّ، فقد ذكر ثمانية وستّين شخصاً، كما ذكر الميرزا النوريّ: أنّ عدداً من الثقات بلغ ثلاثمائة وأربعة أشخاص استناداً إلى المصادر المعتبرة قد رأوه وعرفوه[٢].

وكان ﷻ يقصد من لقائه بهم أموراً، وقد صرّح الإمام نفسه لعيسى الجوهريّ حين التقاه قرب المدينة المنورة سنة (٢٦٨هـ) بسبب لقائه به بقوله ﷻ: «يا عيسى، ما كان لك أنْ تراني لولا المكذّبون القائلونَ بأينَ هو؟ وأينَ ولد؟ ومَن رآه؟ وما الذي خرج إليكم منه؟ وبأيّ شيء نبّأكم؟ وأيّ معجز أتاكم؟ أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنينَ مع ما رووه، وقدّموا عليه، وكادوه، وقتلوه، وكذلك آبائي ﵇،

(١) يُنظر: الغيبة للطوسي: ٤١١– ٤١٢.

(٢) تقدّمت بعض هذه الأخبار، ويُنظر: النجم الثاقب، الميرزا النوريّ: ٤٤/٢– ٤٨.

ولم يصدّقوهم، ونسبوهم إلى السّحر، وخدمة الجنّ إلى ما تبيّن.

يا عيسى، فخبِرّ أولياءنا ما رأيته، وإيّاك أنْ تخبر عدوّنا، فتسلبه، فقلتُ: يا مولاي، أُدع لي بالثبات، فقال: لو لم يثبّتك الله، ما رأيتني، وامض بنجعك راشداً...»[١].

ويستفاد من الرّوايات أنّ كثيراً من المؤمنين كانوا يجتهدونَ في طلب لقائه ﷺ في موسم الحجّ خاصّة، كما تجد مصداق ذلك في قصّة عليّ بن مهزيار الأهوازيّ[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢/ ٥١ـ ٥٢.

(٢) تقدّم بعض هذه الرّوايات.

خلاصة البحث

كان تحرّك الإمام المهديّ ﷻ ونشاطه بدء من صلاته على أبيه ﷺ أمام ملأ من النّاس، الذين احتشدوا يوم تشييع أبيه ﷺ، وحتّى إعلان انتهاء الغيبة الصّغرى.

أسّس ﷻ النيابة الخاصّة والعامّة، وبيّن مواصفات الشّخص والشّروط الواجب توافرها فيه لينال هذا المقام الرفيع.

كان لرسائله ﷻ وتوقيعاته الدّور البارز في إثبات تاريخ هذه المُدّة، وما جرى فيها، مع ما تضمّنته من حلول لمشكلات كانت تعاني منها قواعده الشّعبيّة ومواليه. وقدْ حصلت جملة من اللّقاءات بينه وبين مواليه في مناطق مختلفة من أقطار العالم الإسلاميّ.

اختبارات البحث

١. صف تعريف الإمام المهديّ ﷻ بوجوده وإمامته.
٢. ما هو دور الإمام المهديّ ﷻ في مجال صيانة تراث أهل البيت ﷺ؟
٣. تكلّم عن دوره ﷻ في إكمال وإرساء نظام النيابة الخاصّة.
٤. كيف توضّح دوره ﷻ في حفظ الكيان الشّيعيّ؟
٥. عرِّف بدوره ﷻ في كشف الانحرافات العقائديّة.

البحث رقم (٥٠)

الغيبة الكبرى: العلل، الخصائص، التكاليف

أهداف البحث

١. التعريف بتاريخ بدء الغيبة الكبرى للإمام المهديّ عجّل الله فرجه.

٢. بيان تواتر الأخبار الدالّة على وقوع الغيبة الكبرى.

٣. توضيح علل الغيبة الكبرى المذكورة في الأحاديث الشّريفة.

٤. تعداد خصائص الغيبة الكبرى.

٥. توجيه الانتفاع بالإمام المهديّ عجّل الله فرجه في الغيبة الكبرى على الرّغم من غيبته.

٦. إدراك تكاليف الأمّة الإسلاميّة في عصر الغيبة الكبرى.

مقدمة البحث

تناولنا في البحث السّابق بعض الخطوط العامّة في تاريخ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه؛ إذْ ألقينا فيها نظرة على أهمّ نشاطاته عليه السّلام في تلك المُدّة المسمّاة بالغيبة الصّغرى. وأمّا في هذا البحث، فما نريد التعرّض له فيه، هو مسألة الغيبة الكبرى، فنتكلّم في أهمّ المواضيع التي يُعدُّ طرحها ضروريّاً فيها، من قبيل: أسبابها وخصائصها وكيفيّة الانتفاع بالإمام عجّل الله فرجه فيها، هذا كلّه بالإضافة إلى تكاليف الأمّة الإسلاميّة في هذه المُدّة.

المطلب الأوّل: بدء الغيبة الكبرى (٣٢٩ هـ)

كانت وفاة عليّ بن محمّد السّمريّ (٣٢٩هـ)، النائب الرابع من النوّاب الخاصّين، إيذاناً بابتداء عصر الغيبة الكبرى. وكان التوقيع الصّادر عن الإمام عجّل الله فرجه إلى محمّد قبل وفاته بستّة أيّام، هو الإعلان عن انتهاء فترة الغيبة الصّغرى، فلم تكن الغيبة الكبرى واحتجاب الإمام عجّل الله فرجه عن شيعته وقواعده أمراً مفاجئاً وغير متوقّع، بل قد مهّد لهذه الغيبة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله؛ إذْ تواترت عنه الأخبار الدالّة على ذلك، وفي المطلب التالي بعض ذلك.

المطلب الثاني: تواتر الأخبار الدالّة على وقوع الغيبة الكبرى

روى جابر بن عبد الله الأنصاريّ عن رسول الله ﷺ قوله:

«المهديّ من ولدي، اسمه اسمي، وكنيتُه كُنيتي، أشبه النّاس بي خَلْقاً وخُلُقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضِلّ فيها الأمم، ثمّ يُقبل كالشّهاب، ويملأها عدلاً وقسطاً كما مُلئتْ جوراً وظلماً»[1].

وكما تواتر عن النبيّ ﷺ ذلك، فقد تواتر عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام ذلك – أيضاً– من خلال الرّوايات الكثيرة التي تشير إلى الغيبة الصّغرى والكبرى معاً.

ويحدّث الإمام عليّ بن الحُسين عليه السلام أبا خالد الكابليّ عن أهل زمان الغيبة – الكبرى– قائلاً له: «يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته، القائلونَ بإمامته، المنتظرونَ لظهوره، أفضل أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدينَ بين يدي رسول الله ﷺ بالسّيف، أولئك المخلصونَ حقّاً، وشيعتنا صدقاً، والدّعاة إلى دين الله تعالى سرّاً وجهراً»[2]، وقال عليه السلام: «انتظار الفرج، من أعظم الفرج»[3].

المطلب الثالث: علل الغيبة الكبرى في الأحاديث الشريفة

لقد أشارت الأحاديث الشّريفة المرويّة عن النبيّ ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام إلى أسباب وعلل غيبة الإمام عجل الله فرجه، وإنّما نتكلّم من وجهة نظر الأحاديث بوصفها المستندات الرّسميّة والمادّة الأوليّة في عملنا كتاريخيّين.

وبإلقاء نظرة متمعّنة في ما جاء من النصوص حول الغيبة، يتّضح أنّ هذه الرّوايات والأحاديث على طوائف:

---

(١) كمال الدّين: ٢٨٦/١.

(٢) كمال الدّين: ٣٢١/٢، وبحار الأنوار: ١٢٢/٥٢، باب: فضل انتظار الفرج ومدح الشّيعة في زمان الغيبة.

(٣) كمال الدّين.

فطائفة تذكر أنّ علّة الغيبة هي أنّ الله سبحانه جعل للإمام سنن الأنبياء في غيباتهم. وطائفة أُخرى تعلّل غيبته ﷻ بخوف القتل. وطائفة ثالثة تذكر أنّ العلّة هي أنْ لاتكون في عنقه ﷻ بيعة لطاغية حين يظهر بالسّيف. وطائفة رابعة لم تذكر سبباً صريحاً، بل تشير إلى إنّ الغيبة أمر من أمر الله سبحانه، وسرّ من أسراره يُكشف عنه حين ظهور الإمام ﷻ.

نشير هنا إلى ما جاء في كلٍّ من الطوائف المتقدّمة.

١- عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «إنّ للقائم منّا غيبةً يطول أمدها، فقلتُ له: يابن رسول الله، ولِمَ ذاك؟ قال: لأنّ الله عزّوجلّ أبى إلاّ أنّ يجعل فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنّه لابدّ له يا سدير من استيفاء مدّة غيباتهم، قال الله تعالى ﴿لَتَرْكَبنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾، أي: سنن مَن كان قبلكم»[١].

٢- عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنّ للقائم غيبةً قبل ظهوره، قلتُ، ولِمَ؟ قال: يخاف – وأومى بيده إلى بطنه- قال زرارة يعني: القتل»[٢].

٣- وعن الحسن بن محبوب بن إبراهيم الكرخيّ، قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام، أو قال له رجل: أصلحك الله! ألم يكن عليّ عليه السلام قويّاً في دين الله؟ قال: بلى، قال: فكيف ظهر عليه القوم؟ وكيف لم يمنعهم؟ وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عزّوجلّ منعته، قال: قلتُ: وأيّ آية هي؟ قال: قول الله عزّوجلّ ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾، إنّه كان لله عزّ وجلّ ودايع مؤمنون في أصلاب قومٍ كافرينَ ومنافقينَ، فلم يكن عليّ عليه السلام ليقتل الآباء حتّى تخرج الودايع...، وكذلك قائمنا أهل البيت، لن يظهر أبداً حتّى تظهر ودايع الله عزّ وجلّ...»[٣].

٤- وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «والله، لا يكون الذي تمُدُنّ إليه

---

(١) إثبات الهداة بالنّصوص والمعجزات، الحرّ العامليّ: ٣/ ٤٨٦- ٤٨٧.

(٢) علل الشرائع: ١/ ٢٤١.

(٣) علل الشرائع: ١/ ١٤٧ـ ١٤٨.

أعناقكم حتّى تُميَّزوا وتمحَّصوا، ثمّ يذهب من كلّ عشرة شيء، ولا يبقى منكم إلاّ الأندر، ثمّ تلا هذه الآية ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾»[١].

٥- وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «دولتنا آخر الدّول، ولم يبقَ أهلُ بيتٍ لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلّا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّوجلّ: العاقبة للمتّقينَ»[٢].

٦- وروي عن الإمام الرّضا عليه السلام أنّه قال – في جواب مَن سأله عن علّة الغيبة–: «لئلّا يكون في عنقه بيعة إذا قام بالسّيف»[٣].

إذن، هناك أسباب واقعيّة وموضوعيّة هي التي تكمن وراء ظاهرة الغيبة، كشفت هذه النصوص عنها، تارة بشكل صريح، وأُخرى بشكل رمزيّ. هذا من جهة، ومن جهة أُخرى، فإنّ كلّ نصٍّ من النصوص تكفّل ببيان جزء من تلك العلّة الواقعيّة التي ظهرت بمظهر سنّة من سنن الأنبياء، فإنّ معنى وجود سنّة هو وجود قانون عامّ ينطبق على الحوادث التاريخيّة كلّما تشابهت الظروف، ولأنّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه يعبّر عن الخطّ نفسه الذي سار عليه الأنبياء وبُعثوا من أجل تحقيق أهدافه، إذن، فسوف تخضع حركته للسّنن العامّة نفسها التي تحقّقت في حياة الأنبياء عليهم السلام.

وصلاح الأمّة يقتضي أنْ يغيب الإمام عجّل الله فرجه؛ إذْ لا تتحقّق الأهداف بظهوره قبل الأوان، وقبل تهيّؤ الظروف الموضوعيّة الكفيلة بتحقّق أهداف الأنبياء على يده.

وظهور الإمام عجّل الله فرجه قبل أنْ تتحقّق الظروف الكفيلة بحفظ وجوده الذي يستطيع إيجاد التغيير العالميّ المنشود، قد يستلزم قتله من قبل الظالمينَ، فلا يكون نفع ظهوره أكبر من نفع غيبته.

---

(١) قرب الإسناد، الحميريّ: ١٦٢، من سورة آل عمران: ١٤٢.

(٢) الغيبة، للطوسيّ: ٢٨٢، سورة الأعراف.

(٣) عيون أخبار الرّضا: ٢٧٣/١.

المطلب الرابع: خصائص الغيبة الكبرى

تتّصف هذه المرحلة من حياة الإمام ﷺ بخصائص ومميّزات تجعلها من أحرج الفترات في تاريخ الإسلام عامّة والجماعة الصّالحة خاصّة، ومن جملة أهمّ هذه الخصائص:

١- انقطاع النّاس عن القائد الإسلاميّ والموجِّه الإلهيّ للتجربة الإسلاميّة، فهي على عكس الفترات السّابقة التي عاشتها الجماعة الصّالحة في العصر النبويّ المبارك وعهود الأئمّة الأطهار عليهم السلام.

٢- انتشار الظلم والجور، وانحسار الإسلام عن الحياة السّياسيّة.

٣- التشكيك في وجوده ﷺ؛ لاحتجابه عن واقع الحياة، ولطول زمان غيبته.

المطلب الخامس: الانتفاع بالإمام ﷺ في الغيبة الكبرى

إذا كان الإمام الغائب لا يستطيع ممارسة واجباته السّياسيّة والاجتماعيّة، إذن، فما الفائدة في وجوده وإمامته؟!

وإذا وصلنا إلى روح هذا السّؤال، استطعنا أنْ نعمّمه على سائر الأئمّة الحاضرينَ قبل الغيبة في المجتمع الإسلاميّ، ولكنّهم لم يكونوا قادرينَ على ممارسة مهامّهم الاجتماعيّة والسّياسيّة، وهي إدارة شؤون الدّولة الإسلاميّة، وقيادة الأمّة الإسلاميّة قيادة علنيّة، كما كان يمارسها الخلفاء والحكّام بعد عصر الرّسول ﷺ.

إذن، ينسحب هذا السّؤال الخطير على إمامة جميع الأئمّة المعصومينَ عليهم السلام، ما عدا فترة من حياة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفترة قصيرة جدّاً من حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وأُخرى من حياة الإمام الحُسين عليه السلام.

ويندفع هذا الاعتراض من أساسه إذا استطعنا أن نتصوّر للإمام الغائب دوراً اجتماعيّاً أو سياسيّاً يقوم به في عصر غيبته. كما استطعنا أنْ نصوّر لسائر الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام أدواراً اجتماعيّة وسياسيّة كانوا يقومونَ بها في حياتهم على الرّغم من فرض الحصار والرقابة الشّديدة عليهم.

والإمام المهديّ ﷺ ـ كسائر آبائه الطاهرين ﷺ ـ يمارس مهامّه وهو غائب عن الأنظار كما يمارسها وهو حاضر، ولا يتلكّأ في ذلك على الرّغم من حراجة الظروف وصعوبتها، بل لعلّه بغيبته يكون أقدر على الممارسة والتحرّك.

النصوص الروائيّة الواردة في المقام

وقد أشارت جملة من النصوص الرّوائيّة الواردة عن أهل البيت ﷺ، وبعضها عن الإمام المهديّ ﷺ نفسه، إلى كيفيّة الانتفاع به في عصر الغيبة، بحيث تتحقّق بعض الأغراض – إنْ لم تتحقّق جميعها قبل توافر الشّروط اللّازمة لإقامة دولة العدل الموعودة– وحينئذٍ، سوف لا يكون وجوده وهو غائب لغواً، بل يكون ضروريّاً إذا أخذنا كلّ الأهداف البعيدة والقريبة من وجوده بنظر الاعتبار.

فمن ذلك: قوله المشهور: «وأمّا وجه الانتفاع في غيبتي، فكالانتفاع بالشّمس إذا غيّبها عن الأبصار السّحاب»[١]، وأضاف ﷺ: «وإنّي لأمان لأهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء».

ومن ذلك: ما روي عن الإمام المهديّ ﷺ أيضاً في نصٍّ له بهذا الخصوص يقول فيه: «إنّا غير مهملينَ لمراعاتكم، ولا ناسينَ لذكركم، ولولا ذلك، لنزل بكم اللأواء، واصطلمكم الأعداء، فاتّقوا الله جلَّ جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافتْ عليكم، يهلك فيها مَن حُمّ أجله، ويحمى عنها مَن أدرك أمله»[٢].

المطلب السادس: تكاليف الأمّة الإسلاميّة في عصر الغيبة الكبرى

وأمّا تكاليف الأمّة الإسلاميّة في عصر الغيبة الكبرى، فمن أهمّها:

أوّلاً: الإيمان بالإمام المهديّ المنتظر ﷺ

من التكاليف المطلوبة إسلاميّاً حال الغيبة: الاعتراف بالمهديّ ﷺ إماماً

(١) الاحتجاج: ٢٨٤/٢، وغيرها.

(٢) الاحتجاج: ٢٢٣/٢.

مفترض الطاعة وقائداً فعليّاً للأُمّة، وإنْ لم يكن عمله ظاهراً للعيان، ولا شخصه معروفاً لدى النّاس.

وهذا من الضّروريّات الواضحة على المستوى الإماميّ للعقيدة الإسلاميّة، وقد عددناها في هذا التاريخ أصلاً مسلّماً.

وحسب الفرد ـ أيضاًـ أنْ يعرف أنّ عمله الصّالح، وتصعيد درجة إخلاصه، وتعميق شعوره بالمسؤوليّة تجاه الإسلام والمسلمين، يشارك في تحقيق شرط الظهور، ويقرّب اليوم الموعود.

إذن فـ(الجهاد الأكبر) لكلّ فرد تجاه نفسه يحمّل الفرد المسؤوليّة الكبرى تجاه العالم كلّه، ويدعوه إلى ملئه قسطاً وعدلاً كما ملئ ظلماً وجوراً، فكيف لا ينطلق الفرد مجاهداً مضحّياً عاملاً في سبيل إصلاح نفسه وإرضاء ربّه؟!

ومن ثمّ، نرى النبيّ ﷺ يؤسّس أساس هذا الشّعور في الفرد المسلم، ويقرن طاعة الإمام المهديّ ﷺ بطاعته ومعرفته على المستوى العمليّ التطبيقيّ بمعرفته.

قال النبيّ ﷺ: «القائم: من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، وشمائله شمائلي، وسنّته سنّتي، يقيم النّاس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربّي عزّ وجلّ. مَن أطاعه، فقد أطاعني، ومَن عصاه، فقد عصاني، ومَن أنكره في غيبته، فقد أنكرني، ومَن كذّبه، فقد كذّبني، ومَن صدّقه، فقد صدّقني...» الحديث(١). إلى غير ذلك من الأخبار الواردة بهذا المضمون عنه ﷺ وعن أئمّة الهدى ﷺ.

ثانياً: أهمّيّة العمل الإسلاميّ ما قبل الظهور

انطلاقاً من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٢)، لا بدّ للإماميّة من التفكير الجدّي والعمل الصّالح الجهاديّ، فهما الأساس لتصعيد

---

(١) كمال الدّين: ٤١١/٢.

(٢) الرعد: ١١.

درجة الإخلاص والشّعور بالمسؤوليّة والمران على الصّمود والتضحية، وهما الشّرطان الأساسان لتكفّل مهمّة اليوم الموعود.

ثمّ إنّ تصعيد درجة الإخلاص قد يكون قائماً على أساس الاضطرار، وقد يكون قائماً على أساس الاختيار.

أمّا قيامه على أساس الاضطرار، فهو الأمر العامّ الذي يقتضيه التمحيص الإلهيّ بشكل رئيس، فإنّ الأفراد في حبّهم لذاتهم وتفضيلهم للرّاحة، لا يميلون – عادة– إلى العمل الاجتماعيّ العامّ، لما فيه من شعور بالجهد والمسؤوليّة، ومن ثَمّ، فهم لا ينطلقون نحوه إلّا تحت وطأة من الاضطرار والشّعور بالضّغط والإحراج.

وأمّا قيام الإخلاص والوعي على أساس الاختيار، فباندفاع المكلّف إلى العمل أكثر من مقدار الاضطرار والإحراج، أي: بمجرّد شعوره بالمطلوبيّة الإسلاميّة له، إلزاماً أو استحباباً، بأن يكون معارضاً على الدّوام للظلم، داعياً إلى الحقّ، هادياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

إنّ الاندفاع إلى ذلك طبعاً يحتاج إلى درجة كبيرة من الوعي والإخلاص وقوّة الإرادة، ولا يتوفر ذلك إلّا للقليل، إلاّ أنّه – على أيّ حال– ليس هو المستوى المطلوب توافره في المشاركة في قيادة العالم كلّه في يوم الظهور، وإنّما يكون العمل الاختياريّ أو ما نسمّيه بالتمحيص الاختياريّ مضافاً إلى التمحيص الاضطراريّ سبباً لإيجاد مثل هذا المستوى الرفيع.

ومن الواضح – أيضاً– ما لهذا التمحيص الاختياريّ من أثر بليغ في التّصعيد السّريع، بشكل أعظم بكثير ممّا يُنتجه التمحيص الاضطراريّ، وفي التعجيل بإيجاد شرط الظهور، بمقدار ما تقتضيه الظروف الثقافيّة والفكريّة التي يعيشها الفكر الإسلاميّ، في أيّ عصر.

ثالثاً: الانتظار الإيجابيّ

الانتظار: هو التوقّع الدّائم لتنفيذ الغرض الإلهيّ الكبير وحصول اليوم الموعود

الذي تعيش فيه البشريّة العدل الإلهيّ بقيادة الإمام المهديّ ﷺ، وهذا التوقّع الدّائم لا يرفع التكاليف الإلهيّة بالنسبة للأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والدّفاع عن شعائر الله، ودفع الفساد الاجتماعيّ والفرديّ، بل إنّه يدلّ على تأكّد الواجبات والتكاليف، ولزوم الاستعداد التامّ للوقوف إلى جنب الإمام المهديّ ﷺ في غيبته وظهوره.

رابعاً: التوطئة لظهوره ﷺ

إنّ الذي يستفاد من الرّوايات في هذا المجال، هو أنّ المراد من الانتظار هو وجوب التمهيد والتوطئة لظهور الإمام المنتظر ﷺ. ويدلّ على ذلك ما يأتي:

١- ما روي عن النبيّ ﷺ: «يخرج رجل يوطّىء (أو قال: يمكّن) لآل محمّد، كما مكّنت قريش لرسول الله ﷺ، وجب على كلّ مؤمن نصره (أو قال: إجابته)...»[١].

٢- ما روي عن النبيّ ﷺ أيضاً: «يخرج ناس من المشرق فيوطّئون للمهديّ»[٢].

٣- ما روي عنه ﷺ أيضاً: «يأتي قوم من قبل المشرق، ومعهم رايات سود، فيسألون الخير، فلا يعطونه، فيقاتلونَ، فينصرونَ، فيُعطَونَ ما سألوه، فلا يقبلونه حتّى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمَن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حَبْواً على الثّلج»[٣].

---

(١) سنن أبي داود: ١٠٩/٤.

(٢) البحار: ٨٧/٥١.

(٣) الغيبة، النعمانيّ: ١٧٤.

خلاصة البحث

كانت وفاة عليّ بن محمّد السّمريّ (٣٢٩هـ) إيذاناً بابتداء عصر الغيبة الكبرى، التي لم تكن أمراً مفاجئاً للشّيعة، فقد أشارت الأحاديث الشّريفة المرويّة عن النبيّ ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام إلى تلك المُدّة، وإلى أسبابها وعللها، وهي على طوائف: منها: أنّ الله سبحانه جعل للإمام عجل الله فرجه سنن الأنبياء في غيباتهم. ومنها: خوفه عجل الله فرجه من القتل. ومنها: أنْ لا تكون في عنقه عجل الله فرجه بيعة لطاغية حين يظهر بالسّيف. وغير ذلك.

تتّصف الغيبة الكبرى بخصائص ومميّزات تجعلها من أحرج الفترات في تاريخ الإسلام عامّة والجماعة الصّالحة خاصّة، كعدم الوجود المباشر للإمام المعصوم عليه السلام.

الإمام المهديّ عجل الله فرجه كسائر آبائه الطاهرينَ يمارس مهامّه وهو غائب عن الأنظار كما يمارسها وهو حاضر، ولا يتلكّأ في ذلك على الرّغم من حراجة الظروف وصعوبتها، بل لعلّه بغيبته يكون أقدر على الممارسة والتحرّك.

هناك تكاليف على الأمّة الإسلاميّة في عصر الغيبة الكبرى، منها: الإيمان بالإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه، والعمل الإسلاميّ، والانتظار، والتوطئة لظهوره عجل الله فرجه، وهو الانتظار الإيجابيّ.

اختبارات البحث

١. عرِّف بتاريخ بدء الغيبة الكبرى للإمام المهديّ عجل الله فرجه.
٢. أذكر بعض الأخبار الدالّة على وقوع الغيبة الكبرى.
٣. تكلّم عن بعض علل الغيبة الكبرى المذكورة في الأحاديث الشّريفة.
٤. ما هي خصائص الغيبة الكبرى؟
٥. ما هي تكاليف الأمّة الإسلاميّة في عصر الغيبة الكبرى؟

مصادر الكتاب

١. القرآنُ الكريمُ.

٢. الإتحاف بحبّ الأشراف، الشبراويّ، الشّافعيّ، المطبعة الأدبيّة، مصر ، ١٣١٦هـ

٣. الإتقان فى علوم القرآن، عبد الرّحمن بن أبى بكر، جلال الدّين السّيوطىّ، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٤م.

٤. إثبات الهداة، الحرّ العاملىّ، المطبعة العلميّة، قم، إيران.

٥. إثبات الوصيّة، المسعوديّ، منشورات مكتبة بصيرتى، قم، إيران.

٦. الاحتجاج، أبو منصور، أحمد بن علىّ بن أبى طالب، الطبرسىّ، دار النّعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ

٧. إحقاق الحقّ (الأصل)، الشّهيد نور الله، التستريّ، مطبعة الخيّام، قم، إيران.

٨. أخبار الدّول وآثار الأُوَل (تاريخ القرمانى)، ابن سنان، القرمانىّ، (مطبوع بهامش الكامل فى التاريخ)، بغداد.

٩. الأخبار الطّوال، أبو حنيفة، أحمد بن داود، الدّينوريّ، ١٩٦٠ م.

١٠. اختيار معرفة الرّجال (المعروف برجال الكشىّ)، هذّبه: الشّيخ الطوسىّ، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٤هـ

١١. أخلاق النبىّ وآدابه، عبد الله بن محمّد بن جعفر بن حيّان، الأصبهانىّ، تحقيق: السيّد الجميلىّ، دار الكتاب العربىّ، ١٩٨٦م.

١٢. الأدب المفرد، محمّد بن إسماعيل البخاريّ، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، ١٩٨٦م.

١٣. الإرشاد، الشّيخ المفيد، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٤١٦هـ

١٤. الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البرّ بن عاصم، النّمريّ، القرطبىّ، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ

١٥. أُسد الغابة فى معرفة الصّحابة، عزّ الدّين، أبو الحسن، علىّ بن أبى الكرم، المعروف بابن الأثير، مؤسّسة إسماعيليان، طهران، ١٣٨٠هـ

١٦. الإصابة فى تمييز الصّحابة، أحمد بن علىّ بن حجر، العسقلانىّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥هـ

١٧. أُصول البحث التاريخىّ، عبد الواحد ذنّون طه، المدار الإسلامىّ، ٢٠٠٤م.

١٨. أعلام النساء، عمر رضا كحالة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ

١٩. إعلام الورى بأعلام الهدى، الشّيخ الطبرسىّ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ

٢٠. أعلام فلسفة التاريخ، حسين محمّد سبيتى، المكتب العالمىّ للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

٢١. الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ أهل التاريخ، محمّد بن عبد الرّحمن، السّخاويّ، تحقيق:المستشرق فرانز روزنثال، ترجمة التحقيق: الدّكتور صالح أحمد العلىّ، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٢. أعيان الشّيعة، السيّد محسن الأمين العاملىّ، دار التعارف بيروت، ١٤٠٣هـ

٢٣. الأغانى، أبو الفرج الأصفهانىّ، دار إحياء التراث العربىّ.

٢٤. أمالى الشّيخ المفيد، مؤسّسة النشر الإسلامىّ، قم، إيران.

٢٥. أمالى الصّدوق، أبو جعفر، محمّد بن علىّ بن الحُسين بن موسى بن بابويه القمىّ، المكتبة الحيدريّة، النجف، ١٣٨٩هـ وسنة ١٣٩١هـ

٢٦. الأمالى، الشّيخ أبو جعفر، محمّد بن الحسن، الطوسىّ، مؤسّسة البعثة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤هـ

٢٧. الإمام الجواد من المهد إلى اللّحد، محمّد كاظم القزوينىّ، قم، مؤسّسة الرّسالة، ١٤١٤هـ

٢٨. الإمام الصّادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، دار الكتاب العربىّ، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٩. الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، دار الأندلس، بيروت، ٢٠١٠م.

٣٠. الإمامة والسّياسة، ابن قتيبة الدّينوريّ، أمير، قم، تحقيق: الشيريّ.

٣١. إمتاع الأسماع، أحمد بن عليّ بن عبد القادر بن محمّد، المقريزيّ، منشورات محمّد على بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٣٢. أنساب الأشراف، البلاذريّ، مؤسّسة الأعلميّ، بيروت، تحقيق: المحموديّ ١٣٩٤هـ

٣٣. أهل البيت: تنوّع أدوار ووحده هدف، السيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر، دار الهدى ،١٣٨٥هـ

٣٤. الأوائل، أبو هلال العسكريّ، دمشق، ١٩٧٥م.

٣٥. أئمّتنا، عليّ محمّد عليّ دخيل، دار مكتبة الإمام الرّضا عليه السلام، دار المرتضى، بيروت، ١٩٨٢م.

٣٦. بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ، إيران، ١٣٨٥هـ

٣٧. البداية والنهاية، ابن كثير، دار إحياء التراث العربيّ و مكتبة المعارف، بيروت، ١٤١٣هـ

٣٨. بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، عماد الدّين، أبو جعفر، محمّد بن أبى القاسم الطبريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، ١٤٢٠هـ

٣٩. بصائر الدّرجات الكبرى فى فضائل آل محمّد، أبو جعفر، محمّد بن الحسن بن فروخ الصّفّار، مؤسّسة الأعلميّ، طهران، ١٤٠٤هـ

٤٠. بين الرّشاد والتّيه، مالك بن نبى، دار الفكر، دمشق، سورية، ٢٠٠٢م.

٤١. التاج الجامع للأصول، الشّيخ منصور على ناصف، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٣٨١هـ

٤٢. تاج المواليد، الطبرسىّ، مكتبة المرعشىّ النجفىّ، قم، ١٤٠٦هـ

٤٣. تاريخ أبى الفداء (المختصر فى أخبار البشر)، عماد الدّين، إسماعيل بن علىّ ابن محمّد، أبو الفداء، دار المعرفة، بيروت.

٤٤. تاريخ الإسلام السّياسىّ والدّينىّ والثّقافىّ والاجتماعىّ، حسن إبراهيم حسن، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٥. تاريخ الإسلام، أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن عثمان، الذّهبىّ، قسم المغازي، دار الكتاب العربىّ، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٦. التاريخ الإسلامىّ: قراءة ثانية، جمال الدّين، فالح الكيلانىّ، مكتبة المصطفى للنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٤٧. تاريخ البشريّة، توينبى، ترجمة: د. نقولا زيادة، الأهليّة للنشر، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٨. تاريخ التشريع الإسلامىّ، عبد الهادي الفضلىّ، الجامعة العالميّة للعلوم الإسلاميّة، بيروت.

٤٩. تاريخ الخلفاء، جلال الدّين السّيوطىّ، مكتبة السّعادة بمصر، ١٣٧١هـ

٥٠. تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس، حسين بن محمّد بن الحسن، الدّياربكريّ، المالكىّ، مصر سنة ١٣٨٣هـ

٥١. التاريخ السّياسىّ للدّولة العربيّة، عصر الخلفاء الأمويّين، عبد المنعم ماجد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصريّة.

٥٢. تاريخ الطبريّ، مؤسّسة الأعلمىّ، لبنان.

٥٣. تاريخ العرب ـ عصر ما قبل الإسلام، محمّد مبروك نافع، القاهرة، ١٩٥٢م.

٥٤. تاريخ الغيبة الصّغرى، السيّد محمّد محمّد صادق الصّدر، النجف الاشرف، مكتبة الرّسول الأعظم، ١٣٩٢هـ

٥٥. تاريخ الكوفة، حسين بن أحمد، البراقي، النجفيّ، المكتبة الحيدريّة، ١٤٢٤هـ

٥٦. تاريخ المذاهب الإسلاميّة،محمّد أبو زهرة، دار الفكر العربى، ١٩٧٦م.

٥٧. تاريخ اليعقوبىّ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، الكاتب العبّاسىّ المعروف باليعقوبى، دار صادر، بيروت.

٥٨. تاريخ بغداد، الخطيب البغداديّ، أبو بكر، أحمد بن علىّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٧م.

٥٩. تاريخ كربلاء وحائر الحسين، عبد الجواد الكليدار، النجف، المطبعة الحيدريّة، ١٤١٨هـ

٦٠. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية مَن حَلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، علىّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، الشّافعىّ، المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق: على شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٦١. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ابن مسكويه، سروش، طهران، ١٤٠٧هـ

٦٢. تحف العقول، ابن شعبة الحرّانىّ، مؤسّسة النشر الإسلامىّ التابعة لجماعة المدرّسينَ فى الحوزة العلميّة فى قم المقدّسة، ١٤٠٤هـ

٦٣. تذكرة الخواصّ، سبط ابن الجوزيّ، النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ

٦٤. تفسير العيّاشى، أبو النظر، محمّد بن مسعود بن عيّاش، السّلمىّ، السّمرقنديّ، المعروف بالعيّاشى، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران.

٦٥. تفسير القمىّ، أبو الحسن، علىّ بن إبراهيم القمىّ، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٤هـ

٦٦. تلخيص المستدرك (مستدرك الحاكم)، شمس الدّين، محمّد بن أحمد بن عثمان، الذّهبىّ (مطبوع بهامش المستدرك).

٦٧. تنبيه الخواطر ونزهة المناظر، ورّام بن أبي فراس، المالكيّ الأشتريّ الحسينيّ،

طهران، ١٣٠٩هـ

٦٨. التنبيه والإشراف، علىّ بن الحسين، المسعوديّ، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصّاوي، القاهرة، دار الصّاوي، ١٣٥٧هـ

٦٩. تنوير الحوالك شرح موطّأ مالك، عبدالرّحمن بن أبى بكر، أبو الفضل السّيوطىّ، المكتبة التجاريّة الكبرى، مصر، ١٩٦٩م.

٧٠. تهذيب الأحكام، الشّيخ الطوسىّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٤هـ ش.

٧١. تهذيب التّهذيب، شهاب الدّين، أحمد بن علىّ بن حجر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٤م.

٧٢. تهذيب الكمال فى أسماء الرّجال، يوسف المزّي، الطبعة الرابعة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.

٧٣. تيسير المطالب فى أمالى أبى طالب، يحيى بن الحُسين بن هارون ... بن زيد ابن الحسن بن علىّ بن أبى طالب ﷺ، رتّبه على الأبواب: القاضى جعفر بن أحمد، تحقيق: عبد الله بن حمود العزي.

٧٤. الثاقب فى المناقب، ابن حمزة الطوسىّ، مؤسّسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، ١٤١٢هـ

٧٥. الثّقات، محمّد بن حبّان بن أحمد أبى حاتم، التميمىّ، البستىّ، مجلس دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر آباد، الدّكن، الهند، ١٩٩٣م.

٧٦. ثورة الحُسين، محمّد مهدي شمس الدّين، دارالأندلس، بيروت.

٧٧. جامع الأصول فى أحاديث الرّسول، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، التتمّة، تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلوانىّ، مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

٧٨. جامع البيان (تفسير الطبريّ)، أبو جعفر، محمّد بن جرير الطبريّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٧٩. الجامع الصّحيح (سنن الترمذيّ)، أبو عيسى، محمّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (مطبوع مع تحفة الأحوذيّ)، المكتبة الإسلاميّة لرياض الشّيخ ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.

٨٠. جلاء العيون (سيرة النبيّ الأعظم والمعصومينَ الأربعة عشر)، العلّامة محمّد باقر المجلسيّ، النسخة الخطيّة، ١٢٥٨هـ

٨١. جواهر العقدين، عليّ بن داود، الحُسينيّ، السّمهوديّ، الشّافعيّ، العماديّ.

٨٢. الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجريّ، آدم ميتز، أعدّ فهارسه: رفعت البدراويّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطبعة الخامسة.

٨٣. حلية الأبرار، هاشم البحرانيّ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم، إيران، ١٤١١هـ

٨٤. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهانيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٣٨٧هـ

٨٥. حياة الإمام الحسن، باقر شريف القرشيّ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٣٧٥هـ

٨٦. حياة الإمام العسكريّ عليه السلام ، محمّد جواد الطبسيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ في الحوزة العلميّة، قمّ المقدّسة.

٨٧. حياة الإمام الهادي عليه السلام، باقر شريف القرشيّ، بيروت، دارالأضواء، ١٤٠٨هـ

٨٨. حياة الإمام زين العابدينَ (دراسة وتحليل)، باقر شريف القرشيّ، بيروت، دارالأضواء، ١٤٠٩هـ

٨٩. حياة الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام، باقر شريف القرشيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٢ ش.

٩٠. حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القرشيّ، النّجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٩٧٨م.

٩١. حياة الحيوان، محمّد بن موسى بن عيسى، الدّميريّ، المكتبة الشّرفيّة بالقاهرة.

٩٢. حياة أمير المؤمنين عليه السلام عن لسانه، محمد محمديان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ
٩٣. حياة محمّد، محمّد حسنين هيكل، الطبعة الأولى، مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٥٤هـ
٩٤. الخرائج والجرائح، قطب الدّين الرّاونديّ، مؤسّسة الإمام المهديّ، قم المقدّسة، ١٤٠٩هـ
٩٥. الخصال، الشّيخ الصّدوق، أبو جعفر، محمّد بن علىّ، القمىّ، مؤسّسة النشر الإسلامىّ التابعة لجماعة المدرّسين فى الحوزة العلميّة فى قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ
٩٦. الخصائص الحُسينيّة، جعفر بن الحُسين، التستريّ، تحقيق: السيّد جعفر الحسينىّ، بيروت، دار السّرور، ١٤١٤هـ
٩٧. خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، أحمد بن شعيب، النّسائىّ، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٨٨هـ
٩٨. خلاصة الذّهب المسبوك مختصر من سير الملوك، عبد الرّحمن سنبط قنيتو الإربلى، بغداد، مكتبه المثّنى، ١٩٦٤م.
٩٩. خلاصة المواجهة مع الرسول وآله، أحمد حسين يعقوب، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ
١٠٠. دراسات فى التاريخ الإسلامىّ والنظم الإسلامية، س. د. جواتياين، ترجمة وتحقيق: عطيّة القوصى، مكتبة النيل والفرات، الطبعة الأولى.
١٠١. دراسات فى تاريخ العرب القديم، محمّد بيّومى مهران، دار المعرفة الجامعيّة، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقّحة.
١٠٢. دراسات فى فلسفة التاريخ النقديّة، جميل موسى النجّار، مكتبة مدبولى، القاهرة، ٢٠١٠م.
١٠٣. دراسات في فلسفة التاريخ، هاشم يحيى الملّاح، وآخرون، دار الكتب للطباعة

والنشر، الموصل، ١٩٨٨م.

١٠٤.دراسة فى السّيرة، عماد الدّين خليل، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ

١٠٥.دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، القاضى النعمان المغربىّ، دار المعارف، مصر، ١٣٨٣هـ

١٠٦.دلائل الإمامة، أبو جعفر، محمّد بن جرير بن رستم، الطبريّ الصّغير، الطبعة الأولى، مركز الطباعة والنشر فى مؤسّسة البعثة، ١٤١٣هـ

١٠٧.دلائل الصّدق، الشّيخ محمّد حسن المظفّر، إيران، ١٣٩٥هـ

١٠٨.دور أهل البيت عليهم السلام فى بناء الجماعة الصّالحة، محمّد باقر الحكيم، المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمىّ لأهل البيت عليهم السلام، قم المقدّسة، ١٩٩٨م.

١٠٩.ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله، الطبريّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

١١٠.ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، أبو القاسم، محمود بن عمر، الزمخشريّ، مطبعة العانى، بغداد، العراق.

١١١.الرّسول القائد صلّى الله عليه وسلّم، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٠م.

١١٢.الرّياض النّضرة فى مناقب العشرة، محبّ الدّين، أبو جعفر، أحمد بن محمّد، الطبريّ، دار الكتب العلميّة، بيروت.

١١٣.زاد المعاد فى هدى خير العباد، ابن قيّم الجوزيّة، الحنبلىّ، مؤسّسة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١١٤.سنن ابن ماجة، أبو عبد الله، محمّد بن يزيد، القزوينىّ، ابن ماجة (مطبوع مع حاشية السّندي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، تحقيق: محمّد فؤاد، ١٣٧٣هـ

١١٥.سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث، السّجستانيّ، دار الفكر للطباعة

والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

١١٦.السّنن الكبرى (سنن البيهقى)، أحمد بن الحسين بن علىّ، البيهقىّ، دار الفكر، قم، إيران.

١١٧.السّنن الكبرى، أبو عبد الرّحمن، أحمد بن شعيب، النسائىّ، دار الكتب العلميّة بيروت، ١٩٩١م.

١١٨.سنن النبى ﷺ، السيّد محمّد حسين، الطباطبائىّ، مؤسّسة النشر الإسلامىّ، قم، إيران، ١٤١٩هـ

١١٩.سيّد المرسلين، جعفر السّبحانىّ، مؤسّسة النشر الإسلامىّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة.

١٢٠.سيّدات البلاط العبّاسىّ، مصطفى جواد، بيروت، ١٩٥٠م.

١٢١.سيرة ابن إسحاق، لأبى بكر، محمّد بن إسحاق بن يسار، المطلبىّ، تحقيق: سهيل زكّار، إسماعيليان، قم، إيران، ١٤١٠هـ

١٢٢.سيرة الأئمّة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسنىّ، دار التعارف، بيروت.

١٢٣.السّيرة الحلبيّة فى سيرة الأمين المأمون، علىّ بن برهان الدّين، الحلبىّ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ

١٢٤.سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسنى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.

١٢٥.السّيرة النبويّة، ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٦٩هـ

١٢٦.السّيرة النبويّة، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيّوب، الحميريّ، مكتبة محمّد على صبيح وأولاده، مصر، ١٩٦٣م.

١٢٧.شرح الشّفاء، الملّا علىّ القاري (مطبوع بهامش نسيم الرياض)، ١٣٥٧هـ

١٢٨.شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن محمّد بن أبي الحديد، المعتزليّ، دار

مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧م.
١٢٩.شيخ المضيرة أبو هريرة، الشّيخ محمود أبو ريّة، مؤسّسة الأعلمىّ للمطبوعات، بيروت.
١٣٠.صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، أحمد بن علىّ بن أحمد، الفزاريّ، القلقشنديّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٧هـ
١٣١.الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد، الجوهريّ، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ
١٣٢.صحيح البخاريّ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، ١٩٨١م.
١٣٣.صحيح مسلم، أبو الحُسين، مسلم بن الحجّاج بن مسلم، القشيريّ، النيسابوريّ (بهامش إرشاد السّاري)، دار الفكر، بيروت.
١٣٤.الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة، تقديم: السيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر، أنوار الهدى، ١٣٨٤هـ
١٣٥.الصّواعق المحرقة، ابن حجر، الهيثمىّ، المكّىّ، مكتبة القاهرة، ١٣٨٥هـ
١٣٦.الطبقات الكبرى، ابن سعد ، دار إحياء التراث العربىّ، بيروت، ١٤٠٥هـ
١٣٧.الطريق إلى النّعيم (خمسونَ درساً مبسّطاً فى الشّريعة الإسلاميّة)، محمود العيدانىّ، مؤسّسة العطّار للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ٢٠١٤م.
١٣٨.العبر وديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرّحمن بن محمّد بن خلدون، الحضرمىّ، المغربىّ، مؤسّسة الأعلمىّ، ١٣٩١هـ
١٣٩.العصر الجاهلىّ، شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الحادية عشرة.
١٤٠.العقد الفريد، أحمد (ابن عبد ربّه الأندلسىّ)، دار الكتاب العربىّ، ١٣٨٤هـ
١٤١.علل الشّرائع، محمّد بن عليّ بن بابويه، القميّ الصّدوق، دار المرتضى،

بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
١٤٢. عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب، أحمد بن علىّ، الحُسينىّ، المعروف بابن عنبة، منشورات المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٨٠هـ
١٤٣. عيون أخبار الرّضا عليه السلام، أبو جعفر، محمّد بن علىّ بن الحُسين بن بابويه، القمىّ، (الشّيخ الصّدوق)، مؤسّسة الأعلمىّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤م.
١٤٤. عيون الأخبار، ابن قتيبة الدّينوريّ، المؤسّسة المصريّة العامّة، ١٣٨٣هـ
١٤٥. الغارات، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمّد، الثّقفىّ، الكوفىّ، تحقيق: السيّد جلال الدّين الحُسينىّ، مطبعة الحيدريّ، إيران.
١٤٦. الغدير فى الكتاب والسّنّة والأدب، عبد الحُسين، الأمينىّ، النّجفىّ، دار الكتاب العربىّ، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م.
١٤٧. الغيبة، أبو جعفر، محمّد بن الحسن، الطوسىّ، نشر مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم، ١٤١١هـ
١٤٨. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر، البلاذريّ، تحقيق: صلاح الدّين المنجد، نشر مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ١٩٦٥هـ
١٤٩. الفتوح، أبو محمّد، أحمد بن أعثم، الكوفىّ، نشر دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ
١٥٠. الفخريّ فى الآداب السّلطانيّة والدّول الإسلاميّة، محمّد بن علىّ بن طباطبا، المعروف بابن الطقطقىّ، الشّريف الرّضىّ، قم.
١٥١. فدك فى التاريخ، السيّد الشهيد محمّد باقر الصّدر، مركز الغدير للدّراسات الإسلاميّة، ١٩٩٤م.
١٥٢. فرائد السّمطين فى فضائل المرتضى والبتول والسِّبطين والأئمّة مِن ذرّيّتهم، الشّيخ إبراهيم بن محمّد، الجوينيّ، دار النّعمان، النّجف.

١٥٣. فرحة الغري فى تعيين قبر أمير المؤمنينَ علىّ، السيّد عبد الكريم بن طاووس الحسنىّ، مركز الغدير للدّراسات الإسلاميّة، ١٩٩٨م.

١٥٤. الفصول المهمّة فى معرفة الأئمّة، ابن الصّبّاغ المالكىّ، المكتبة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٨١هـ

١٥٥. فضائل الخمسة من الصّحاح السّتّة، السيّد مرتضى الحُسينىّ، الفيروز آباديّ، النّجف الأشرف، ١٣٨٣هـ

١٥٦. فلسفة التاريخ فى الفكر العربىّ المعاصر: جدليّة الأصالة والمعاصرة، علىّ حسين الجابريّ، وزارة الثّقافة والإعلام، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، بغداد، ١٩٩٣م.

١٥٧. فلسفة التاريخ، جاسم سلطان، أمّ القرى للترجمة والتوزيع، المنصورة، ٢٠٠٥م.

١٥٨. فلسفة التاريخ، رأفت الشّيخ، دار الثّقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٥٩. الفهرست، أبو الفرج، محمّد بن إسحاق، النّديم (ابن النّديم).

١٦٠. فى فلسفة التاريخ، أحمد محمود صبيحى، دار النهضة العربيّة، ١٩٩٤م.

١٦١. فى الاجتماع السّياسىّ الإسلامىّ، محمّد مهدي شمس الدّين، الطبعة الثانية، بيروت، المؤسّسة الدّوليّة، ١٩٩٩م.

١٦٢. القاموس المحيط، محمّد بن يعقوب، الفيروز آباديّ، النّسخة مأخوذة من موقع الورّاق.

١٦٣. قراءة التاريخ: تطوّر الفكر والمنهج، قاسم عبده قاسم، عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، ٢٠٠٩م.

١٦٤. قرب الإسناد، أبو العبّاس، عبد الله بن جعفر، الحميريّ، مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، ١٤١٣هـ

١٦٥. الكافي، الشّيخ الكلينيّ، مطبعة الحيدريّ، طهران، ١٣٧٧هـ

١٦٦.الكامل فى التاريخ، علىّ بن أبى الكرم، المعروف بابن الأثير، دار صادر بيروت، ١٣٨٥هـ وطبعة سنة ١٩٦٦م.

١٦٧.كتاب سليم بن قيس، سليم بن قيس، الهلالىّ، العامريّ، الكوفىّ، تحقيق: محمّد باقر الأنصاريّ، نشر الهادي، قم.

١٦٨.كشف الحقّ ونهج الصّدق، أبو منصور، الحسن بن يوسف بن المطهّر، الأسديّ، العلّامة الحلّىّ، دار المهجة، قم، إيران.

١٦٩.كشف الغمّة فى معرفة الأئمّة، أبو الحسن، علىّ بن عيسى بن أبى الفتح الإربلىّ، المطبعة العلميّة، قم سنة ١٣٨١هـ

١٧٠.كفاية الأثر فى النصّ على الأئمّة الاثنى عشر، أبو القاسم، علىّ بن محمّد بن علىّ، الخزّاز، القمىّ، الرازيّ، انتشارات بيدار، قم، ١٤٠١هـ

١٧١.كفاية الطالب فى مناقب علىّ بن أبى طالب، أبو عبد الله، محمّد بن يوسف ابن محمّد، الكنجىّ، الشّافعىّ، المطبعة الحيدريّة، النّجف الأشرف، ١٣٩٠هـ

١٧٢.كلمة الرّسول الأعظم ﷺ، الشّهيد السيّد حسن الشّيرازيّ، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢م.

١٧٣.كمال الدّين وتمام النّعمة، الشّيخ الصّدوق، أبو جعفر، محمّد بن علىّ بن الحُسين بن بابويه، القمىّ، صحّحه وعلّق عليه: علىّ أكبر الغفارىّ.

١٧٤. كنز العمّال فى سنن الأقوال والأفعال، علاء الدّين، علىّ المتقى بن حسام الدّين، الهنديّ، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

١٧٥.التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، محمّد بن عمر بن حسين، القرشىّ، الطبرستانىّ، الفخر الرازيّ، دار الكتب العلميّة، طهران، إيران.

١٧٦.الجامع الصّحيح (سنن الترمذيّ)، محمّد بن عيسى بن سورة الترمذيّ (مطبوع مع تحفة الأحوذيّ)، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

١٧٧. الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدّين السّيوطيّ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٧٨. لسان العرب، محمّد بن مكرم بن منظور، الإفريقيّ، المصريّ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٧٩. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن عبد الله، القلقشنديّ، وزارة الإرشاد في الكويت، ١٩٦٤م.

١٨٠. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب والأئمّة من ولده عليهم السلام من طريق العامّة، محمّد بن أحمد، القميّ، مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، ١٤٠٧هـ

١٨١. مثير الأحزان، محمّد بن جعفر، الحلّيّ (ابن الحلّيّ)، قم، مدرسة الإمام المهديّ (عج)، ١٤٠٦هـ

١٨٢. مجلّة الفكر الإسلاميّ، مجلّة علميّة تخصّصيّة فصليّة، مجمع الفكر الإسلاميّ، قم، إيران.

١٨٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو عليّ، الفضل بن الحسن الطبرسيّ، دار إحياء التراث العربيّ، ١٣٧٩هـ

١٨٤. مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد، نور الدّين، عليّ بن أبي بكر، الهيثميّ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٨٨م.

١٨٥. المحاسن، أبو جعفر، أحمد بن محمّد بن خالد، البرقيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٧٠هـ

١٨٦. محاضرات في تاريخ العرب، صالح أحمد العليّ، أَعادتْ طبعَه: دارُ الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨١م.

١٨٧. محاضرات في فلسفة التاريخ، هيجل، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار الثّقافة، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٨٨. المحجّة البيضاء فى تهذيب الأحياء، المولى محسن الكاشانىّ، مؤسّسة النّشر الإسلامىّ التابع لجماعة المدرّسين فى الحوزة العلميّة فى قم المقدّسة، إيران.

١٨٩. مختصر أخبار الخلفاء، المعروف بتاريخ ابن السّاعى، ابن السّاعى، البغداديّ (علىّ بن انجب)، مصر، ١٩٨٢م.

١٩٠. مختصر التّحفة الاثنى عشريّة، ألّفَ أصلَه باللّغة الفارسيّة: علّامة الهند شاه عبد العزيز غلام حكيم، الدّهلويّ، نقله من الفارسيّة إلى العربيّة (سنة ١٢٢٧هـ): الشّيخ الحافظ غلام محمّد بن محيى الدّين بن عمر، الأسلمىّ، اختصره وهذّبه: (سنة ١٣٠١هـ): علّامة العراق محمود شكري الألوسىّ، حقّقه وعلّق حواشيه: محبّ الدّين الخطيب، النّاشر: المطبعة السّلفيّة، القاهرة، ١٣٧٣هـ

١٩١. مختصر تاريخ دمشق، محمّد بن مكرم، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٩هـ

١٩٢. مختصر دراسة للتاريخ، توينبى، ترجمة: فؤاد شبل، جامعة الدّول العربيّة، ١٩٦٤م.

١٩٣. المدخل لدراسة الشّريعة الإسلاميّة، عبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطّاب للنشر والتوزيع، الإسكندريّة، مصر.

١٩٤. مدخل لفلسفة التاريخ، و. هـ وولش، ترجمة: أحمد حمدي محمود، راجعه: محمّد بكير خليل، مؤسّسة سجل العرب، ١٩٦٢م.

١٩٥. مرآة الجنان وعبرة اليقظان (تاريخ اليافعىّ)، أبو محمّد، عبد الله بن أسعد، اليافعىّ، مؤسّسة الأعلمىّ، بيروت، ١٣٩٠هـ

١٩٦. المراجعات، عبد الحسين شرف الدّين الموسويّ، الطبعة الأولى، مطبعة العرفان، صيدا، لبنان، ١٣٥٥هـ

١٩٧. مروج الذّهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن، علىّ بن الحُسين، المسعوديّ، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م.

١٩٨. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسين النوريّ، الطبرسي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤٠٧هـ

١٩٩. المستدرك على الصّحيحين، الحافظ أبو عبد الله، الحاكم النيسابوريّ، الهند، ١٣٤٢هـ تحقيق: يوسف عبد الرّحمن، المرعشليّ.

٢٠٠. مستدرك عوالم العلوم والمعارف والأحوال- الإمام محمّد بن عليّ الجواد عليه السلام – ج٢٣، السيّد محمّد باقر بن المرتضى، الموسويّ، الموحّد، الأبطحيّ، الأصفهانيّ، مؤسّسة الإمام المهديّ، قم، ١٩٩٣م.

٢٠١. مسند أبي يعلى، الحافظ أحمد بن عليّ بن المثنّى، التميميّ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت ودمشق، ١٤٠٧هـ

٢٠٢. مسند أحمد بن حنبل، مطبوعات دار صادر، بيروت.

٢٠٣. مصباح الكفعميّ (جُنّة الأمان الواقية وجَنّة الإيمان الباقية)، الشّيخ تقي الدّين، إبراهيم بن عليّ الحسن بن محمّد بن صالح، العامليّ، الكفعميّ، دار الكتب العلميّة، مؤسّسة مطبوعات إسماعيليان، الطبعة الثانية، ١٣٤٩هـ

٢٠٤. مصباح المتهجّد، شيخ الطائفة، أبو جعفر، محمّد بن الحسن، الطوسيّ، صحّحه وأشرف على طباعته: الشّيخ حسين الأعلميّ، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، الطبعة الأولى المصحّحة، ١٩٩٨م.

٢٠٥. معاني الأخبار، أبو جعفر، محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه، القميّ، الصّدوق، مكتبة المفيد، قم، إيران.

٢٠٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيّوب، اللّخمي، الطبرانيّ، مطبعة الأمّة في بغداد والطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربيّ.

٢٠٧. مقاتل الطّالبيّين، عليّ بن الحُسين (أبو الفرج الأصبهانيّ)، مؤسّسة إسماعيليان، طهران، ١٩٧٠م.

٢٠٨. مقتل الحسين عليه السلام، موفّق الدّين بن أحمد المكّيّ، الخوارزميّ، تحقيق: محمّد السّماوي، قم، مكتبة المفيد.

٢٠٩. مكّة والمدينة فى الجاهليّة وعهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أحمد إبراهيم الشّريف، دار الفكر العربىّ.

٢١٠. الملل والنِّحل، أبو الفتح، محمّد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد، الشّهرستانىّ (مطبوع بهامش الفصل فى الملل والنِّحل ابن حزم)، مطبعة مصطفى البابى الحلبىّ، مصر، ١٣٨٧هـ وطبعة سنة ١٤١٠هـ

٢١١. الملهوف على قتلى الطّفوف، علىّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس، تحقيق: الشّيخ فارس تبريزيان «الحسّون»، سلسلة الكتب المؤلّفة فى أهل البيت عليهم السلام (٤٢)، إعداد: مركز الأبحاث العقائديّة، دار الأسوة، إيران، ١٤٢٣هـ

٢١٢. مَن لا يحضره الفقيه، أبو جعفر، محمّد بن علىّ بن الحسين بن بابويه، القمىّ، الصّدوق، مؤسّسة النشر الإسلامىّ التابع لجماعة المدرّسين فى الحوزة العلميّة فى قم المقدّسة.

٢١٣. مناقب آل أبى طالب، مشير الدّين، أبو عبد الله، محمّد بن علىّ بن شهرآشوب، طبعة المصطفويّ، المطبعة العلميّة، قم.

٢١٤. مناقب الإمام علىّ عليه السلام، علىّ بن محمّد بن المغازلىّ، الشّافعىّ، المكتبة الإسلاميّة، طهران، إيران، ١٣٩٤هـ

٢١٥. المناقب، الموفّق بن أحمد، البكريّ، المكّىّ، الحنفىّ، الخوارزمىّ، مؤسّسة النشر الإسلامىّ، ١٤١١هـ

٢١٦. منتخب التواريخ، الميرزا محمّد هاشم، الخراسانىّ، طهران، ١٣٤٧هـ

٢١٧. المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج، عبد الرّحمن بن علىّ بن الجوزيّ، حيدر آباد الدّكن، الهند، ١٣٥٩هـ

٢١٨. منع تدوين الحديث، السيّد عليّ الشهرستانيّ، مركز الأبحاث العقائديّة- سلسلة الندوات العقائديّة (٤)، سلسلة الكتب العقائديّة (٦٨).

٢١٩. منهج البحث التاريخيّ، حسن عثمان، دار المعارف، ٢٠٠٠م.

٢٢٠. منهج البحث في التاريخ، محمود محمد، الحويريّ، المكتب المصريّ لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠١م.

٢٢١. مهج الدّعوات ومنهج العبادات، عبد الكريم بن طاووس، الحسنيّ (السيّد ابن طاووس)، چاف، قم، ١٣٨٣ ش.

٢٢٢. مودّة القربى، شهاب الدّين الهمدانيّ، لاهور.

٢٢٣. موسوعة التأريخ الإسلاميّ، محمّد هادي، اليوسفيّ، الغروي، مجمع الفكر الإسلاميّ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ

٢٢٤. الموفّقيّات، الزّبير بن بكّار، ١٩٧٢م.

٢٢٥. ميزان الاعتدال في نقد الرّجال، أبو عبد الله، محمّد بن أحمد بن عثمان، الذّهبيّ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٣م.

٢٢٦. ناسخ التواريخ، ميرزا محمّد تقي الشّهير بـ (سپهر)، السيّد عليّ جمال أشرف، انتشارات مَديَن ـ قمّ المقدّسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

٢٢٧. نثر الدُّرّ، أبو سعيد، منصور بن حسين الآبي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

٢٢٨. النّجم الثاقب في أحوال الإمام الحجّة الغائب ﷺ، الشّيخ حسين، الطبرسيّ، النّوريّ، تقديم وترجمة وتحقيق وتعليق: السيّد ياسين الموسويّ، سلسلة الكتب المؤلّفة في أهل البيت ﷺ (١٣٧)، إعداد: مركز الأبحاث العقائديّة.

٢٢٩. النّزاع والتخاصم بين بني أميّة وبني هاشم، تقي الدّين، أحمد بن عليّ، المقريزيّ، المطبعة العلميّة، النّجف الأشرف، ١٣٦٨هـ

٢٣٠. نزهة المجالس، الصّفوريّ، الشّافعيّ، البغداديّ، مطبعة المعاهد، القاهرة، مصر.

٢٣١. نشأة التشيّع والشّيعة، السيّد الشّهيد محمّد باقر الصّدر، تحقيق: الدّكتور عبد الجبّار شرارة، مركز الغدير للدّراسات الإسلاميّة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

٢٣٢. النصّ والاجتهاد، السيّد عبد الحُسين شرف الدّين الموسويّ، مطبعة سيّد الشّهداء، قم، ١٤٠٤هـ

٢٣٣. نظرات فى كتابة التاريخ الإسلامىّ، عبد الرّحمن الحجّى، مكتبة الصّحوة، ١٩٧٩م.

٢٣٤. نهاية الإرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب، النّويريّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.

٢٣٥. نهج البلاغة جمع الشّريف الرّضىّ، شرح: الشّيخ محمّد عبده، دار الاستقامة.

٢٣٦. نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبىّ المختار، السيّد مؤمن بن حسن مؤمن، الشّبلنجىّ، المطبعة اليوسفيّة، نشر مكتبة الجمهوريّة، مصر.

٢٣٧. نور العيون و جامع الفنون، صلاح الدّين بن يوسف الكحّال، حقّقه وعلّق عليه علميّاً: محمّد ظافر الوفائىّ، راجعه وضبطه وزاد فى تعليقاته: محمّد رواس قلعجىّ، ١٤٠٧هـ

٢٣٨. الوافى بالوفيات، صلاح الدّين، الصّفديّ، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ

٢٣٩. الوزراء والكتّاب، محمّد بن عبدوس، الجهشياريّ، حقّقه ووضع فهارسه: مصطفى السّقّا، وآخرون، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابى الحلبىّ وأولاده، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢٤٠. وسائل الشّيعة إلى تحصيل مسائل الشّريعة، الشّيخ محمّد بن الحسن، الحرّ العاملىّ، نشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ

٢٤١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبى بكر، ابن خلّكان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت.

٢٤٢. وقعة صفّين، نصر بن مزاحم، المنقريّ، ١٣٨٢هـ

٢٤٣. اليقين باختصاص عليٍّ عليه السلام بإمرة المؤمنينَ، السيّد رضى الدّين، ابن طاووس، مؤسّسة دار الكتاب الجزائريّ، قم، ١٤١٣هـ

٢٤٤. ينابيع المعاجز، السيّد هاشم البحرانيّ، المطبعة العلميّة، قم.

٢٤٥. ينابيع المودّة، سلمان بن إبراهيم، القندوزيّ، الحنفيّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٢٤٦. Henri-Irénée Marou، De la connaissance historique، édition Seuil، ترجمة: فريق تأليف الكتاب المدرسي «منار».

الفهرست

الفصل الأول: تاريخ الإمام الحسن عليه السلام

البحث رقم (١)

تاريخ الإمام الحسن عليه السلام

البحث رقم (٢)

البيعة للإمام الحسن عليه السلام بالخلافة

البحث رقم (٣)

ملابسات وظروف مرحلة ما قبل صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية

البحث رقم (٤)

ظروف الصلح القريبة والبعيدة

البحث رقم (٥)

أسباب الصلح، وعوامله، ومفرداته

البحث رقم (٦)

صلح الإمام الحسن عليه السلام ومراعاة المصلحة الإسلامية العليا

البحث رقم (٧)

نتائج صلح الإمام الحسن عليه السلام وآثاره

البحث رقم (٨)

الإمام الحسن عليه السلام بعد الصلح حتّى الشهادة

الفصل الثاني: تاريخ الإمام الحُسين ﷣

البحث رقم (٩)

تاريخ الإمام الحُسين ﷣

البحث رقم (١٠)

منهج الإمام الحُسين ﷣ بعد استشهاد الإمام الحسن ﷣

البحث رقم (١١)

هجرة الإمام الحُسين ﷣ إلى مكّة المكرّمة

البحث رقم (١٢)

رسول الحُسين عليه السلام مسلم، وما جرى عليه في الكوفة

البحث رقم (١٣)

حركة الإمام الحُسين عليه السلام من مكّة إلى العراق

البحث رقم (١٤)

الركب الحُسيني في طريقه إلى العراق

البحث رقم (١٥)

الركب الحُسيني في أرض الميعاد

البحث رقم (١٦)

الركب الحُسيني وأحداث يوم عاشوراء الدامية

البحث رقم (١٧)

الثورة الحُسينيّة (١): العوامل والأهداف

البحث رقم (١٨)

الثورة الحُسينية (٢): المقومات . الخصائص . النتائج

الفصل الثالث: تاريخ الإمام زين العابدين (عليه السلام)

البحث رقم (١٩)

تاريخ الإمام زين العابدين (عليه السلام)

البحث رقم (٢٠)

ملامح عصر الإمام زين العابدين عليه السلام

البحث رقم (٢١)

ملامح التخطيط في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الرابع: تاريخ الإمام الباقر عليه السلام

البحث رقم (٢٢)

تاريخ الإمام محمّد الباقر عليه السلام

البحث رقم (٢٦)

النظام العام للجماعة الصالحة (تكامل البناء والتأصيل)

البحث رقم (٢٧)

الإمام الصادق عليه السلام والمستجدات السياسية ونشأة الحكم العباسي

البحث رقم (٣١)

الإمام الكاظم عليه السلام في عهد هارون الرّشيد

البحث رقم (٣٢)

إعتقالات الإمام الكاظم عليه السلام، واستشهاده

الفصل السابع: تاريخ الإمام الرضا عليه السلام

البحث رقم (٣٣)

تاريخ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

البحث رقم (٣٧)

مكتسبات القبول بولاية العهد

الفصل الثامن: تاريخ الإمام الجواد عليه السلام

البحث رقم (٣٨)

تاريخ الإمام محمد الجواد عليه السلام

البحث رقم (٣٩)

نشاطات الإمام محمد الجواد عليه السلام

الفصل التاسع: تاريخ الإمام الهادي عليه السلام

البحث رقم (٤٠)

تاريخ الإمام علي الهادي عليه السلام

البحث رقم (٤١)

الإمام الهادي عليه السلام والخلفاء العباسيين

البحث رقم (٤٢)

المنهج التربوي والتنظيمي عند الإمام الهادي عليه السلام

البحث رقم (٤٣)

نشاطات الإمام الهادي عليه السلام

الفصل العاشر: تاريخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام

البحث رقم (٤٤)

تاريخ الإمام الحسن العسكري عليه السلام

البحث رقم (٤٥)

الإمام العسكري عليه السلام والتمهيد لعصر الغيبة

الفصل الحادي عشر: تاريخ الإمام المهدي عجل الله فرجه

البحث رقم (٤٦)

تاريخ الإمام المهدي عجل الله فرجه: الولادة المباركة

البحث رقم (٤٧)

الإمام المهدي عجل الله فرجه يتسلّم زمام الأمر

البحث رقم (٤٨)

حياة الإمام المهدي ﷺ في الغيبة الصغرى

البحث رقم (٤٩)

نشاطات الإمام المهدي ﷺ في الغيبة الصغرى

البحث رقم (٥٠)

الغيبة الكبرى: العلل، الخصائص، التكاليف